

بِجَمْعِيَّةِ مُنْتَدَى النَّشْرِ
التَّجَنُّدِ الْأَشْرَفِ

مُنْتَدَى النَّبِيِّ الْكَرِيمِ وَالْمُخْتَلَفِ فِيهِ

الْإِمَامُ الْخَافِظُ أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ شِهْرَازُشُوبَ
الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٥٨٨ هـ

الجزء الثاني
العدل - النبوات

تحقيق وتعليق
حَامِدُ الْمُؤْمِنِ

الطبعة الأولى: ١٤٢٥ هـ

مُتَّبَعَاتُ الْقُرْآنِ
وَالْمُخْلِيفُ فِيهِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي
خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ
وَالَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ
وَيُنَزِّلُ الْمَطَرَ
وَالَّذِي يُمْسِكُ
السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ
وَالَّذِي يُنْزِلُ
الْمَاءَ مِنَ السَّمَاءِ
فَيَخْرُجُ مِنْهُ
النَّجْمُ وَالشَّجَرُ
وَالَّذِي يُسَبِّحُ
مِنْ اللَّيْلِ وَالنَّجْمِ
وَالَّذِي يُسَبِّحُ
مِنْ اللَّيْلِ وَالنَّجْمِ

جَمْعِيَّةُ مُنْتَدَى النُّشْرِ
السَّجَفُ الْأَشْرَفُ

مُنْتَهَى نَبَا الْقُرَّانِ وَالْمُخْتَلَفِ فِيهِ

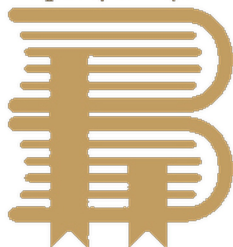
الامام الحافظ ابي جعفر محمد بن علي بن شهر آشوب
المتوفى سنة ٥٨٨ هـ

الجزء الثاني
العدل - النبوات

تحقيق ورسالة
حامد المؤمن

العارف بالطبوعات

شبكة كتب الشيعة



shiabooks.net

رابطہ پیدل < nktba.net

هوية الكتاب

اسم الكتاب: متشابه القرآن والمختلف فيه

الجزء الثاني

المؤلف: أبو جعفر محمد بن علي بن شهر آشوب

تحقيق: حامد جابر حبيب المؤمن الموسوي

تنضيد وإخراج فني: نصير علي موسى شكر

القياس: ٢٤ × ١٧ (فني)

عدد الصفحات: ٥٤٤ صفحة

الطبعة الاولى المنقحة

1429 هـ - 2008 م

جميع حقوق النشر محفوظة ومسجلة

لناشر والمؤلف ولا يحق لأي شخص أو

مؤسسة أو جهة إعادة طبع أو ترجمة أو نسخ

الكتاب أو أي جزء منه إلا بترخيص خطي من

المؤلف والناشر تحت طائلة الشرع والملاحقة

القانونية ...

الناشر

جَمْعِيَّةُ مُنْتَدَى النِّشْر
النَّجَفُ الْأَشْرَفُ



مؤسسة العارف للمطبوعات

بيروت - لبنان

TLF:00961 1 452077

العراق - النجف الاشرف / الميدان

TEL: 00964 33 370636

MOB: 00964 7801327828

[Url:www.alaref.net](http://www.alaref.net)

Email:arefli@hotmail.com

[٢]

بَابُ
مَا يَدْخُلُ فِي أَبْوَابِ الْعَدْلِ

مذهبُ الجبر، ينافي الأصولَ الخمسة^(١). ألا ترى أَنَّهُ يؤدي إلى فسادِ معرفة شيءٍ من طريقِ الاكتسابِ، ومعرفةِ الصَّانعِ، والملائكةِ، والرُّسلِ، والكتبِ، واليومِ الآخرِ، وارتفاعِ الأمرِ، والنَّهي، وبطلانِ التَّكليفِ، وزوالِ الحمدِ، والذَّمِّ، وسقوطِ الثَّوابِ، والعقابِ.

وإذا لم تقع معرفةٌ من طريقِ الاكتسابِ، والاستدلالِ، فالأدلةُ باطلةٌ، والمعجزاتُ عبثٌ، والهدايةُ فاسدةٌ، لأنَّ من جبرَ على معرفة الحقِّ يعرفه ضرورةً، ومن جبرَ على معرفةِ الباطلِ، لم^(٢) يعرفه بالاستدلالِ، والاكتسابِ.

[وإذا]^(٣) فسدَ الاستدلالُ، فسدَ معرفةُ الصَّانعِ، لحصولها بالاستدلالِ، وهو مبنيٌّ على أنَّ الفعلَ في المُشَاهِدِ^(٤)، مُتعلِّقٌ بالفاعلِ. وإذا فسدَ الأصلُ،

(١) في النسخ جميعها: الخمس. من دون (تاء). والصواب ما أثبتناه.

(٢) (لم) ساقطة من (أ).

(٣) ما بين المعقوفين مطموسة ف (ش).

(٤) في (ك) و(هـ) و(ح): الشَّاهد.

لم يكن إلى إثباته سبيل.

والنبوات، إنما تعلم من طريق الاكتساب، بأن يظهر الله - على أيديهم - المعجزات. وإذا^(١) فسد الأصل، فسد الفرع، ومتى ما صح^(٢)، بطل التكليف، والأمر، والنهي، والحمد، والذم، والثواب، والعقاب. ومتى ما بطل ذلك، بطلت النبوات رأساً، لأنها مبنية على هذه الأصول.

وإن الله - تعالى - إذا خلق بعضهم كفاراً، وبعضهم^(٣) مؤمنين، ولا يقدران على التغيير. فلماذا يبعث الأنبياء؟

وإذا جاز أن يضل الله الخلق^(٤)، جاز أن يبعث من يضلهم^(٥) عنه، فلم يؤمن أن يكون داعياً إلى الضلال.

وإذا كان جميع الأفعال لله [تعالى]^(٦) فبأي شيء يؤمر^(٧)، وينهى، ويكلف، ويحث، ويرغب، ويرهب، وهو لا يقدر على تقديم، وتأخير،

(١) في (هـ) و(أ): فإذا.

(٢) في (أ): يصح بصيغة المضارع.

(٣) في (أ): أو بعضهم.

(٤) في (ك): الحق.

(٥) في (أ): يضعهم.

(٦) ما بين المعرفتين زيادة من (ج).

(٧) في (هـ) و(ج): يأمر. بصيغة المبني للمعلوم.

وَلَا تَقْضِ^(١)، وَإِزَامٍ، وَلَا فَعْلٍ، وَتَرْكِ؟

وَلَيْتَ جَاَزَ تَكْلِيفُ مِنْ هَذَا حَالُهُ، جَاَزَ تَكْلِيفُ الْجَاهِدِ.

وَأَنَّ اللَّهَ - تعالى - فَرَّقَ بَيْنَ فَعْلٍ نَفْسِهِ، وَفَعْلٍ خَلْقِهِ، فَقَالَ: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ﴾^(١)، ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾^(٢)، ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ / ٦١ / فَلْيُكْفُرْ﴾^(٣)، ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾^(٤).

وقد ألزَمَ على أفعالهم، فَقَالَ: ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لَأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾^(٥)، ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا﴾^(٦)، ﴿وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾^(٧)، ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾

(١) في (ك): نقص. بالصَّاد المهملة.

(٢) التَّغَابُن: ٢.

(٣) الإنسان: ٣.

(٤) الكهف: ٢٩.

(٥) يونس: ١٠٨.

(٦) الإسراء: ٧.

(٧) فصلت: ٤٦.

(٨) لقمان: ١٢.

وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ^(١)، ﴿مَنْ اهْتَدَىٰ فَإِنَّا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ﴾^(٢)، ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾^(٣)، ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَٰ فَعَلَيْهَا﴾^(٤)، ﴿مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلَا نَفْسَ لَهُ يَمْهَدُونَ﴾^(٥).

وذكر أن الجزاء بالأعمال، فقال: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ﴾^(٦)، ﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا﴾^(٧)، ﴿فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾^(٨)، ﴿قُلْ لَكُمْ مَا عَلَىٰ نَفْسِهِمْ مِنْ سَبِيلٍ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ﴾^(٩)، ﴿لِيُجْزِيَ الَّذِينَ أَسَؤُا بِمَا عَمِلُوا وَيُجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَىٰ﴾^(١٠)، ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾^(١١)، ﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا

(١) الزلزلة: ٧، ٨.

(٢) الإسراء: ١٥.

(٣) آل عمران: ٩٧.

(٤) الأنعام: ١٠٤.

(٥) الروم: ٤٤.

(٦) العنكبوت: ٤٠.

(٧) غافر: ٤٠.

(٨) فصلت: ٥٠.

(٩) الشورى: ٤١، ٤٢.

(١٠) النجم: ٣١.

(١١) الأنعام: ١٦٤، الإسراء: ١٥، فاطر: ١٨، الزمر: ٧.

سَمِعِي وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءُ الْأَوْفَى ﴿١﴾، ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿٢﴾، ﴿فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ ﴿٣﴾، ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ﴾ ﴿٤﴾، ﴿فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ ﴿٥﴾، ﴿فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ مَا بَاءَ﴾ ﴿٦﴾، ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ﴾ ﴿٧﴾، ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ ﴿٨﴾، ﴿وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكُفُورَ﴾ ﴿٩﴾، ﴿جَزَاءُ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٠﴾، ﴿جَزَاءُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ ﴿١١﴾، ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٢﴾، ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاؤُا بِمَا عَمِلُوا﴾ ﴿١٣﴾، ﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ

(١) النجم: ٣٩ - ٤١.

(٢) الزخرف: ٧٦.

(٣) التوبة: ٧٠.

(٤) النساء: ١٤٧.

(٥) المزمل: ١٩.

(٦) النبأ: ٣٩.

(٧) الأنبياء: ٩٤.

(٨) النساء: ١١٠.

(٩) سبأ: ١٧.

(١٠) السجدة: ١٧.

(١١) التوبة: ٨٢، ٩٥.

(١٢) النحل: ٣٢.

(١٣) النجم: ٣١.

بِصِدْقِهِمْ^(١)، ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَشْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ^(٢)﴾، ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا^(٣)﴾، ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ^(٤)﴾، ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ^(٥)﴾.

وأضاف أفعالهم إلى أعضائهم، فقال: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ^(٦)﴾، ﴿فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ^(٧)﴾، ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ^(٨)﴾، ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ^(٩)﴾، ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَاكَ^(١٠)﴾، ﴿وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ^(١١)﴾، ﴿يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ^(١٢)﴾.

(١) الأحزاب: ٢٤.

(٢) فصلت: ٢٧.

(٣) الأنعام: ١٦٤.

(٤) البقرة: ٢٨٤.

(٥) الشورى: ٣٠.

(٦) غافر: ١٩.

(٧) المائدة: ٦.

(٨) لقمان: ١٨.

(٩) ق: ١٨.

(١٠) الحج: ١٠.

(١١) غافر: ١٩.

(١٢) محمد: ١٢.

وَأَمَرَهُمْ بِالْأَمْرِ. فَقَالَ: ﴿آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾^(١)، ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا
الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾^(٢)، ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾^(٣)، ﴿وَأَتُوا
الْيَبُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾^(٤)، ﴿وَاسْتَفِزُّوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْهُمْ بِصُورَتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ
بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِذُّهُمْ﴾^(٥)، ﴿اغْمُلُوا مَا
شِئْتُمْ﴾^(٦)، ﴿وَلْيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ﴾^(٧)، ﴿اضْرِبُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا﴾^(٨)،
﴿وَأَقْتُلُوهُمْ﴾^(٩)، ﴿وَاحْصُرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ﴾^(١٠)، ﴿وَأَفْعَلُوا
الْخَيْرَ﴾^(١١)، ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا﴾^(١٢)، ﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾^(١٣).

(١) النساء: ١٣٦، الحديد: ٧.

(٢) النساء: ٥٩.

(٣) البقرة: ٤٣، ٨٣، النور: ٥٦، المزمل: ٢٠.

(٤) البقرة: ١٨٩.

(٥) الإسراء: ٦٤.

(٦) فصلت: ٤٠.

(٧) الأنعام: ١١٣.

(٨) آل عمران: ٢٠٠.

(٩) البقرة: ١٩١، النساء: ٨٩، ٩١.

(١٠) التوبة: ٥.

(١١) الحج: ٧٧.

(١٢) النور: ٣١.

(١٣) الأحزاب: ٧٠.

ونهاهم بالنوامي، فقال: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾^(١) ﴿وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ﴾^(٢) ﴿وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ﴾^(٣)، ﴿وَلَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾^(٤) ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ﴾^(٥) ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ﴾^(٦)، ﴿وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ﴾^(٧) ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ السِّتْكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِنَتَقَرَّوْا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾^(٨)، ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا (٢٣) إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾^(٩)، ﴿وَلَا تَعْنُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾^(١٠)، ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾^(١١)، ﴿وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾^(١٢)، ﴿وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا﴾^(١٣)

(١) البقرة: ١٩٥.

(٢) الأعراف: ٨٦.

(٣) البقرة: ٢٨٣.

(٤) القصص: ٧٦.

(٥) النحل: ١٢٧.

(٦) الإسراء: ٣١.

(٧) النساء: ١٧١.

(٨) النحل: ١١٦.

(٩) الكهف: ٢٣، ٢٤.

(١٠) البقرة: ٦٠، الأعراف: ٧٤، هود: ٨٥، انشعراء: ١٨٣، العنكبوت: ٣٦.

(١١) الإسراء: ٣٧، لقمان: ١٨.

(١٢) الإسراء: ٢٩.

(١٣) النساء: ١٠٥.

﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾^(١)، ﴿وَلَا تَتَّبِعِ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٢).

ووصف المحسنين بأفعالهم، فقال: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾^(٣)، ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ﴾^(٤)، ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ﴾^(٥)، ﴿مُسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ﴾^(٦)، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾^(٧)، ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُّحْسِنِينَ كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾^(٨)، ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾^(٩)، ﴿وَالَّذِينَ يَخْتَفُونَ كِبَرًا لِلْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشِ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾^(١٠)، ﴿لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾^(١١)،

(١) ص: ٢٦.

(٢) الجاثية: ١٨.

(٣) المؤمنون: ١.

(٤) التوبة: ١١٢.

(٥) الأحزاب: ٣٥.

(٦) التحريم: ٥.

(٧) البقرة: ٢٢٢.

(٨) الذاريات: ١٦ - ١٨.

(٩) البقرة: ١٥٣. الأنفال: ٤٦.

(١٠) الشورى: ٣٧.

(١١) التوبة: ١٢٠. هود: ١١٥. يوسف: ٩٠.

﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾^(١)، ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾^(٢)، ﴿لَعَلَّكُمْ
/ ٦٢ / تَهْتَدُونَ﴾^(٣)، ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾^(٤)، ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾^(٥)، ﴿لَعَلَّكُمْ
تَذْكُرُونَ﴾^(٦).

وَعَنَّفَ الْمُجْرِمِينَ وَذَكَرَ عُقُوبَتَهُمْ، فَقَالَ: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا
أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ﴾^(٧)، ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا
مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾^(٨)، ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ﴾^(٩)، ﴿وَمَنْ يَتَعَدَّ
حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾^(١٠)، ﴿وَبَدَأَ لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا
بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾^(١١)، ﴿إِنَّكُمْ لَفي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ يُؤَفِّكُ عَنْهُ مَنْ أَفَكَ قَلِيلٌ

(١) الكهف: ٣٠.

(٢) البقرة: ٥٢. وفي أكثر من موضع في القرآن الكريم.

(٣) البقرة: ٥٣. وفي أكثر من موضع في القرآن الكريم.

(٤) البقرة: ٢١. وفي أكثر من موضع في القرآن الكريم.

(٥) البقرة: ٧٣. وفي أكثر من موضع في القرآن الكريم.

(٦) الأنعام: ١٥٢. وفي أكثر من موضع في القرآن الكريم.

(٧) المائدة: ٣٨.

(٨) النور: ٢.

(٩) النساء: ٩٣.

(١٠) الطلاق: ١.

(١١) الزمر: ٤٨.

الْخَرَّاصُونَ»^(١)، «ثُمَّ إِنَّكُمْ أَتَيْتُمُ الضَّالِّينَ الْمُكَذِّبِينَ»^(٢).

وَصَرَّحَ بِمَعْتَقِدِ الْأَنْبِيَاءِ - عَلَيْهِمُ السَّلَامُ - فَقَالَ - عَنْ آدَمَ -: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا»^(٣)، وَعَنْ نُوحٍ: ﴿رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي»^(٤)، وَعَنْ مُوسَى: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي»^(٥)، وَعَنْ إِبْرَاهِيمَ: ﴿أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِإِبْرَاهِيمَ يَا إِبْرَاهِيمُ»^(٦)، وَعَنْ يَعْقُوبَ: ﴿سَوَّلْتُ لَكُمْ أَنْفُسَكُمْ أَمْرًا»^(٧)، وَعَنْ يُوسُفَ: ﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي»^(٨)، وَعَنْ دَاوُدَ: ﴿لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعَجِكَ إِلَى زَعَاجِهِ»^(٩)، وَعَنْ سُلَيْمَانَ: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا»^(١٠)، وَعَنْ عِيسَى: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ»^(١١)، وَعَنْ نَبِيِّنَا - عَلَيْهِ

(١) الذاريات: ٨ - ١٠.

(٢) الواقعة: ٥١.

(٣) الأعراف: ٢٣.

(٤) نوح: ٢١.

(٥) القصص: ١٦.

(٦) الأنبياء: ٦٢.

(٧) يوسف: ١٨، ٨٣.

(٨) يوسف: ٣٧، ٣٨.

(٩) ص: ٢٤.

(١٠) ص: ٣٥.

(١١) المائدة: ١١٧.

السلام :- ﴿قُلْ إِنْ صَلَّيْتُ فَإِنَّهَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي وَإِنْ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي﴾^(١)، وعن الملائكة: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾^(٢).

ونسب الكفر إليهم ظاهراً، فقال: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً﴾^(٣)، ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾^(٤)، ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ أندَاداً لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ﴾^(٥)، ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾^(٦)، وأشباه ذلك.

وحكى مقالة الكفار، فقال: ﴿قَوْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيُشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً قَوْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَقَوْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾^(٧)، ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُودُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ

(١) سبأ: ٥٠.

(٢) البقرة: ٣٠.

(٣) مريم: ٨١. يس: ٧٤.

(٤) الأنعام: ١٠٠.

(٥) إبراهيم: ٣٠.

(٦) الأنفال: ٣٠.

(٧) البقرة: ٧٩.

وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ^(١)، ﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالسَّفَحِشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ^(٢)، ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا^(٣)، ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ^(٤)، ﴿وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ^(٥)، ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا بِمَا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ نَطْعِمَ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ^(٦)﴾.

وذكر امتناعهم عن الحق، فقال: ﴿وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِلْيُؤْمِنُوا^(٧)، ﴿وَلَيْسَ آتِيَتِ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ^(٨)، ﴿وَإِنْ كَانَ كِبُرُ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَامًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ

(١) آل عمران: ٧٨.

(٢) الأعراف: ٢٨.

(٣) الأنعام: ١٤٨.

(٤) النحل: ٣٥.

(٥) الزخرف: ٢٠.

(٦) يس: ٤٧.

(٧) الأنعام: ١١١.

(٨) البقرة: ١٤٥.

بِآيَاتِهِ^(١). يعني: تُلَجِّنُهُمْ^(٢) إلى الإيمان، وعلى ترك الكفر، فافعل ذلك. وقوله:
﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ﴾^(٣).

افتتح القرآن بالعدل، فقال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾^(٤)، أي: قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ.
واختتم^(٥) به، فقال: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾^(٦). وَالْيَهُ بْنُ الْحَبَابِ^(٧):

إِنْ كَانَ يُجْزَى بِالْخَيْرِ فَاعْلُهُ شَرًّا وَيُجْزَى الْمَسِيءُ بِالْحَسَنِ
فَوَيْلٌ تَالِي الْقُرْآنِ فِي ظُلْمٍ اللَّيْلِ وَطُوبَى لِعَابِدِ الْوُثْنِ



(١) الأنعام: ٣٥.

(٢) في (ك): تلجيهم. بالياء المثناة من تحت بعد الجيم الموحدة من تحت.

(٣) يس: ٦٠.

(٤) الفاتحة: ٢.

(٥) في (هـ) و(أ): إختتم. بصيغة الأمر.

(٦) الناس: ١.

(٧) لم أقف على مظنة أخذه.

فصل [-١-]

[في منع الجور على الله]

وقلتم: إن من الله جورَ الجائرين، وفسادَ المعتدين، فهو - عندكم - المريدُ لشيئِهِ، ولقتلِ أنبيائِهِ، ولغَنَةِ^(١) أوليائِهِ، وإنَّه أمرَ بالإيمانِ، ولم يُرِدهُ، ونهى عن الكفرِ، وأزادهُ، وإنَّه قضى بالجورِ، والباطلِ، ثمَّ أمرَ عِبَادَهُ بِإِنْكَارِ قَضَائِهِ وَقَدَرِهِ، وإنَّه المفسدُ للعبادِ، والمظهرُ في الأرضِ الفسادَ، صرفَ النَّاسَ عن الإيمانِ، وأمرهم بِهِ، وإنَّه يعدُّبُ أطفالَ المشركينَ بذنوبِ آبائهم، واستَبَطَّأهم إن لم يفعلُوا ما لا يَقْدِرُونَ عَلَيْهِ، فَقَالَ: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللهِ﴾^(٢)، / ٦٣ / وإنَّه صرفَ أَكْثَرَ خلقِهِ عن الإيمانِ، ثمَّ قال: ﴿فَأَنى تُضْرَفُونَ﴾^(٣)، وَأَفْكَهْم، وقال: ﴿أَنى يُؤْفَكُونَ﴾^(٤)، وَخَلَقَ فِيهِمُ الْكُفْرَ، ثمَّ قال: ﴿لِمَ تَكْفُرُونَ﴾^(٥)، وَلَبَسَ الْحَقَّ عَلَيْهِم بِالْبَاطِلِ ثمَّ قال: ﴿لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾^(٦)، وإنَّه دعا إلى الهدى، ثمَّ صدَّ

(١) في (ح): لعن.

(٢) البقرة: ٢٨.

(٣) يونس: ٣٢. الزمر: ٦.

(٤) المائدة: ٧٥.

(٥) آل عمران: ٩٨.

(٦) آل عمران: ٧١.

عنه، وقال: ﴿لَمْ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾^(١)، وإنه منع العباد من الإيمان، وقال: ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى﴾^(٢)، وخلق فيهم الكفر، وقال: ﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^(٣)، وإنه حال بينهم، وبين الطاعة، ثم قال: ﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾^(٤)، وإنه ذهب بهم عن الحق، ثم قال: ﴿فَأَيْنَ تَذَهَبُونَ﴾^(٥)، وإنه لم يمكنهم من الإيمان، ولم يعطهم قوة السجود، ثم قال: ﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ﴾^(٦)، وإنه فعل - بعباده - الإعراض عن التذكرة^(٧)، ثم قال: ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ﴾^(٨)، وإنه يَمَكُرُ بأوليائه الْمُحْسِنِينَ، وَيَنْظُرُ لأعدائه الْمُشْرِكِينَ، لأنَّ العبد - عندهم - مُجْتَهِدٌ فِي طَاعَتِهِ، فَبَيَّنَا^(٩) هُوَ كَذَلِكَ، وَعَلَى ذَلِكَ، إِذْ خُلِقَ فِيهِ الْكُفْرُ، وَنَقَلَهُ مِمَّا يَحِبُّ إِلَى مَا يُسَخِطُ، وَبَيَّنَّا^(١٠) عَبْدَهُ^(١١)، مُجْتَهِدٌ فِي الْكُفْرِ بِهِ، وَالتَّكْذِيبِ لَهُ، إِذْ نَقَلَهُ مِنَ الْكُفْرِ

(١) آل عمران: ٩٩.

(٢) الإسراء: ٩٤.

(٣) الانشقاق: ٢٠.

(٤) النساء: ٣٩.

(٥) التكوين: ٢٦.

(٦) الانشقاق: ٢٠، ٢١.

(٧) في (هـ): التذكرة عليهم.

(٨) المدثر: ٤٩.

(٩) في (ك): فَبَيَّنَّا. بتشديد الياء.

(١٠) في (أ): بينهما.

(١١) في (ش) و(ك) و(هـ) و(أ): عنده. بالنون الموحدة من فوق.

إلى الإيمان، فَهَوَ - عِنْدَهُمْ - لِعَدْوِهِ أَنْظَرُ مِنْهُ لَوَلِيِّهِ، فَلَيْسَ يَشُقُّ وَلِيَّهُ بِوَلَايَتِهِ، وَلَا يَرْهَبُ عَدُوَّهُ مِنْ عَدَاوَتِهِ، وَإِنَّهُ يَقُولُ لِلرُّسُلِ: أَهْدُوا إِلَى الْحَقِّ مِنْ أَضَلَلْتُ عَنْهُ، وَانْهَوِ عِبَادِي أَنْ يَفْعَلُوا مَا شِئْتُ، وَأَرَدْتُ، وَأَمُرُهُمْ أَنْ يَرْضُوا بِمَا قَضَيْتُ، وَقَدَّرْتُ، لِأَنَّهُ - عِنْدَهُمْ - شَاءَ الْكُفْرِ، وَأَرَادَ الْفُجُورَ، وَقَضَى ^(١) الْجُورَ، وَقَدَّرَ الْخِيَانَةَ. الصَّاحِبُ ^(٢):

وإِنْ سَقَتْ مَا قَالُوهُ فِي الْجَبْرِ ضَلَّةٌ	خَشِيتُ: جِبَالُ الْأَرْضِ مِنْهُ تَهْدَدُ
فَهَذَا يَقُولُ: اللَّهُ يَخْلُقُ سُبَّةً ^(٣)	لِيُنْتَمَ. كَلًّا! فَهَوَ أَعْلَى وَأَعْجَدُ
وَقَالُوا أَرَادَ الْكُفْرَ وَالْفِسْقَ وَالزُّنَا	وَقَتْلَ النَّبِيِّينَ الَّذِينَ تَعَبَّدُوا
وَكَلَّفَ مَا لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَ مُحْنِي	عَلَى عَبْدِهِ مَا شَاءَ، مَا يَتَرَدَّدُ ^(٤)
وَعَاقِبُهُ عَنْ تَرْكِهِ الْفِعْلَ لَمْ يُطِيقْ	عِقَابًا لَهُ بَيْنَ الْجَحِيمِ يُخَلَّدُ ^(٥)
يَقُولُونَ: عَدْلٌ ^(٦) أَنْ يَكْلَفَ مُقْعَدًا	قِيَامًا، وَعَدُوًّا مُسْرِعًا وَهُوَ مُقْعَدُ



(١) في (ش) و(ك): قضاء. بصيغة المصدر.

(٢) ديوان الصاحب بن عباد: ٣٣.

(٣) في الديوان: يقولون: إِنَّ اللَّهَ يَخْلُقُ نَسَبَةً. وفي (ح): نسبة.

(٤) في الديوان: عدلٌ. بالرفع. وهو الأنسب. وفي (ش) و(ك) و(هـ) و(أ): عدلاً. بتووين النصب.

(٥) في الديوان: على عبده حاشاه عما تزيّدوا. وفي (ح): لا يتردد.

(٦) في الديوان: مخلّد.

فصل [-٢-]

[في الاستطاعة ونسبة الأفعال]

قوله - تعالى -: ﴿وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالُونَ﴾^(١).

سُئِلَ الصَّادِقُ^(٢) - عليه السلام - عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ، فَقَالَ: مُسْتَطِيعُونَ، يَسْتَطِيعُونَ^(٣) الْأَخْذَ بِمَا أُمُّرُوا بِهِ، وَالتَّرْكَ عَمَّا تُهْتَوَا عَنْهُ، وَبِذَلِكَ ابْتُلُوا.

وَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ - عليه السلام -: مَا أَحْسَنْتُ إِلَى أَحَدٍ، وَلَا أَسَأْتُ إِلَيْهِ، لِأَنَّ اللَّهَ - تعالى - يَقُولُ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا﴾^(٤).

قوله - سُبْحَانَهُ -: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾^(٥).

(١) القلم: ٤٣.

(٢) البرهان في تفسير القرآن: ٤: ٣٧٣.

(٣) في (هـ): ليستطيعون.

(٤) فصلت: ٤٦، الجاثية: ١٥.

(٥) الأنعام: ١٤٤، الأعراف: ٣٧، يونس: ١٧، الكهف: ١٥.

أي: أظلمُ لنفسه، ليخرُصَ^(١) على الله كذباً أو^(٢) يضيفَ إليه ما لا أصلَ له.
 أبو هريرة، قَالَ: قَامَ رَجُلٌ مِنْ خَثْعَمَ^(٣) إِلَى النَّبِيِّ^(٤) - عَلَيْهِ السَّلَامُ - فَقَالَ:
 يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَتَى يَرْحَمُ اللَّهُ عِبَادَهُ؟
 قَالَ: يَرْحَمُ^(٥) اللَّهُ عِبَادَهُ، مَا لَمْ يَعْمَلُوا^(٦) بِالْمَعَاصِي، ثُمَّ يَقُولُوا^(٧): هِيَ مِنْ
 اللَّهِ.

أنس: قَالَ النَّبِيُّ^(٨) - عَلَيْهِ السَّلَامُ -: سَيَأْتِي أَقْوَامٌ يَعْمَلُونَ بِالْمَعَاصِي،
 وَيَقُولُونَ: هِيَ مِنْ اللَّهِ. فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُمْ، فَكُذِّبُوهُمْ - ثَلَاثَ مَرَّاتٍ -.
 أبو الصَّلْتِ الهَرَوِيُّ، عَنِ الرِّضَا، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ الصَّادِقِ - عَلَيْهِ السَّلَامُ -
 وَقَدْ سُئِلَ^(٩) عَنْ ذُنُوبِنَا^(١٠)، وَذُنُوبِ غَيْرِنَا -، فَقَالَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ -: ﴿لَيْسَ

(١) خرص: يخرص: يكذب. «المعجم الوسيط» - خرص.

(٢) في (ك) و(هـ) و(أ): ويضيف. مع الواو.

(٣) خثعم: من قبائل العرب.

(٤) إنقاذ البشر من الجبر والقدر «رسائل الشريف المرتضى» - ٤١: ٥٨.

(٥) في (هـ): يرحموا. بإسناده إلى واد الجماعة.

(٦) في (أ): يعلموا. بلام ثم ميم.

(٧) في (هـ): يقولون.

(٨) إنقاذ البشر من الجبر والقدر «رسائل الشريف المرتضى» - ٤١: ٧٩.

(٩) في (هـ): سأل. بصيغة المبني للمعلوم.

(١٠) في (أ): ذنبتنا. بصيغة المفرد.

بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ^(١).

وَسُئِلَ الصَّادِقُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - عَنْ أَفْعَالِ الْعِبَادِ، فَقَالَ: كُلُّ مَا وَعَدَ اللَّهُ، وَتَوَعَّدَ عَلَيْهِ، فَهُوَ مِنْ أَفْعَالِ الْعِبَادِ.

وَسُئِلَ الرِّضَا^(٢) - عَلَيْهِ السَّلَامُ - فَقِيلَ^(٣): أَهِيَ خَلْقَةُ اللَّهِ؟ فَقَالَ: لَوْ خَلَقَهَا، لَمَا تَبَرَّأَ مِنْهَا، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ: ﴿أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾^(٤). وَلَمْ يُرِدِ الْبَرَاءَةَ مِنْ خَلْقِ ذَوَاتِهِمْ، وَإِنَّمَا تَبَرَّأَ مِنْ شُرَكَائِهِمْ، وَفَضَائِحِهِمْ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ﴾^(٥).

مَعْنَاهُ: أُعْطِينَاهُمْ كُلَّ مَا لَا يَصُحُّ الْفَعْلُ إِلَّا مَعَهُ، لِأَنَّ التَّمَكِينَ، إِعْطَاءٌ^(٦) مَا يَصُحُّ مَعَهُ الْفَعْلُ.

فَإِنْ^(٧) كَانَ الْفَعْلُ لَا يَصُحُّ إِلَّا بِعِلْمٍ، فَالتَّمَكِينُ بِإِعْطَاءِ تِلْكَ الْآيَةِ لِمَنْ فِيهِ الْقُدْرَةُ.

(١) النساء: ١٢٣.

(٢) شرح عقائد الصِّدِّيقِ أَوْ تَصْحِيحِ الْإِعْتِقَادِ: ١٩٩. وَفِيهِ: قِبَاحُهُمْ.

(٣) فِي (ك) وَ(هـ): فَقَالَ. بِصِيغَةِ الْمُبْنِيِّ لِلْمَعْلُومِ.

(٤) التَّوْبَةِ: ٣.

(٥) الْحَجَّ: ٤١.

(٦) الْعِبَارَةُ «إِعْطَاءٌ... وَالتَّمَكِينُ» سَاقِطَةٌ مِنْ (أ).

(٧) فِي (ح): وَإِنْ. مَعَ الْوَاوِ.

وكذلك إن كَانَ لا يَصِحُّ الفعلُ إِلَّا بِآلَةٍ: بِعِلْمٍ^(١)، وَنَضْبِ دَلَالَةٍ، وَصَحَّةٍ، وَسَلَامَةٍ، وَلُطْفٍ، وَغَيْرِ ذَلِكَ، فَأَعْطَاهُ^(٢) جَمِيعَ ذَلِكَ.

وإن كَانَ الفعلُ يكفي - في صحَّة وجوده - مجردُ القدرة، فخلقُ القدرة، هو التَّمَكُّينُ.

وَاتَّصَلَ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ^(٣) - عَلَيْهِ السَّلَام - أَنَّ قَوْمًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - خَاضُوا فِي التَّعْدِيلِ، وَالتَّجْوِيرِ، فَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللَّهَ لَمَّا خَلَقَ خَلْقَهُ، أَرَادَ أَنْ يَكُونُوا [على آدابٍ رَفِيعَةٍ، وَأَخْلَاقٍ شَرِيفَةٍ، فَعَلِمَ أَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا]^(٤) كَذَلِكَ إِلَّا بِأَنْ يَعْرِفَهُمْ مَا هُمْ، وَمَا عَلَيْهِمْ/ ٦٤ / وَالتَّعْرِيفُ لَا يَكُونُ إِلَّا بِالْأَمْرِ، وَالتَّنْهِي. وَالْأَمْرُ، وَالتَّنْهِي، لَا يَجْتَمِعَانِ إِلَّا بِالْوَعْدِ، وَالْوَعْدِ. وَالْوَعْدُ لَا يَكُونُ إِلَّا بِالْتَرْغِيبِ، وَالْوَعْدُ لَا يَكُونُ إِلَّا بِضِدِّ ذَلِكَ. ثُمَّ خَلَقَهُمْ فِي دَارِهِ، وَأَرَاهُمْ طَرَفًا مِنَ اللَّذَّاتِ الْخَالِصَةِ، الَّتِي لَا يَشُوبُهَا أَلَمٌ، أَلَا وَهِيَ الْجَنَّةُ. وَأَرَاهُمْ طَرَفًا مِنَ الْمَكَارِهِ، الَّتِي لَا يَشُوبُهَا لَذَّةٌ، أَلَا وَهِيَ النَّارُ. فَمَنْ أَجَلَ ذَلِكَ يَرُونَ نَعِيمَ الدُّنْيَا مُخْلُوطًا بِمَحَنِيهَا، وَسُرُورَهَا مَمْزُوجًا بِكَدَرِهَا، وَعُثْمُومِهَا.

(١) في (أ): تعلم. بصيغة المضارع وبناء المضارعة المثناة من فوق.

(٢) في (ح): فأعطاه، بصيغة الفعل الماضي مع ضمير الغائب (الهاء).

(٣) الاحتجاج: ١: ٣٠٩.

(٤) (يا) ساقطة من (ك) و(أ).

(٥) ما بين المعقوفين ساقطة من (ش).

وَسَمِعَ الْجَاحِظُ^(١) هَذَا الْحَدِيثَ، فَقَالَ: هُوَ جَمَاعُ الْكَلَامِ، الَّذِي دَوَّنَهُ النَّاسُ فِي كُتُبِهِمْ، وَتَحَاوَرِهِمْ بَيْنَهُمْ.

ثُمَّ سَمِعَ أَبُو عَلِيٍّ الْجَبَّائِي^(٢)، فَقَالَ: صَدَقَ الْجَاحِظُ، هَذَا مَا لَا^(٣) يَحْتَمِلُهُ الزِّيَادَةُ، وَالتَّقْصَانُ.

العَوْنِيُّ^(٤):

كَيْفُومًا مَنْ خَلَقَ الْكَيْفَ فَيَنْسِ الْوَاصِفُونَ
ثُمَّ قَالُوا جَبَرُ^(٥) الْخَلْقَ عَلَى مَا يَفْعَلُونَا
فَهُمْ بِالْخَيْرِ وَالشَّرِّ - مَعًا - مُسْتَمِعُونَ
فَعَلِ مَاذَا يُثَابُونَ وَعَمَّا يُنْأَلُونَ؟
لِمَ هَذَا بِعَذَابٍ يُوعِدُ الْمُسْتَهْزِئِينَ؟
أَيُّجُورُ^(٦) اللَّهُ فِي الْحُكْمِ وَأَنْتُمْ تَعْدِلُونَا؟
جَلَّ رَبُّ النَّاسِ عَنْ ذَاكَ وَذَلَّ الْمُجْبِرُونَ



(١) الاحتجاج: ١: ٣٠٩.

(٢) الاحتجاج: ١: ٣٠٩.

(٣) (لا) ساقطة من (أ).

(٤) لم نقف على مورد أخذه.

(٥) في (ك) و(أ): خبر. بالخاء المعجمة من فوق.

(٦) في (أ): يجوز. بالزاي المعجمة.

فصل [-٣-]

[في نسبة الأفعال]

قوله - تعالى -: ﴿ مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ ﴾^(١).

وما فيه تفاوتٌ من الكفر، والمعاصي، ليس من خلق الله، لأنه نفى نفياً عاماً أن يكون فيما خلقه، تفاوتٌ.

وقال - تعالى -: ﴿ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ﴾^(٢). والكفر، ليس بحسن، ولا فعلٍ متقنٍ.

وقال - تعالى -: ﴿ الَّذِي أَنْقَضَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾^(٣). أي: أوجد فيه وجهاً من وجوه الحكمة، عريئاً من سائر القبائح.

وقال - تعالى -: ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالسَّحَابِ ﴾^(٤).

(١) الملوك: ٣.

(٢) السجدة: ٧.

(٣) النمل: ٨٨.

(٤) الأنعام: ٧٣.

قَالَ الْحَسَنُ^(١)، وَالبَلْخِيُّ، وَالجَبَّائِيُّ، وَالزَّجَّاجُ^(٢)، وَالطَّبْرِيُّ^(٣): معناه: خَلَقَهُمَا لِلْحَقِّ، لَا لِلْبَاطِلِ.

وَقَالَ - تَعَالَى -: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بِاطِلَالٍ﴾^(٤).

يَدُلُّ عَلَى بَطْلَانِ قَوْلِ الْمَجْبُورَةِ^(٥): إِنَّ كُلَّ بَاطِلٍ، وَسَفَهٍ، وَمَا يُخَالِفُ الْحِكْمَةَ مِنْ فِعْلِ اللَّهِ. تَعَالَى عَنْ ذَلِكَ.

ثُمَّ قَالَ: ﴿ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾^(٦).

ووجدنا مِنَ الْأَفْعَالِ مَا هُوَ ظَلَمٌ، وَفَسَادٌ^(٧)، وَعَبَثٌ. وَفَاعِلُ الظُّلْمِ، ظَالِمٌ، وَفَاعِلُ الْفَسَادِ، مَفْسِدٌ، وَفَاعِلُ الْعَبَثِ، عَابَثٌ.

ووجدنا - أَيْضاً - فِي الْأَفْعَالِ، مَا هُوَ طَاعَةٌ، وَخُضُوعٌ. وَفَاعِلُ الطَّاعَةِ، مُطِيعٌ، وَفَاعِلُ الْخُضُوعِ، خَاضِعٌ. وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ - تَعَالَى - مُطِيعاً، وَلَا خَاضِعاً.

(١) مجمع البيان: ٢: ٣٢٠.

(٢) مجمع البيان: ٢: ٣٢٠.

(٣) جامع البيان: ٧: ٢٣٩.

(٤) ص: ٢٧.

(٥) الملل والنحل: ١: ١٣٣. مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين: ١: ٢٨٣.

(٦) ص: ٢٧.

(٧) (فساد) ساقطة من (ك) و(هـ) و(أ).

وتعلّق الصّاحِبُ بتفّاحية على شجرة، وأخذ نصفها، وبقي النّصف عليها.

فقال له أبو إسحاق الاسفراييني: عندك: القادرُ على الشّيءِ يُنبغي أن يكون قادراً على ضده.

فقال الصّاحِبُ: كما قدرتُ على أخذها، أقدِرُ على ردّها. إلا أن الرطوبة، خارجة عنها، فلا يتقبّل^(١).

وقال أبو حنيفة^(٢): رأيتُ موسى بن جعفر - عليهما السلام - وهو صغير السنّ في دهليز أبيه، فقلت: أين يحدثُ الغريبُ منكم، إذا أرادَ ذلك؟

فَنَظَرَ إِلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: يَتَوَارَى خَلْفَ الجدارِ، ويتوقّى^(٣) أعينَ الجارِ، ويتجنّبُ شطوطَ الأنهارِ، ومساقطَ الثّمارِ، وأفنيةَ الدّورِ، والطّرقَ النّافذةَ، والمساجدَ، ولا يَسْتَقْبِلُ القِبْلَةَ، ولا يَسْتَدْبِرُهَا، وَيَضَعُ، وَيَرْفَعُ - بَعْدَ ذَلِكَ - حَيْثُ شَاءَ^(٤).

(١) في (هـ) و(ج): تقبل.

(٢) عيون أخبار الرضا: ١: ١٣٨ باختلاف يسير في اللفظ. التوحيد: ٩٦ باختلاف يسير في الرواية واللفظ. أمالي الصدوق: ٣٦٨. شرح عقائد الصدوق أو تصحيح الاعتقاد: ١٩٩ - ٢٠٠. إعلام الوري: ٢٩٧ - ٢٩٨. الاحتجاج: ٢: ١٥٩ تحف العقول: ٣٠٧ - ٣٠٨.

(٣) في (ك): يتوقّى. بالفاء الموحدة.

(٤) في (أ): شيئاً.

فلما سمعتُ هذا، نَبَلْتُ^(١) في عَيْنِي، وَعَظَمْتُ في قَلْبِي، فَقُلْتُ لَهُ: جُعِلْتُ
فذاك! مِمَّنْ المعصية؟

فَنَظَرَ إِلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: اجْلِسْ حَتَّى أَخْبِرَكَ. فَجَلَسْتُ، فَقَالَ: إِنََّّ المعصيةَ، لَا بَدْءَ
أَنْ تَكُونَ مِنَ الْعَبْدِ، أَوْ مِنْ رَبِّهِ، أَوْ مِنْهُمَا جَمِيعاً.

فَإِنْ كَانَتْ^(٢) مِنَ اللَّهِ - تَعَالَى - فَهُوَ أَعْدَلُ، وَأَنْصَفُ مَنْ أَنْ يَظْلِمَ عَبْدَهُ،
وَيَأْخُذَهُ بِهَا لَمْ يَفْعَلْهُ.

وَإِنْ كَانَتْ مِنْهُمَا، فَهُوَ شَرِيكُهُ، وَالْقَوِيُّ أَوْلَى بِإِنْصَافِ عَبْدِهِ الضَّعِيفِ.

وَإِنْ كَانَتْ مِنَ الْعَبْدِ - وَحْدَهُ -، فَعَلِيهِ وَقَعَ الْأَمْرُ، وَإِلَيْهِ تَوَجَّهَ النَّهْيُ، وَلَهُ
حَقُّ الثَّوَابِ، وَالْعِقَابِ، وَوَجِبَتِ الْجَنَّةُ، وَالنَّارُ. فَقُلْتُ: ﴿ذُرِّيَّةٌ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ
وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾^(٣).

وَنَظَمَ فِي هَذَا الْمَعْنَى [فَقَالَ]^(٤):

لَمْ تَحُلْ أَعْمَالُنَا اللَّاتِي تُدَمُّ بِهَا	إِحْدَى ثَلَاثِ خَصَالٍ حِينَ نَأْتِيهَا
إِمَّا تَفَرِّدُ بَارِنَا بِصُنْعِهَا	فَيَسْقُطُ اللَّوْمُ عَنَّا حِينَ تُنْشِئُهَا
أَوْ كَانَ يُشْرِكُنَا فِيهَا فَيُلْحَقُهُ	مَا سَوْفَ يُلْحَقُنَا مِنْ لَائِمٍ فِيهَا

(١) فِي (أ): يَبَلِّ.

(٢) فِي (ك): كَانَ.

(٣) آل عمران: ٣٤.

(٤) مَا بَيْنَ الْمُعْقُوفَتَيْنِ زِيَادَةٌ مِنْ (هـ).

أَوْ لَمْ يَكُنْ لِإِلَهِي فِي جَنَائِهَا ذَنْبٌ فَمَا الذَّنْبُ إِلَّا ذَنْبٌ جَانِبُهَا
 سَيَعْلَمُونَ إِذَا الْمِيزَانُ شَالَ بِهِمْ أَهْمُ جَنْوِهَا أَمْ الرَّحْمَنُ جَانِبُهَا^(١)



(١) الأبيات الأربعة الأولى في إعلام الوري: ٢٩٨ معزوة إلى موسى بن جعفر (عليه السلام) وهو مما يناسب رواية كتابنا هذا. والبيت الأخير في كتاب: فرق وطبقات المعتزلة: ٦٨ معزوة إلى عمرو بن قايد أحد شيوخ المعتزلة. وهي في أمالي المرتضى: ١: ١٥٢ غير معزوة. وهي في الاحتجاج: ٢: ١٥٩ غير معزوة أيضاً.

٦٥ / فصل [٤-]

[في الاستطاعة وفي نسبة الأفعال]

قوله - تعالى - : ﴿وَسَيَخْلِفُونَ بِاللهِ لَوْ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُبْلِغُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾^(١).

سأل غيلانُ العبدِيُّ أبا الهذيل عن الاستطاعة، فقال: خبرني عن هذه الآية: هل يخلو من أن يكونَ أكْذَبُهُمْ، لأنَّهم مستطيعون للخروج، وهم^(٢) تَارِكُونَ لَهُ، فاستطاعةُ الخروجِ فيهم، وليسَ يخرجونَ، لقوله: ﴿إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾، أي: هم يستطيعون الخروج، وهم^(٣) يكذبونَ، فيقولونَ: لسنا نستطيعُ، ولو اسْتَطَعْنَا، لَخَرَجْنَا، فَأَكْذَبَهُمُ اللهُ على هذا الوجه.

أو يكونَ على وجهٍ آخرَ، يقولُ: ﴿إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾. أي: إنني أعطيتهم الاستطاعة، [ولم يخرجوا، فتكونُ معهم الاستطاعة]^(٤) على الخروج، ولا يكونُ

(١) التوبة: ٤٢.

(٢) في (هـ): وهو.

(٣) في (هـ): فيهم.

(٤) ما بين المعقوفين ساقطة من (ش).

الخروج.

ولا يُعقلُ للآية معنى ثالث.

وقبل للنظام: إن كانت الاستطاعة لك، فخذ لنا هذا العصفور. فقال:

هذا من استطاعة الباشق^(١)، واليؤيؤ^(٢)، لا من استطاعتي.

وقال الكتبي: لا أقدر على شيء، ولا أملك أحداً^(٣).

فقال الشيخ المفيد: [أ] ^(٤) حُكْمِي ^(٥) حُكْمُكَ على ما لا تملك؟ قال: نعم.

قال: فرقت مالك على المساكين، وطلقت زوجتك، واعتقت عبدك،

ووقفت مملكتك.

وأتى بطرار^(٦) أحوال^(٧) إلى والي البصرة، فسأل عن الحكم، فقال جبري:

(١) الباشق: البازي. وهو ضرب من الصقور يستخدَم في الصيد. «المعجم الوسيط - بشق».

(٢) اليؤيؤ: طائر من جوارح الطير كالباشق، وهو طائر صغير قصير الذنب. «المعجم الوسيط - يأيا».

(٣) في (هـ): بالخاء والذال المعجمتين.

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (ش).

(٥) في (ش): جلمي. باللام.

(٦) في (ش) و(ك) و(أ): طرار له. والطرار: النشال، يشق ثوب الرجل. ويسل ما فيه (المعجم

الوسيط طرء)

(٧) في (ك): أحوال. وفي (ج): به حول.

يُضْرَبُ^(١) خَمْسَ^(٢) عَشْرَةَ دِرَّةً^(٣).

وقال أبو عبد الرحمن: بل ثلاثين، خمس عشرة^(٤) لطره^(٥)، وخمس عشرة^(٦) لحوله.

فقال: يا أبا عبد الرحمن، لا ضرب على الحول!

قال: نعم، إذا كانا - جميعاً - من فعل الله، فما جعل الضرب على الطر، بأحق منه على الحول^(٧).

وقال رجل لأبي الهذيل^(٨): من جمع بين الزانيين؟ يا أبا الهذيل! فقال: يا ابن أخي! أما بالبصرة، فأثم يقولون: القوادون، ولا أحسب أهل بغداد^(٩) يخالفونهم في هذا القول! فما تقول أنت؟
فخجل الرجل.

(١) في (ش): فضرِب. بصيغة الماضي.

(٢) في (ك): خمسة عشر.

(٣) الدرّة: السوط.

(٤) في (ش): خمسة عشر.

(٥) في (ش): لطره.

(٦) في (ش): خمسة عشر.

(٧) نثر الدر: ١٩٧.

(٨) نثر الدر: ١٩٧.

(٩) في (ل): بغدادي.

وقال أبو العتاهية^(١) لثمامة - وحرَّكَ يَدَهُ - من حرَّكَ هذه^(٢)؟ قال: ملعون من الملاعين.

فغضب من قوله. فقال: إن لم يكن فعلك، فما هذا الغضب؟

وقيل لثمامة: أترضى بمن خلَقَ المعاصي ربًّا؟

قال: [لا]^(٣)، ولا عبداً.

ورُفِعَ إلى عيَّاشٍ برجلٍ، رَمَى، فَشَجَّ رَأْسَ بَعْضِهِمْ، فَقَالَ [لَهُ]^(٤):
لمَ رَمَيْتُهُ؟

فقال: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ﴾^(٥) رَمَى^(٦). فضربه مائة سوط،
وقال: وما ضربتَ إِذْ ضَرَبْتَ، ولكنَّ اللَّهَ ضَرَبَ.

ونزل أبو الأسود^(٧) الدؤلي في بني قُشَيْرٍ، فرجموه بالليل، فاشتكى منهم.

(١) فرق وطبقات المعتزلة: ٧١. العقد الفريد: ٢: ١٩٥ باختلاف في اللفظ يسير.

(٢) في (ش) و(ك) و(أ): هذا.

(٣) ما بين المعقوفين ساقطة من (ش).

(٤) ما بين المعقوفتين ساقطة من (ش).

(٥) العبارة: ﴿رمى... الله﴾ ساقطة من (أ).

(٦) الأنفال: ١٧.

(٧) ديوان أبي الأسود الدؤلي: ١٤٨ بتحقيق: عبد الكريم الدجيلي. وفي أسالي المرتضى: ١: ٢٩٢ -

٢٩٣: القصة بتامها ولكن من دون هذه الأبيات. والخبر منسوب إلى عثمان في فرق وطبقات

المعتزلة ١: ٢٥.

فقالوا: الله رَجَّكَ^(١).

فقال: لا تكذبوا على الله، فلو أن الله رماني، لما أخطأني، ثم قال في ذلك:

رماني جاري ظالماً برميّة فقلتُ له: مهلاً! فأنكر ما أتى

وقال: الذي يرميك ربك جازياً بذنبك والحويات^(٢) تعقب ما ترى

فقلتُ له: لو أن ربِّي رميّه^(٣) رماني، لما أخطأ إلهي ما رمى^(٤)

جزى الله شرّاً كل من نال سوءاً وينحل فيها ربُّه الشرُّ والأذى^(٥)

وقال يزيدُ لعليّ^(٦) بن الحسين - عليه السلام -: طلبَ أبوك شيئاً، لم يكن

له^(٧)، بأهلٍ، فقتله الله على يدي من كان له أهلاً فما ذنبي في ذلك؟

فقال - عليه السلام -: قال الله: ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾^(٨). أفترأه أنّه

لَعَنَ قَاتِلَهُ، أم نفسه؟ فبهت. الصَّاحِبُ^(٩):

(١) في (ش) و(ح): يرمك. بصيغة المضارع.

(٢) في الديوان: برميّة.

(٣) في الديوان: والأذنا ب.

(٤) في الديوان: ما أتى.

(٥) في الديوان: وينحل منه الأب في عذره الرّدى. وفي الديوان طبعة آل ياسين: ٢٤. وينحل منها

الرّب في عذره الرّدا.

(٦) الاحتجاج: ٢: ٣٨-٣٩. بلفظ مختلف قليلاً.

(٧) (له) ساقطة من (أ).

(٨) هود: ١٨.

(٩) أخذ بها ديوانه المطبوع بتحقيق آل ياسين.

زعمَ الرجالُ المجبرونَ بأنَّما قَتَلَ الحسينَ قَضَتْ بِهِ الأقدارُ
فعلامٌ يُلمَنُ قاتِلوه^(١) وإنَّما قَتَلَ الحسينَ قَضَى بِهِ الجَبَّارُ

وناظر^(٢) أبو عليّ الجُبَّائي^(٣) - في حالِ صباهُ - صَفَرًا، فقالَ: ما تقولُ: إنَّ اللهَ
- تعالى - يَخْلُقُ العَدْلَ؟

قال: نعم.

قال: [أَفَتُسَمِّيهِ بفعلِهِ العَدْلَ عادِلًا؟]

قال: نعم.

قال: أتقولُ: إِنَّهُ يَخْلُقُ الجَوْرَ؟

قال: نعم.

قال^(٤): فما أنكرتَ أن يكونَ بفعلِهِ الجَوْرَ جائِرًا؟

قال: لا يَصُحُّ ذلك.

قال: فما أنكرتَ ألا يكونَ بفعلِهِ العَدْلَ عادِلًا؟

(١) في (هـ): قاتليه.

(٢) في (ش): نظر.

(٣) فرق وطبقات المعتزلة: ٨٦.

(٤) ما بين المعقوفتين ساقطة من (ش).

فانقطع صَفَرٌ، فجعلَ الناسَ يقولونَ: مَنْ هذا الصَّبِيُّ؟ فقيلَ: غُلامٌ من أهلِ جُبَى^(١). فنُسِبَ إليه.

وكان مُجَبِّرٌ^(٢) يسألُ أصحابَ بَشْرِ بنِ المَعْتَمِرِ، ويقولُ: أنتم تَحْمَدُونَ اللهَ على إيمانكم؟ فَهَمْ يقولونَ: نعم. فيقولُ: فكأنَّه يَحِبُّ أن يُحَمَّدَ على ما لم يَفْعَلْ، وقد قالَ: ﴿وَيُحْيُونَ أَنْ يُحَمَّدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا﴾^(٣). فيقولونَ له: إِنَّمَا ذَمَّ مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُحَمَّدَ بما لم يَفْعَلْ مِمَّا لم يُعَزَّ عليه، ولم يُذَعَّ إليه، وهو يَشْغَبُ^(٤)، إِذْ أَقْبَلَ^(٥) ثَمَامَةُ بْنُ أَشْرَسَ. فقالَ بَشْرٌ: دُونَكَ الرَّجُلُ، [فَسَلَّهُ]^(٦) عنِ المسألة.

فقال: هل يَحِبُّ عليكَ تَحْمَدُ^(٧) اللهَ على الإيمانِ؟

قالَ: لا، بل هُوَ يَحْمَدُنِي عليه، لِأَنَّهُ أَمَرَنِي بِهِ، ففعلتُهُ، وَأَنَا أَحْمَدُهُ على الأمرِ بِهِ، وَالتَّقْوِيَةِ عليه، [وَالدُّعَاءَ إِلَيْهِ]^(٨).

(١) جُبَى.

(٢) في (هـ): مجيز. بالياء المثناة من تحت بعدها زاي معجمة.

(٣) آل عمران: ١٨٨.

(٤) شَغَبَ القومَ وعليهم وفيهم وبهم: يشغِبُ شَغْبًا: هَيَّجَ الشَّرَّ بينهم، وأحدثَ فتنَةً، وجلبَةً «المعجم الوسيط - شغِب».

(٥) في (ش) و(ك) و(هـ) و(أ): إِذَا قِيلَ.

(٦) ما بين المعقوفين ساقطة من (ش). وفي (ح): فَسَأَلَهُ. بصيغة الماضي.

(٧) في (أ): يَحْمَدُوا.

(٨) ما بين المعقوفين ساقطة من (ش) و(ك).

فَانْقَطَعَ الْمُجِبُّ، فَقَالَ بَشْرٌ: شَنَعْتَ، فَسَهَّلْتَ^(١).

وَقَالَ الْمَأْمُونُ لِشَتَوِيٍّ: خَبَّرَنِي: هَلْ نَدِمَ مُبِيٌّ قَطَّ^(٢) عَلَى / ٦٦ /

إِسَاءَةً^(٣)؟

قال: نعم.

قال: فَالْتَدُّ عَلَى الْإِسَاءَةِ إِحْسَانٌ، أَوْ إِسَاءَةٌ؟

قال: إِحْسَانٌ.

قال: فَالَّذِي نَدِمَ، هُوَ الَّذِي أَسَاءَ، أَوْ غَيْرُهُ؟

قال: هُوَ الَّذِي أَسَاءَ.

قال: فَأَرَى صَاحِبَ الْحَقِيرِ، هُوَ صَاحِبُ الشَّرِّ، وَقَدْ بَطَلَ قَوْلُكُمْ، إِنَّ^(٤)

الَّذِي يَنْظُرُ نَظَرَ الْوَعِيدِ، هُوَ الَّذِي يَنْظُرُ نَظَرَ الرَّحْمَةِ.

قال: فَإِنِّي أَزْعُمُ أَنَّ الَّذِي أَسَاءَ، غَيْرُ الَّذِي نَدِمَ.

قال: فَهَذَا الَّذِي نَدِمَ عَلَى شَيْءٍ، كَانَ مِنْهُ، أَمْ مِنْ غَيْرِهِ؟ فَأَفْحَمَهُ^(٥).

(١) فرق وطبقات المعتزلة: ٦٢.

(٢) العبارة: «قَطَّ... إِحْسَانٌ» ساقطة من (أ).

(٣) في (ح): إِسَاءَتُهُ. بإضافة المصدر إلى ضمير الغائب (الهاء).

(٤) في (ش) و(أ): إِذَا.

(٥) العقد الفريد: ٢: ١٩٧.

وَأَنْشَدَ ذُو الرُّمَّةِ^(١):

وَعَيْنَانِ قَالَ اللَّهُ كُؤُنَا فَكَاتْنَا فَعُولَانِ بِالْأَلْبَابِ مَا تَفَعَّلُ الْخَمْرُ

فَقِيلَ لَهُ: فَعُولَيْنِ. خَبَرُ «الْكُونِ»، فقال: لو سَبَّحْتُ، رَبِّحْتُ. وَإِنَّمَا قُلْتُ:

وَعَيْنَانِ فَعُولَانِ. وَصَفْتُهُمَا بِذَلِكَ. وَإِنَّمَا تَحَرَّرَ^(٢) - بِذَلِكَ - مِنَ الْجَبْرِ^(٣).



(١) ديوان شعر ذي الرمة: ٢١٣.

(٢) في (ش) و(هـ): تحوُّز. بالجيم الموحدة من تحت بعدها واو مشددة.

(٣) أمالي المرتضى: ١: ٢٠ مع اختلاف يسير في اللفظ. مجالس العلماء: ٨٥ - ٨٦. بقية التنبيهات على

أغلاط الرواة: ١٠٩.

فصل [- ٥ -]

[في بطلان القول بالجبر]

قوله - تعالى - حِكَايَةً عَنِ الْكَفَّارِ: ﴿مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ﴾^(١)، فَكَذَّبَهُمُ اللَّهُ - تعالى -: ﴿بَلَىٰ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^(٢).

يَعْتَرِفُ^(٣) إِبْلِيسُ بِعَصْيَانِهِ - يَوْمَ الْقِيَامَةِ - ويقولُ: ﴿إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ﴾^(٤).

وَيُعَانِدُ الْجَبْرِيُّ، فيقولُ: ﴿وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾^(٥)، فَتَنْطِقُ أَعْضَاؤُهُ: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمُ السَّيِّئَةُ﴾^(٦).

ويقولُ إِبْلِيسُ: ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ﴾^(٧)، ويقولُ قَرِينُهُ مِنْ

(١) النحل: ٢٨.

(٢) النحل: ٢٨.

(٣) في (أ): يعرف.

(٤) إبراهيم: ٢٢.

(٥) الأنعام: ٢٣.

(٦) النور: ٢٤.

(٧) إبراهيم: ٢٢.

الْجِنِّ، أَوْ الْإِنْسِ، أَوِ الْمَلَائِكَةِ: ﴿رَبَّنَا مَا أَطْفَيْتُهُ وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾^(١).

وَقَالَتِ الْكَافِرَةُ: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ﴾^(٢)، ﴿هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾^(٣).

وَالْجَنَرِيَّةُ^(٤) تُضَيِّفُ كُلَّ سَيِّئَةٍ إِلَيْهِ: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾^(٥)، وَقَالَتِ الْمُسَبِّهَةُ: كُلَّتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ^(٦). وَقَالَتِ النَّصَارَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾^(٧). وَقَالَتِ الْمُجْرِيَةُ: تَاسِعُ تِسْعَةٍ. وَقَالَتِ الْمَشْرُكُونَ: الْمَلَائِكَةُ^(٨) بَنَاتُ اللَّهِ. وَقَالَتِ الْجَنَرِيَّةُ: صِفَاتُ اللَّهِ، قَدِيمَةٌ.

رَزَعَمُ الْمُجْرِي أَنَّهُ لَا يَقْدِرُ عَلَى تَحْرِيكِ رِيشَةٍ، ثُمَّ يَعْمَلُ بِالْإِخْتِيَارِ، وَالنَّصُّ، وَالشُّورَى.

(١) فِي (ش) وَ(ك) وَ(أ): وَالْإِنْسِ، مَعَ الْوَاوِ.

(٢) ق: ٢٧.

(٣) الزَّمَر: ٣.

(٤) يُونُس: ١٨.

(٥) فِي (هـ): الْجَبَرَةُ.

(٦) الْمَائِدَة: ٦٤.

(٧) فِي (هـ): يَمِينًا، بِتَنْوِينِ النَّصْبِ.

(٨) الْمَائِدَة: ٧٣.

(٩) (الْمَلَائِكَةُ) سَاقِطَةٌ مِنْ (هـ).

أَوَّلَ مَنْ أَظْهَرَ الْجَبَرَّ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ، مُعَاوِيَةُ. وَذَلِكَ ^(١) أَنَّهُ خَطَبَ، فَقَالَ: يَا أَهْلَ الشَّامِ، أَنَا خَازِنٌ مِنْ خُزَائِنِ رَبِّي، أُعْطِيَ مِنْ أَعْطَاهُ اللَّهُ، وَأَمْنَعُ مَنْ مَنَعَهُ اللَّهُ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.

فَقَامَ أَبُو ذَرٍّ - رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ - وَقَالَ: كَذَبْتَ، وَاللَّهِ! إِنَّكَ لَتُعْطِي مَنْ مَنَعَهُ اللَّهُ بِالْكِتَابِ، وَالسُّنَّةِ، وَتَمْنَعُ مَنْ أَعْطَاهُ اللَّهُ.

فَقَامَ عِبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ ثُمَّ أَبُو الدَّرْدَاءِ، وَقَالَا: صَدَقَ أَبُو ذَرٍّ! صَدَقَ أَبُو ذَرٍّ! [صَدَقَ أَبُو ذَرٍّ] ^(٢).

فَنَزَلَ مُعَاوِيَةُ عَنِ الْمَنِيرِ، وَقَالَ: فَتَنَعَمْ إِذْنًا فَتَنَعَمْ إِذْنًا.

وَفِي رَوَايَةٍ: إِنَّهُ خَطَبَ، فَقَالَ: قَالَ اللَّهُ - تَعَالَى -: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ﴾ ^(٣). فَلَا تُلَامُ نَحْنُ.

فَقَامَ الْأَحْنَفُ، فَقَالَ: إِنَّا - وَاللَّهِ - لَا نَلُومُكَ عَلَى مَا فِي خَزَائِنِ اللَّهِ، وَلَكِنْ نَلُومُكَ عَلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْنَا مِنْ خَزَائِنِهِ، وَأَغْلَقْتَ بَابَكَ عَلَيْنَا دُونَهُ.

شَاعِرٌ ^(٤):

(١) فِي (ك) وَ(هـ) وَ(أ): ذَلِكَ. مِنْ دُونَ وَאו.

(٢) مَا بَيْنَ الْمُعْتَوِفَيْنِ زِيَادَةٌ مِنْ (هـ) وَ(ح).

(٣) الْحَجَر: ٢١.

(٤) فِي (أ): رُؤْيَا.

إِذَا أُعْطِيَ تَنَمَّرَ حِينَ يُعْطَى وَإِنْ لَمْ يُعْطَ، قَالَ: أَبَى الْقَضَاءُ
يُخْلِلُ رَبُّهُ سَفَهَا وَجْهًا وَيَغْدِرُ نَفْسَهُ فِيمَا يَشَاءُ^(١)

أبو محمد الحسن بن أحمد الحسيني^(٢):

رَعِمَ السَّفِيهُ وَمَنْ يُضَاهِي قَوْلَهُ: إِنَّ الْكَبَائِرَ مِنْ فِعَالِ الْخَالِقِ
إِنْ كَانَ حَقًّا مَا يَقُولُ، فَلَيْمَ قَضَى حَدَّ الزَّانَةِ^(٣)، وَقَطَعَ كَفَّ السَّارِقِ؟

الصَّاحِبُ^(٤):

الْمُجْبِرُونَ يُجَادِلُونَ بِيَاطِلِ وَبَغِيرِ مَا يَجِدُونَ فِي الْقُرْآنِ
كُلُّ مَقَالَتِهِ: إِلَهٌ أَضَلَّنِي وَأَرَادَ أَمْرًا كَانَ عَنْهُ نَهَانِي
أَيَقُولُ رَبُّكُمْ لِقَوْمٍ: آمَنُوا عَمْدًا وَبِنَهَاكُمْ عَنِ الْإِيمَانِ؟
إِنْ كَانَ ذَا فَنَعُوذُوا مِنْ رَبِّكُمْ وَدَعُوا تَعُوذَكُمْ مِنَ الشَّيْطَانِ

غَيْرُهُ^(٥):

إِيَّاكَ وَالْجَبْرَ أَنْ تَدِينَ بِهِ فَإِنَّ بِالْجَبْرِ قَالَتِ الْفَسَقَةُ
فَنَزَّهُ اللَّهُ عَنْ مَحَارِمِهِ وَلَا تَكُنْ مِنْ أَوْلِيكَ الطَّبَقَةُ

(١) لم نقف على قائلها ولا مورد أخذهما وهما لسا في ديوان رؤية بن الحجاج.

(٢) لم نقف على مورد أخذهما.

(٣) في (ش): الزناء. بالهمزة.

(٤) أخل بها ديوانه بتحقيق آل ياسين.

(٥) لم نقف على اسم قائلها أو مورد أخذها.

لو كان قد قَدَّرَ الزَّنا^(١) لَمَّا قَدَّرَ^(٢) حَدَّ الزَّنا^(٣) والسَّرِقَة
فقال: مَنْ يَسْرِقْ أَقْطَعُوا يَدَهُ وَقَالَ فِي الْمُلْحِدِ: إِضْرِبُوا عُنُقَهُ



(١) في (ك) و(هـ): الزَّنا. من دون همزة.

(٢) في (هـ): قَدَّ. من دون راء.

(٣) في (هـ): الزَّناة. وفي (ك): الزنا.

فصل [- ٦ -]

[في نسبة الهدى إلى الله]

قوله - تعالى -: ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي﴾^(١).

الهُدَى: الإرشادُ؛ وأصله: الطَّرِيقُ. يقال: هَدَاهُ الطَّرِيقَ، وَلِلطَّرِيقِ، وإلى الطَّرِيقِ. وَلِذَلِكَ سُمِّيَ كُلُّ مَرشِدٍ، هَادِيًا. قوله - في التَّوْرَةِ -: ﴿وَجَعَلْنَاهُ هُدًى﴾^(٢)، وفي القرآن: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾^(٣)، وَلِلنَّارِ: ﴿أَوْ أَجِدْ عَلَى النَّارِ هُدًى﴾^(٤).

وبمعنى: الدَّلَالَةُ، والْبُرْهَانُ - إذا أدَّى إلى ذلك ، كَانَ مَقِيدًا ، مَقْرُونًا بِهَا^(٥) - قوله: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾^(٦)، ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ﴾^(٧)، ﴿وَاللَّهُ

(١) الأعراف: ١٧٨.

(٢) الإسراء: ٢.

(٣) البقرة: ٢.

(٤) طه: ١٠.

(٥) (بها) ساقطة من (هـ).

(٦) الفاتحة: ٦.

(٧) الشورى: ٥٢.

يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ^(١).

وبمعنى: النجاة، والثواب - إذا أُطْلِقَ - قوله: ﴿وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَاهُمْ سِيْهُدِيْهِمْ وَيُضْلِحُ بِالْهَمِّ﴾^(٢)، ﴿أُولَئِكَ / ٦٧ / الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ﴾^(٣). وهذا بعدَ القتل. وقوله: ﴿يَهْدِيْهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ﴾^(٤)، ﴿وَأَصْلَحَ بِالْهَمِّ﴾^(٥) بالجنة.

وبمعنى: الوصف بذلك، والحكم به عليه، قوله: ﴿أَتَرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَصْلَّ اللَّهُ﴾^(٦). يعني: تسموا مهتدياً مَنْ قَدْ سَمَّاهُ اللَّهُ ضَالًّا.

الشاعر^(٧):

مَا زَالَ يَهْدِي قَوْمَهُ وَيُضِلُّنَا جَهْلًا وَيَنْسِبُنَا إِلَى الْكُفَّارِ

(١) البقرة: ٢١٣.

(٢) محمد: ٤، ٥.

(٣) الزمر: ١٨.

(٤) يونس: ٩.

(٥) محمد: ٢.

(٦) النساء: ٨٨.

(٧) نكت الانتصار لنقل القرآن: ٢١٨ معزواً إلى النجاشي. وفيه: ويضلُّنا حقاً. وهو ليس في مجموع شعره الذي صنعه محمد سليم النعيمي. وفي الأساس لعقائد الاكياس: ١١٣: جهراً وينسبنا إلى الفجار. ومن دون عزو.

وبمعنى: زِيَادَةِ الْأَلْطَافِ^(١)، وَذَلِكَ أَنَّهُ يَلْطَفُ لِمَنْ عَلِمَ أَنَّهُ يُؤْمِنُ، فَيَأْتِيهِ مِنَ الْأَنْبَابِ، مَا يَعْلَمُ أَنَّهُ يُؤْمِنُ لِسَبِيهِ. قَوْلُهُ: ﴿وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنْابَ﴾^(٢)، ﴿وَمَنْ يُؤْمِنُ بِإِلَهِ قَلْبُهُ﴾^(٣)، ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ﴾^(٤).

وبمعنى: الْبَيَانِ، وَالتَّعْرِيفِ. قَوْلُهُ: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى﴾^(٥)، ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ﴾^(٦)، ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾^(٧).

وَأَمَّا^(٨) قَوْلُ الْمُجْبِرَةِ، أَنَّهُ بِمَعْنَى: خَلَقَ الْإِيمَانَ فِيهِمْ، أَوْ: بَانَ بِخُلُقِ مَا يُوجِبُ ذَلِكَ مِنْ قُدْرَةٍ، وَغَيْرِهَا^(٩)، أَوْ^(١٠): يَحْمِلُهُمْ عَلَى ذَلِكَ جَبْرًا، أَوْ: مَا جَرَى مَجْرَاهُ، فَفَاسِدٌ، لِأَنَّهُ لَا يَقُولُ أَهْلُ اللَّغَةِ - لَمَنْ حَمَلَ غَيْرَهُ عَلَى سُلُوكِ الطَّرِيقِ جَبْرًا -: إِنَّهُ هَدَاهُ إِلَيْهِ. وَإِنَّمَا يُقَالُ: رَدَّهٖ إِلَى الطَّرِيقِ، وَحَمَلَهُ عَلَيْهِ، وَأَكْرَهَهُ، وَامْتَالَ ذَلِكَ.

(١) في (أ): إلا الطلاق.

(٢) الرُّعْد: ٢٧.

(٣) التغابن: ١١.

(٤) العنكبوت: ٦٩.

(٥) الليل: ١٢.

(٦) الإنسان: ٣.

(٧) البلد: ١٠.

(٨) في (ح): فأما. مع الفاء.

(٩) في (ش): غيرهما.

(١٠) في (ها): إذ يحملهم.

ويجوز: هداه الله. بمعنى: التمكن^(١)، أو ما يجري مجراه، لأنه لا يصح التكليف إلا مع البيان. ولنا: ^(٢).

وَمَنْ يَهْتَدِ ^(٣) يَرْشُدْ وَمَنْ يَلُغْ رَبَّهُ يَكْفُرْ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ

قوله - سُبْحَانَهُ -: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِنَّمَا شَاكَرَ وَإِنَّمَا كَفُورًا﴾ ^(٤)

المعنى: إما أن يختار - بحسن اختياره - الشُّكْرَ ^(٥) لله - تعالى -، فيُصِيبَ الحقَّ، وإما أن يكفرَ نعمةً، فيكونَ ضالًّا عَنِ الصَّوَابِ. وليسَ المعنى: إِنَّهُ مُخَيَّرٌ ^(٦) في ذلك. وإِنَّمَا خَرَجَ ^(٧) مَخْرَجَ التَّهْدِيدِ، كقوله: ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمَرْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفَرْ﴾ ^(٨). بِدَلَالَةِ قَوْلِهِ: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا﴾ ^(٩).

(١) في (أ): التمكن.

(٢) في (ش) و(هـ): شاعر ولنا. والمقصود بـ (لنا) مؤلف الكتاب - رحمه الله - ولم نقف على مجموع شعره.

(٣) في (ش): يهتدي.

(٤) الإنسان: ٣.

(٥) في (هـ): السكر. بالسين المهملة.

(٦) في (ش) و(ك) و(هـ) و(أ): مجر. بالجيم المعجمة من تحت بعدها باء موحدة من تحت.

(٧) في (ش): خارج.

(٨) الكهف: ٢٩.

(٩) الكهف: ٢٩.

وإنَّها المرادُ البيانُ بِـ «مَنْ»: أَنَّهُ قَادِرٌ عَلَيْهَا، فَأَيُّهَا اخْتَارَ، جُوزِي عَلَيْهِ، بِحَسْبِهِ.

وفي الآية، دلالةٌ على أَنَّهُ - تعالى - قد هدى جميعَ خلقِهِ الْمُكَلَّفِينَ، لَأَنَّ قَوْلَهُ: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ﴾^(١)، عامٌّ في مجملتهم، وذلك مُبْطِلٌ قَوْلَ المُجْبِرَةِ: إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْكَافِرَ، بِنَصْبِ الدَّلَالَةِ على طريقِ الحقِّ، واجْتِنَابِ الْبَاطِلِ. وليس كُلُّ مَنْ تَرَكَ الشُّكْرَ، كَانَ كَافِرًا، لَأَنَّ الشُّكْرَ قَدْ يَكُونُ تَطَوُّعًا، كَمَا يَكُونُ^(٢) وَاجِبًا.

ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ - تعالى - يَبَيِّنُ أَنَّ مَا ذَكَرَهُ على وَجْهِ التَّهْدِيدِ^(٣)، لَكُفْرِهِمْ، بقوله: ﴿فَإِنَّا أَغْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا﴾^(٤). وذكر - أيضاً - ما للمؤمنينَ - لإيمانهم^(٥) - فقال: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ﴾^(٦).

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ

(١) الإنسان: ٣.

(٢) في (ك): تكون.

(٣) في (هـ): التهذيب.

(٤) الفتح: ١٣.

(٥) في (هـ): كأيمانهم.

(٦) الإنسان: ٥.

الضَّلَالَةُ^(١).

لَمْ يُرَدْ نَصَبُ الْأَدِلَّةِ عَلَى الْحَقِّ، لِأَنَّهُ - تَعَالَى - سَوَى - فِي ذَلِكَ - بَيْنَ الْكَافِرِ، وَالْمُؤْمِنِ، كَمَا قَالَ: ﴿وَأَمَّا نُمُودُ فَنَهَدِينَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى﴾^(٢).
وإِنَّمَا أَرَادَ: مَنْ لَطَفَ - تَعَالَى - لَهُ، بِمَا عَلِمَ أَنَّهُ يُؤْمِنُ، فَسَمَّى ذَلِكَ اللَّطْفَ هِدَايَةً.

وَقِيلَ: فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ إِلَى الْجَنَّةِ بِإِيمَانِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ.

قَالَ الْحَسَنُ^(٣): لِأَنَّهُمْ ضَلُّوا عَنْ طَرِيقِ الْحَقِّ، وَكَفَرُوا بِاللَّهِ.

وَقَالَ أَبُو الْهَذِيلِ: حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ^(٤) عَنْ طَرِيقِ الْجَنَّةِ، بِمَا إِرْتَكَبُوا مِنَ الْكُفْرِ، وَالضَّلَالَةِ.

وَالْمَرَادُ بِ«الضَّلَالَةِ» - هَاهُنَا - الْعُدُولُ عَنِ الْجَنَّةِ. وَقَدْ سَمَّى اللَّهُ الْعِقَابَ ضَلَالًا فِي قَوْلِهِ: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ﴾^(٥).

(١) النحل: ٣٦.

(٢) فصلت: ١٧.

(٣) مجمع البيان: ٣: ٣٥٩.

(٤) (الضلالة) ساقطة من (أ).

(٥) القمر: ٤٧.

قوله - سُبْحَانَهُ -: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ﴾^(١).

قال قتادة^(٢): إِنَّ عَلَيْنَا، لَبَيَانَ الطَّاعَةِ مِنَ الْمَعْصِيَةِ.

وفيه دلالة على وجوب هدى^(٣) المكلفين إلى الدين، وأنه لا يجوز صرفهم عنه^(٤).

قوله - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾^(٥).

التقدير: تنزيل الشيء على مقدار غيره. فالله - تعالى - خلق الخلق، وقدرهم على ما اقتضته الحكمة.

فـ «هدى»، معناه: أَرشدهم إلى طريق الرُّشْدِ مِنَ الْغَيِّ. وهكذا كل حيوان إلى ما فيه منفَعته، ومَصْرَته، حتَّى أَنَّهُ هَدَى^(٦) الطُّفْلَ إلى ثدي أمِّه، وميَّزَه من غيره، وأعطى الفَرْخَ الهدايةَ حتَّى طلب الزَّقَّ مِنْ أبويه، والعُصْفُورُ - على صِغَرِهِ

(١) الليل: ١٢.

(٢) جامع البيان: ٣٠: ٢٢٦. أيضاً: جمع البيان: ٥: ٥٠٢. الدر المنثور: ٨: ٥٣٧. الجامع لأحكام القرآن: ٢٠: ٨٦.

(٣) في (ش): للمكلفين. مع حرف الجر (اللام).

(٤) في (ش) و(ك) و(أ): عنده.

(٥) الأعلى: ٣.

(٦) في النسخ جميعها: أهدى. والصواب ما أثبتناه.

- يَطْلُبُ مِثْلَ ذَلِكَ هِدَايَةَ اللَّهِ - تعالى - [لَهُ] ^(١)

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ ^(٢).

أي: نُرْشِدُهُم السَّبِيلَ الْمَوْصِلَ إِلَى الثَّوَابِ.

وَقِيلَ: لِنُؤَفِّقَنَّهُمْ ^(٣) لَازِدِيَادِ الطَّاعَاتِ، فَيَزِدَادُ ثَوَابَهُمْ.

وَقِيلَ: لِنُرْشِدَهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ.

/ ٦٨ / قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي﴾ ^(٤).

أي: مَنْ يَحْكُمِ اللَّهُ بِهِدَايَتِهِ، وَيُسَمِّيهِ بِهَا، وَيَاخْلُصُهُ الطَّاعَةَ ^(٥)، فَهُوَ الْمُهْتَدِي

فِي الْحَقِيقَةِ.

وَفِيهِ دُعَاءٌ إِلَى الْإِهْتِدَاءِ، وَتَرْغِيبٌ فِيهِ. [وَفِيهِ] ^(٦) مَعْنَى الْأَمْرِ بِهِ.

(١) ما بين المعقوفين زيادة من (ك).

(٢) العنكبوت: ٦٩.

(٣) في (ك): لِنُؤَفِّقَنَّهُمْ. بالقاف المثناة بعدها الفاء الموحدة.

(٤) الأعراف: ١٧٨.

(٥) في (ش): بالطاعة. مع حرف الجر (الباء).

(٦) ما بين المعقوفتين ساقطة من (ش).

وقيل: مَنْ يَهْدِ اللَّهُ إِلَى طَرِيقِ الْجَنَّةِ، فَهُوَ الْمُهْتَدِي إِلَيْهَا.

وقوله: ﴿وَمَنْ يُضِلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ﴾^(١). أي: مَنْ يَحْكُمِ

[الله]^(٢) بِضَلَالَتِهِ، وَيُسَمِّيهِ ضَالًّا، بِسُوءِ^(٣) اخْتِيَارِهِ لِلضَّلَالَةِ، فَإِنَّهُ لَا يَنْفَعُهُ وَلَا يَهْدِي لَهُ.

وَلَوْ تَوَلَّاهُ، لَمْ يُعْتَدَّ بِقَوْلِهِ، لِأَنَّهُ مِنَ اللَّغْوِ الَّذِي لَا مِزْلَةَ لَهُ، فَلِذَلِكَ حَسُنَ

أَنْ يُنْفَى^(٤)، لِأَنَّهُ بِمِزْلَةٍ مَا لَمْ يَكُنْ؟

وقيل: مَنْ يُضِلَّهُ اللَّهُ عَنْ طَرِيقِ الْجَنَّةِ، وَأَرَادَ عِقَابَهُ عَلَى مَعَاصِيهِ، لَمْ يُوْجَدْ لَهُ

نَاصِرٌ يَمْنَعُهُ مِنْ عِقَابِهِ.



قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيُغْفِرَ لَهُمْ وَلَا

لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ﴾^(٥).

ظَاهِرُ الْآيَةِ: إِنَّ مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ، وَرَسُولِهِ، يُعَاقِبُهُمُ اللَّهُ عَلَى كُفْرِهِمْ،

وظَلَمِهِمْ، وَلَا يَهْدِيهِمْ^(٦) [إِلَى] الْجَنَّةِ، بَلْ يُدْخِلُهُمُ النَّارَ.

(١) الإسراء: ٩٧.

(٢) ما بين المعقوفين زيادة من (هـ).

(٣) في (هـ): بسوء.

(٤) في النسخ جميعها: يبقى. بالياء الموحدة من تحت بعدها قاف مثناة. وما أثبتناه من (ط).

(٥) النساء: ١٦٨، ١٦٩.

(٦) في (أ): ولا يهديهم.

(٧) ما بين المعقوفين ساقط من (ش) و(هـ).

وَيَحْتَمِلُ: أَنَّهُ لَمْ يَكُنِ اللَّهُ يُفَعِّلُ بِهِمْ مَا يُؤْمِنُونَ عِنْدَهُ فِي الْمُسْتَقْبَلِ، عُقُوبَةً لَهُمْ عَلَى كُفْرِهِمُ الْمَاضِي، وَاسْتِحْقَاقَهُمْ^(١) حِرْمَانَ ذَلِكَ، وَأَنَّهُ يَحْذُهُمْ عَنْ ذَلِكَ، حَتَّى يَسْلِكُوا طَرِيقَ جَهَنَّمَ.

وَيَكُونُ الْمَعْنَى: لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيُؤَفِّقَهُمُ لِلْإِسْلَامِ، وَلَكِنَّهُ يَحْذُهُمْ عَنْهُ إِلَى طَرِيقِ جَهَنَّمَ، جَزَاءً لَهُمْ عَلَى مَا فَعَلُوهُ مِنَ الْكُفْرِ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ﴾^(٢).
الْمُرَادُ بِهِ الثَّوَابُ، وَمَا يَجْرِي بِجَرَاءِ، لِأَنَّهُ قَدْ يُؤْمِنُ الْكَافِرُ، وَيَتُوبُ^(٣) الْفَاجِرُ، وَيُنِيبُ الْغَادِرُ. وَالْآيَةُ دَلِيلٌ لِأَهْلِ الْعَدْلِ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ﴾^(٤).
يَعْنِي: إِلَى طَرِيقِ الْجَنَّةِ. أَوْ قُلْتَ: لَا يَحْكُمُ اللَّهُ بِهُدَاهُمْ، لِأَنَّهُمْ كُفَرَاءٌ.
قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهْدَيْنَاكُمْ﴾^(٥).

(١) فِي (أ): إِسْتِحْقَامٌ.

(٢) آل عمران: ٨٦.

(٣) فِي (هـ): يَتُوبُ. بِالنَّاءِ الْمُثَلَّثَةِ. وَفِي (أ): يَتُوبُ اللَّهُ الْفَاجِرَ.

(٤) النحل: ١٠٤.

(٥) إبراهيم: ٢١.

إِنَّمَا هُوَ حِكَايَةُ قَوْلِ رُؤَسَاءِ الْمُشْرِكِينَ فِي جَهَنَّمَ، لِقَوْلِهِ: ﴿فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا﴾^(١).

قوله - سُبْحَانَهُ -: ﴿فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ﴾^(٢).
قد قلنا: إِنَّ الْهُدَى^(٣) الْمُطْلَقَ، إِنَّمَا يَكُونُ بِمَعْنَى الْبَيَانِ، أَوِ النَّجَاةِ. وَهَذِهِ
الآيَةُ إِنَّمَا وَرَدَتْ فِيمَنْ أُعِيدَ بَعْدَ الْمَمَاتِ. أَلَا تَرَى إِلَى أَوَّلِ قَوْلِهِ: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ
تَعُودُونَ﴾^(٤).

قوله - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾^(٥).
معناه: إِنَّهُ لَا يَهْدِيهِمْ إِلَى طَرِيقِ الْجَنَّةِ، وَالثَّوَابِ، لِكُفْرِهِمْ.
وَيَحْتَمِلُ: لَا يَهْدِيهِمْ. بِمَعْنَى: لَا يَقْبَلُ أَعْمَالَهُمْ، كَمَا يَقْبَلُ أَعْمَالُ الْمُهْتَدِينَ مِنْ
الْمُؤْمِنِينَ، لِأَنَّ أَعْمَالَهُمْ، لَا تَقَعُ عَلَى وَجْهِهِ، يُسْتَحَقُّ بِهَا الْمَدْحُ.
وَقِيلَ: لَا يَحْكُمُ يَهْدِيَتِهِمْ، لِكُونِهِمْ كُفَرَاءً.

(١) إبراهيم: ٢١.

(٢) الأعراف: ٣٠.

(٣) في (هـ) و(أ): الهدي. بالياء المشناة من تحت.

(٤) الأعراف: ٢٩.

(٥) البقرة: ٢٦٤.

قوله - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾^(١).

إخباراً منه - تعالى - إنه لا يهدي أحداً - مَن ظَلَمَ نفسه، وَكَفَرَ بآيَاتِ الله، وَجَحَدَ^(٢) وَحَدَانِيَّتَهُ - إلى الجنة، كما أَنَّهُ يَهْدِي المؤمنين.

قوله - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾^(٣).

أي: لا يَحْكُمُ لِلْفَاسِقِ بآئِهِ مُهْتَدٍ، ولا يُجْرِي عَلَيْهِ مِثْلَ هَذِهِ الصُّفَةِ، لِأَنَّهَا صِفَةُ مَدْحٍ.



(١) البقرة: ٢٥٨. وفي أكثر من موضع في القرآن الكريم.

(٢) في (أ): جحدوا. بإسناده إلى واو الجماعة.

(٣) المائدة: ١٠٨. وفي أكثر من موضع في القرآن الكريم.

فصل [- ٧ -]

[في نسبة الهدى إلى الله]

قوله - تعالى -: ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ﴾^(١).

لَمْ يَقُلْ: لَيْسَ إِلَيْكَ. فَسَقَطَ^(٢) التَّعَلُّقُ، وَذَلِكَ إِنَّهُ إِذَا^(٣) قَالَ: عَلَيْكَ كَذَا، فَإِنَّمَا مَعْنَاهُ: إِنَّهُ يَجِبُ عَلَيْكَ كَذَا. كَقَوْلِهِ: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ﴾^(٤). وَلَا يَلْزَمُ النَّبِيَّ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - هِدَايَةُ أَوْلَئِكَ^(٥). وَإِنَّمَا عَلَيْهِ التَّبْلِيغُ، لِقَوْلِهِ: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ افْتَدَاهُمْ﴾^(٦).

وَيُفَسَّرُونَ «الْهُدَى» بِالْفِقْهِ^(٧)، وَالثَّوَابِ.

ثُمَّ قَالَ: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾^(٨).

(١) البقرة: ٢٧٢.

(٢) في (ش): فسقوط.

(٣) في (ش): إذا.

(٤) آل عمران: ٩٧.

(٥) العبارة: «أولئك... الله» ساقطة من (أ).

(٦) الأنعام: ٩٠.

(٧) في (ح): بالتفقه.

(٨) البقرة: ٢٧٢.

قَالَ ابْنُ الْأَخْشِيدِ^(١)، وَالزَّجَّاجُ^(٢): إِنَّمَا عَلَّقَ الْهَدَايَةَ بِالْمَشِيشَةِ لِمَنْ كَانَ فِي الْمَعْلُومِ، أَنَّهُ يَصْلُحُ بِاللُّطْفِ، وَلَيْسَ كُلُّ أَحَدٍ يَصْلُحُ بِهِ، فَلِذَلِكَ جَاءَ الْاِخْتِصَاصُ بِالْمَشِيشَةِ.

وَقَالَ الْجُبَّانِيُّ^(٣): الْهَدَايَةُ - فِي الْآيَةِ - هُوَ إِلَى طَرِيقِ الْجَنَّةِ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾^(٤).

قَالُوا: كَانَ النَّبِيُّ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - يُحِبُّ إِسْلَامَ أَبِي طَالِبٍ، وَيَكْرَهُ إِسْلَامَ الْوَحْشِيِّ، فَتَزَلَّتِ الْآيَةُ^(٥) فِي أَبِي طَالِبٍ وَتَزَلَّتِ^(٦) فِي الْوَحْشِيِّ^(٧): ﴿يَا عِبَادِي

(١) قول ابن الأخشيد هذا محمولٌ على أحد الوجوه على المعتزلة مطلقاً كما في التفسير الكبير: ٧٧: ٧.

(٢) مجمع البيان: ١: ٣٨٥.

(٣) مجمع البيان: ١: ٣٨٥-٣٨٦.

(٤) الفصص: ٥٦.

(٥) جامع البيان: ٢٠: ٩٢ بروايات مختلفة. أيضاً: مجمع البيان: ٤: ٢٥٩. ثم أنظر: أسباب النزول للواحدي: ٢٢٦-٢٢٧. الدر المنثور: ٦: ٤٢٨-٤٢٩ وفي الجامع لأحكام القرآن: ١٣: ٢٩٩: أجمع جلُّ أهل التفسير أنها نزلت في أبي طالب.

(٦) في (ك) و(هـ) و(أ): تَزَلَّتْ.

(٧) في (ش): حشي.

الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ»^(١). فَلَمْ يُسَلِّمْ أَبُو طَالِبٍ، وَأَسْلَمَ الرَّحْمَنِيُّ^(٢).
 فَلَوْ جَازَ لِلنَّبِيِّ - عَلَيْهِ السَّلَام - أَنْ يُخَالِفَ اللَّهَ - تَعَالَى - فِي إِرَادَتِهِ، لَجَازَ أَنْ
 يُخَالِفَهُ فِي أَوَامِرِهِ، وَنَوَاهِيهِ.
 وَإِذَا كَانَ [اللَّهُ]^(٣) لَمْ يُرْذِ إِيْمَانَهُ، وَأَرَادَ كُفْرَهُ، وَأَرَادَ النَّبِيُّ - عَلَيْهِ السَّلَام -
 إِيْمَانَهُ، فَقَدْ حَصَلَ غَايَةُ الْخِلَافِ بَيْنَ إِرَادَتِي الرَّسُولِ، وَالْمُرْسَلِ. إِبْنُ رِزِّكَ^(٤):

وَلَوْ لَمْ يَكُنْ^(٥) قَدْ شَاءَ طَاعَتِهِمْ لَمَا
 يُؤَافِقُ إِبْلِيسَ اللَّعِينِ بِزَعْمِهِمْ
 وَحِينَ أَرَادَ الْكُفْرَ مِنْ مَعَشَرٍ فَلَمْ
 وَمَا حَاجَةُ الدُّنْيَا إِلَى الرُّسُلِ حَيْثُ^(٦) مَنْ
 اتَّاهُمْ بِهَا عَنْ رَبِّهِمْ مُطْلَقُ الْأَمْرِ
 بِغَيْرِ وِفَاقٍ الْمُصْطَفَى / ٦٩ / الْعَلَمُ الطُّهْرِي^(٧)
 دَعَاهُمْ إِلَى الْإِيْمَانِ؟ هَذَا مِنْ الْمُهْجَرِ^(٨)
 تَوَقَّى بِهِمْ إِيْمَانَهُمْ سَبَبَ الْكُفْرِ

(١) الزمر: ٥٣.

(٢) أسباب النزول للواحدي: ٢٢٧، ٢٤٩. الدر المنثور: ٧: ٢٣٥. الجامع لأحكام القرآن: ١٥: ٢٦٨.

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (ش).

(٤) في (ح): صلى الله عليه وآله.

(٥) أخل بها ديوانه بتحقيق محمد هادي الأميني.

(٦) في (ك): تكن.

(٧) في (ش) و(ك) و(هـ) و(أ): حين.

(٨) في (أ): الطهيري.

(٩) في (ك): الفجر.

قوله - سُبْحَانَهُ -: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾^(١).

الإيمان ليس يَهْدِي مِنْ جِهَةٍ كَوْنِهِ إِيْمَانًا، وَلَيْسَ فِيهِ تَخْصِيصٌ. وَلَا يَصُحُّ أَنْ يَكُونَ هُدًى عَلَى مَذْهَبِهِمْ، لِأَنَّ الْعَبْدَ - عِنْدَهُمْ - غَيْرُ مُخْتَارٍ.

و﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾، لَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ لَيْسَ يَهْدِي لغيرِهِمْ.

قوله - سُبْحَانَهُ -: ﴿مِنْ قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ﴾^(٢).

أي: بَيَانًا، وَدِلَالَةً أَنَّ اللَّهَ - تَعَالَى - هَدَى الْكَافِرَ إِلَى الْإِيْمَانِ، كَمَا هَدَى الْمُؤْمِنَ.

قوله - سُبْحَانَهُ -: ﴿إِنْ تَحْرِضْ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ﴾^(٣).

مَنْ فَتَحَ الْيَأَى، أَرَادَ: أَنَّ اللَّهَ، لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّهُ. أَوْ قُلْتَ: إِنْ مَنْ أَضَلَّهُ اللَّهُ لَا يَهْتَدِي.

وَمَنْ ضَمَّ الْيَأَى، أَرَادَ: أَنَّ مَنْ حَكَمَ اللَّهُ بِضَلَالِهِ، وَسَمَّاهُ ضَالًّا، لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ^(٤) أَنْ يَجْعَلَهُ هَادِيًا. أَوْ قُلْتَ: إِنْ مَنْ أَضَلَّهُ اللَّهُ لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ^(٥) عَلَى هِدَايَتِهِ

(١) البقرة: ٢.

(٢) آل عمران: ٤.

(٣) النحل: ٣٧.

(٤) في (هـ): أَحَدًا. بتنوين النصب.

(٥) في (هـ): أَحَدًا. بتنوين النصب.

إليها، ولا يَقْدِرُ هُوَ - أيضاً - عَلَى أَنْ يَهْتَدِيَ إِلَيْهَا.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾^(١).

اللَّفْظُ^(٢)، لَا يُنْبِئُ عَنْ أَنَّهُ يَفْعَلُ خِلَافَهُ^(٣)، وَإِنَّمَا يَسْأَلُهُ - عَنْ ذَلِكَ - الْمُؤْمِنُونَ^(٤). وَلَوْ كَانَ الْمُرَادُ بِهِ الْإِيَّانُ، لَمْ يَكُنْ لِسُؤَالِهِمْ - مَا أَعْطَوْهُ - معْنَى، وَلَكَانَ الْوَاجِبُ أَنْ يَقُولَ ذَلِكَ مَنْ لَمْ يُعْطِهِ. وَالظَّاهِرُ يَدُلُّ عَلَى الْإِسْتِقْبَالِ.

وَقَالَ مَجْرُبِيُّ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ^(٥) [- عَلَيْهِ السَّلَام -]^(٦): كَيْفَ أَدْخُلُ فِي دِينٍ، لَمْ

يَهْتَدِ أَرْبَابُهُ، حَيْثُ لَا يَزَالُونَ، يَقُولُونَ: ﴿اهْدِنَا﴾، ﴿اهْدِنَا﴾؟

فَأَجَابَهُ - عَلَيْهِ السَّلَام -: إِنَّ مَعْنَاهُ: تُبَيَّنَّا.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿فَمَنْ تَبَعَ هُدَايَ﴾^(٧).

(١) الفاتحة: ٦.

(٢) في (هـ): اللفظ أنه لا ينبئ.

(٣) في (هـ): بخلافه. مع حرف الجر (الباء).

(٤) في (هـ): المؤمنين. بالياء.

(٥) مجمع البيان: ١: ٢٧ بلا عزو.

(٦) ما بين المعقوفتين زيادة من (ل).

(٧) البقرة: ٣٨.

أي: جَعَلَ الْإِتِّبَاعَ إِلَى الْمَخْلُوقِ. وَلَوْ كَانَ مِنْ اللَّهِ - تعالى - لَقَالَ: فَمَنْ أَتَبِعْتُهُ^(١) هُدَايَ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى﴾^(٢).

يزيدُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا إِلَى طَاعَةِ اللَّهِ، واجْتِنَابِ مَعَاصِيهِ، هُدًى.

ووجهُ الزَّيَادَةِ هُمْ فِيهِ أَنْ يَفْعَلَ بِهِمُ الْإِلَافَ الَّتِي يَسْتَكْبِرُونَ^(٣) - عندها -

الطَّاعَاتِ، بِمَا يُبَيِّنُهُ هُمْ مِنْ وَجْهِ الدَّلَالَةِ، وَالْأُمُورِ الدَّاعِيَةِ إِلَى فِعْلِ الْخَيْرَاتِ.

وَقِيلَ: زِيَادَةُ الْهُدَى، هِيَ بِإِيمَانِهِمُ بِالنَّاسِخِ، وَالْمَنْسُوخِ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾^(٤).

معناه: إِنَّهُ لَا يَهْدِي إِلَى طَرِيقِ الْجَنَّةِ، أَوْ: لَا يَحْكُمُ بِهَدَايَتِهِ إِلَى الْحَقِّ مَنْ هُوَ

كَاذِبٌ عَلَى اللَّهِ، بِأَنَّهُ أَمَرَهُ بِاتِّخَاذِ الْأَصْنَامِ.

(١) فِي (ش): أَتَبِعُهُ.

(٢) مَرِيَم: ٧٦.

(٣) فِي (ش) وَ(ك) وَ(أ): تَسْتَكْبِرُونَ. بِنَاءِ الْمُضَارَعَةِ الْمُتَنَاءِ مِنْ فَوْقِ.

(٤) الزُّمَر: ٣.

قوله - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾^(١). أي: سَتَّارٌ لِّمَن تَابَ مِنَ الْمَعَاصِي، فَأَسْقَطَ عِقَابَهُ، وَأَسْتَرَّ عَلَيْهِ مَعَاصِيَهُ، إِذَا أَضَافَ إِلَى إِيمَانِهِ الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ.

وقال قتادة^(٢): معناه: لَزِمَ الْإِيمَانَ إِلَى أَنْ يَمُوتَ، كَأَنَّهُ قَالَ: ثُمَّ اسْتَمَرَّ عَلَى الْإِسْتِقَامَةِ. وَإِنَّمَا قِيلَ ذَلِكَ، لِثَلَاثَتَيْكَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى أَنَّهُ كَانَ أَخْلَصَ الطَّاعَةَ.

وفي تفسير أهل البيت^(٣) - عليهم السلام -: ثُمَّ اهْتَدَى إِلَى وِلَايَةِ [أَوْلِيَائِهِ الَّذِينَ أَوْجَبَ اللَّهُ طَاعَتَهُمْ وَالْإِنْقِيَادَ لِأَمْرِهِمْ].

قَالَ ثَابِتُ الْبَنَانِيِّ: ثُمَّ اهْتَدَى إِلَى وِلَايَةِ [أَهْلِ الْبَيْتِ - عَلَيْهِمُ السَّلَامُ -]^(٤).



(١) طه: ٨٢.

(٢) جامع البيان: ١٦: ١٩٤.

(٣) مجمع البيان: ٤: ٣٣ منسوباً إلى أبي جعفر الباقر (عليه السلام). تفسير نور الثقلين: ١: ٢٢ - ٢٥. البرهان في تفسير القرآن: ١: ٥٠ - ٥٢.

(٤) ما بين المعقوفتين سقطت من (ش) و(ك) و(هـ) و(أ).

(٥) البرهان في تفسير القرآن: ١: ٥١ معزواً إلى ثابت الثمالی عن زين العابدين (عليه السلام).

فصل [- ٨ -]

[في نسبة الهدى إلى الله]

قوله - تعالى - : ﴿ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ ﴾^(١).

أي: لِدِينِهِ، وإِيمَانِهِ: بَأَن يَفْعَلَ لَهُ لُطْفًا، يَخْتَارُ عِنْدَهُ الْإِيمَانَ، إِذَا عَلِمَهُ^(٢) لَهُ أَهْلًا.

وقيل: يَهْدِي اللَّهُ لِنُبُوتِهِ مَن يَشَاءُ مَن يَعْلَمُ أَنَّهُ يَصْلَحُ لَهَا.

وقيل: يَحْكُمُ بِإِيمَانِهِ لِمَن يَشَاءُ، مَن آمَنَ بِهِ.

قوله - سُُبْحَانَهُ - : ﴿ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا^(٣) فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ ﴾^(٤).

أي: مَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فِي قَلْبِهِ، وَيَهْدِيهِ بِهِ، فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ يَهْتَدِي بِهِ.

(١) النور: ٣٥.

(٢) في (ش) و(ك) و(أ): عَلِمَ.

(٣) العبارة «نوراً... له» ساقطة من (أ).

(٤) النور: ٤٠.

وقيل: مَنْ^(١) لم يجعل الله^(٢) له نوراً - يوم القيامة - يهديه [إلى الجنة، فما له من نور يهديه إليها]^(٣).

قوله - سُبْحَانَهُ -: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ﴾^(٤).

أخبر أنه يخص - بذلك - المتبع لِرِضَاوَيْهِ. والمتبع لِرِضَاوَيْهِ قد حصل له البيان، والإيمان.

قوله - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا﴾^(٥).

الظاهر أن تكون^(٦) الآيات زادتهم الرِّجْسَ بالحقيقة، ولا خلاف أن الآيات، لا فِغْلَ لها في الحقيقة، وأنَّ الله زادهم رِجْسًا بالآيات، نحو ما ادَّعَوْهُ.

(١) (من) ساقطة من (أ).

(٢) لفظة (الله) سقطت من (ح).

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (ش).

(٤) المائة: ١٥.

(٥) التوبة: ١٢٥.

(٦) في (ش) و(ك) و(أ): يكون.

وهذا فاسدٌ، لأنَّ عندهم [أَنَّ الآياتِ] ^(١)، غيرُ مُوجِبَةٍ للرَّجْسِ، ولا يَصُحُّ أن يَزِيدَهُم اللهُ الرَّجْسَ بِالآيَاتِ ^(٢)، وإِنَّمَا يَزِيدُهُم ذَلِكَ بِالْقُدْرَةِ، المَوْجِبَةِ لذلك. ولا يُجِيزُ أَحَدٌ مِنْهُمْ أن تَزِيدَهُمُ الآيَاتُ رَجْسًا.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ﴾ ^(٣)، وقوله: ﴿قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ ^(٤).

الهُدَى، أصلُهُ الدَّلَالَةُ، وهو من فَعَّلِهِ، بلا خلافٍ. فإذا هَدَى الكُلَّ، صَحَّ وَصْفُهُ / ٧٠ / بَأَنَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ، كما لو هَدَى الْبَعْضُ، صَحَّ ذَلِكَ فِيهِ.

وَيَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ هَدَى الْجَمِيعَ، قَوْلُهُ: ﴿إِنَّا هَدَيْنَا السَّبِيلَ﴾ ^(٥)، ﴿هُدًى لِلنَّاسِ﴾ ^(٦).

وَالْحُضْمُ مُعْتَرِفٌ بِأَنَّ الْهُدَى - فِي الْآيَةِ - بِمَعْنَى الدَّلَالَةِ، لِأَوَّلِهَا، لِأَنَّهُ بَعَثَ النَّبِيَّ مُبَشِّرِينَ، وَمُنْذِرِينَ.

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (ش).

(٢) في (ح): بِالرَّجْسِ الْآيَاتِ.

(٣) البقرة: ٢١٣.

(٤) البقرة: ١٤٢.

(٥) الإنسان: ٣.

(٦) البقرة: ١٨٥. آل عمران: ٤. الأنعام: ٩١.

وقال^(١): ﴿اِخْتَلَفُوا بَعْغِيَا﴾^(٢) وَعَذُوا، لَا جَبْرًا. إِذْ مُحَالٌ أَنْ يَقُولَ:
﴿جَاءَهُمُ النَّبِيَّاتُ﴾^(٣)، وَلَمْ تَأْتِهِمْ^(٤). أَوْ يَقُولَ: كَانُوا غَيْرَ مُتَمَكِّنِينَ مِنَ التَّيْبِينَ.
كَمَا أَنَّهُ مُحَالٌ أَنْ يَقُولَ: أَتَيْتُ زَيْدًا بِكِتَابٍ، فَلَمْ يَقْرَأْهُ بَعْغِيَا، وَعُذْوَانًا. وَهُوَ
غَيْرُ مُتَمَكِّنٍ مِنْ قِرَاءَتِهِ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ﴾^(٥).
عَلَى سَبِيلِ الْجَبْرِ. وَلَمْ يَقُلْ: لَاهْتَدَيْتُمْ. وَالْهَدَايَةُ، إِنَّمَا هِيَ الْبَيَانُ، وَالذَّلَالَةُ،
لِأَنَّهُ هَدَى الْجَمِيعَ بِمَعْنَاهُمَا. أَوْ الْفَوْزُ، وَالنَّجَاةُ. وَلَا خِلَافَ فِي أَنَّهُ لَوْ شَاءَ، لَنَجَّى
جَمِيعَهُمْ، وَلَأَتَانِيَهُمْ.
أَوْ الْإِيمَانُ، وَالذِّينُ. وَلَا يَصُحُّ ذَلِكَ، لِأَنَّهُ لَا يُقَالُ - فِيمَنْ جَبَرَ غَيْرُهُ عَلَى
أَمْرٍ - قَدْ هَدَاهُ، وَإِنَّمَا يُقَالُ ذَلِكَ إِذَا أَرْشَدَهُ إِلَيْهِ، وَذَلَّ عَلَيْهِ.
وَمَعْنَى الْآيَةِ: أَنَّهُ حَكَمَى عَنْ قَوْلِ الْكُفَّارِ، فَقَالَ: ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ

(١) فِي (هـ): قَالُوا.

(٢) الْجَائِيَةُ: ١٧.

(٣) الْبَقَرَةُ: ٢١٣.

(٤) فِي (هـ): تَأْتِيهِمْ. بِإِثْبَاتِ الْيَاءِ عِنْدَ الْجَزْمِ.

(٥) الْأَنْعَامُ: ١٥٠.

أَشْرَكُوا^(١). فَجَعَلَهُمْ - في قوله: - إِنَّهُ ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا﴾^(٢)، وَلَا حَرَمُوا شَيْئًا - كَاذِبِينَ^(٣).

فَوَجَبَ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ بِتَكْذِيبِهِ إِيَّاهُمْ - فِيهَا ادَّعَوْا - مُرِيداً لِإِيْمَانِهِمْ، كَارِهاً لِمَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الشِّرْكِ. فَلَمَّا كَذَّبَهُمْ، قَالَ: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾^(٤). إِذْ كَانُوا أَشْرَكُوا مِنْ جِهَةِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ أَرَادَ مِنْهُمْ الشِّرْكَ، أَوْ أَمَرَ هُمْ بِهِ، أَوْ حَمَلَهُمْ عَلَيْهِ. إِذْ لَوْ فَعَلَ شَيْئاً مِنْ ذَلِكَ، لَكَانَ هُمْ الْحُجَّةُ عَلَيْهِ.



(١) الأنعام: ١٤٨.

(٢) الأنعام: ١٠٧.

(٣) في (ش): إذيين.

(٤) الأنعام: ١٥٠.

فصل [٩ -]

[في نسبة الضلال]

قوله - تعالى -: ﴿إِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ﴾^(١)، ﴿وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ﴾^(٢).
 إَعْلَمَ أَنَّ «ضَلَّ»^(٣) لازمٌ. يُقَالُ: ضَلَّ^(٤) الشَّيْءُ. أي: ضَاعَ، وَهَلَكَ، قوله:
 ﴿ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾^(٥).

وبمعنى: العذاب. ﴿إِنَّ الْمُبْغِرِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ﴾^(٦).

وبمعنى: إبطال العمل. ﴿فَلَنْ يُفِضَ أَعْمَالَهُمْ﴾^(٧).

وَمُتَعَدٍّ، نحو: ضَلَّ^(٨) فلانُ الطَّرِيقَ. أي: لم يَهْتِدِ لَهُ، قوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ

(١) السجدة: ١٠.

(٢) الجاثية: ٢٣.

(٣) في (هـ): ظَلَّ. بالطاء المعجمة.

(٤) في (هـ): ظَلَّ. بالطاء المعجمة.

(٥) الكهف: ١٠٤.

(٦) القمر: ٤٧.

(٧) محمد: ٤.

(٨) في (هـ): ظَلَّ. بالطاء المعجمة.

أَعْلَمَ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ»^(١).

وقد جاء: «أَضَلَّ» على وجوه:

أَضَلَّهُ فلانٌ: أَهْلَكَهُ، قوله: ﴿أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾^(٢).

وبمعنى: أَضَلَّ الرَّجُلُ دَابَّتَهُ. أي: ضَلَّتْ عَنْهُ. قال الشاعر^(٣):

هُبُونِي إِمْرَأً مِنْكُمْ أَضَلَّ بَعِيرُهُ [لَهُ ذِمَّةٌ إِنَّ الدِّمَامَ كَبِيرُ]

فالألف، لِلْفَرْقِ بَيْنَ مَا لَا يُفَارِقُ مَكَانَهُ، وَبَيْنَ مَا يُفَارِقُ.

وبمعنى: أَنَّهُ ضَلَّ مِنْهُ، لَا مِنْ غَيْرِهِ. كما يقولون: أَضَلَّتْ فُلَانَةٌ فُلَانًا،

وَأَذْهَبَتْ عَقْلَهُ. وهي لَا تَعْرِفُهُ، لَكِنَّهُ فَسَدَ، وَذَهَبَ عَقْلُهُ مِنْ أَجْلِهَا، وَعِنْدَ رُؤْيِيهِ

إِيَّاهَا، نُسِبَ إِلَيْهَا.

وبمعنى: الْحُكْمُ عَلَيْهِ، بِالضَّلَالِ، وَالتَّسْمِيَةِ: أَضَلَّهُ فلانٌ. أي: سَمَّاهُ ضَالًّا.

مثل: أَكْفَرُهُ. إِذَا نُسِبَ^(٤) عَلَيْهِ^(٥).

قال الكميت^(٦):

(١) النحل: ١٢٥.

(٢) محمد: ١.

(٣) هو قيس بن الملوّح. أنظر ديوان مجنون ليلى: ١٣٩. ومنه تمام البيت.

(٤) في (أ): نسب.

(٥) في (هـ): إليه. وفي هامشها: عليه. وبجانبها كلمة (صح).

(٦) شرح شعبيات الكميت بشرح أبي رياش القيسي: ٥٣. وفيه: (أكفرتني).

فَطَائِفَةٌ قَدْ أَكْفَرُوا بِحُجُبِكُمْ [وطائفة قالوا: مُسيءٌ ومُذنبٌ]
 وقوله: ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنَةٍ...﴾ الآية^(١)، وقوله: ﴿أَتُرِيدُونَ أَنْ
 تَهْتَدُوا مِنْ أَضَلِّ اللَّهِ﴾^(٢).

وبمعنى: الوجدان: أَضَلَلْتُ^(٣) فلاناً. قوله: ﴿أَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ﴾^(٤).
 وبمعنى: أَنْ تَفْعَلَ^(٥) ما عنده يَضِلُّ العبدُ^(٦)، أو لأجله، فَيَنْسُبُ ضَلَالَهُ إِلَى
 نَفْسِهِ، كقوله: ﴿رَبِّ إِنِّهْنِ أَضَلَّلْنَ كَثِيرًا مِنْ النَّاسِ﴾^(٧). ولا فِعْلٌ للأصنام.
 وبمعنى: تَشْدِيدِ الامتحان. مثلُ أَنْ يُسْأَلَ الرَّجُلُ شَيْئًا نَفِيسًا، فإذا بَخَلَ
 بِهِ، قِيلَ لَهُ: قَدْ بَخَلَكْ فلانٌ. يُرِيدُونَ بِهِ: عَيَّبَ المسؤول، لا السائل. ويقولون:
 أَفْسَدْتَ فِضَّتَكَ فِي النَّارِ. أي: فَسَادُهَا عِنْدَ مُحْتَبَتِهِ^(٨).

وقوله: ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ...﴾^(٩) إلى قوله: ﴿...كَذَلِكَ يُضِلُّ

(١) النساء: ٨٨.

(٢) النساء: ٨٨.

(٣) في (هـ): أَظَلَّتْ. بالظاء المعجمة.

(٤) الجاثية: ٢٣.

(٥) في (هـ): يفعل. بياء المضارعة المثناة من تحت. وفي (ح): تفعل. بناء المضارعة المثناة من فوق.

(٦) في (هـ): للعبد. مع حرف الجر (اللام).

(٧) إبراهيم: ٣٦.

(٨) في (ش): مجتته. بالجيم المعجمة من تحت بعدها نون موحدة من فوق مشددة.

(٩) المدثر: ٣١.

اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ ﴿١﴾، يَبَيِّنُ أَنْ إِضْلَالَهُ لِلْعَبْدِ يَكُونُ - عَلَى هَذَا الْوَجْهِ مِنْ إِنْزَالِهِ آيَةً مُتَشَابِهَةً، وَتَكْلِيفِهِ إِيَّاهُمْ - أَمْرًا لَا يَعْرِفُونَ الْغَرَضَ فِيهِ.

وبمعنى: الصَّدَّ عَنِ الْحَبِيرِ، وَالرُّشْدِ، وَالذُّعَاءِ إِلَى الْفَسَادِ، مِثْلُ قَوْلِهِ: ﴿وَأَصْلَهُمُ السَّامِرِيُّ﴾^(١)، ﴿وَأَصْلٌ فِرْعَوْنُ قَوْمُهُ﴾^(٢).

وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا...﴾^(٣) إِلَى قَوْلِهِ: ﴿...يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا﴾^(٤). يَعْنِي: يَضْرِبُ الْمَثَلَ. ثُمَّ قَالَ: ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾^(٥). وَلَا خِلَافَ أَنَّهُ لَا يُضِلُّ - بِضَرْبِ الْمَثَلِ - أَحَدًا وَإِنَّمَا يُضِلُّ الْمُكَلَّفَ عِنْدَ ذَلِكَ. وبمعنى: الْحِزْمَانِ. قَوْلُهُ: ﴿وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ﴾^(٦).

وَيَتَعَدَّى لَفْظَةُ «أَصْلٌ» إِلَى مَفْعُولَيْنِ، وَهُوَ يَأْتِي مَعَ أَدَاةٍ، وَبَغَيْرِهَا. فَيَقَالُ: أَصْلَهُ الطَّرِيقَ، وَعَنِ الطَّرِيقِ. قَوْلُهُ: ﴿فَأَصْلُونَا السَّبِيلَا﴾^(٧)، وَقَوْلُهُ: ﴿لِيُضِلَّ عَنْ

(١) المذثر: ٣١.

(٢) طه: ٨٥.

(٣) طه: ٧٩.

(٤) البقرة: ٢٦.

(٥) البقرة: ٢٦.

(٦) البقرة: ٢٦.

(٧) الأنعام: ١٢٥.

(٨) الأحزاب: ٦٧.

سَبِيلُهُ^(١).

فهذا الإضلال، بمعنى^(٢) الإعراضِ عَنِ الْحَقِّ.

وإذا كان الضَّلَالُ [لَفْظاً]^(٣) مُشْتَرَكاً^(٤)، فلا يجوزُ أَنْ يُنْسَبَ إليه^(٥) أَقْبَحُهَا، وهو ما أضافَهُ إِلَى الشَّيْطَانِ، بل ينبغي أَنْ يُنْسَبَ أَحْسَنُهَا، وَأَجْمَلُهَا، وليس شيءٌ من هذا الجِنْسِ، مُضَافاً إِلَى اللَّهِ - تعالى - لَأَنَّهُ لَيْسَ فِيهِ أَنَّهُ أَضَلَّ عَنِ الدِّينِ، أَوْ عَنِ الْحَقِّ. وَإِنَّمَا يَجِيءُ مُطْلَقاً، غَيْرَ مَقْرُونٍ بِمَا ضَلَّ عَنْهُ، كَقَوْلِهِ: ﴿يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ﴾^(٦)، ﴿وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ﴾^(٧).

وقولُهُمْ: ﴿أَضَلَّهُ اللَّهُ﴾^(٨)، جائزٌ بِمَعْنَى: الْعَذَابِ، وَالْإِهْلَاكِ، وَالْحُكْمِ، وَالتَّسْمِيَةِ، وَالْوُجْدَانِ، وَالْمُصَادَقَةِ، وَبِمَعْنَى: أَنْ يُفْعَلَ مَا يُضِلُّ الْعَبْدَ، فَيُضَيِّقُهُ إِلَى نَفْسِهِ.

ولا يجوزُ بِمَعْنَى: خَلَقِ الضَّلَالِ فِيهِ، أَوْ خَلَقِ مَا يُوجِبُهُ مِنْ قُدْرَةٍ، وَغَيْرِهَا.

(١) الزمر: ٨.

(٢) (بمعنى) سقطت من (ح).

(٣) ما بين المعرفتين ساقطة من (ش).

(٤) في (ش): مشترك. وفي (ك) و(أ): لفظ مشترك.

(٥) في (ك): إلى.

(٦) الرعد: ٢٧. النحل: ٩٣. فاطر: ٨.

(٧) الجاثية: ٢٣.

(٨) في (ح): أضلهم.

كما يقول المجبر^(١).

وعند بعضهم: يجوز أن يُضَلَّ، بمعنى: التَّلبِيس. وعند بعضهم: يجوز أن يُضَلَّ عن الدنيا ابتداءً. قال بعضهم: لا يجوز ابتداءً. وكلُّها باطلٌ من وجوه:

وذلك أنَّه لا يقال - في اللُّغَةِ -: أضَلَّهُ، بمعنى: خَلَقَ فِيهِ الضَّلَالَ، أو خَلَقَ فِيهِ ما يُوجِبُ الضَّلَالَ، ولا سائر أقوالهم، لأنَّ العَرَبَ تقول: أَضَلَّهُ فلانٌ عَنِ الطَّرِيقِ، إِذَا لَبَسَ عَلَيْهِ بِشْبَهُ^(٢).

ولا يقال - لمن رَدَّ غَيْرَهُ عَنِ الطَّرِيقِ فَهَرَأَ -: إِنَّهُ أَضَلَّهُ. إِنَّمَا يُقَالُ: رَدَّهُ، وَصَرَفَهُ، وَنَحَوَّهُما^(٣).

والإضلال - في الدِّينِ - لا يجوز من الله - تعالى - بحالٍ، لأنَّه لا يَصُحُّ التَّكْلِيفُ إِلَّا مع البَيَانِ. والإضلالُ، هو التَّلبِيسُ، والتَّلبِيسُ، والبيَانُ، متضادَّانِ. ولو أَضَلَّهُمُ اللهُ هَكَذَا، لم يكن للاحتجاجِ عَلَيْهِم - بالرُّسُلِ، والكُتُبِ، وإِقَامَةِ الأدِلَّةِ، والترغيبِ، والترهيبِ^(٤)، والوَعْدِ، والوَعِيدِ - معنى، ولا فائدة.

(١) الملل والنحل: ١: ١٣٣.

(٢) في (هـ): بِشْبَهُةً. بصيغة المفرد.

(٣) في (ش): نَحَوَّهَا.

(٤) (والترهيب) سقطت من (ح).

قوله - سُبْحَانَهُ - حكاية عن إبليس -: ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ﴾^(١).
 ذمَّ إبليس، وحزبه من حيث أضلَّ النَّاسَ عَنِ الدِّينِ، وأمرهم بالاستعاذة
 منه، فقال: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ...﴾ السُّورَةُ^(٢)، ﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ
 هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ﴾^(٣)، ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ
 الرَّجِيمِ﴾^(٤).

فلو كان الله يُضِلُّ عِبَادَهُ عَنِ الدِّينِ - كما يُضِلُّ الشَّيَاطِينُ - لاستحقَّ من
 المَذْمُومَةِ مثل ما استحقَّوه، وَلَوْ جَبَّتِ الاستعاذةُ منه، وَأَنْ يَتَّخِذُوهُ عَدُوًّا.
 وكيف يجوز أن يذمَّ إبليس، وحزبه، لأمرٍ يَتَّعَاطَى مثله، وهو أولُّه،
 وآخرُه؟

وإنَّه أضاف الإضلالَ عَنِ الدِّينِ إلى جماعةٍ، وذمَّهم لذلك، فقال: ﴿وَزَيَّنَ
 لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ﴾^(٥)، ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ﴾^(٦)،
 ﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا﴾^(٧). أي: إبليس. ﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنَ

(١) النساء: ١١٩.

(٢) الناس: ١.

(٣) المؤمنون: ٩٧.

(٤) النحل: ٩٨.

(٥) النمل: ٢٤.

(٦) النساء: ١١٩.

(٧) يس: ٦٢.

قَوْمَهُ^(١)، ﴿وَأَصْلَهُمُ السَّامِرِيُّ﴾^(٢)، ﴿رَبِّ إِنِّي نَأْصِلَنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ﴾^(٣).
أي: الأصنام.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرْنَا الَّذِينَ أَصْلَانَا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ﴾^(٤)،
﴿وَأَنَّهُمْ لَيَصْلُدُوهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾^(٥)، ﴿وَإِنْ تُطِيعْ أَكْثَرُ مَنْ
فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ﴾^(٦).

فهؤلاء الذين دَمَّهم الله إما أن يكونوا قد أَصْلُوا غيرهم عن الدين - في
الحقيقة - دُونَ الله، أو يكونَ اللهُ قَدْ أَصْلَهُمْ دُونَ هَؤُلَاءِ^(٧)، فهو - سبحانه -
مُتَقَوِّلٌ^(٨) عَلَيْهِمْ^(٩)، وعَابَهُمْ بما هُوَ فيه دُونَهُمْ، ودَمَّهم بما لم يَفْعَلُوهُ.

وبهذا الوجه، يقولُ القَدَرِيُّ، ويزعمون أن إبليسَ، وجنوده، لم يُضِلُّوا
أحدًا عن الدين - في الحقيقة - دُونَ الله، وإنما أَصْلَهُمُ اللهُ، دُونَ هَؤُلَاءِ، لأنَّ

(١) طه: ٧٩.

(٢) طه: ٨٥.

(٣) إبراهيم: ٣٦.

(٤) فصلت: ٢٩.

(٥) الزخرف: ٣٧.

(٦) الأنعام: ١١٦.

(٧) في (أ): نالا.

(٨) في (ك) و(أ): متقول. بالنون الموحدة من فوق بعد الميم.

(٩) في (ش): عنهم. يقال: تقول عليه. قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ﴾ الحاقة: ٤٤.

هؤلاء، لا يَقْدِرُونَ عَلَى الإِضْلَالِ، بِحَالٍ.

وَإِذَا كَانَ اللَّهُ، مُشَارِكًا لَهُمْ فِي ذَلِكَ، كَيْفَ يَجُوزُ أَنْ يَذُمَّهُمْ بِفِعْلٍ، هُوَ شَرِيكُهُمْ، قَدْ سَاوَاهُمْ فِيهِ، وَإِنْ يَسْتَحِقُّوا^(١) الْمَذْمَةَ، وَجَبَ لَهُ مِثْلُ مَا اسْتَحَقُّوه. [قَالَ] ^(٢) الشَّاعِرُ^(٣):

إِنِّانِ يَنْدُو مِنْهُمَا الْفِعْلُ وَاحِدًا يُسْلَمُ عَلَيْهِ ذَا، وَذَلِكَ يُجْمَدُ^(٤)؟
وَأَنَّهُ بَيِّنٌ: أَنَّهُ يُضِلُّ الظَّالِمِينَ، وَأَنَّهُ لَا يُضِلُّ إِلَّا الْفَاسِقِينَ، وَأَنَّهُ لَا يَهْدِي
الْكَافِرِينَ، وَالْفَاسِقِينَ، وَالظَّالِمِينَ، وَأَنَّهُ يُضِلُّ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ، وَأَنَّهُ يَهْدِي
قَلْبَ مَنْ هُوَ مُؤْمِنٌ، وَأَنْ مَنْ يُجَاهِدُ فِيهِ، يَهْدِيهِ سُبُلُهُ.

فَلَوْ كَانَ اللَّهُ، هُوَ الْمُضِلُّ - ابْتِدَاءً - لَكَانَ جَمِيعُ هَذِهِ الْآيَاتِ بَاطِلًا، لِأَنَّهُ قَدْ
يَرْتَدُّ الْمُسْلِمُ، وَيَكْفُرُ، وَيُؤْمِنُ الْكَافِرُ، وَيَتُوبُ، وَالضَّالُّ لَا يُضِلُّ.
وَعَلَى قَضِيَّةِ قَوْلِهِمْ، يَجِبُ أَنْ يَقُولَ: إِنِّي لَا أُضِلُّ إِلَّا الْمُؤْمِنَ، وَلَا أَهْدِي إِلَّا
الْكَافِرَ.

وَأَنَّهُ نَفَى الْإِلَهِيَّةَ عَمَّا سِوَاهُ مِمَّا كَانُوا يَعْبُدُونَهُ، فَقَالَ: ﴿قُلْ هَلْ مِنْ

(١) فِي (ك) وَ(هـ) وَ(أ) وَ(ح): اسْتَحَقُّوا. بِصِيغَةِ الْمَاضِي.

(٢) مَا بَيْنَ الْمُعْرِفَتَيْنِ زِيَادَةٌ مِنْ (هـ).

(٣) فِي (ش) وَ(ك) وَ(أ) وَ(ح): شَاعِرٌ. مِنْ دُونَ (أَل).

(٤) لَمْ تَقِفْ عَلَى قَائِلِهِ وَلَا مِثْلَهُ وَرَوْدِهِ.

شُرَكَائِكُمْ»^(١).

فلو كان يُضِلُّ عن الحقِّ، لكانَ قد ساوَاهُم في الإضلالِ، وفيما لأجلِهِ نَهَى
عَنِ اتِّبَاعِهِمْ، بل أَرَبَى عَلَيْهِمْ.

[والإضلالُ]^(٢) في الدِّينِ - على سبيلِ التَّلْبِيسِ - إِنَّمَا يَفْعَلُهُ الْعَاجِزُ عَنِ
الصَّدِّ^(٣)، والمنعِ، كالشَّيْطَانِ، فَإِنَّهُ لَوْ قَدَّرَ عَلَى الْمَنْعِ، لَمَا اجْتَهَدَ بِالْحِيلَةِ، وَالْوَسْوَسَةِ.
وَاللَّهُ - تَعَالَى - غَيْرُ عَاجِزٍ، فَلَا يُضِلُّ عَنِ الدِّينِ عَلَى سَبِيلِ التَّلْبِيسِ.

وَأَنَّهُ إِنَّمَا أَضَافَ مَا أَضَافَهُ / ٧٢ / إِلَى نَفْسِهِ مِنَ الْإِضْلَالِ مُطْلَقاً، غَيْرَ
مَقْرُونٍ بِهَا أَضَلَّ عَنْهُ. وَلَمْ يَقُلْ فِي آيَةٍ: إِنَّهُ أَضَلَّ، أَوْ يُضِلُّ عَنِ الدِّينِ. وَإِنَّمَا قَالَ:
أَضَلَّ، أَوْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ.

وَإِذَا وَرَدَّ - مُطْلَقاً - كَانَ مَعْنَاهُ الْإِهْلَاكُ، وَالْإِبْطَالُ. كَمَا أَنَّ لَفْظَةَ «ضَلَّ»^(٤)،
إِذَا وَرَدَتْ كَانَ مَعْنَاهَا الْهَلَاكُ، وَالْبُطْلَانُ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ فِي خَمْسَةِ مَوَاضِعَ

(١) يونس: ٢٨، ٣٤، ٣٥، الروم: ٤٠.

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (ش).

(٣) في (ش): الصَّدِّ. بالضاد المعجمة.

(٤) في (هـ): ظَلَّ. بالظاء المعجمة.

مِنَ الْقُرْآنِ^(١).

يَعْنِي: يُنْجِي، وَلَا يَجُوزُ فِيهَا غَيْرَ ذَلِكَ لِإِمْقَاضِ أَوَّلَاهَا،
وَأَخْرَاهَا، وَلِأَنَّهُ مُطْلَقٌ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾^(٢).

يَجْتَمِعُ أَمْرَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: إِنَّهُ يَحْكُمُ بِضَلَالٍ مَنْ يَشَاءُ إِذَا صَلَّوْا هُمْ عَنْ طَرِيقِ الْحَقِّ.

وَالثَّانِي: يُضِلُّهُمْ عَنْ طَرِيقِ الْجَنَّةِ، إِذَا كَانُوا مُسْتَحَقِّينَ لِلْعِقَابِ، وَيَهْدِي مَنْ
يَشَاءُ إِلَى طَرِيقِ الْجَنَّةِ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا﴾^(٣).

أَي: يَضْرِبُ الْمَثَلَ [لِلَّذِينَ]^(٤) كَفَرُوا، وَلَمْ يَقُلْ: يُضِلُّ عَنِ الدِّينِ بِهِ.

(١) الرَّعْد: ٢٧. إِبْرَاهِيمَ: ٤. النحل: ٩٣. فاطر: ٨. المذثر: ٣١.

(٢) إِبْرَاهِيمَ: ٤.

(٣) البقرة: ٢٦.

(٤) مَا بَيْنَ الْمَعْقُوفَتَيْنِ زِيَادَةٌ يَقْتَضِيهَا السِّيَاقُ.

الصَّاحِبُ^(١):

يُضِلُّ عَنِ نَوَابِيهِ اغْدَاءُ
وَلِإِنَّمَا صَصِيرُهُ جَزَاءُ^(٢)
وَلَمْ يُبْرِذْ فِي حَالِهِ اغْوَاءُ
بَلْ جَلَبَ الْإِنْسَانُ مَا قَدْ شَاءُ^(٣)

قوله - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ﴾^(١).

ليس فيها أَنَّهُ أَضَلَّ قَوْمًا، أَوْ يُضِلُّهُمْ، وَلَا أَنَّهُ^(٢) يُرِيدُ ذَلِكَ، وَلَمْ يَقُلْ: وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ عَنِ الدِّينِ. وَإِنَّهُ بَيَّنَّ عَلَى جِهَةِ الْجَزَاءِ.

قوله - سُبْحَانَهُ -: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ﴾^(٣)، وَلَمْ يَقُلْ: عَنِ

(١) ديوان الصاحب بن عباد: ٥٧.

(٢) في الديوان: وَلَمْ يَصِيرُهُ لَهُ جَزَاءُ.

(٣) في الديوانك مَا قَدْ سَاءَ. بالسَّيْنِ المهملة.

(٤) الأنعام: ١٢٦.

(٥) في (ل): وَلَا تُؤْتِيهِ.

(٦) الأعراف: ١٥٥.

الدِّينِ. وَإِنَّ «هِيَ»، تَرْجِعُ إِلَى مُتَقَدِّمٍ، وَلَا مَذْكُورَ مُتَقَدِّمٍ، إِلَّا الرَّجْفَةَ. قَالَ: ﴿رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ﴾^(١).

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿فَلَنْ نَجِدَ لَهُ سَبِيلًا﴾^(٢)، إِلَى طَرِيقِ الْجَنَّةِ.
وَالثَّانِي^(٣): مَنْ يَحْذِلُهُ اللَّهُ عُقُوبَةً عَلَى مَعَاصِيهِ، عَلَى طَرِيقِ الرَّشَادِ، وَلَمْ يُوفِّقْهُ
لِحِرْمَانِهِ نَفْسَهُ، بِسُوءِ اخْتِيَارِهِ - فَلَنْ نَجِدَ لَهُ سَبِيلًا إِلَى الْحَقِّ يُفْضِيهِ^(٤) إِلَيْهِ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ﴾^(٥).
لَيْسَ فِيهِ أَنَّهُ أَضَلَّهُ عَنِ الدِّينِ. وَأُضَافَ الْفِعْلُ إِلَيْهِ، ثُمَّ بَيَّنَّ أَنَّ اللَّهَ أَضَلَّهُ.
أَي: عَاقَبَهُ.

(١) الأعراف: ١٥٥.

(٢) النساء: ٨٨، ١٤٣.

(٣) (والثاني) سقطت من (ح).

(٤) في (ش) و(أ): يفضيه. بالقاف المشناة.

(٥) الجاثية: ٢٣.

قوله - سُبْحَانَهُ -: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ﴾^(١).
والخصم لا يجوز ذلك. ﴿وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ﴾^(٢). أي: يُعَذِّبُهُمْ.

قوله - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّوكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ﴾^(٣).

الإضلال: الدعاء إلى الضلال، الذي يقبله المدعو.

وقال بعضهم: إنَّه لا يصحُّ إضلال أحدٍ لغيره، وإنَّما يُقال ذلك على وجه^(٤) المجاز، ذهب إلى أنَّه فعَل الضلال في غيره، لأنَّه لا يوصف بأنَّه مُضِلٌّ لغيره، إذا ضلَّ المدعو بإغوائه.

وقال الرُّمَّانِي: هذا غير صحيح، لأنَّه يُدْمُّ بالاستدعاء إلى الضلال الذي لا يقبله المدعو، فلذلك فُرِّق بين الاستدعاءَيْن، فَوُصِفَ^(٥) الآخرُ به.

(١) إبراهيم: ٢٧.

(٢) إبراهيم: ٢٧.

(٣) آل عمران: ٦٩.

(٤) في (أ): وجهه.

(٥) في (ش): وَصَف. من دون (فاء).

قوله - سُبْحَانَهُ -: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا﴾^(١).

ولم يقل: إِنَّهُ يُمِدُّهُمْ. والمدُّ - في الطُّغْيَانِ - غَيْرُ مَعْقُولٍ، وإِنَّمَا يُقَالُ: مَدَّ لَهُ فِي الْعُمْرِ، وَأَمَدَّهُ بِكَذَا.

فَالْمَدُّ إِذَا أُطْلِقَ، رَجَعَ إِلَى الْعُمْرِ، وليس هذا^(٢) فِعْلٌ مَنْ يُرِيدُ إِضْلَاحَهُمْ. بل جَمِيعُ ذَلِكَ دَالٌّ عَلَى أَنَّهُ مُرِيدُ الْخَيْرِ بِهِمْ، وَمُرِيدٌ مِنْهُمْ الطَّاعَةَ، وَالرُّجُوعَ.

قوله - سُبْحَانَهُ -: ﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾^(٣)، وقوله: ﴿وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ﴾^(٤).

قال الطُّوسِيُّ^(٥): مَنْ أَطْلَقَ: أَنَّ اللَّهَ - تعالى - لَا يُضِلُّ، وَلَا يَهْدِي، أَوْ: أَنَّ الْعِبَادَ، يُضِلُّونَ أَنْفُسَهُمْ، أَوْ يَهْدُونَهَا، فَقَدْ أَخْطَأَ.

ونقول^(٦): مَنْ أَضَلَّهُ اللَّهُ، فَهُوَ انْضَالٌ، وَمَنْ هَدَاهُ، فَهُوَ الْهُتْدَى. ولكن

(١) مريم: ٧٥.

(٢) في (ك): هُنَا.

(٣) البقرة: ٢٦.

(٤) إبراهيم: ٢٧.

(٥) التبيان في تفسير القرآن: ١: ١١٥.

(٦) في (هـ): يقول. بياء المضارعة المثناة من تحت.

لأُتْرِدُ^(١) - بذلك - ما يُرِيدُ بِهِ الْمُخَالَفُ فِيهَا يُؤَدِّي إِلَى التَّجْوِيرِ لِلَّهِ فِي حُكْمِهِ، لِأَنَّهُمْ يَقُولُونَ: إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ كَثِيرًا مِنْ خَلْقِهِ، بِمَعْنَى: أَنَّهُ يَصُدُّهُمْ عَنْ طَاعَتِهِ، وَيَحْوِلُ بَيْنَهُمْ، وَبَيْنَ مَعْرِفَتِهِ، وَيَلْبِسُ^(٢) عَلَيْهِمُ الْأُمُورَ، وَيُجَيِّرُهُمْ، وَيُغْلِطُهُمْ، وَيُسَكِّكُهُمْ، وَيُوقِعُهُمْ فِي الضَّلَالَةِ، وَيُجَيِّرُهُمْ عَلَيْهَا.

وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: يَخْلُقُهَا فِيهِمْ، وَيَخْلُقُ فِيهِمْ قُدْرَةً مُوجِبَةً لَهَا، وَيَمْنَعُهُمُ الْأَمْرَ الَّذِي بِهِ يَخْرُجُونَ مِنْهَا، فَيَصِفُونَ اللَّهَ - تَعَالَى - بِأَقْبَحِ الصِّفَاتِ وَأَخْبِيثِهَا. وَقُلْنَا: إِنَّهُ قَدْ أَضَلَّ قَوْمًا، وَهَدَى آخَرِينَ، وَإِنَّهُ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ، وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ. غَيْرَ أَنَّهُ / ٧٣ / لَا يَشَاءُ أَنْ يُضِلَّ إِلَّا مَنْ ضَلَّ، وَكَفَرَ - كَمَا هُوَ مُقْتَضَى الْآيَاتِ - وَإِنَّهُ لَا يَشَاءُ أَنْ يُضِلَّ الْمُؤْمِنِينَ، الْمُهْتَدِينَ، الْمُتَمَسِّكِينَ بِطَاعَتِهِ. بَلْ يَشَاءُ أَنْ يَهْدِيَهُمْ، وَيَزِيدَهُمْ هُدًى. وَإِنَّهُ يَهْدِي الْمُؤْمِنِينَ بِأَنْ يُخْرِجَهُمْ^(٣) مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ، كَمَا قَالَ: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾^(٤)، وَقَالَ: ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾^(٥).



(١) فِي (هـ): يَرِيدُ. بَيَاءُ الْمَضَارَعَةِ الْمُثَنَّى مِنْ تَحْتِ.

(٢) لَبَسَ عَلَيْهِ الْأَمْرَ: خَلَطَهُ عَلَيْهِ حَتَّى لَا يَعْرِفَ حَقِيقَتَهُ «الْمَعْجَمُ الْوَسِيطُ - لِبَسَ».

(٣) فِي (أ): نَخْرَجُهُمْ. بَنُوں الْمَضَارَعَةُ الْمَوْحَدَةُ مِنْ فَوْقِ.

(٤) مُحَمَّدٌ: ١٧.

(٥) التَّغَابُنِ: ١١.

فصل [- ١٠ -]

[في نسبة الإضلال]

قوله - تعالى - : ﴿ قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي وَإِنْ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي ﴾^(١).

أضاف الضلالة إلى نفسه، ولم يقل: بِقَضَاءِ رَبِّي، وإرادته.

قوله - سبحانه - : ﴿ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾^(٢).
يدل على بطلان قول المجبرة: إِنَّ اللَّهَ - تعالى - يفعل المعاصي، ويريدوها^(٣)،
لأنه نسب إضلالهم إلى أنه بإرادة الشيطان، على وجه الذمّ لهم.
فلو أراد - تعالى - أَنْ يُضِلَّهُمْ بِخَلْقِ الضَّلَالِ فِيهِمْ، لكان ذلك أَوْكَدَ وَجُوهَ
الظُّلْمِ [في] ^(٤) إضلالهم.

(١) سبأ: ٥٠.

(٢) النساء: ٦٠.

(٣) في (ش): يريد بها.

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (ش).

قوله - سُبْحَانَهُ -: ﴿إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا﴾^(١). خِلَافُ
مَذْهَبِ الْمُجْبِرَةِ^(٢)، لِأَنَّ اللَّهَ - تَعَالَى - نَسَبَهُ إِلَى الشَّيْطَانِ، وَهُمْ يَنْسِبُونَهُ إِلَى اللَّهِ
- تَعَالَى -.

قوله - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾^(٣)، أَي: هُوَ الَّذِي يُزَيِّنُ
الْكُفْرَ لِلْكَافِرِينَ، بِخِلَافِ مَا تَقُولُ الْمُجْبِرَةُ^(٤): إِنَّ^(٥) اللَّهَ، هُوَ الْمُزَيِّنُ لَهُمْ ذَلِكَ.
وَفِيهَا حُجَّةٌ عَلَى مَنْ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ - تَعَالَى - لَمْ يُرِذْ مِنَ الْكَافِرِ الْإِيمَانَ، وَإِنَّهُ
أَرْسَلَ الرُّسُلَ بَيِّنَةً عَلَيْهِمْ.

وَعَلَى زَعْمِ مَنْ زَعَمَ أَنَّهُ أَخَذَ الْكَافِرِينَ بِالْبَأْسَاءِ، وَالضَّرَّاءِ، فِي الدُّنْيَا، لَيْسَ
لَمَّا أَرَادَ^(٦) مِنْ صَلَاحِهِمْ، لِأَنَّهُ بَيَّنَّ أَنَّهُ إِنَّمَا فَعَلَ بِهِمْ ذَلِكَ، لِيَتَضَرَّعُوا، وَهَذِهِ «لَا مُمَّ
الْغَرَضِ، لِأَنَّ الشُّكَّ لَا يَجُوزُ عَلَيْهِ - تَعَالَى^(٧) -.

(١) آل عمران: ١٥٥.

(٢) الملل والنحل: ١: ١٣٦، ١٣٩.

(٣) النمل: ٢٤. العنكبوت: ٣٨.

(٤) الملل والنحل: ١: ١٣٦، ١٣٩، ١٤٣.

(٥) في (هـ): فَإِنَّ. مع الفاء.

(٦) في (أ): أَرَادَهُ. مع الضمير (الماء).

(٧) (تعالى) سقطت من (ح).

قوله - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَأَصْلَهُمُ السَّامِرِيُّ﴾^(١).

معناه: إِنَّهُ دَعَاهُمْ^(٢) إِلَى عِبَادَةِ الْعِجْلِ، فَضَلُّوا عِنْدَ ذَلِكَ، فَنَسَبَ اللَّهُ - تَعَالَى - الْإِضْلَالَ إِلَيْهِ، كَمَا ضَلُّوا بِدُعَائِهِ. وَهَذَا خِلَافٌ مَذْهَبِهِمْ.

قوله - سُبْحَانَهُ -: ﴿إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ...﴾^(٣) عَلَى قَوْلِهِ: ﴿... قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ﴾^(٤).

قال الحسن: معناه: كَذَلِكَ يُضِلُّ أَعْمَاهُمْ بِأَنْ يُبْطِلَهَا.

وقيل: كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ عَنْ نَيْلِ ثَوَابِ الْجَنَّةِ.

وقيل: كَذَلِكَ يُضِلُّ [اللَّهُ]^(٥) الْكَافِرِينَ عَمَّا اتَّخَذُوهُ آلِهَةً بِأَنْ يَضْرِبَهُمْ عَنِ الطَّمَعِ فِي نَيْلِ مَنْفَعَةٍ مِنْ جِهَتِهَا.



(١) طه: ٨٥.

(٢) في (هـ): دَعَاهُ.

(٣) غافر: ٧١.

(٤) غافر: ٧٤.

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من (ش).

فصل [- ١١ -]

[في الإرادة والمشئنة]

قوله - تعالى -: ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا﴾^(١). وقال: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُنِيرَ نُورُهُ﴾^(٢). وقال: ﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾^(٣). وقال: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُخْرِجُوكَ مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا﴾^(٤). وقال: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ﴾^(٥). وقال: ﴿وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ﴾^(٦).

قد أخبر الله - تعالى -: أَنَّ مَا أَرَادَ مِنْهُمْ غَيْرَ مَا أَرَادُوهُ.

وأخبر: أَنَّهُ لَا يُرِيدُ الظُّلْمَ بوجهٍ من الوجوه، قوله: ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا

(١) النساء: ٢٧.

(٢) التوبة: ٣٢.

(٣) الأنفال: ٦٧.

(٤) المائدة: ٣٧.

(٥) النساء: ٦٠.

(٦) الأنفال: ٧.

لِلْعِبَادَةِ^(١)، ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ﴾^(٢)، ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ﴾^(٣).

وَأَخْبَرَ: أَنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمَعَاصِي، قَوْلُهُ: ﴿وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾^(٤)، ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ﴾^(٥)، ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾^(٦)، ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ﴾^(٧)، ﴿لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ﴾^(٨)، ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ﴾^(٩).

وَسُئِلَ النَّبِيُّ - عَلَيْهِ السَّلَام - : هَلْ يُرِيدُ اللَّهُ الْمَعَاصِي، وَهُوَ يَعْلَمُهَا ؟

فَأَحْمَرَّ خَدَاهُ، وَقَالَ: فَفَيِّمَ^(١٠) بُعِثْتُ^(١١) ؟

(١) غافر: ٣١.

(٢) آل عمران: ١٠٨.

(٣) المائدة: ٦.

(٤) الزمر: ٢٠٥.

(٥) البقرة: ٢٠٥.

(٦) الأعراف: ٥٥.

(٧) النساء: ١٤٨.

(٨) الأعراف: ٢٨.

(٩) الأعراف: ٢٨.

(١٠) في (أ): نعيم.

(١١) في (أ): فبعث.

وَسَمِعَ ابْنُ سِيرِينَ^(١) رجلاً، يقول: مَا فَعَلَ فَلَانٌ؟

قال: هُوَ كَمَا يَشَاءُ اللَّهُ.

فقال ابن سيرين^(٢): لَا تَقُلْ: كَمَا يَشَاءُ اللَّهُ، وَلَكِنْ قُلْ: كَمَا يَعْلَمُ اللَّهُ. وَلَوْ

كَانَ كَمَا يَشَاءُ^(٣) اللَّهُ، لَكَانَ^(٤) رجلاً صالحاً.

وقال فضيل بن عياض: لَوْ كَانَتِ الْأُمُورُ بِالْمَشِيئَةِ، فَالنَّاسُ كُلُّهُمْ مُطِيعُونَ.

وَاسْتَدَلَّ^(٥) جَبْرِئٌ بِقَوْلِهِ: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَن فِي الْأَرْضِ﴾^(٦)، فقال

عَدْلِيٌّ: فَأَوَّلُهَا، وَآخِرُهَا يُفْسِدُ ذَلِيلَكَ:

أَمَّا أَوَّلُهَا: ﴿فَلَوْ لَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ﴾^(٧)، وَآخِرُهَا: ﴿أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ

حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾^(٨).



(١) في (ش): سيدين. بالبدال المهملة.

(٢) في (ل): ابن سيرين.

(٣) في (ك) و(هـ) و(أ): شاء. بصيغة الماضي.

(٤) في (ش) و(ك) و(أ): كان. من دون لام التوكيد الواقعة في جواب الشرط.

(٥) لم أقف على مظنة الرواية ولا اسم الجبري والعدلي.

(٦) يونس: ٩٩.

(٧) يونس: ٩٨.

(٨) يونس: ٩٩.

فصل [- ١٢ -]

[في المشيئة]

قوله - تعالى -: ﴿وَمَا تَشَاؤُنَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾^(١).

كلامٌ مُجْمَلٌ، غيرُ مُفَسَّرٍ. وهو في القرآن في ثلاثة مواضع^(٢)، وجميعه في الطاعات، والطاعة بأمره، ومشيئته.

والكلامُ مُتَعَلِّقٌ بِمَا تَقَدَّمَ مِنْ ذِكْرِ الاستقامة، لأنه - تعالى - قال: ﴿وَمَا تَشَاؤُنَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾، أي: لا تشاؤون الاستقامة إلا والله مُرِيدُهَا، والله يُرِيدُ الطاعات.

ولو أرادَ / ٧٤ / جميع ما يشاؤون، لأدى إلى مناقضة القرآن، لأنه بَيَّنَّ أَنَّ إِرَادَتَهُ، خلافُ إِرَادَةِ^(٣) المخلوق. ذَكَرْنَاهَا قَبْلَهُ.

والحكيم لا يجوز أن يُرِيدَ القَبَاحَ، ولا المَبَاحَ، لأنَّ ذلك صِفَةُ نَقْصٍ، وهو يتعالى عن ذلك.

(١) الإنسان: ٣٠.

(٢) الإنسان: ٣٠. التكوين: ٢٩. الكهف: ٢٤.

(٣) في (هـ): خلاف الذي أرادَهُ المخلوق.

وهذه الآية حُجَّةٌ لنا، لَأَنَّهُ جَعَلَ لَنَا مَشِيئَةً، وَعَلَّقَهَا^(١) بِمَشِيئَتِهِ.
 وَعِنْدَهُمْ: إِنَّ مَشِيئَةَ اللَّهِ - تَعَالَى - فِعْلُهُ. وَلَا حُجَّةَ هُمْ فِيهِ، لَأَنَّهُ مُعَارِضٌ
 بِالْآيَاتِ الصَّرِيحَةِ فِي [أَنَّهُ]^(٢) - تَعَالَى - لَا يُرِيدُ الْقَيْحَ.
 وَيُمْكِنُ حَمْلُ الْآيَةِ عَلَى الْعُمُومِ، لِأَنَّ الْعِبَادَ، يَشَاوِرُونَ - عِنْدَهُمْ - مَا
 لَا يَشَاوُهُ اللَّهُ - تَعَالَى - بِأَنَّهُ يُرِيدُوا مَا عَلِمَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ - لَأَنَّهُ لَا يَقَعُ بِمَنْعٍ، أَوْ
 غَيْرِهِ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾^(٣).

الضَّمِيرُ فِي قَوْلِهِ: «يُشْرَحْ صَدْرُهُ لِلْإِسْلَامِ»، عَائِدٌ إِلَى اسْمِ اللَّهِ لِقَوْلِهِ:
 ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾^(٤)، وَقَوْلِهِ: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾^(٥).

وَالْمَعْنَى: إِنَّ الْفِعْلَ، مُسْتَنَدٌ إِلَى اسْمِ اللَّهِ فِي اللَّفْظِ، وَفِي الْمَعْنَى إِلَى الْمَشْرُوحِ
 صَدْرُهُ. وَلِأَنَّهُ نَسَبَهُ إِلَى ضَمِيرِ اسْمِ اللَّهِ، لَأَنَّهُ بِقُدْرَتِهِ - كَانَ - وَتَوْفِيقِهِ، كَمَا قَالَ:

(١) فِي (ش): عَلَّقْنَا. وَفِي (أ): عَقَّلَهَا. بِالْقَافِ بَعْدَهَا اللَّامُ.

(٢) مَا بَيْنَ الْمُعْقُوفَتَيْنِ سَاقِطَةٌ مِنْ (ش).

(٣) الْأَنْعَامُ: ١٢٦.

(٤) الزَّمَرُ: ٢٢.

(٥) الْأَنْشُرَاحُ: ١.

﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾^(١).

ويدل على أن المعنى لفاعل الإيمان، إسناد هذا الفعل إلى الكافر في قوله:
﴿وَلَكِنَّ مَنْ شَرَحَ بِالْكَفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ﴾^(٢). فكما أسند الفعل
إلى فاعل الكفر، كذلك يكون إسنادُهُ - في المعنى - إلى فاعل الإيمان.

وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ رَاجِعاً إِلَى «مَنْ». وتقديرُهُ: إِنَّ الْمَهْدِيَّ يَشْرَحُ صَدْرَ
نَفْسِهِ. وَيَكُونُ تَقْدِيرُهُ: مَنْ [أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ إِلَى طَرِيقِ الْجَنَّةِ، فَلْيُطِغْهُ، وَمَنْ]^(٣)
أَرَادَ أَنْ^(٤) يُعَاقِبَهُ، فَلْيُعْصِبِهِ.

وَالْإِرَادَةُ وَاقِعَةٌ عَلَى فِعْلِ الْعَبْدِ بِقَلْبِهِ الصَّيْقِ. يُوضِحُ ذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿مَنْ كَفَرَ
بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيْمَانِهِ إِلَّا مِنْ أَخْرَةٍ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيْمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكَفْرِ
صَدْرًا﴾^(٥). فَالْأَطْمَئِنُّانُ إِلَى الْإِيْمَانِ، فَعَلُهُمْ لَا مُحَالَةً، لِأَنَّهُ إِيْمَانٌ. ثُمَّ نَسَبَ - تَعَالَى -
شَرَحَ صَدْرِهِمْ بِالْكَفْرِ إِلَيْهِمْ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿مَنْ يَشَأِ اللَّهُ يُضِلِّلْهُ وَمَنْ يَشَأِ يُجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ

(١) الأنفال: ١٧.

(٢) النحل: ١٠٦.

(٣) ما بين المعقوفتين ساقط من (ش).

(٤) (أَنْ) ساقط من (أ).

(٥) النحل: ١٠٦.

مُسْتَقِيمٌ ﴿١﴾.

لا يجوز أن يكونَ على عُمومِهِ، لأنَّنا قد عَلِمْنَا أَنَّهُ - تعالى - لا يشاءُ أن يُضِلَّ
الأنبياءَ، والمؤمنينَ، ولا يَهْدِيَ الكافرينَ، كما قال: ﴿وَالَّذِينَ افْتَدَوْا زَادَهُمْ
هُدًى﴾ ^(١)، وقال: ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ﴾ ^(٢)، وقال: ﴿وَيُضِلُّ اللَّهُ
الظَّالِمِينَ﴾ ^(٣)، وقال: ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾ ^(٤).

وتأويلُ ﴿مَنْ يَشَأْ اللَّهُ يُضِلَّهُ﴾، أي: يَحْذِلُهُ بأنْ يَمْنَعَهُ الطَّافَةَ، فاعْرَضَ
عَنِ الأدلَّةِ، فيكونُ كالأَصَمِّ، والأَعْمَى.

وقيل: مَنْ يَشَأْ اللَّهُ إِضْلَالَهُ عن طريقِ الجَنَّةِ، وَنَيْلِ ثَوَابِهَا، يُضِلُّهُ على وجهِ
العُقُوبَةِ، وَمَنْ يَشَأْ أَنْ يَرْحَمَهُ، يَهْدِيهِ ^(٥) إِلَى الجَنَّةِ.

قوله - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْتَنَّا الَّذِينَ...﴾ ^(٦).

(١) الأنعام: ٣٩.

(٢) محمد: ١٧.

(٣) المائدة: ١٦.

(٤) إبراهيم: ٢٧.

(٥) البقرة: ٢٦.

(٦) في النسخ جميعاً: يهديه.

(٧) البقرة: ٢٥٣.

ليس فيها أكثر من أنه لو شاء ألا^(١) يفعلوا ذلك، ما فعلوه، فمن أين يدلُّ على أنه قد شاء ما فعلوه؟ وليس كلُّ من لا يشاء شيئاً، يكون مُريداً لِضدِّهِ^(٢)، لأنَّ المسلمين، لو شاؤوا، لَمَتَّعُوا أَهْلَ الذِّمَّةِ فِي دَارِ الْإِسْلَامِ عَنِ الْمُنْكَرَاتِ، فَلْيُسُوا بِإِثْنَيْنِ^(٣)، وَهُمْ غَيْرُ رَاضِينَ، وَلَا مُرِيدِينَ لذلك.

قوله - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى﴾^(٤).
لَمْ يَقُلْ: إِنِّي لَوْ شِئْتُ مِنْ جَمِيعِهِمْ اهْدَى، لَأَمَّنُوا. ولم يقل: لو شاء، لاجْتَمَعُوا عَلَى الْهُدَى.

وكيفية^(٥) جَمْعِهِمْ عَلَيْهِ: إمَّا أَنْ يَكُونَ جَبْرًا، كَقَوْلِ الْمُجْبِرَةِ. أَوْ بَأَنْ يُوجَدَ فِيهِمُ الْقُدْرَةُ الْمُوجِبَةُ لَهُ، كَقَوْلِ النَّجَّارِيَّةِ^(٦). أَوْ بَأَنْ يَفْعَلَ بِكُلِّ مِنْهُمْ اللَّطْفَ. يُوضِّحُ ذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً﴾^(٧) مع قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّا

(١) في النسخ جميعها: لو شاء أن يفعلوا. بإسقاط (لا). وما أثبتناه من (ط) وهو الموافق.

(٢) في (أ): الضد. مع (أل) وبالصاد المهملة.

(٣) في (ك): بهاتين. بالتاء المثناة من فوق بعد الألف.

(٤) الأنعام: ٣٥.

(٥) في (ك): كيفية.

(٦) في (ش) و(ك) و(هـ): البخاريَّة. بالباء الموحدة من تحت، بعدها خاء معجمة من فوق. وفي (أ):

التجارية. بالتاء المثناة من فوق. أنظر قولهم في الملل والنحل: ١: ١٣٩.

(٧) الشعراء: ٤.

نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ^(١).

فمعلوم أنَّ هذا الإيمان الذي نَفَاهُ عَنْهُمْ - عند إنزالِهِ هَذِهِ الآيات - ليس هُوَ الإيمان الذي أَوْجَبَهُ^(٢) بقوله: ﴿فَظَلَّلْتُ أَغْنَاهُمْ﴾^(٣)، إذ لو كانا واحداً، لَتَنَاقَضَ الْقَوْلَانِ، لِأَنَّ أَحَدَهُمَا يَقْتَضِي: أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ - أبداً - عند نَزُولِ شَيْءٍ مِنَ الآيَاتِ، وَالْآخَرُ يَقْتَضِي^(٤): إِيْمَانَهُمْ عند نَزُولِ الآيَةِ^(٥) مِنَ السَّمَاءِ. فَلابدٌ مِنْ فَرْقٍ، وَإِلَّا تَنَاقَضَ الْكَلَامُ، فَمَا نَفَاهُ، فَهُوَ الْإِيْمَانُ الْاِخْتِيَارِيُّ، وَمَا أَثْبَتَهُ، فَهُوَ^(٦) الضَّرُورِيُّ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا﴾^(٧)، ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾^(٨).

(١) الأنعام: ١١١.

(٢) في (ل): أوجبه.

(٣) الشعراء: ٤.

(٤) في (ش): يقتضي أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ أبداً. وهو وهمٌ من الناسخ لأنه تكرار للعبارة السابقة.

(٥) في (ح): آية. من دون (أل).

(٦) في (ش) و(ل): وهو. مع الواو.

(٧) الأنعام: ١٠٧.

(٨) الأنعام: ١١٣.

الظَّاهِرُ: أَنَّهُ لَوْ شَاءَ أَلَّا يَفْعَلُوا مَا فَعَلُوا مِنَ الشَّرِّ، وَالْقَتْلِ. وَلَيْسَ فِيهِ أَنَّهُ
قَدْ شَاءَ أَنْ يَفْعَلُوا ذَلِكَ، وَلَوْ شَاءَ أَنْ يُلْجِئَهُمْ إِلَى خِلَافِ ذَلِكَ إِلْجَاءً - إِذَنْ -
فَعَلُوهُ، وَلَكِنَّهُ فِيهِ زَوَالُ التَّكْلِيفِ، وَارْتِفَاعُ الْأَمْرِ، وَالنَّهْيِ / ٧٥ / وَغَيْرُ ذَلِكَ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْتَلَوْا﴾^(١).

قال الحسن^(٢): "هذا إخبارٌ عن قُدْرَتِهِ عَلَى إِلْجَائِهِمْ عَلَى الْامْتِنَاعِ مِنَ
الْاِقْتِتَالِ. أَوْ: بَأَن يَمْنَعَهُمْ عَنْ ذَلِكَ.

وقيل: لَا يَدُلُّ قَوْلُهُ: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْتَلَوْا﴾ عَلَى أَنَّهُ قَدْ يَشَاءُ اقْتِتَالَهُمْ،
لأنَّهُ إِذَا اخْتَمَلَ الْكَلَامُ وَجْهَيْنِ: جَائِزٌ عَلَيْهِ، وَغَيْرُ جَائِزٍ، وَجَبَ تَحْمُلُهُ عَلَى مَا يَجُوزُ
عَلَيْهِ. وَهَذَا كَقَوْلِ الْقَائِلِ: لَوْ شَاءَ السُّلْطَانُ لَمْ يَشْرَبِ النَّصَارَى الْخَمْرَ، وَلَا
نَكَحَتْ الْمَجُوسُ الْمُحَرَّمَاتِ. وَلَيْسَ - فِي ذَلِكَ - دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ قَدْ شَاءَ [هُ]^(٣).

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾^(٤).

(١) البقرة: ٢٥٣.

(٢) مجمع البيان: ١: ٣٥٩.

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (ش) و(هـ) و(ح).

(٤) هود: ١١٨.

لم يُبَيِّنْ عَلَى أَيِّ وَجْهِ: جَبْرًا^(١)، أَوْ اخْتِيَارًا.

الوزيرُ الآبِي^(٢):

إِذَا فَعَلْتُ مَا أَرَادَ رَبِّي وَلَمْ أَحِذْ عَنْهُ، فَمَاذَا ذَنْبِي؟
يَخْلُقُ ذَنْبِي وَأَكُونُ أَثِمًا يَظْلِمُنِي ثُمَّ أَسْمَى ظَالِمًا!

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾^(٣).

قال الحسن^(٤)، والجَبَّائِي: إِنَّهُ إِخْبَارٌ عَنِ الْقُدْرَةِ، كَمَا قَالَ: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا﴾^(٥)، وَقَوْلِهِ: ﴿وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَا بَغْضَكم بَعْضٍ﴾^(٦).

قال الجَبَّائِي: معناه: لو شاءَ اللهُ، لَفَعَلَ بِهِمْ مَا يَخْتَارُونَ - عِنْدَهُ - الْكُفْرَ، لَكِنَّهُ لَا يَفْعَلُهُ، لِأَنَّهُ مُتَأَنٍّ لِلْحِكْمَةِ.

(١) في (ك): خبراً. بالخاء المعجمة من فوق.

(٢) لم نقف على مورد أخذه.

(٣) التحل: ٩٣.

(٤) مجمع البيان: ١: ٣٥٩.

(٥) السجدة: ١٣.

(٦) محمد: ٤.

وقال قوم: لو شاء الله، لَجَمَعَهُمْ عَلَى مِلَّةٍ وَاحِدَةٍ فِي دَعْوَةِ جَمِيعِ النَّاسِ [إلى] ^(١) شريعة واحدة مع اختلاف المصالح.

وقال الحسين ^(٢) المغربي: معناه: لو شاء الله ^(٣) يَنْعَثَ إِلَيْهِمْ أَنْبِيَاءُ، [فَيَكُونُوا مُتَعَبِّدِينَ بِهَا فِي الْعَقْلِ] ^(٤)، وَيَكُونُونَ ^(٥) أُمَّةً وَاحِدَةً.

قوله - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ عَن تَلْفِينٍ إِلَّا مَنْ رَجِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ ^(٦).

عَنَى بِالمُشِيئَةِ الْجَاءَ، لَا اخْتِيَارًا. وَإِنَّمَا أَرَادَ أَنْ يُخْبِرَنَا عَنْ قُدْرَتِهِ، وَإِنَّهُ مِمَّنْ لَا يُغَالِبُ، وَلَا يُغْصَى مَقْهُورًا.

ولفظَةُ «المُشِيئَةِ» فِي الآيَةِ، لَا يَجُوزُ حَمْلُهَا عَلَى الاختلافِ، وَالذَّهَابِ عَنْ الدِّينِ ^(٧)، لِأَنَّهُ هِيَ عَنْهُ، وَتَوَعَّدَ عَلَيْهِ، فَكَيْفَ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ شَائِيًا لَهُ، وَمُخْبِرًا

(١) ما بين المعقوفتين زيادة يقتضيها السياق.

(٢) فِي (ش) و(ك): الحسن.

(٣) فِي (ش): لَا. بِإِسْقَاطِ (أَنْ) الْمَصْدَرِيَّة.

(٤) ما بين المعقوفتين ساقط من (ش).

(٥) فِي (ش): فَيَكُونُونَ. مَعَ الْفَاءِ.

(٦) هود: ١١٨، ١١٩.

(٧) فِي (هـ): عَنْ أَنَّ الدِّينَ.

لِعِبَادِهِ^(١) عَلَيْهِ؟

ثُمَّ إِنَّ الرَّحْمَةَ، أَقْرَبُ إِلَى هَذِهِ الْكِتَابَةِ مِنَ الْاِخْتِلَافِ، وَتَحْمِلُ اللَّفْظَ عَلَى أَقْرَبِ الْمَذْكُورِينَ، أَوَّلَى.

وقوله: ﴿وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ كِتَابَةٌ عَنِ الْاجْتِمَاعِ عَلَى الْإِيمَانِ، كَمَا قَالَ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(٢).

وقال: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾، وَمَعْنَاهُ: إِنَّهُ لَوْ شَاءَ أَنْ يُدْخِلَهُمْ - أَجْمَعِينَ - الْجَنَّةَ، فَيَكُونُوا - فِي وُصُولِ جَمِيعِهِمْ إِلَى النَّعِيمِ - أُمَّةً وَاحِدَةً. ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ فِي الدِّينِ، وَالذَّهَابِ عَنِ الْحَقِّ فِيهِ.

وقال أبو مُسْلِمٍ^(٣): مَعْنَى «مُخْتَلِفِينَ»، أَي: أَنَّ^(٤) خَلَفَ هَؤُلَاءِ الْكَافِرِينَ يَخْلُفُ سَلَفَهُمْ فِي الْكُفْرِ، كَمَا قَالَ: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً﴾^(٥). وبهذا الاختلاف يُرِيدُهُ^(٦) اللَّهُ - تَعَالَى -.

(١) فِي (ك) وَ (هـ) وَ (أ): لِلْعِبَادِ.

(٢) الذَّارِيَات: ٥٦.

(٣) جَمْعُ الْبَيَانِ: ٣: ٢٠٣.

(٤) فِي (هـ): أَيْ.

(٥) الْفِرْقَان: ٦٢.

(٦) فِي (أ): يُرِيدُ. مِنْ دُونَ الضَّمِيرِ (الهاء).

قوله - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَنْ فِي الْأَرْضِ﴾^(١).

إنما يقتضي إثبات قدرته على تكوين ذلك الشيء، وأنه لو شاء أن يؤمن الكل على سبيل الجزر، لأمّنوا، كما قال: ﴿إِنْ نَشَأْ نُنزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾^(٢).

وقد دلّ - على أن المراد به الإكراه - قوله: ﴿أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾^(٣). معناه: إنه لا ينبغي أن يريد إكراههم، لأن الله - تعالى - يقدر عليه، ولا يريدُهُ، لأنه يُنافي التكليف.

ابن عَبَّاد^(٤):

وَلَوْ أَرَادَ رَبُّنَا أَنْ يُنْفِثَنَا
وَفَعَلَ الشَّيْءَ مَا قَدْ حَتَمًا
لَكُنَّا فِيهِ طَائِعًا قَدْ عَلِمَا
وَكُنَّا مِنْ عَذْبِهِ قَدْ ظَلَمَا

قوله - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا﴾^(٥).

(١) يونس: ٩٩.

(٢) الشعراء: ٤.

(٣) يونس: ٩٩.

(٤) أخل بها ديوان صاحب بن عبّاد، بتحقيق الشيخ آل ياسين.

(٥) السجدة: ١٣.

لا خلاف أنه قادرٌ على هداية الجميع، وأنه لو شاء أن يفعلَهُ، لفَعَلَهُ. والتَّزاعُ في كَيْفِيَّةِ ما به يَهْدِيهِمْ مِنْ جَبَرٍ، أو اخْتِيَارٍ.

والهَدَايَةُ - في الآية -: الثَّرَابُ. يَذُلُّ عَلَيْهِ ^(١) عَقِيْبُهُ: ﴿وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ ^(٢)، فَبَيَّنَ أَنَّهُ قَادِرٌ عَلَى ذَلِكَ، وَلَوْ شَاءَ، لَنَجَّى الْجَمِيعَ، وَلَكِنْ وَجَبَ فِيهِ أَنْ يَمْلَأَ جَهَنَّمَ مِنْهُمْ، لِاسْتِحْقَاقِهِمْ.

وَيَحْتَمِلُ أَنْ يُرِيدَ النِّجَاةَ، لِقَوْلِهِ - فِيما قَبْلَ ذَلِكَ -: ﴿رَبَّنَا أَبْصَرْنَا﴾ ^(٣) فَبَيَّنَ أَنَّهُمْ سَأَلُوا رَدَّهُمْ بَعْدَ مَا عَانَوْا مَا كَانُوا يُوعَدُونَ، فَقَالَ: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا﴾، يَعْنِي: طَلَبْتَهَا، وَمَا يُتَوَصَّلُ بِهِ إِلَى نَجَاتِهَا.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿لَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ﴾ ^(٤).

قال الحسن ^(٥)، وقتادة ^(٦): لَتَرَكْنَاهُمْ [عُمِيًّا يَتَرَدَّدُونَ] ^(٧).

(١) في (أ): على.

(٢) السُّجْدَةُ: ١٣.

(٣) السُّجْدَةُ: ١٢.

(٤) يس: ٦٦.

(٥) جامع البيان: ٢٣: ٢٥. أيضاً: مجمع البيان: ٤: ٤٣١. الدر المنثور: ٧: ٧٠. الجامع لأحكام

القرآن: ١٥: ٤٩.

(٦) جامع البيان: ٢٣: ٢٥. أيضاً: مجمع البيان: ٤: ٤٣١.

(٧) ما بين المقوفتين ساقط من (ش).

وَالطَّمَسُ: مَحْوُ الشَّيْءِ حَتَّى يَذْهَبَ أَثَرُهُ. [وَالطَّمَسُ عَلَى الْعَيْنِ: إِذْهَابُ الشَّيْءِ الَّذِي بَيْنَ الْجَفَيْنِ. وَالطَّمَسُ عَلَى الْمَالِ: إِذْهَابُهُ] ^(١). وَالطَّمَسُ عَلَى الْكِتَابِ: إِحْمَاؤُهُ. وَطَمَسَ الرِّيحُ الْأَثَرَ.

وهذا بيان من الله - تعالى - أنهم في قبضته، وهو قادرٌ على ما يريدُ بهم، فليَحذَرُوا تَنكِيلَهُ بِهِمْ.

٧٦/ ثُمَّ قَالَ - زِيَادَةً فِي التَّحْذِيرِ -: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَى مَكَانَتِهِمْ﴾ ^(٢). الْمَسَخُ: قَلْبُ الصُّورَةِ إِلَى خِلْقَةٍ ^(٣) مَشْوَهَةٍ، كَمَا مُسَخَ قَوْمٌ ^(٤) قَرْدَةً، وَخَنَازِيرَ. وَالْمَسَخُ، نِهَايَةُ التَّنْكِيلِ.

وَقَالَ الْحَسَنُ ^(٥)، وَقَتَادَةُ ^(٦): لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَى مَقْعَدِهِمْ، أَوْ: عَلَى أَرْجُلِهِمْ. وَلَوْ فَعَلْنَا بِهِمْ ذَلِكَ، لَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا.

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (ش).

(٢) يس: ٦٧.

(٣) في (ك): خلفه. بالفاء الموحدة.

(٤) في (هـ): قومًا بالنصب.

(٥) جامع البيان: ٢٣: ٢٦. الدر المنثور: ٧: ٧٠. الجامع لأحكام القرآن: ١٥: ٥٠.

(٦) جامع البيان: ٢٣: ٢٦.

قوله - سُبْحَانَهُ -: ﴿أَفَلَمْ يَنَاسِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهْدَى النَّاسَ

جَمِيعًا^(١).

ظاهرة يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ لَوْ شَاءَ، لَهْدَاهُمْ إِلَى الْإِيمَانِ الْإِخْتِيَارِيَّ، وَمَا أَثْبَتَهُ، فَهُوَ

الضَّرُورِيُّ.

ومعنى ﴿أَفَلَمْ يَنَاسِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾، أَي: لَمْ يُبَيِّنْ.

قال سَحِيم^(٢):

أَقُولُ لِأَهْلِ الشَّعْبِ إِذْ يَنْشُرُونِي أَلَمْ يَأْسُوا أَتَى إِنْ فَارِسٍ زَهْدٍ

قوله - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ^(٣)﴾. أَي: بَيَانُ الْهُدَى مِنْ

الضَّلَالِ.

﴿وَمِنْهَا جَائِزٌ^(٤)﴾. أَي: طَرِيقٌ عَادِلٌ عَنِ الْحَقِّ. ﴿وَلَوْ شَاءَ لَهْدَاكُمْ

(١) الرعد: ٣١.

(٢) مجاز القرآن: ١: ٣٣٢. تفسير غريب القرآن: ٢٢٨. تأويل مشكل القرآن: ١٩٢. وفيهما

بلاعزو. شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات: ٥٦٧. التبيان في تفسير القرآن: ٦: ٢٤٥.

لسان العرب - ياس. وفيه: وذكر بعض العلماء إنه لولده جابر بن سحيم بدليل قوله فيه: «إني

ابن فارس زهدم ٩. وزهدم فارس سحيم.

(٣) النحل: ٩.

(٤) النحل: ٩.

أَجْمَعِينَ^(١).

قال الحسن^(٢)، والبلخي^(٣): لو شاء بالألجاء. وقال الجبائي^(٤): لو شاء،
هَذَاكُمْ إِلَى الْجَنَّةِ.

قوله - سُبْحَانَهُ -: ﴿ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ﴾^(٥).
إنما علقه^(٦) بالمشيئة، لأنَّ قَبُولَ التَّوْبَةِ، وإسقاطَ الْعِقَابِ - عندنا -
تَفَضُّلٌ^(٧). ولو كان ذلك واجباً، لما جازَ تعليقُ ذلك بالمشيئة، كما لم يُعْلَقِ الثَّوَابُ
عَلَى الطَّاعَةِ، وَالْعَوَاضُ عَلَى الْإِلْمِ فِي مَوْضِعِ بِالْمَشِيَّةِ.

قوله - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ
شَاءَ﴾^(٨).

(١) النحل: ٩.

(٢) قول الحسن هذا منسوب في التفسير الكبير: ١٩: ٢٣٢ إلى الأصم.

(٣) قول البلخي هذا منسوب في التفسير الكبير: ١٩: ٢٣٢ إلى الأصم أيضاً.

(٤) مجمع البيان: ٣: ٣٥٢. التفسير الكبير: ١٩: ٢٣٢.

(٥) التوبة: ٢٧.

(٦) في (أ): عقله. بالقاف ثم اللام.

(٧) في (أ): تفضيل.

(٨) التوبة: ٢٨.

عُلِّقَتْ بِالْمَشِيئَةِ، لِأَنَّ مِنْهُمْ مَنْ لَا يَبْلُغُ هَذَا الْمَعْنَى الْمَوْعُودَ بِهِ، لِأَنَّهُ يَجُوزُ أَنْ يَمُوتَ قَبْلَهُ.

وَيُقَالُ: لِيَنْتَقِطَعَ^(١) الْأَمَالُ إِلَى اللَّهِ - تعالى - كَمَا قَالَ: ﴿لَتَذْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِينَ﴾^(٢).

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَخَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ﴾^(٣).

لَا خِلَافَ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا بِمَشِيئَتِهِ، لِأَنَّهُ لَا يَصُحُّ مِنْ أَحَدٍ إِيمَانٌ، إِلَّا بَعْدَ أَنْ يَأْمُرَهُ بِذَلِكَ، وَيُرِيدُهُ مِنْهُ. وَمَتَى مَا لَمْ يَأْمُرَهُ بِذَلِكَ، وَلَمْ يُرِدْ مِنْهُ، فَلَيْسَ بِإِيمَانٍ.

وَفِي قَوْلِهِ: ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ وَجَهَانٌ:

أَنْ يُلْجِئَهُمْ إِلَى ذَلِكَ. وَهُوَ الصَّحِيحُ. وَلَا يَجُوزُ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ مَا لَمْ يَشَأْ اللَّهُ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْمِنُوا.

أَنَّهُ لَا يَجُوزُ أَنْ يُرِيدَ الْمَعَاصِي، فَإِنَّهُ قَدْ أَرَادَ مِنَ الْجَمِيعِ الْإِيمَانَ، وَلِأَنَّهُ ذَكَرَ

(١) فِي (ش) وَ(ك) وَ(ح): لِيَنْقَطِعَ. بَيَّاهُ الْمَضَارَعَةُ الْمُشَاءَةُ مِنْ تَحْتِ.

(٢) الْفَتْحُ: ٢٧.

(٣) الْأَنْعَامُ: ١١١.

ذَلِكَ تَقْرِيعاً لَهُمْ.

ولو أراد: أَتَيْتُمْ إِنَّمَا لَا يُؤْمِنُونَ، لِأَنِّي مَا شِئْتُ مِنْهُمْ الْإِيمَانَ، وَمَتَى شِئْتُ،
آمَنُوا، لَكَانَ مُبَيَّنًّا - بِذَلِكَ - عُذْرُهُمْ، وَلَصَحَّ احْتِجَاجُهُمْ بِأَنَّهُ: ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا
عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ﴾^(١). وَلَا ذَى إِلَى تَنَاقُضِ الْقُرْآنِ، نَحْوُ: ﴿فَمَنْ شَاءَ
فَلْيُؤْمِنْ﴾^(٢)، ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ﴾^(٣).



(١) النحل: ٣٥.

(٢) الكهف: ٢٩.

(٣) الإنسان: ٣.

فصل [- ١٣ -]

[في المشيئة]

قَوْلُهُ - تعالى - : ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾^(١).

لَيْسَ فِيهِ أَنَّ أَفْعَالَنَا، مُتَعَلِّقَةٌ بِمَشِيئَتِهِ، لِأَنَّهُ لَمْ يَقُلْ: حَتَّى تَقُولَ^(٢): إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

أَوْ لَمْ يَقُلْ^(٣): إِلَّا أَنْ تَقُولَ^(٤)، وَادِّعَاءُ الْحَذَفِ، عُذُولٌ عَنِ الظَّاهِرِ.
قَالَ الْفَرَّاءُ^(٥): تَجْعَلُ حَرْفَ الشَّرْطِ الَّذِي هُوَ «إِنْ»، مُتَعَلِّقًا بِمَا قَبْلَهُ، وَبِمَا هُوَ مُتَعَلِّقٌ بِهِ فِي الظَّاهِرِ مِنْ تَقْدِيرٍ مُحْذُوفٍ، وَيَكُونُ التَّقْدِيرُ: وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا إِلَّا أَنْ تَقُولَ: إِنْ شَاءَ اللَّهُ. لِأَنَّ مِنْ عَادَاتِهِمْ، إِضْمَارَ الْقَوْلِ فِي

(١) الكهف: ٢٣، ٢٤.

(٢) في (ش): نقول. بنون المضارعة الموحدة من فوق.

(٣) في (أ): أو ما لم.

(٤) في (هـ) و(ج): نقل. بناء المضارعة المثناة من فوق.

(٥) في (ش) و(ك) و(أ) و(ج): يقول: بياء المضارعة المثناة من تحت.

(٦) معاني القرآن: ٢: ١٣٨.

مثل هذا الموضع^(١)، والموجود منه دلالة على المفقود. وهذا تأديب من الله لعباده، حتى يخرجوا من حد^(٢) القطع.

ولا شبهة أن [ذلك]^(٣)، مختص بالطاعات، دون المقبحات، ولا يستعجز^(٤) مسلم أن يقول: إنني أزي غداً، إن شاء الله.

وقال أبو علي^(٥): عني^(٦) - بذلك - أن من لا يأم^(٧) أن يبقى إلى غد^(٨)، فلا يقول: إنني سأفعل غداً كذا، وكذا.

فإنه ربما مات، أو عجز، أو مئع، فلا يأم أن يكون خبره كذباً في معلوم الله، فلا يسلم خبره هذا من الكذب، إلا بالاستثناء.

الناسي^(٩):

(١) في (هـ): الموضوع.

(٢) في (أ): أحد.

(٣) ما بين المعقوفين مطبوعة في (ش).

(٤) في (ش): يستعجز. بالراء المهملة.

(٥) هو أبو علي الطبرسي: مجمع البيان: ٣: ٤٦١.

(٦) في (ك): عني. بالبناء للمجهول.

(٧) في (أ): يأمر.

(٨) في (هـ): غداً. بالذال المعجمة. وفي (أ): عدو.

(٩) هو الناسي الأصغر المتوفى سنة ٣٣٦ هـ. والأبيات في ديوانه المخطوط بخط الشيخ محمد السباوي: ١٥ المودع في مكتبة آية الله الحكيم العامة في النجف الأشرف.

قَدْ قُلْتُ: رَبِّي يَشَاءُ شَيْئًا وَيُسَخِّطُهُ
وَأَنَّهُ قَدْ يَكُونُ الْعَبْدُ مُتَّبِعًا
وَأَنَّهُ جَائِزٌ فِي عَدْلِ خَالِقِنَا
وَأَنَّهُ^(١) أَرْسَلَ الدَّاعِيَ لِيَدْعُوَنَا
وَقَالَ: مَنْ لَمْ يُجِبْ دَاعِيَی مُسْتَقْبًا^(٢)
كَفَعَلِ ذِي حَنْقٍ قَاسٍ وَذِي عَنَقٍ
يُقَدِّرُ الْكُفْرَ فِينَا ثُمَّ يُسَخِّطُهُ
وَأَنَّهُ قَدْ قَضَى مَا لَيْسَ رَاضِيهِ
لِمَا بِإِشَاءٍ وَيَقْضِي^(٣) وَهُوَ عَاصِيهِ
تَكْلِيفَ عَبْدٍ ضَعِيفٍ لَا قُوَى فِيهِ
وَصَدَّ أَكْثَرَنَا عَنْ أَنْ نَرِ دَاعِيَهُ
فَسَوْفَ أَدْخِلُهُ نَارًا وَأُضْلِيهِ
بِعَيْبِ جَوْرِ الْقَضَاءِ مِنَّا^(٤) وَيَأْتِيهِ
بِقَوْلٍ: لِمَ^(٥) كَانَ مَا أَقْضِي وَأَنْشِيبُهُ؟

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ - ﴿لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ﴾^(٦)، ﴿إِذْ
أَقْسَمُوا لَیْبَصُرْنَهَا مُمْصِحِينَ وَلَا یَسْتَنْوُونَ﴾^(٧).

إِنَّمَا أَمَرَ بِالْإِسْتِثْنَاءِ، لِيَكُونَ فَرْقًا بَيْنَ كَلَامِ الْخَالِقِ، وَكَلَامِ الْمَخْلُوقِ.

(١) (إِنَّهُ) ساقطة من (أ).

(٢) في (هـ): مستبغاً. بالعین المهملة.

(٣) في (أ): يقتضي.

(٤) في (هـ): منأً. بنون مشددة بعدها تنوين النصب.

(٥) في (ك) و(هـ) و(أ): ألم. مع همزة الاستفهام.

(٦) الفتح: ٢٧.

(٧) القلم: الآيتان ١٧ - ١٨.

يُؤَيِّدُ ذَلِكَ / ٧٧ / مَا قُلْنَا^(١): إِنَّهُ لَا يَجُوزُ أَنْ يَقُولَ: إِنِّي أَزْنِي غَدًا، إِنْ شَاءَ اللَّهُ. وَإِنَّمَا جَازَ فِي الطَّاعَاتِ، وَالْمُبَاحَاتِ^(٢). وَقَالَ الْبَلْخِيُّ: مَعْنَى «إِنْ شَاءَ اللَّهُ»، أَي: أَمَرَكُمُ اللَّهُ بِهِ، لِأَنَّ مَشِيئَةَ اللَّهِ - تَعَالَى - لِفِعْلِ عِبَادِهِ، هُوَ أَمْرُهُ بِهِ. وَقَالَ قَوْمٌ^(٣): هُوَ تَأْدِيبٌ لَنَا^(٤)، كَمَا قَالَ: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾^(٥).

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ - حِكَايَةً عَنْ شُعَيْبٍ -: ﴿قَدْ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾^(٦). ذَكَرَ: أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ أَنْ يَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ، وَمَتَى شَاءَ ذَلِكَ، كَانَ لَهُ أَنْ يَعُودَ فِيهَا. وَالْحَقُّصُّ لَا يُجِيزُ^(٧) - لِلْمُكَلَّفِ - أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ ذَلِكَ. وَقَوْلُهُ: «فِيهَا»، كَنَايَةٌ عَنِ الْمِلَّةِ.

(١) فِي (ك) وَ(أ): قُلْنَا. مِنْ دُونَ الضَّمِيرِ (الْهَاء).

(٢) فِي (أ): الْمُنَاجَاتِ. بَنُونَ مَوْحِدَةٍ مِنْ فَوْقٍ وَجِيمٍ مَعْجَمَةٍ مِنْ تَحْتٍ. وَمَعَ (فِي).

(٣) (قَوْم) سَاقِطَةٌ مِنْ (هـ).

(٤) التفسير الكبير: ٢٨: ١٠٥. الجامع لأحكام القرآن: ١٦: ٢٩٠.

(٥) الكهف: الآيتان ٢٣ - ٢٤.

(٦) الأعراف: ٨٩.

(٧) فِي (هـ): يُجْزِرُ. بِالْحَاءِ الْمَعْجَمَةِ مِنْ فَوْقٍ بَعْدَهَا بَاءٌ مَوْحِدَةٌ مِنْ تَحْتٍ.

قوله - سُبْحَانَهُ -: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾^(١).
 لم يَقُلْ: لا أَضُرُّ نَفْسِي، ولا أَنْفَعُهَا، ولا يَلْحَقُهَا نَفْعٌ، ولا ضَرٌّ إِلَّا بِمَشِيئَتِهِ.
 بل نَفَى الْمَلِكُ لِلضَّرِّ وَالنَّفْعَةِ، فَوَقَعَ الْإِسْتِثْنَاءُ بِالْمَلِكِ، فَوَجَبَ أَنْ تَكُونَ الْمَشِيئَةُ،
 مَشِيئَةُ الْمَلِكِ، لا لِلضَّرِّ الَّذِي يَمْلِكُونَهُ، وَقَدْ جَعَلَ لَهُ مَلَكًا^(٢) بِقَوْلِهِ: ﴿وَمَا مَلَكَتْ
 يَمِينُكَ﴾^(٣).

قوله - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾^(٤).
 الْأَفْعَالُ الْمُسْتَقْبَلَةُ، لَا يَصُحُّ إِطْلَاقُهَا، دُونَ تَعْلِيلِهَا بِمَشِيئَتِهِ، لِيَخْرُجَ الْحَبْرُ
 مِنْ أَنْ يَكُونَ قَطْعًا، وَحُكْمًا بَيِّنًا - كَمَا ذَكَرْنَاهُ -.
 وَبَعْدُ: فَإِنَّهُ إِنَّمَا يَصُحُّ ذَلِكَ فِي الطَّاعَاتِ، دُونَ الْمَعَاصِي.

قوله - سُبْحَانَهُ -: ﴿فَإِنْ قَوْلُوا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾^(٥).
 يَعْنِي: لَا يُرِيدُ ثَوَابَهُمْ مِنْ أَجْلِ كُفْرِهِمْ^(٦).

(١) الأعراف: ١٨٨. يونس: ٤٩.

(٢) في النسخ جميعها: مَالِكًا. وما أثبتناه من (ط). ولعلَّهُ: جَعَلَهُ مَالِكًا.

(٣) الأحزاب: ٥٠.

(٤) البقرة: ٧٠.

(٥) آل عمران: ٣٢.

(٦) في (هـ): كَفَر. من دون الضمير (هم).

فَإِذَنْ لَا يُرِيدُ كُفْرَهُمْ^(١)، لَأَنَّهُ لَوْ أَرَادَهُ^(٢)، لَمْ يَكُنْ نَفْيَ عَجَبِهِ هُمْ، لِكُفْرِهِمْ.



قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾^(٣).

ليس فيها، من قِصَّةِ بَرِّصِيصَا، شَيْءٌ يَمَّا يَقُولُونَ فِيهِ.

الْعَبْدِيُّ^(٤):

وَهُمْ سَبَّهُوا اللَّهَ الْعَلِيِّ بِخَلْقِهِ وَقَالُوا: خُلِقْنَا لِلْمَعَاصِي وَأُجِرْنَا^(٥)
ولو شاء لم نكفر، وقد شاء كُفْرُنَا^(٦) وإن شاء لم نُؤْمِنْ، وإن شاء آمَنَّا



(١) العبارة: «فَإِذَنْ لَا يُرِيدُ كُفْرَهُمْ» ساقطة من (أ).

(٢) في (هـ): أَرَادَهُمْ.

(٣) الحشر: ١٦.

(٤) لم أقف على مظنة وروده.

(٥) في (هـ): كفرت.

(٦) في (أ): وأخبرنا. بالخاء المعجمة من فوق.

فصل [- ١٤ -]

[في التكليف والاستطاعة]

قوله - تعالى -: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾^(١)، ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا﴾^(٢)، ﴿لَا تُكَلِّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا﴾^(٣).
والوُسْعُ، دُونَ الطَّاقَةِ. قَالَ الشَّاعِرُ^(٤):

كَلَّفْتُهَا الْوُسْعَ فِي سَبْرِي لَهَا أَصْلًا وَالْوُسْعُ مِنْهَا دُوَيْنُ^(٥) الْجُهْدِ وَالْوَحْدِ^(٦)
وفي ذلك، دَلَالَةٌ عَلَى بَطْلَانِ قَوْلِ الْمُجْبِرَةِ^(٧) مِنْ أَنَّ اللَّهَ - تَعَالَى - يُكَلِّفُ الْعَبْدَ مَا لَا قُدْرَةَ لَهُ^(٨) عَلَيْهِ.

(١) البقرة: ٢٨٦.

(٢) الطلاق: ٧.

(٣) البقرة: ٢٣٣.

(٤) لم نقف على اسم قائله، ولا مورد أخذه.

(٥) في (ك): دون.

(٦) في (أ): الوجد. بالجيم المعجمة من تحت.

(٧) الملل والنحل: ١: ١٣٣، ١٣٦، ١٣٩، ١٤٣. شرح الأصول الخمسة: ٤٠٠.

(٨) (له) سقطت من (ح).

وقوله: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾^(١)، ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾^(٢)، ﴿مَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾^(٣)، ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ﴾^(٤)، ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ﴾^(٥).

ولو جازَ تكليفُ ما لا يُطاقُ، لجازَ أنْ يُكَلِّفَ الأعمى النظرَ، والمقعَّد المَشْيَ، وجرَّازَ أنْ يُكَلِّفَنَا الطَّيْرَ أنْ.

ولو جازَ ذلك، لجازَ أنْ يُكَلِّفَ الأشجارَ، والأحجارَ، والنَّباتَ، والجمادَ.

وسُئِلَ الرُّضَا^(٦) - عليه السلام - فُيَقِيلَ لَهُ: هلْ يُكَلِّفُ اللهُ العبادَ ما لا يُطِيقُونَ؟ فقال: اللهُ أَعَدَلَ مِنْ ذَلِكَ.

فُيَقِيلَ [لَهُ]^(٧): هلْ يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَفْعَلُوا ما لمْ يَقْدِرْ هُمْ؟

فقال: هُمْ أَعْجَزُ عَنْ ذَلِكَ.

(١) التغابن: ١٦.

(٢) آل عمران: ٩٧.

(٣) الحج: ٧٨.

(٤) البقرة: ١٨٥.

(٥) النساء: ٢٨.

(٦) عيون أخبار الرضا: ١: ١٤٢. التوحيد: ٣٦١ بلفظٍ مختلفٍ عن الصادق (عليه السلام) ٣٦٢.

عن الرضا (عليه السلام).

(٧) ما بين المعقوفتين زيادة من (ك) و(ه).

الصَّاحِبُ^(١):

لَوْ كَلَّفَ الْعَبْدَ بِلَا اسْتَطَاعَةٍ مَا دُمَّ مِنْ أَبَدَى لَهُ افْتِنَاعَةٌ
وَلَا أَقَامَ لِلْعِبَادِ السَّاعَةَ أَفْ هَذَا الْقَوْلِ مِنْ شَتَاعَةٍ

قوله - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَلَا تُحْمَلُنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾^(٢).

أي: ما يَشْتَدُّ كُفْفَتُهُ مِنَ الْعِبَادَاتِ، الْمُتَعَبَةِ. يقال: والله ما أَسْتَطِيعُ النَّظَرَ
إِلَيْكَ، وَلَا أُطِيقُ الْاِكْتِحَالَ بِرُؤْيَيْكَ. مع أَنَّهُ يَرَاهُ. يَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ: ﴿وَلَا تُحْمَلُ
عَلَيْنَا إِصْرُكُمْ﴾^(٣): وَلَا تُحْمَلُنَا مِنَ الْعَذَابِ مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ فِي الدَّارِ^(٤) الدُّنْيَا. وَإِنَّهُ
كَلَامٌ مِنْهُمْ، لَيْسَ فِيهِ دَلَالَةٌ عَلَى شَيْءٍ.

الصَّاحِبُ^(٥):

قَالَتْ: أَيْلِزِمُ نَفْسًا فَوْقَ طَاقَتِهَا فَقُلْتُ: حَاشَاهُ، هَذَا فَعْلٌ ذِي حَجَلٍ^(٦)
قَالَتْ: يَشَاءُ مَعَاصِينَا وَيُؤْثِرُهَا فَقُلْتُ: لَوْ شَاءَ هَا، لَمْ تَخْشَ^(٧) مِنْ زَلَلٍ

(١) أَخْلَجَ بَيْنَهُمَا دِيَوَانَهُ الْمَطْبُوعَ بِتَحْقِيقِ آلِ يَاسِينَ.

(٢) وَ(٣) الْبَقَرَةُ: ٢٨٦.

(٤) فِي (ش) وَ(ك) وَ(ح): دَار. مِنْ دُونَ (أَل).

(٥) دِيَوَانَ الصَّاحِبِ بْنِ عَبَّادٍ: ٤١ - ٤٢.

(٦) فِي (ك): حِيل. بِالْحَاءِ الْمَهْمَلَةِ. بَعْدَهَا يَاءُ مَثْنَاءٍ مِنْ تَحْتِ.

(٧) فِي (هـ): يَخْشَى. بِيَاءِ الْمُضَارَعَةِ الْمَثْنَاءِ مِنْ تَحْتِ.

قوله - سُبْحَانَهُ -: ﴿إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾^(١).

لم يَرُدْ نَفْيَ الْقُدْرَةِ، وَإِنَّمَا أَرَادَ ثِقَلَهُ عَلَيْهِ، لِقَوْلِهِ: ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا﴾^(٢).

ويقضي أَنَّهُ لَا يَسْتَطِيعُ الصَّبْرَ فِي الْمُسْتَقْبَلِ، لِأَنَّ «لَنْ» إِذَا دَخَلَتْ، أَفَادَتْ
الاستقبالَ، وَلَمْ يَرُدْ بِهِ نَفْيَ قُدْرَتِهِ عَنِ الصَّبْرِ، لِقَوْلِهِ: ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ﴾.

وَلَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ غَيْرُ مُسْتَطِيعٍ الصَّبْرَ فِي الْحَالِ. وَقَدْ يَجُوزُ أَنْ يُخْرَجَ فِي
الْمُسْتَقْبَلِ مِنْ أَنْ يَسْتَطِيعَ مَا هُوَ - فِي الْحَالِ - مُسْتَطِيعٌ لَهُ.

غَيْرَ أَنَّ الْآيَةَ تَقْتَضِي^(٣) خِلَافَ ذَلِكَ، لِأَنَّهُ قَدْ صَبَرَ عَنِ الْمَسْأَلَةِ، عَمَّا
لَا يَعْرِفُ. وَمِثْلُ ذَلِكَ يَضَعُ عَلَى النَّفْسِ. وَقَدْ اسْتَنْقَلَ مُوسَى الصَّبْرَ عَنِ / ٧٨ /
الْمَسْأَلَةِ، قَوْلُهُ: ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا﴾.

وَلَوْ لَمْ يَكُنْ كَمَا قُلْنَا، لَقَالَ: وَكَيْفَ تَصْبِرُ، وَأَنْتَ مُطِيقُ الصَّبْرِ؟

وقوله: ﴿لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾. أَي: إِنَّ الصَّبْرَ، ثَقُلَ عَلَى طَبْعِكَ. كَمَا
يُقَالُ - لِلْمَرِيضِ -:

إِنَّكَ لَا تَسْتَطِيعُ الصَّبَامَ.

(١) الكهف: ٦٧.

(٢) الكهف: ٦٨.

(٣) في (ك) و(أ): يقتضي. بياء المضارعة المثناة من تحت.

وَيُعَبَّرُ بِالْإِسْطَاعَةِ عَنِ الْفَعْلِ: ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا﴾^(١).

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ﴾^(٢).

لَيْسَ فِيهَا أَنْتَهُمْ صُمٌّ، وَأَنْتُمْ لَا يَغْفُلُونَ. وَإِنَّمَا فِيهِ أَنَّ النَّبِيَّ - عَلَيْهِ السَّلَامُ^(٣) - لَا يُسْمِعُ، وَإِنْ كَانُوا يَغْفُلُونَ أَوْ قَاتَا.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ﴾^(٤).

الظَّاهِرُ يَقْتَضِي نَفْيَ^(٥) اسْتَطَاعَتِهِمُ السَّمْعَ، وَالْبَصَرَ، وَلَيْسَ يَفْعَلُ لِلْعَبْدِ، وَلَا يَصُحُّ أَنْ يَكُونَ لَهُ قُدْرَةٌ عَلَيْهِ.

وَقَدْ دَمَّهْمُ بِأَنْتَهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ، كَالْأَعْمَى^(٦)، وَالْأَصَمُّ^(٧). وَالْأَعْمَى،

(١) المائدة: ١١٢.

(٢) يونس: ٤٢.

(٣) في (أ): صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ.

(٤) هود: ٢٠.

(٥) في (ك) و(أ): هِي.

(٦) في (هـ): كَالْأَعْمَى.

(٧) في (أ): الصَّمَّ.

والأَصَمُّ^(١)، لَا يَسْتَحِقُّانِ الذَّمَّ عَلَى كَوْنِهَا أَعْمَى، وَأَصَمٌ.

وَالسَّمْعُ، وَالْبَصَرُ، لَيْسَ بِمَعْنِيٍّ، فَيَكُونُ مَقْدُورًا، لِأَنَّ الْإِذْرَاكَ، لَيْسَ بِمَعْنِيٍّ. وَلَوْ ثَبَتَ أَنَّهُ مَعْنِيٌّ، لَكَانَ غَيْرَ مَقْدُورٍ لِلْعَبْدِ مِنْ حَيْثُ يَخْتَصُّ الْقَدِيمُ - تَعَالَى - بِالْقُدْرَةِ عَلَيْهِ.

هَذَا إِذَا أُريدَ بِهِ نَفْسُ الْحَاسَةِ، وَهِيَ غَيْرُ مَقْدُورَةٍ لِلْعَبَادِ، لِأَنَّ الْجَوَاهِرَ - وَمَا تَخْتَصُّ^(٢) بِهِ الْخَوَاسُّ مِنَ الْبَنِيَّةِ، مِمَّا يَصُحُّ بِهِ الْإِذْرَاكَ - مَا يَتَقَرَّدُ الْقَدِيمُ - تَعَالَى - بِالْقُدْرَةِ عَلَيْهِ.

وَلَمْ يُرِدِ اللَّهُ - تَعَالَى - نَفْيَ الْإِسْطَاعَةِ، وَإِنَّمَا أَرَادَ بِهَا نَفْيَ الْقَبُولِ عَنْهُمْ، وَاسْتِثْقَاهُمْ لَهُ، كَقَوْلِ الْقَائِلِ: مَا اسْتَطِيعُ أَنْ أَسْمَعَ كَلَامَ فُلَانٍ. وَلَا يَسْتَطِيعُ فُلَانٌ أَنْ يَرَانِي، وَلَا أَنْ يَسْمَعَ بِذِكْرِي.

وَقَوْلُهُ: ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾^(٣). أَي: يَسْتَقْبِلُونَ. وَيَقُولُ مَنْ يُكَلِّفُ غَيْرَهُ أَمْرًا: تَسْتَطِيعُ^(٤) أَنْ تَذْهَبَ^(٥) بِي^(٦) إِلَى مَوْضِعٍ كَذَلِكَ.

(١) فِي (أ): الصَّم.

(٢) فِي (ش) وَ(ك) وَ(أ) وَ(ح): يَخْتَصُّ بِيَاءِ الْمُضَارَعَةِ الْمُتَنَاءِ مِنْ تَحْتِ.

(٣) الْكَهْفُ: ١٠١.

(٤) فِي (هـ): يَسْتَطِيعُ. بِيَاءِ الْمُضَارَعَةِ الْمُتَنَاءِ مِنْ تَحْتِ.

(٥) فِي (هـ): يَذْهَبُ.

(٦) فِي (ك) وَ(هـ) وَ(أ): لِي. مَعَ حَرْفِ الْجَرِّ (اللام).

كما حكى الله - تعالى - عن الحواريين: ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ﴾^(١). فَهُمْ لَمْ يَشْكُوا فِي أَنَّ اللَّهَ - تعالى - قَادِرٌ. فَلَوْ شَكُّوا، لَكَانُوا كُفَّارًا، وَلَكِنْ أَرَادُوا: هَلْ يُنْزِلُ عَلَيْنَا مَائِدَةً؟

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُخْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ﴾^(٢).

يَدُلُّ عَلَى فَسَادِ قَوْلِ الْمُجْبِرَةِ^(٣) فِي الْإِسْطَاعَةِ، لِأَنَّ اللَّهَ - تعالى - إِذَا عَذَرَ^(٤) مَنْ لَا يَسْتَطِيعُ، لِلْمَخَافَةِ، كَانَ مَنْ لَا يَسْتَطِيعُ - لِعَدَمِ الْقُدْرَةِ - أَعَذَرَ^(٥).

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ﴾^(٦). فَإِنَّهُ جَعَلَ ذَلِكَ مَثَلًا؛ وَلَمْ يُجِبْ: أَنَّ جَمِيعَ النَّاسِ كَذَلِكَ، فَقَالَ: إِذَا كَانَ عَبْدًا، لَا يَقْدِرُ عَلَى الْإِنْفَاقِ، هَلْ يَسْتَوِي هُوَ، وَمَنْ يَقْدِرُ عَلَى الْإِنْفَاقِ، وَأَنْفَقَ؟

(١) المائدة: ١١٢.

(٢) البقرة: ٢٧٣.

(٣) كنز الفوائد: ٤٠.

(٤) في (أ): عذبت.

(٥) (أعذر) ساقطة من (أ).

(٦) النحل: ٧٥.

وفي الظَّاهِرِ، نَفْيُ الْقُدْرَةِ عَنْهُ أَضْلًا. وَلَا تَقُولُ الْقَوْمُ بِذَلِكَ. وَأَخْبَرَ أَنَّ
الْآخَرَ، يَقْدِرُ عَلَى الْإِنْفَاقِ، فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا^(١)، وَجَهْرًا. وَذَلِكَ خِلَافُ قَوْلِهِمْ.

قوله - سُبْحَانَهُ -: ﴿أَنْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ
سَبِيلًا^(٢)﴾.

ليس فيه ذِكْرُ الشَّيْءِ، الَّذِي لَا يَقْدِرُونَ عَلَيْهِ، وَلَا بَيَانٌ لَهُ. وَإِنَّمَا يَصُحُّ مَا
قَالُوهُ. لَوْ بَيَّنَّ أَنَّهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا، لِأَمْرِ مُعَيَّنٍ. فَأَمَّا مَا لَمْ يَذْكُرْ ذَلِكَ، فَلَا
مُتَعَلِّقٌ لَهُمْ، عَلَى أَنَّ السَّبِيلَ عَمَّا لَا يُسْتَطَاعُ، فَلَا بَدَلَ لَهُ مِنْ تَرْكِ الظَّاهِرِ، فَسَقَطَ
التَّعَلُّقُ.

والمَرَادُ بِالآيَةِ: أَنَّهُمْ - لِأَجْلِ ضَلَالِهِمْ بِضَرْبِ^(٣) الْمَثَلِ، وَكُفْرِهِمْ - لَا
يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا إِلَى الْخَيْرِ، الَّذِي هُوَ النَّجَاةُ مِنَ الْعِقَابِ، وَالْوُصُولُ إِلَى الثَّوَابِ.
والمَرَادُ بِنَفْيِ الْإِسْطَاعَةِ، أَنَّهُمْ سُنْتُقِلُونَ الْإِيمَانَ. وَقَدْ يُجْبَرُ - عَمَّنْ اسْتَقْلَلَ
سَبِيلًا - بِأَنَّهُ لَا يَسْتَطِيعُهُ.

(١) في (أ) شرًّا. بالشين المعجمة.

(٢) الإسراء: ٤٨.

(٣) في (ش): يضرب. بياء المضارعة المثناة من تحت.

قوله - سُبْحَانَهُ -: ﴿الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾^(١).

الظاهر: أَنَّ أولئك لَمْ يَسْتَطِيعُوا السَّمْعَ، الَّذِي هُوَ إِذْرَاكَ الصَّوْتِ.

قوله - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَسَيُخْلِفُونَ بِاللهِ لَوْ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُنَلِّكُونَ أَنْفُسَهُمْ﴾^(٢).

يعني: بالإيمان الكاذبة.

﴿وَاللهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾^(٣). أي: يَسْتَطِيعُونَ، فلا يفعلُونَ، أو: لو اسْتَطَاعُوا، ما فعلُوا. فلو كانت الاستطاعة مع الفعل، لكانوا عَجَزَةً^(٤)، وكانوا صادقِينَ.

قوله - سُبْحَانَهُ -: ﴿مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾^(٥).

يَدُلُّ على أَنَّ الاستطاعة، قبل الفعل، لأنَّ الله - تعالى - أوجب الحجَّ على

(١) الكهف: ١٠١.

(٢) التوبة: ٤٢.

(٣) التوبة: ٤٢.

(٤) في (ك) و(هـ): لعجزة.

(٥) آل عمران: ٩٧.

المستطيع، ومن لا يَسْتَطِيع، لا يَجِبُ عَلَيْهِ، وذلك لا يَكُونُ إِلَّا قَبْلَ فِعْلِ الْحِجِّ.

وقيل: أي: مَنْ وَجَدَ الزَّادَ، وَالرَّاحِلَةَ، وَنَحَوَهُمَا.

والاستِطَاعَةُ بِالسَّمْعِ، لا يَصُحُّ لِلْخَصْمِ فِيهِ^(١)، التَّعَلُّقُ، لَأَنَّ مَنْ جَوَّزَ تَكْلِيفَ اللَّهِ - تعالى - الْكَافِرَ، الْإِيْمَانَ^(٢)، وَهُوَ لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ، لَا يُمَكِّنُهُ الْعِلْمُ بِنَفْسِي الْقَبَائِحِ / ٧٩ / عَنِ اللَّهِ - تعالى - وَإِذَا لَمْ يُمَكِّنْ ذَلِكَ، يُلْزِمُهُ^(٣) تَحْوِيزُ الْقَبَائِحِ فِي أَفْعَالِهِ، وَأَخْبَارِهِ، وَلَا نَأْمَنُ^(٤) أَنْ يُرْسِلَ كَذَّابًا، وَأَنْ يُحْيِرَ هُوَ بِالْكَذِبِ - تعالى - عَنْ ذَلِكَ.

قوله - سُبْحَانَهُ -: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ...﴾ إلى قوله ﴿...وَهُمْ سَالِمُونَ﴾^(٥).

وَالسَّلَامُ، غَيْرُ الْعَاجِزِ. فَلَوْ كَانَتْ الْإِسْطَاعَةُ مَعَ الْفِعْلِ، لَكَانُوا عَجِزَةً، إِذَا لَمْ يَفْعَلُوا، لِأَنَّ الْفِعْلَ، مَعْدُومٌ. وَإِذَا عُدِمَ الْفِعْلُ، عُدِمَتِ الْإِسْطَاعَةُ، لِأَنَّهَا مَعَهُ.

(١) (فيه) سقطت من (ح).

(٢) في (ح): بِالْإِيْمَانِ. مع حرف الجر (الباء).

(٣) في (ش) تلزمه. وفي (ك): تلزمه.

(٤) في (أ): لا من.

(٥) القلم: ٤٢، ٤٣.

قوله - سُبْحَانَهُ -: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾^(١).

الظاهر يقتضي التماس المعونة، من قبله^(٢). ولا يدلُّ على تحصيل المعونة بالأمور المعينة على الطاعة، نحو الصحة، والخواطر، والتنبية، والدواعي، وغير ذلك. فثبت أنَّ الاستطاعة، قبل القدرة. ولا يدلُّ على أنَّ القدرة مع الفعل، لأنَّ الرغبة - في ذلك - تحتلُّ^(٣) أن يسأل الله - تعالى - من أطفاه، وما يقوي من دواعيه، ويسهل الفعل عليه، ما ليس بحاصل. ومتى لطف له: بأن يعلمه أنَّ له - في عاقبته - الثواب العظيم، زاد ذلك في رغبته.

وأيضاً: فإنه يطلب بقاء كونه قادراً على طاعته^(٤)، المستقبلة، بأن يجدد له القدرة حالاً بعد حالٍ عند من لا يقول ببقائها، أو ألا يفعل ما يضادها، وينفيها، عند من قال ببقائها.

قوله - سُبْحَانَهُ -: ﴿فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾^(٥).

(١) الفاعلة: هـ.

(٢) في (هـ): من قبل.

(٣) في (هـ): يحتمل. بقاء المضارعة المثناة من تحت.

(٤) في (أ): طاعة.

(٥) الإنسان: ٢٩.

قوله - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ...﴾^(١) إلى قوله:
﴿...فَمَنْ لَّمْ يَسْتَطِعْ فَاِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا﴾^(٢).

[أمر]^(٣) الله - تعالى - أن يحكم على المستطيع، بصيام شهرين، متتابعين،
ولأنها يلزمه ذلك بعد العجز عن العتق، والصوم. فثبت أن الاستطاعة قبل
الفعل.

قوله - سُبْحَانَهُ -: ﴿سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا﴾^(٤).
لا يدل على أن القُدرة مع الفعل، لأنه أخبر أنه سيكون صابراً.

قوله - سُبْحَانَهُ -: ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ﴾^(٥).
قال أبو علي^(٦): أي: القُدرة التي خلقتها فيكم. وفي ذلك دلالة على أن

(١) المجادلة: ٣.

(٢) المجادلة: ٤.

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (ش).

(٤) الكهف: ٦٩.

(٥) البقرة: ٦٣.

(٦) هو الجبائي: مجمع البيان: ١: ١٢٨.

الْقُدْرَةَ^(١) قَبْلَ الْفِعْلِ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيَّ أَمِينٌ﴾^(٢).

يُذَلُّ عَلَى أَنَّ الْقُدْرَةَ، قَبْلَ الْفِعْلِ. أَلَا تَرَى أَنَّهُ أَخْبَرَ: بِأَنَّهُ^(٣) قَوِيٌّ عَلَيْهِ، وَلَمْ يَجِئْ - بَعْدُ - بِالْعَرْشِ.

وَقَالَ نَجَّارِي لِمَحْمَدٍ^(٤) بِنِ سُوَيْدٍ: أَتَقُولُ: إِنَّ الْإِسْطَاعَةَ، قَبْلَ الْفِعْلِ، وَمَا مِنْ عَامِي، إِلَّا وَيَعْلَمُ خِلَافَ قَوْلِكَ؟

فَقَالَ: بَلْ يَعْلَمُ خِلَافَ قَوْلِكَ، فَاَنْظُرْ.

فَدَعَا بِحِمَالٍ^(٥)، فَقَالَ: إِنَّ هَذَا يَزْعُمُ أَنَّكَ لَا تَسْتَطِيعُ حَمْلَ هَذَا الْكُورِ. فَسْتَمَ الْحِمَالُ^(٦) لِمَنْ يَقُولُ هَذَا.

الْوَزِيرُ الْأَبِي^(٧):

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (ش).

(٢) النمل: ٣٩.

(٣) في (ح): أنه. بإسقاط حرف الجر (الباء).

(٤) النجاري: نسبة إلى الحسين النجار رأس فرقة من المعتزلة تنسب إليه.

(٥) في (ش) و(ك) و(هـ): بجمال. بالجيم المعجمة من تحت.

(٦) في (ش) و(ك) و(هـ): الجمال. بالجيم المعجمة من تحت.

(٧) لم نقف على مورد أخذه.

مَا كَلَّفَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يُطِيقِ هَلْ كَلَّفَ الْآخِرَسَ [حُسْنَ] ^(١) الْمُنَاطِقِ
أَوْ كَلَّفَ الْأَعْمَى إِنْتِقَادَ الدَّرِّ أَوْ الْأَصَمَّ سَمْعَ صَوْتِ الدَّرِّ

قوله - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ﴾ ^(٢).

وهذا أقبح من تكليف ما لا يُطاق.

الجواب: ظاهر الآية، إن كان أمراً يقتضي التعلُّق بِشَرطٍ، هو كونهم صادقين، عالمين، بأنهم إذا أخبروا عن ذلك، صدقوا. فكأنه قال: خبروا بذلك إن علمتموه. ومتى رجعوا إلى أنفسهم - فلم يعلموا ^(٣) - فلا تكليف عليهم.

وقيل: «أنبئوني»، وإن كان ظاهره ظاهر أمر، [فغَيْرُ أَمْرٍ] ^(٤) على الحقيقة، بل المراد به على التقرير والتنبيه على مكان الحُجَّةِ، وإنَّ الله - تعالى - لما قال للملائكة: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً...﴾ ^(٥) إلى قوله: ﴿... وَنُقَدِّسُ

(١) ما بين المعرفتين ساقطة من (ش).

(٢) البقرة: ٣١.

(٣) (فلم يعلموا) ساقطة من (ه).

(٤) ما بين المعرفتين ساقطة من (ش).

(٥) البقرة: ٣٠.

لَكَ^(١)، قَالَ لَهُمْ: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٢). أَي: أَطْلَعُ عَلَى مَصَالِحِكُمْ، ثُمَّ أَرَادَ^(٣) التَّنْبِيْهَ عَلَى أَنَّهُ لَا يَمْتَنِعُ أَنْ يَكُونَ غَيْرُ الْمَلَائِكَةِ - مَعَ أَنَّهَا تُسَبِّحُ، وَتُقَدِّسُ، وَتُطِيعُ، وَلَا تَعْصِي - أَوَّلَى بِالِاسْتِخْلَافِ فِي الْأَرْضِ.

وَإِذَا كَانَ فِي ذُرِّيَّتِهِ مَنْ يَفْسِدُ، وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ، فَعَلَّمَ آدَمَ جَمِيعَ أَسْمَاءِ الْأَجْنَاسِ، أَوْ أَكْثَرَهَا، ثُمَّ قَالَ: ﴿أَبْنِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^(٤) مُقَرَّرًا لَهُمْ، وَدَلًّا عَلَى اخْتِصَاصِ آدَمَ، بِمَا لَمْ يُخْصَّوْا بِهِ، فَلَمَّا اعْتَرَفُوا بِذَلِكَ، قَالَ لَهُمْ - تَعَالَى -: ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾^(٥).

[شَاعِرٌ: ^(٦)]

أَبَارَبَ مَا مَخْلَقْتَنِي فَوْقَ طَائِفِي وَخَوَّشَيْتَ مِنِّي تَكْلِيفَ مَا لَا أُطِيقُهُ^(٧)



(١) البقرة: ٣٠.

(٢) البقرة: ٣٠.

(٣) فِي (ك): أَزَادَ. بِالزَّيِّ الْمَعْجَمَةِ.

(٤) البقرة: ٣١.

(٥) البقرة: ٣٣.

(٦) مَا بَيْنَ الْمُعْجُوفَتَيْنِ زِيَادَةٌ مِنْ (هـ). وَفِي (ح): بَيْت.

(٧) لَمْ نَقِفْ عَلَى اسْمِ قَائِلِهِ وَلَا مُورِدِ أَخْذِهِ.

فصل [- ١٥ -]

[في معنى الفطرة والصَّبْغَة]

قوله - تعالى -: ﴿فَطَرَتِ اللَّهُ النَّاسَ عَلَىٰهَا﴾^(١)، وقوله: ﴿صَبْغَةً اللَّهُ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صَبْغَةً﴾^(٢). ورُوي عن النبي - عليه السلام^(٣) -: كُلُّ مَوْلُودٍ يُوَلَّدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، وَيُنَصِّرَانِهِ، وَيُمَجِّسَانِهِ. الحَقِيرُ.

تَكَلَّمَ النَّاسُ فِي ذَلِكَ، فَزَوَى [زُرَّارَةُ عَنْ الصَّادِقِ - عَلَيْهِ السَّلَام -] ^(٤) أَنَّهُ قَالَ: التَّوْحِيدُ^(٥).

(١) الزَّوْم: ٣٠.

(٢) البقرة: ١٣٨.

(٣) موطأ مالك: ٢٢٢. بزيادة في اللفظ. مسند أحمد: ١٢: ١٧٠ ط - شاكِر. صحيح البخاري: ٢:

١٢٥، ٨: ١٥٣ باختلاف يسير. صحيح مسلم: ٨: ٥٢، ٥٣، ٥٤. الجامع الصحيح: ٤: ٤٤٧

وفيه: (يشتركانه) بدلاً من (يمجسانه). المعجم الكبير: ١: ٢٥٩ - ٢٦٢. علل الشرايع: ٣٧٦.

شرح عقائد الصدوق أو تصحيح الاعتقاد: ٢١٢ بسقوط (يمجسانه). مسند أبي حنيفة: ١٥.

الأساس لعقائد الأكياس: ١٧٠.

(٤) في (أ): صلى الله عليه وآله وسلم.

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من (ش).

(٦) شرح عقائد الصدوق أو تصحيح الاعتقاد: ٢١١. التوحيد: ٣٢٨، ٣٢٩.

وقال أبو عبيد^(١): صَبَغَهُ اللهُ، دِينَ اللهُ، وَفِطْرُهُ اللهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا.
 وقال ابنُ قُتَيْبَةَ^(٢): يعني - بذلك - حديثَ الذَّرِّ في الأَصْلَابِ.
 وَقَالَتِ الْجَحْرِیَّةُ^(٣): أَي: خَلَقَ عَلَى كُفْرٍ، أَوْ عَلَى إِيْمَانٍ.
 وقال مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ^(٤): كَانَ هَذَا فِي أَوَّلِ / ٨٠ / الْإِسْلَامِ، قَبْلَ أَنْ أَمَرَ
 النَّاسَ بِالْجِهَادِ.

وَالْفِطْرَةُ - فِي اللَّغَةِ^(٥) - هُوَ الْإِبْتِدَاءُ. يُقَالُ: فَطَرَ نَابُ الْبَعِيرِ.
 وقال مُجَاهِدٌ^(٦) فِي قَوْلِهِ: ﴿السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ﴾^(٧)، أَي: مُنْشَقٌّ.
 وَقَالَ غَيْرُهُ^(٨): ﴿فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(٩)، أَي: مُبْتَدِعُهُمَا.
 فَيَكُونُ مَعْنَى الْآيَةِ، وَالْحَقِيرِ: «كُلُّ مَوْلُودٍ يُوَلَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ...».

(١) غريب الحديث: ٢١: ٢.

(٢) تفسير غريب الحديث: ١٥١.

(٣) شرح عقائد الصدوق أو تصحيح الاعتقاد: ٢٠١ - ٢٠٢.

(٤) التبيان في تفسير القرآن: ٦: ٢١٥.

(٥) لسان العرب (فَطَرَ).

(٦) في جامع البيان: ٢٩: ١٣٨ نسب إلى مجاهد قوله: ﴿السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ﴾ أَي: مثقلة به. أما ما أورده كتابنا فهو منسوب لابن عباس، وكذا في الدر المنثور: ٨: ٣٢١ - ٣٢٢.

(٧) المزمل: ١٨.

(٨) الجامع لأحكام القرآن: ١٤: ٢٧.

(٩) الأنعام: ١٤. يوسف: ١٠١. إبراهيم: ١٠. فاطر: ١. الزمر: ٤٦.

أي: ابتداء الخَلْقَة، كَانَ الله - تعالى - لَمَّا ابْتَدَأَهُمْ، وَابْتَدَعَهُمْ، فَطَرَهُمْ عَلَى الْعِبُودِيَّةِ لَهُ، وَنَهَاَهُمْ أَنْ يَعْبُدُوا غَيْرَهُ.

يَدُلُّ عَلَيْهِ مَا بَعْدَ الْآيَةِ: ﴿لَا تَبْدِيلَ لَخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾^(١).
ويؤيده قوله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(٢). فَمِنْهُمْ مَنْ اهْتَدَى وَمِنْهُمْ مَنْ ضَلَّ مِنْ نَفْسِهِ، أَوْ مِنْ غَيْرِهِ.

وقال الفراء^(٣): سُمِّيَتْ ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ﴾، لِأَنَّ الْيَهُودَ، وَالنَّصَارَى، كَانُوا يَصْبِغُونَ أَوْلَادَهُمْ، فَيَقُولُ اللَّهُ - عزَّ وجلَّ - إِلْزُمُوا صِبْغَةَ اللَّهِ^(٤).

وقال بعضهم^(٥): كَانَتْ النَّصَارَى إِذَا أَتَى عَلَى أَوْلَادِهِمْ سَبْعُ سِنِينَ صَبْغُوهُ^(٦) فِي مَاءِ نَهْرِ الْأُرْدُنِّ، وَكَانَ ذَلِكَ هُمْ بِمَنْزِلَةِ الْخِتَانِ لِلْمُسْلِمِينَ.

وتزعمُ النَّصَارَى: أَنَّ الْمَسِيحَ، صِبْغَةُ يَوْحَنَّا الْمَعْمُودَانِ، وَكَانَ تُسَمَّى^(٧) هَذَا الْفِعْلَ الْمَعْمُودِيَّةَ^(٨).

(١) الروم: ٣٠.

(٢) الذاريات: ٥٦.

(٣) في (أ): القرآن.

(٤) معاني القرآن: ١: ٨٢ - ٨٣.

(٥) الجامع لأحكام القرآن: ٢: ١٤٤.

(٦) في (ح): صبغ.

(٧) في (ش) و(ك) و(هـ): يُسَمَّى. بياء المضارعة المثناة من تحت وبصيغة البناء للمجهول.

(٨) في (هـ): العمودية.

إِبْنُ حَمَادٍ^(١):

يَقُولُونَ فِي اللَّهِ غَيْرَ الْجَمِيلِ فَقَدْ أَحَدُوا فِيهِ مَا وَحَدُوهُ
يُؤَلُّونَهُ قُبْحَ أَعْمَالِهِمْ تَنَزَّ عَنْهَا الْعَلِيُّ النَّزِيهُ
وَقَالُوا: يُمَذِّبُنَا فِي الْمَعَادِ عَلَى فِعْلِهِ جَلٌّ مَنْ جَوَّزُوهُ

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةً﴾^(٢).

الختمُ في الشَّاهد، غيرُ مانعٍ مِنَ الإِيْمَانِ، لِأَنَّهُ يُفَكُّ الْمُخْتُومَ مِنَ الْكُتُبِ^(٣)،
وَالْكَيْسِ^(٤)، وَيُحْمَلُ مِنْهُ، وَإِنَّمَا هُوَ عَلَامَةٌ يُعْرَفُ بِهَا تَنَاوُلُ الْمُخْتُومِ عَلَيْهِ.

وَالْمُخْتُومُ عَلَى قُلُوبِهِمْ، إِنَّمَا أَنْ يَكُونُوا قَادِرِينَ [عَلَى الإِيْمَانِ، قَبْلَ الْخَتْمِ، أَوْ
غَيْرَ قَادِرِينَ]^(٥). فَإِنْ كَانُوا غَيْرَ قَادِرِينَ، اسْتَحَالَ الْمَنْعُ، وَإِنْ كَانُوا قَادِرِينَ عَلَيْهِ،
قِيلَ: فَهُمْ - فِي حَالِ الْخَتْمِ - قَادِرُونَ.

وَقِيلَ: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾، أَي: شَهِدَ^(٦) عَلَيْهَا بِأَنَّهَا لَا تَقْبَلُ الْحَقَّ.

(١) لم نقف على مورد أخذه.

(٢) البقرة: ٧.

(٣) في (أ): الكتب. بياض موحدة من تحت بعدها تاء مبسوطة.

(٤) في (ش) و(ك): التَّكْيِيسُ.

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من (ش).

(٦) في (ش): يشهد. بصيغة المضارع.

يَقُولُ الْقَاتِلُ: أَرَأَيْكَ نَحْتُمُ عَلَى كُلِّ مَا يَقُولُهُ فَلَانٌ. أَي: تَشْهَدُ بِهِ، وَتُصَدِّقُهُ. وَقَدْ خَتَمْتُ عَلَيْكَ بِأَنَّكَ لَا تَعْلَمُ. أَي: شَهِدْتُ.

وقيل: ﴿وَحَتَمَ اللَّهُ﴾: إِنْخَبَازٌ عَنْ تَكْثِيرِهِمْ، وَإِعْرَاضِهِمْ عَنِ الْإِسْتِمَاعِ^(١) لِمَا دُعُوا إِلَيْهِ مِنَ الْحَقِّ، كَمَا يَقُولُ: فَلَانٌ أَصَمُّ عَنْ هَذَا الْكَلَامِ. إِذَا امْتَنَعَ عَنْ سَمَاعِهِ، وَرَفَعَ نَفْسَهُ عَنْ تَحْمِلِهِ.

وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِـ«حَتَمَ»: سَيَخْتُمُ. وَيَكُونُ الْمَاضِي بِمَعْنَى الْمُسْتَقْبَلِ، كَقَوْلِهِ: ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ﴾^(٢).

وقيل: المعنى في ذَلِكَ أَنَّهُ ذَمَّهُمْ بِأَنَّهَا كَالْمَخْتُومِ عَلَيْهَا فِي أَنَّهُ لَا يَدْخُلُهَا الْإِيمَانُ، وَلَا يَخْرُجُ عَنْهَا الْكُفْرُ. قَالَ الشَّاعِرُ^(٣):

لَقَدْ أَسْمَعْتُ لَوْنَادَيْتَ حَيًّا وَلَكِنْ لَا حَيَاةَ لِمَنْ تُنَادِي
قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ - : ﴿بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا﴾^(٤) وَقَوْلُهُ: ﴿طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾^(٥).

(١) في (١): الأسباع.

(٢) الأعراف: ٤٤.

(٣) هو كثير عزة: انظر ديوانه: ٢٢٢.

(٤) النساء: ١٥٥.

(٥) التوبة: ٩٣، التحل: ١٠٨، عمدة: ١٦.

قِيلَ: معناه: إِنَّ اللَّهَ - تعالى - يجعلُ نُكْتَةً سوداءَ^(١) في قلبِ^(٢) المنافقِ، والكافرِ، لِتَكُونَ علامةً لِلْمَلَائِكَةِ، يَعْرِفُونَ بها أَنَّهُ مَن لا يُفْلِحُ أَبَداً.

وقِيلَ: أي: طَبَعَ فيها أَثَرُ الذُّنُوبِ، لِتَعْرِفَهَا الْمَلَائِكَةُ، فَيَتَبَرَّأُوا مِنْهُمْ، ولا يُؤَالِفُوهُمْ، ولا يَسْتَغْفِرُوا لَهُمْ.

وقِيلَ: المرادُ - بذلك - الذَّمُّ لها، بِأَنَّها كالمَطْبُوعِ عليها، فَلَا يَدْخُلُها خَيْرٌ، ولا يَتَنَفَّى عنها شَرٌّ. وحالُ الذَّمِّ تقتضي صِفَاتِ المَدْحِ.

قال جرير^(٣):

أَلَسْتُ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَايَا وَأَنْدَى الْعَالَمِينَ يُطُونُ رَاحِ
وَبَعْدُ: فَإِنَّ الطَّبْعَ، وَقَعَ بِنَفْسِ الْكُفْرِ، فَقَالَ: ﴿بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا
بِكُفْرِهِمْ﴾^(٤). والخصمُ لا يَقُولُ بذلك.

ويكونُ معنى^(٥) الطَّبْعِ، والْحَتْمِ، العَلامَةُ الْمُمَيِّزَةُ بَيْنَ الْمُؤْمِنِ، وَالْكَافِرِ.
وَالْمَنْعُ إِنَّمَا يَصْحُحُ فِي الْقَادِرِ، لِأَنَّ مِنْ لَيْسَ بِقَادِرٍ عَلَى الشَّيْءِ، غَيْرُ مَعْقُولٍ.

(١) في (أ): سوداً.

(٢) في (أ): القلب. مع (أل).

(٣) ديوان جرير بشرح محمد بن حبيب: ١: ٨٩.

(٤) النساء: ١٥٥.

(٥) في (هـ): المعنى الطبع.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَرِذْنَاهُمْ هُدًى وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾^(١). الرِّبْطُ: هُوَ الشَّدُّ فِي الْأَصْلِ. وَلَا تَعَلَّقَ بِذَلِكَ فِي بَابِ الْإِيمَانِ، وَلَيْسَ فِيهِ مَا بِهِ رَبَطَ عَلَى قُلُوبِهِمْ، وَإِنَّمَا فِيهِ الْإِخْبَارُ عَنِ الرِّبْطِ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾^(٢).

لَا تَعَلَّقْ لِحَقْصِمٍ فِيهِ، لِأَنَّهُمْ لَمَّا عَدُّوْا عَنِ الْحَقِّ، جُعِلَتْ الْأَكِنَّةُ عَلَى قُلُوبِهِمْ، وَالْوَقْرُ فِي آذَانِهِمْ، عُقُوبَةٌ لَهُمْ، لِاخْتِيَارِهِمْ ذَلِكَ. وَإِنَّهُ قَالَ: ﴿أَنْ يَفْقَهُوهُ﴾، وَلَمْ يَقُلْ: لِئَلَّا يَفْقَهُوهُ. وَهَذَا عُدُولٌ عَنِ الظَّاهِرِ.

وَالْكَنْ عَلَى الْقَلْبِ، وَالْوَقْرُ فِي الْأُذُنِ، غَيْرُ مَا يَعْين مِنَ الْإِيمَانِ، لِأَنَّ الْغِطَاءَ الْمُسَمَّى الْخِلْبَ^(٣)، هُوَ فِي الْبَطْنِ، وَلَهُ غِطَاءٌ، وَالصَّمَمُ، أَكْذُ مِنَ الْوَقْرِ. وَقَدْ يُزْمَنُ الْأَصَمُّ، وَلَا مَانَعَ هُنَاكَ، لِقَوْلِهِ: / ٨١ / ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا﴾^(٤)، وَنَحْوَهَا.

(١) الكهف: ١٣، ١٤.

(٢) الأنعام: ٢٥.

(٣) الخِلْبُ: ج: أَخْلَاب. حِجَابُ الْقَلْبِ، وَحِجَابُ الْكِبْدِ. (المنجد - خلب).

(٤) الإسراء: ٩٤، والكهف: ٥٥.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ إِنَّا جَعَلْنَا فِي آغْصَانِهِمْ أَغْصَالًا فَهِیَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا...﴾ الآية^(١).

المنع من الإيمان، لا يصح على مذهبيهم، وإنما صحَّ على مذهب من قال بالاختيار.

والجري^(٢) على الظاهر، غير موجب المنع من الإيمان، لأن المغلول، والماخوذ عليه، يؤمن. وما ذكره جرى على جهة الذمِّ لهم، والتوبيخ، وإِنَّهُمْ مَنْ حَيْثُ أَعْرَضُوا عَنِ الْإِيمَانِ، لَمْ يَتَفَعَّلُوا بِالْآيَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى الْحَقِّ.

يَشْهَدُ - بِذَلِكَ - قَوْلُهُ - عَقِيبَ الْآيَةِ بِإِصْرٍ -: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنْذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^(٣)، وعَقِيبَ الْآيَةِ الثَّانِيَةِ: ﴿وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا﴾^(٤).

ثُمَّ إِنَّ الْمُرَادَ - بِهَذِهِ الْآيَاتِ - وَصْفُ حَالِهِمْ فِي الْآخِرَةِ، فَقَوْلُهُ: فِي «الْأَغْصَالِ»، «وَالسَّلَاسِلِ»، كَقَوْلِهِ: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ﴾^(٥)، وَقَوْلِهِ: ﴿إِذِ الْأَغْصَالُ فِي

(١) يس: ٧-٩.

(٢) في (هـ): الجري.

(٣) يس: ١٠.

(٤) الكهف: ٥٧.

(٥) الحاقة: ٣٠.

أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ^(١). وَقَالَ فِي «السَّدِّ»: ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ...^(٢)﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿مِنْ قَبْلِهِ الْعَذَابُ^(٣)﴾، قَالَ: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمِيًّا وَبُكْمًا وَصُمًّا^(٤)﴾.

قَالَ السُّدِّيُّ^(٥): إِنَّ نَاسًا مِنْ قُرَيْشٍ هَمُّوا بِقَتْلِ النَّبِيِّ - عَلَيْهِ السَّلَام - فَلَمَّا جَاءَهُ^(٦)، جُعِلَتْ أَيْدِيهِمْ إِلَى أَعْنَاقِهِمْ، فَلَمْ يَسْتَطِيعُوا أَنْ يَسْطُوا إِلَيْهِ يَدًا. وَقَالَ قَوْمٌ: حَالُ اللَّهِ بَيْنَهُمْ، وَبَيَّنَ مَا أَرَادُوهُ، فَعَبَّرَ عَنْ ذَلِكَ بِأَنَّهُ: ﴿عُلْتُ أَيْدِيهِمْ^(٧)﴾.

وَقَوْلُهُ: ﴿فَأَغَشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ^(٨)﴾. أَي: بِظُلْمَةِ اللَّيْلِ، فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ النَّبِيَّ - عَلَيْهِ السَّلَام -^(٩)، كَمَا قَالَ: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ

(١) غافر: ٧١.

(٢) الحديد: ١٣.

(٣) الحديد: ١٣.

(٤) الإسراء: ٩٧.

(٥) مجمع البيان: ٤: ٤١٧. الدر المنثور: ٧: ٤٣.

(٦) فِي (ك): جَاءَهُمْ.

(٧) المائدة: ٦٤.

(٨) يس: ٩.

(٩) فِي (ح): وَهُمْ. مَعَ الْوَاوِ.

(١٠) فِي (ل): صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا^(١).

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ﴾^(٢).
ليس فيها أَنَّهُ يَفْعَلُهَا اللَّهُ - تعالى - في القلبِ، أو يَصُدُّهَا عَنِ الْإِيمَانِ، وَإِنَّمَا أَرَادَ بِالْغِشَاوَةِ، الْفَهْمَ الْكَفَرَ، وَمَحَبَّتَهُمْ لَهُ.
ولم يقل - تعالى -: إِنَّهُ جَعَلَ عَلَى قُلُوبِهِمْ غِشَاوَةً، بَلْ أَحْبَرَ أَنَّهُ كَذَلِكَ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾^(٣).
أَي: مَنَعْنَاهُمْ^(٤) الْإِلْطَافَ الَّتِي تُنَبِّهُ الْمُؤْمِنِينَ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿كَذَّابٌ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾^(٥).
معناه: لَيْسَ الْأَمْرُ عَلَى مَا قَالُوهُ، بَلْ غَلَبَ عَلَى قُلُوبِهِمْ. يُقَالُ: رَانَتْ^(٦)

(١) الإسراء: ٤٥.

(٢) البقرة: ٧.

(٣) المائدة: ١٣.

(٤) في (أ): معناه. بالعين المهملة ثم النون الموحدة من فوق.

(٥) المطففين: ١٤.

(٦) في (أ): رايت. بالياء المثناة من تحت.

الْحَمْرُ عَلَى عَقْلِهِ، تَرِينُ: رَيْنًا. إِذَا سَكَرَ، فَغَلَبَ عَلَى عَقْلِهِ. فَالَرَّيْنُ، غَلَبَةُ^(١) الشَّكِّ عَلَى الْقَلْبِ. قَالَ أَبُو زُبَيْدٍ^(٢) الطَّائِي:

نُصِّمَ لِمَا رَأَتْ رَأَيْتُ^(٣) بِهِ الْخَمْرُ وَأَنْ لَا يَرَيْنَا بَأْتَقُوءُ
وَقَالَ الْحَسَنُ^(٤)، وَقَتَادَةُ^(٥): الرَّيْنُ: الذَّنْبُ عَلَى الذَّنْبِ، حَتَّى^(٦) يَمُوتَ الْقَلْبُ.

وَقِيلَ: مَعْنَى «رَأْنٍ»: غَطَّى، وَغَشَّى^(٧).

قَالَ الْبَلْخِيُّ^(٨): وَفِي^(٩) ذَلِكَ دَلَالَةٌ عَلَى مَا يَقُولُهُ أَهْلُ الْعَدْلِ، لِأَنَّ اللَّهَ - تَعَالَى - أَخْبَرَهُمْ: أَنَّهُمُ الَّذِينَ يَجْعَلُونَ الرَّيْنَ عَلَى قُلُوبِهِمْ.

(١) في (ش): غلبت، بالتاء المثناة المبسوطة.

(٢) شعر أبي زيد الطائي: ٢٨. وفيه: «وَأَنْ لَا يَرِيَهُ...» بالباء الموحدة من تحت، وقد أشار محققه إلى الرواية المطابقة لرواية كتابنا هذا.

(٣) في (أ): رايت. بالياء المثناة من تحت.

(٤) جامع البيان: ٩٨: ٣٠. أيضاً: جمع البيان: ٤٥٣: ٥. الدر المنثور: ٤٤٧: ٨.

(٥) جامع البيان: ٩٩: ٣٠. أيضاً: جمع البيان: ٤٥٣: ٥. الدر المنثور: ٤٤٧: ٨.

(٦) في (هـ): على. وهي ساقطة من (أ).

(٧) في (ك): غشى. بالعين المهملة.

(٨) جمع البيان: ٤٥١: ٥.

(٩) في (هـ): في. من دون الواو. وفي (ح): وفيها.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿قَالَفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾^(١).
قَالُوا: إِذَا كَانَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَلَفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ، وَأَنْقَذَهُمْ مِنَ النَّارِ، صَحَّ أَنْ
أَفْعَالَ الْخَلْقِ، خَلَقَ لَهُ.

قُلْنَا: لَا يَجِبُ ذَلِكَ، لِأَنَّا نَقُولُ: إِنَّ النَّبِيَّ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - أَلَفَ بَيْنَ قُلُوبِ
العَرَبِ، فَأَنْقَذَهُمْ مِنَ النَّارِ. وَلَا يَجِبُ مِنْ ذَلِكَ أَنْ تَكُونَ^(٢) أَفْعَالُهُمْ، أَفْعَالًا لِلنَّبِيِّ -
عَلَيْهِ السَّلَامُ - وَلَا مُشَارَكَاهُمْ.

وَمَعْنَى «فَأَنْقَذَكُمْ مِنَ النَّارِ»^(٣): أَنَّهُ دَعَاهُمْ إِلَى الْإِيمَانِ، وَرَغَّبَهُمْ، فَلَمَّا كَانَ
إِسْلَامُهُمْ، وَنَجَاتُهُمْ، بِمَعُونَتِهِ، وَدُعَائِهِ، كَانَ هُوَ الْمُؤَلِّفَ لِقُلُوبِهِمْ، وَالْمُنْقِذَ لَهُمْ مِنَ
النَّارِ، عَلَى هَذَا الْمَعْنَى. لَا أَنَّهُ^(٤) أَنْشَأَ أَفْعَالَهُمْ، وَأَحَدَثَهَا.

وَيَجُوزُ أَنْ يُقَالَ^(٥): أَلَفَ اللَّهُ بَيْنَ الْكُفَّارِ، فَلَمْ يَأْتِلِفُوا، وَأَنْقَذَهُمْ، فَلَمْ
يَسْتَنْقِذُوا. فَيُفِيدُ ذَلِكَ، كَمَا قَالَ: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى
الْهُدَى﴾^(٦).

(١) آل عمران: ١٠٣.

(٢) في (ش) و(ك) و(أ): يَكُونُ. بَيَاءُ الْمُضَارَعَةِ الْمُتَنَاءِ مِنْ تَحْتِ.

(٣) في (ح): فَأَنْقَذَهُمْ.

(٤) في (أ): لِأَنَّهُ. وَهُوَ تَحْرِيفٌ.

(٥) في (هـ): يَقُولُ. بِصِيغَةِ الْمُبْنِيِّ لِلْمَعْلُومِ.

(٦) فصلت: ١٧.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾^(١).

وَعَدَهُمْ^(٢) بِالْحِيلُولَةِ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ قُلُوبِهِمْ.

وَالْوَعْدُ لَا يَقَعُ إِلَّا بِإِذْكُرِهِ^(٣).

وَالظَّاهِرُ يَقْتَضِي أَنْ يَفْرُقَ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ، حَتَّى لَا يَتَّصِلَ أَحَدُهُمَا بِالْآخَرِ، لِأَنَّ هَذَا، هُوَ حَقِيقَةُ الْحِيلُولَةِ، وَلَيْسَ لِلْإِيَّانِ^(٤) فِيهَا ذِكْرٌ^(٥).

﴿يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾ بِإِزَالَةِ عَقْلِهِ، وَإِبْطَاءِ تَمْيِيزِهِ، وَإِنْ كَانَ حَيًّا. وَيُقَالُ -

لَمَنْ فَقَدَ عَقْلَهُ، وَسَلِبَ تَمْيِيزُهُ -: إِنَّهُ بَغَيْرِ قَلْبٍ، قَالَ اللَّهُ - تَعَالَى -: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾^(٦).

قَالَ الشَّاعِرُ^(٧):

وَلِيَّ الْفُ بَابٍ قَدْ عَرَفْتُ طَرِيقَهَا وَلَكِنْ بِلَا قَلْبٍ ! إِلَى أَيْنَ أَذْعَبُ ؟

وَبِمَعْنَى الْمُبَالِغَةِ فِي الْإِخْبَارِ عَنْ قُرْبِهِ مِنْ عَيْيِدِهِ، وَأَنَّ الضَّمَائِرَ لَهُ بَادِيَةٌ،

(١) الأنفال: ٢٤.

(٢) (وَعَدَ) - هُنَا - بِمَعْنَى: أَوْعَدَ. لِلتَّهْدِيدِ.

(٣) فِي (أ): ذَكَرَهُ، مِنْ دُونَ إِسْتِنَادٍ إِلَى وَائِ الْجَمَاعَةِ.

(٤) فِي (أ): الْإِيَّانَ. مِنْ دُونَ حَرْفِ الْجُرْ (الْلَام).

(٥) فِي (أ): ذَكَرَهُ. مَعَ الضَّمِيرِ (الْمَاء).

(٦) ق: ٣٧.

(٧) أَمَالِي الْمُرْتَضَى: ١: ٥٢٦ وفيه: «وَلِيَّ الْفُ رَجُلٌ قَدْ عَرَفَتْ مَكَانَهُ» وَهُوَ بِلَا عَزْوٍ.

قوله: ﴿وَنَحْنُ / ٨٢ / أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾^(١). وإذا كان - عز وجل - أعلم بما في قلوبنا منا، ويجوز علينا السهو^(٢)، والنسيان، والضلال، جاز له أن يقول: إنه يحول بيننا، وبين قلوبنا، لأن كل شيء يحول بين شيئين، فهو أقرب إليهما.

فَقَدْ بَالَعَ اللهُ - تعالى - في صفته^(٣) القرب، ولم يرذبه المسافة، كما تقول العرب: فلان أقرب إلى قلبي. وزيد مني قريب.

و^(٤) «يحول بينهما»، أي: يحول بينه، وبين ما يدعوه إليه قلبه من القبائح بالامر، والنهي، والوعد، والوعيد، لأننا نعلم^(٥) أنه - تعالى - لو لم يكلف العاقل - مع ما فيه من الشهوة، والنفار^(٦) - لم يكن له عن القبيح مانع، فكان التكليف حائل^(٧) بينه، وبينه من حيث رُجِرَ عن فعله.

ثم إن المؤمنين، كانوا يُفَكِّرونَ في كثرة [عدوهم، وقلة]^(٨) عددهم،

(١) ق: ١٦.

(٢) في (أ): المشهور.

(٣) في (ك) و(هـ): صفة.

(٤) الواو ساقطة من (ح).

(٥) في (أ): علم. بصيغة الماضي.

(٦) في (ش): النفاد. بالبدال المهملة.

(٧) في (هـ) و(ح): فكان التكليف حائلاً.

(٨) ما بين المعقوفتين ساقطة من (ش).

فَيَدْخُلُ فِي قُلُوبِهِمُ الْخَوْفُ، فَأَعْلَمَهُمْ - تعالى - أَنَّهُ^(١) يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ، بِأَنْ يُبَدِّلَهُ^(٢) بِالْخَوْفِ أَمْنًا، وَيُبَدِّلَ عَدُوَّهُمْ عَلَى ضِدِّهِ.

الجبَّاني^(٣): يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ، وَبَيْنَ الْإِنْتِفَاعِ بِقَلْبِهِ، بِالْمَوْتِ، فَلَا يُمَكِّنُهُ إِسْتِدْرَاكَ مَا فَاتَ، وَيُقَوِّي ذَلِكَ مَقَالَهُ^(٤) فِي آخِرِ الْآيَةِ: ﴿وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾^(٥).

هشام بن سالم: قَالَ الصَّادِقُ^(٦) - عَلَيْهِ السَّلَام -: يَحُولُ بَيْنَهُ، وَبَيْنَ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ الْبَاطِلَ حَقٌّ.

ابن رُزَيْك^(٧):

وَلَيْسَ بِحَوْلِ اللَّهِ بَيْنَ مُكْلَفٍ وَطَاعَتِهِ، كَلًّا! وَخَوْثِي مِنَ الْجَبْرِ

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَلَا تُطِيعُ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا﴾^(٨).

(١) في (هـ): بأنه. مع الباء.

(٢) في (هـ): يبدلهم.

(٣) مجمع البيان: ٥: ٥٣٤.

(٤) في (ش): مقالة. بالتاء المربوطة المنقوطة.

(٥) الأنفال: ٢٤.

(٦) مجمع البيان: ٢: ٥٣٤.

(٧) أخلَّ به ديوانه. ط محمد هادي الأميني.

(٨) الكهف: ٢٨.

أي: وجدناه غافلاً، متبعاً هواه. يذُلُّ - على ذلك - قوله: ﴿وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾^(١).

ويقال: لا تُطع من سمَّناه غافلاً، أو نسبناه إلى الغفلة، كقولك: كفرناه. أي: نسبناه إلى الكفر.

ويقال: أي: من تركنا قلبه غفلاً، ولم نسمه بِسَمَةِ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الْكِنَايَةِ. ويكون تركُ السَّمةِ - أصلاً^(٢) - علامةً - أيضاً - على الكفر.



قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْمِعْجَلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِ إِيمَانُكُمْ﴾^(٣).

لَيْسَ فِيهَا ذِكْرٌ لِلْمِحْبَةِ. وَالْمِعْجَلُ، لَا يُشْرَبُ، وَكَذَلِكَ الْمِحْبَةُ. وَلَمْ يَقُلْ: إِنَّ اللَّهَ، أَشْرَبَ قُلُوبَهُمْ.

وَذَكَرَ: أَنَّهُمْ أَشْرَبُوا ذَلِكَ بِكُفْرِهِمْ. وَلَفْظُ الْمَجْهُولِ، لَا حُكْمَ لَهُ، وَقَدْ يَأْبَى أَنْ يَكُونَ لَهُ فَاعِلٌ سِوَى الْمَوْصُوفِ.

(١) الكهف: ٢٨.

(٢) في (ل): اصلاً.

(٣) البقرة: ٩٣.

شاعر^(١):

لَمْ يَخْلُقِ اللهُ خَلْقَهُ عَبَاً وَلَمْ يَدْعُهُمْ - سُدى - بِمَا صَنَعُوا
إِنْ أَحْسَنُوا، أَحْسَنُوا لَأَنْفُسِهِمْ وَإِنْ أَسَاءُوا يَفْعَلِهِمْ وَقَعُوا

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا
وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا﴾^(٢).

أي: كَانَتْهُمْ لَمْ يَفْقَهُوا بِقُلُوبِهِمْ، وَلَمْ يَسْمَعُوا بِآذَانِهِمْ، وَلَمْ يُبْصِرُوا بِعُيُونِهِمْ مَا
كَانُوا يُؤْمَرُونَ بِهِ، كَانَتْهُمْ صُمٌّ، بُكْمٌ، عُمَيٌّ.

مَسْكِينُ الدَّارِمِيِّ^(٣):

أَعْمَى إِذَا مَا جَارَتِ خَرَجَتْ حَتَّى يُوَارِيَ جَارَتِ السُّتْرُ
وَأَصَمُّ - عَمَّا كَانَ بَيْنَهُمَا - سَمِيعِي وَمَا بِي - غَيْرُهُ - وَقَرُّ

(١) لم نقف على اسم القائل ولا مورد أخذه.

(٢) الأعراف: ١٧٩.

(٣) ديوان مسكين الدارمي: ٤٥.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^(١).

قالوا: «مَا» لِلنَّفْيِ. يَعْنِي: مَا تُغْنِي عَنْهُمْ شَيْئًا، يَدْفَعُ الضَّرَرَ، إِذَا لَمْ يُفَكِّرُوا فِيهَا. كَقَوْلِكَ: وَمَا يُغْنِي^(٢) عَنْكَ الْمَالُ شَيْئًا، إِذَا لَمْ تُنْفِقْهُ فِي وُجُوهِهِ.

وَقَالُوا: «مَا» لِلِاسْتِفْهَامِ، كَقَوْلِكَ: أَيُّ شَيْءٍ تُغْنِي عَنْهُمْ مِنْ اجْتِلَابِ نَفْعٍ، أَوْ دَفْعِ ضَرَرٍ، إِذَا لَمْ يَسْتَدِلُّوا بِهَا؟

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ﴾^(٣).

أَرَادَ بـ «السُّوء» عَذَابًا، وَنِقْمَةً. وَالْعَذَابُ يَكُونُ سُوءًا^(٤)، وَلَا يَكُونُ إِسَاءَةً، لِأَنَّ الْإِسَاءَةَ، هِيَ الَّتِي مَتَى يَفْعَلْهَا فاعِلُهَا، فَهِيَ مُسِيءٌ. وَالْإِسَاءَةُ، الْكُفْرُ. وَأَمَّا السُّوءُ، فَقَدْ يَكُونُ حِكْمَةً، وَعَدْلًا. وَالْعَذَابُ، وَالنِّقْمَةُ مِنَ الْعَدْلِ، وَالْحِكْمَةِ.

(١) يونس: ١٠١.

(٢) في (ش) و(ك) و(أ): تغني. بناء المضارعة المثناة من فوق.

(٣) الرعد: ١١.

(٤) في (ك): سواء.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾^(١).

فِيهِ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ الْكُفْرَ، لَيْسَ مِنْ فِعْلِ اللَّهِ، وَلَا بِإِرَادَتِهِ، لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ مُرِيداً لَهُ، لَكَانَ^(٢) رَاضِياً بِهِ، لِأَنَّ الرِّضَى، هُوَ الْإِرَادَةُ، إِذَا^(٣) وَقَعَتْ عَلَى وَجْهِهِ.



(١) الزُّمَر: ٧.

(٢) فِي (أ): كَانَ. مِنْ دُونِ (الْلَامِ) الْوَاقِعَةِ فِي جَوَابِ الشَّرْطِ.

(٣) (إِذَا) سَاقِطَةٌ مِنْ (أ).

فصل [١٦-]

[في معنى الصَّرف]

قَوْلُهُ - تَعَالَى -: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾^(١).

إِنَّهُ ذَكَرَ عَنْ نَفْسِ الْآيَاتِ، وَلَيْسَ لِلْإِيمَانِ فِيهَا ذِكْرٌ.

وَالْآيَاتُ هِيَ: ^(٢)الدَّلَائِلُ، وَالْكِتَابُ، وَالْأُمُورُ الْمَاضِيَّةُ. وَأَصْلُهَا الْعَلَامَةُ. صَرَفَهُمْ عَنْ ثَوَابِ النَّظَرِ فِي آيَاتِ اللَّهِ، الْمُسْتَحَقَّ صَاحِبُهَا الثَّوَابَ.

وَيَعْنِي بِالْآيَاتِ ^(٣): الْأَدِلَّةُ، وَمُعْجَزَاتُ الْأَنْبِيَاءِ، وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ.

وَأَرَادَ: صَرَفَهُمْ عَنْ زِيَادَةِ الْمُعْجَزَاتِ، بَعْدَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ آيَاتِ الْأَنْبِيَاءِ
[عَلَيْهِمُ السَّلَامُ] - ^(٤)لَأَنَّهُ - تَعَالَى - / ٨٣ / إِنَّمَا يُظْهِرُهَا إِذَا عَلِمَ أَنَّهُ يُؤْمِنُ - عِنْدَهَا -

(١) الأعراف: ١٤٦.

(٢) في (ش) و(ك) و(هـ) و(أ): في.

(٣) في (أ): أبا الآيات. وهو تحريف.

(٤) ما بين المعقوفتين زيادة من (هـ).

مَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِمَا تَقَدَّمَ مِنَ الْآيَاتِ. وَيَكُونُ الصَّرْفُ إِمَّا بَأَنْ لَا يُظْهِرَهَا جُمْلَةً، أَوْ بَأَنْ يَصْرِفَهُمْ عَنْ مُشَاهَدَتِهَا. وَإِذَا صَرَفَهُمْ عَنْهَا، فَقَدْ صَرَفَهَا عَنْهُمْ، وَأَنْ بَعْضُ الْجُفَّالِ فِي زَمَانِهِ - عَلَيْهِ السَّلَام - اعْتَقَدُوا جَوَازَ الْمُعْجَزَاتِ عَلَى يَدِ الْكُفَّارِ الْمَذْكُورِينَ، فَكَذَّبَهُمُ اللَّهُ بِذَلِكَ، وَصَرَفَ مِنْ رَامَ الْمَنَعَ مِنْ آدَاءِ آيَاتِهِ، لِأَنَّ مَنْ الْوَاجِبِ عَلَى اللَّهِ - تَعَالَى - أَنْ يَحُولَ بَيْنَ مَنْ رَامَ ذَلِكَ، وَبَيْنَهُ، لِأَنَّهُ يَنْقُضُ الْغَرَضَ فِي الْبِعْتَةِ: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾^(١) فَتَكُونُ الْآيَاتُ الْقُرْآنَ، وَنَحْوَهُ.

وَالصَّرْفُ - هَاهُنَا - الْحُكْمُ، وَالتَّسْمِيَةُ، وَالشَّهَادَةُ. وَمَنْ شَهِدَ^(٢) عَلَى غَيْرِهِ بِالْإِنْصِرَافِ عَنْ شَيْءٍ، فَجَائِزٌ أَنْ يُقَالَ: صَرَفَهُ عَنْهُ، كَمَا قَالَ: ﴿ثُمَّ أَنْصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهِ قُلُوبَهُمْ﴾^(٣) يُوَافِقُهُ^(٤) قَوْلُهُ: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾^(٥).

وَلَمَّا عَلِمَ^(٦) اللَّهُ - تَعَالَى - أَنَّ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ، سَيُصْرِفُونَ عَنِ النَّظَرِ فِي آيَاتِهِ، وَالْإِيمَانِ بِهَا، إِذَا أَظْهَرَهَا عَلَى أَيْدِي رَسُولِهِ، جَازَ أَنْ

(١) المائدة: ٦٧.

(٢) فِي (أ): يَشْهَدُ. بِصِيغَةِ الْمَضَارِعِ.

(٣) التَّوْبَةُ: ١٢٧.

(٤) فِي (هـ): يُوَافِقُ. مِنْ دُونَ الضَّمِيرِ (الْهَاءِ).

(٥) الْأَعْرَافُ: ١٤٦.

(٦) فِي (هـ): أَعْلِمَ. مَعَ هَمْزَةِ التَّعْدِيَةِ.

يَقُولُ: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ﴾^(١). فَيُرِيدُ^(٢): سَأُظْهِرُ مَا يَنْصَرِفُونَ - بِسُوءِ اخْتِيَارِهِمْ - عَنْهُ. تَقُولُ: سَابَخُلُ فُلَانًا، وَسَاخَطْتُهُ. أَي: أَسَأَلُهُ^(٣) مَا يَبْخُلُ بِبَذْلِهِ، وَامْتَحَنْتُهُ بِمَا يُخْطِئُ فِيهِ.

وَالصَّرْفُ، هُوَ الْمَنْعُ مِنْ إِبْطَالِ الْآيَاتِ، وَالْقَدَحُ فِيهَا بِمَا يُخْرِجُهَا أَنْ تَكُونَ^(٤) حُجَجًا. وَإِنَّ اللَّهَ - تَعَالَى - لَمَّا وَعَدَ مُوسَى^(٥) - عَلَيْهِ السَّلَامُ - وَأَمَّنَهُ بِإِهْلَاكِ عَدُوِّهِمْ، قَالَ: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِي﴾.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿ثُمَّ أَنْصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهِ قُلُوبَهُمْ﴾^(٦).

لَمْ يَقُلْ: فَصَرَفَ^(٧). عَلَى سَبِيلِ الْحُكْمِ، وَالْحَقَرِ^(٨). إِذْ لَوْ كَانَ عَلَى ذَلِكَ،

(١) التوبة: ١٢٧.

(٢) فِي (ح): فَيُرِيدُ. مَعَ الْفَاءِ.

(٣) فِي (أ): سَأَلَهُ.

(٤) فِي (ش) وَ(ك) وَ(أ): يَكُونُ. بَيَاءُ الْمَضَارَعَةِ الْمُثْنَاءِ مِنْ تَحْتِ.

(٥) فِي (هـ): لِمُوسَى.

(٦) التوبة: ١٢٧.

(٧) فِي (ح): يَصْرِفُ. بِصِيغَةِ الْمَضَارَعِ، وَهُوَ تَحْرِيفُ.

(٨) فِي (ش) وَ(ك) وَ(هـ) وَ(أ): الْجَبْرِ. بِجَيْمٍ مَعْجَمَةٍ مِنْ تَحْتِ بَعْدَهَا بَاءٌ مُوَحَّدَةٌ مِنْ تَحْتِ. وَهُوَ

لَاذْخَلَ عَلَيْهِ «الفاء». وَإِنَّمَا قَالَ عَلَى سَبِيلِ الدُّعَاءِ^(١) عَلَيْهِمْ، كَقَوْلِكَ: خَرَجَ زَيْدٌ -
لَعَنَهُ اللَّهُ... فَلَوْ كَانَ ذَلِكَ خَبَرًا، لَقَالَ: فَلَعَنَهُ اللَّهُ.

وإِنَّهُ لَمْ يَذْكُرِ الْمَصْرُوفَ عَنْهُ. فَأَلْمَصْرُوفُ^(٢) عَنْهُ مَحْذُوفٌ، غَيْرُ مَذْكُورٍ.

وَإِنَّ ذَلِكَ كَالْجَزَاءِ عَلَى^(٣) إِنْصَرَفِهِمْ، لِأَنَّ إِنْصَرَفَهُمْ، كُفْرٌ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ
يَجْعَلَ الْجَزَاءَ عَلَيْهِ كُفْرًا آخَرَ.

بَيْتٌ^(٤):

[جَزَى اللَّهُ شَرًّا قَابِضًا بِصَنِيعِهِ] وَكُلُّ امْرِئٍ يُجْزَى بِمَا كَانَ سَاعِيًا

آخِرُ^(٥):

كُلُّ امْرِئٍ فِي رُشْدِهِ وَهَيْهِ وَإِنَّمَا يُجْزَى بِقَدْرِ سَمِيهِ

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ

(١) الدعاء: نوعٌ من الإنشاء وليس خبراً.

(٢) في (ش): والمصروف. مع الواو.

(٣) في (ها): عَنْ.

(٤) قائلته ليلي الأخيلية. انظر: ديوان ليلي الأخيلية: ١٢٣ ومنه صدر البيت. و(قابض): هو رَجُلٌ

قَرَّ من توبة فعبَّرته الشاعرة. وفي (ح): شطر. بدلاً من: بيت.

(٥) لم نقف على اسم قائله ولا مورد أخذه.

بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا^(١)، مثل قوله: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً...﴾ الآية^(٢).

وَسَبَبُ نَزُولِهِمَا: أَنَّ الْكَفَّارَ. كَانُوا إِذَا سَمِعُوا الْقُرْآنَ مِنَ النَّبِيِّ - عَلَيْهِ السَّلَام - (٣) آذَوْهُ، وَرَجَّوْهُ، وَشَغَلُوهُ عَنْ صَلَاتِهِ، كَمَا قَالَ: ﴿لَا تَسْمَعُوا هَذَا الْقُرْآنَ وَالْغَفَا فِيهِ﴾^(٤)، وَقَالَ^(٥): ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً﴾^(٦). فَحَالَ اللَّهُ بَيْنَهُمْ، وَبَيْنَ اسْتِمَاعِ ذَلِكَ، فِي تِلْكَ الْحَالِ الَّتِي كَانُوا عَازِمِينَ فِيهَا عَلَى أَذَاهُ، بَأَنَ الْقَى عَلَيْهِمُ النَّوْمَ، إِذْ قَعَدُوا يَرْصُدُونَهُ، وَلَا يَعْرِفُونَ مَكَانَهُ.

وَأَمَّا فَعَلَ ذَلِكَ، لِإِعْلَامِهِ بِأَنَّهُمْ^(٧) لَا يُؤْمِنُونَ، كَمَا قَالَ: ﴿وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا﴾^(٨)، وَقَالَ: ﴿وَإِنْ هَذَا إِلَّا آسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾^(٩).

(١) الإسراء: ٤٥.

(٢) الأنعام: ٢٥.

(٣) في (أ): صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

(٤) فصلت: ٢٦.

(٥) (وَقَالَ) ساقطة من (ح).

(٦) الأنفال: ٣٥.

(٧) في (ش): بِأَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ.

(٨) الأنعام: ٢٥. الأعراف: ١٤٦.

(٩) الأنعام: ٢٥. الأنفال: ٣١. المؤمنون: ٨٣. النمل: ٦٨.

وَيُمْكِنُ أَنَّهُ - تعالى - يُضَيِّقُ صُدُورَهُمْ، فَلَا يَفْقَهُونَ، وَلَا يَسْمَعُونَ، لِإِعْلَامِهِ
بَأَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ حَائِلًا بَيْنَهُمْ، وَبَيْنَ الْإِيمَانِ.

والحجاب، والوقر، والآيئة [تَكُونُ عَلَى وَجْهِ الاستعارة، والمجاز، كَمَا
سَمَّى الْكُفْرَ، عَمَى].

وَيَحْتَمِلُ أَنْ يُشَبَّهَ^(١) الْكُفْرَ الَّذِي فِي قُلُوبِهِمْ بِالْكُنْ، وَيَنْسِبُ هَذَا «الْجَعَلَ»
إِلَى نَفْسِهِ، كَمَا يَقُولُ: جَعَلْتُ فُلَانًا فَاضِلًا، وَجَعَلْتُهُ فَاسِقًا. وَجَعَلَ الْقَاضِي فَلَانًا
عَدْلًا، أَوْ فَاسِقًا. وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ.

قال الشاعر^(٢):

جَعَلْتَنِي بِإِخْلَاكَ لِرَبِّ مَنَى إِيَّيْ لَأَسْمَحَ كَفًّا مِنْكَ فِي اللَّزْبِ



(١) ما بين المعقوفتين ساقطة من (ش).

(٢) التبيان في تفسير القرآن: ١٠٦: ٤. وفيه: «كَلَابَ وَرَبَّ مَنَى...» جمع البيان: ٢: ٢٨٦. من دون
عزو فيها.

فصل [-١٧-]

[في معنى المرض والرجز والقسوة]

قَوْلُهُ - تَعَالَى -: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾^(١).

أي: حُزْنٌ، وَعِلَّةٌ. وَلَوْ كَانَ الشَّكُّ مَرَضًا، لَكَانَ الشَّاكُّ مَرِيضًا، وَالْمُؤْمِنُ صَاحِبًا. فَيَجِبُ أَنْ يُسَمَّى كُلُّ كَافِرٍ مَرِيضًا وَكُلُّ مُؤْمِنٍ صَاحِبًا.
وَأَمَّا قَوْلُ الشَّاعِرِ^(٢):

وَلَبِلَّةٍ مَرَضَتْ فِي كُلِّ نَاجِيَةٍ فَمَا يُضِيءُ لَهَا شَمْسٌ وَلَا قَمَرٌ^(٣)
فَإِنَّهُ بَالِغٌ فِي كَثَرَةِ حُزْنِهِ، وَعِلَّتِهِ، كَأَنَّهُ مُظْلِمٌ.

وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ^(٤): «الْمَرَضُ»^(٥): الشَّكُّ، وَالتَّفَاقُّ.

(١) البقرة: ١٠.

(٢) هو أبو حَيَّةَ النُّمَيْرِيُّ. انظر: شِعْرَ أَبِي حَيَّةَ النُّمَيْرِيِّ: ١٤٨.

(٣) في (هـ): شَمْسًا. بَتْنُوَيْنُ النَّصَبِ. وَفِي (ح): فَمَا يُضِيءُ بِهَا.

(٤) مجاز القرآن: ١: ٣٢.

(٥) ما بين المعقوفين ساقطة من (ش).

وَقَالَ الطُّوسِيُّ^(١): فَيَكُونُ مَعْنَاهُ: إِنَّ الْمُتَافِقِينَ، كَانُوا كُلُّمَا أُنْزِلَ اللَّهُ آيَةً، أَوْ سُورَةً، كَفَرُوا بِهَا، فَازْدَادُوا - بِذَلِكَ - كُفْرًا إِلَى كُفْرِهِمْ، وَشَكًّا إِلَى شَكِّهِمْ. فَجَازَ - لَذَلِكَ - أَنْ يُقَالَ: ﴿فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾^(٢)، لَمَّا إِزْدَادُوا عِنْدَ نُزُولِ الْآيَاتِ.

ومثله - حِكَايَةً عَنْ نُوحٍ -: ﴿إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا﴾^(٣)، وَهُمْ الَّذِينَ إِزْدَادُوا فِرَارًا عِنْدَ دُعَائِهِ. ومثله: ﴿فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ﴾^(٤).

والتَّقْدِيرُ - فِي الْآيَةِ -: فِي إِعْتِقَادِ قُلُوبِهِمْ - الَّذِي يَعْتَقِدُونَهُ فِي الدِّينِ، وَالتَّصَدِيقِ / ٨٤ / بِنَبِيِّهِ - مَرَضٌ.

وحذف المضاف، وأقام المضاف إليه، مقامه، كما قال: يا خيَلِ الله إركبي. يعني: يا أصحاب خيَلِ الله. وكقوله: ﴿وَسْتَلِ الْقَرْيَةَ﴾^(٥).

وإنَّهَا سَمِيَ الشَّكُّ فِي الدِّينِ، مَرَضًا، لِأَنَّ كُلَّ فَاسِدٍ، يَحْتَاجُ إِلَى عِلَاجٍ. وَمَرَضُ الْقَلْبِ، أَعْضَلُ، وَدَوَاؤُهُ أَعْسَرُ، وَأَطْيَأُوهُ أَقْلُ.

(١) التبيان في تفسير القرآن: ١: ٧٢.

(٢) البقرة: ١٠.

(٣) نوح: ٦٠، ٥.

(٤) التوبة: ٢٥.

(٥) يوسف: ٨٢.

ثُمَّ قَالَ - فِي آخِرِ الْآيَةِ -: ﴿وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ﴾^(١). فِيهِ بَيَانٌ: أَنَّ الْمَرَضَ فِي الْقَلْبِ، أَذَاهُمْ إِلَى أَنْ مَاتُوا عَلَى الْكُفْرِ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿فَزَادْتُهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ﴾^(٢).
الظَّاهِرُ لَا يَقْتَضِي أَنَّ الْآيَاتِ، زَادَتْهُمْ رِجْسًا. وَفِي عُذُولِهِمْ عَنْهَا تَرْكٌ لِلظَّاهِرِ.

وَأَخْرَجَ الْآيَةَ: ﴿وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ﴾^(٣)، فِيهِ بَيَانٌ أَنَّ رِجْسَهُمْ، كَانَ سَبَبَ^(٤) مَوْتِهِمْ كُفْرًا.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَيَجْعَلُ الرَّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾^(٥).
قَالَ الْفَرَاءُ^(٦): الرَّجْزُ: الْعَذَابُ، يَجْعَلُهُ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ، أَي: كَانَتْهُمْ

(١) التوبة: ١٢٥.

(٢) التوبة: ١٢٥.

(٣) التوبة: ١٢٥.

(٤) فِي (هـ): بِسَبَبٍ. مَعَ حَرْفِ الْجَزْرِ (الْبَاءِ).

(٥) يُونُس: ١٠٠.

(٦) معاني القرآن: ١: ٤٨٠.

لَا يَعْقِلُونَ شَيْئاً ذَمّاً لَهُمْ، وَعَيْباً.

وقال ابن عباس^(١): الرّجز: الغَضْبُ والسَّخَطُ.

وقال أبو عبيدة^(٢): الرّجز: العَذَابُ.

وقال الحسن^(٣): الرّجز: الكفر. أي^(٤): يجعله^(٥). بمعنى: أَنَّهُ يَحْكُمُ أَنَّهُمْ أَهْلُهُ، ذَمّاً لَهُمْ، وَعَيْباً.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ - : ﴿فَبِمَا نَقُضُوا مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾^(٦).

الْقَسْوَةُ: قِلَّةُ الرَّحْمَةِ. وَقَدْ يُوصَفُ بَعْضُ الْكُفَّارِ بِأَنَّهُ رَقِيقُ الْقَلْبِ. كَمَا أَنَّهُ يُوصَفُ بَعْضُ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّهُ قَاسِي الْقَلْبِ، فَلَا تَعَلُّقَ لَهَا بِالْكَفْرِ. وَالْكَفْرُ لَا يُوجِبُ الْقَسَاوَةَ، لِأَنَّهَا إِنَّمَا تَحِبُّ عَنِ الْقُدْرَةِ، الْمُوجِبَةِ لِذَلِكَ،

(١) جامع البيان: ١١: ١٧٤. أيضاً: مجمع البيان: ٣: ١٣٧. الدر المنثور: ٤: ٣٩٤.

(٢) مجاز القرآن: ٤١: ١.

(٣) مجمع البيان: ٣: ١٣٧.

(٤) (أي) ساقطة من (ح).

(٥) في (ح): يجعلوه. بحرف الجر الباء الداخلة على المصدر (جعل).

(٦) المائدة: ١٣.

دُونَ الْكُفْرِ، وَلَآئِهِ^(١) جَعَلَهَا كَالْجَزَاءِ عَلَى الْكُفْرِ. وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَجْعَلَ الْجَزَاءُ عَلَى الْكُفْرِ، كُفْرًا آخَرَ^(٢)، لَآئِهِ يُوَدِّي إِلَى مَا لَا نِهَابَ لَهُ.



(١) في (هـ): لَآئِهَا.

(٢) (آخر) ساقطة من (ح).

فصل [- ١٨ -]

[في الإملاء للكافرين والإنعام عليهم]

قَوْلُهُ - تَعَالَى -: ﴿إِنْ يَنْسَنُكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾^(١).

لَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ جَعَلَ لِلْكَفَّارِ دَوْلَةً عَلَى الْمُؤْمِنِينَ^(٢)، كَمَا جَعَلَ لِلْمُؤْمِنِينَ دَوْلَةً، وَعَلَبَةً عَلَيْهِمْ، لِأَنَّهُ لَا يَجُوزُ أَنْ يَنْصُرَ اللَّهُ الْكُفَّارَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، كَمَا يَنْصُرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْكُفَّارِ.

وَيَعْنِي بِقَوْلِهِ: ﴿نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾: أَنَّهُ يَجْعَلُ بَعْضُ الْقَوْمِ، مُبْتَدِئًا^(٣)، آمِنًا، مُعَاقَى، مَسْرُورًا، وَالَّذِينَ أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ، فِي غَمٍّ^(٤)، وَحُزْنٍ، وَالْأَم.

وَيَجُوزُ ذَلِكَ مِنْ اللَّهِ - تَعَالَى - فِي الْمُؤْمِنِينَ وَالْكَافِرِينَ جَمِيعًا؛ لِأَنَّ اللَّهَ - تَعَالَى -

(١) آل عمران: ١٤٠.

(٢) (على المؤمنين) ساقطة من (ح).

(٣) مبتدئاً: ظاهراً، بادئاً.

(٤) في (ح): هم.

يَمْتَحِنُ الْكَافِرِينَ، وَالْمُؤْمِنِينَ، بِمِثْلِ هَذَا.

وَمَعْنَى «الدُّوْلَةِ»: الْغِنَى. قَوْلُهُ: ﴿كَفَى لَا يَكُونُ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ﴾^(١). وَمِنْهُ حَدِيثُ أَبِي سُفْيَانَ^(٢): تَدَاوَلُوهَا تَدَاوَلُ الْكُرَّةِ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ﴾ الْآيَةُ^(٣).

إِنَّمَا أَعْطَاهُمُ اللَّهُ - تَعَالَى - ذَلِكَ الْإِنْعَامَ عَلَيْهِ^(٤)، مَعَ تَعَرِّيهِ^(٥) مِنْ وُجُوهِ الْإِسْتِفْسَادِ^(٦). وَهَذَا إِسْتِفْهَامٌ، وَالْإِسْتِفْهَامُ لَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ فَعَلَ ذَلِكَ.

ثُمَّ قَالَ: ﴿لِيُضِلُّوا﴾. [وَهَذَا]^(٧) بِخِلَافِ مَذْهَبِهِ.

وَ «الْلَامُ»: لَامُ الْعَاقِبَةِ، وَهِيَ مَا يُؤَوَّلُ إِلَيْهِ الْأَمْرُ، كَقَوْلِهِ: ﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾^(٨).

(١) الحشر: ٧.

(٢) تاريخ الطبري: مروج الذهب:

(٣) يونس: ٨٨.

(٤) (عليه) ساقطة من (هـ) و(ح).

(٥) في (أ): تَقَرَّبِهِ. بِالْقَافِ الْمُثَنَّى بَعْدَهَا وَאוْ مُشَدَّدة.

(٦) في (ش): الْإِسْتِفْسَادُ. بِالسَّيْنِ الْمُهْمَلَةِ ثَانِيًا بَعْدَهَا الْفَاءُ الْمُوحَّدة.

(٧) مَا بَيْنَ الْمُعْقُوفَتَيْنِ سَاقِطَةٌ مِنْ (ش).

(٨) القصص: ٨.

قال الجليل^(١): «اللام» - هاهنا - بمعنى «الفاء». تقديره: فضلوا.
وقال البلخي^(٢): هذا مُقَدَّم، مؤخَّر. تقديره: ربَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ،
فَلَا يُؤْمِنُوا. [رَبَّنَا أَطْمَسْ عَلَى أُمُورِهِمْ.
وقيل: المعنى: فَلَا يُؤْمِنُونَ]^(٣) إِيْمَانٍ إِلْجَاءً، حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ، الْأَلِيمَ^(٤)،
وَهُمْ - مع ذلك - لَا يُؤْمِنُونَ إِيْمَانٍ إِخْتِيَارٍ أَصْلًا.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَلَكِنْ مَتَّعْتُهُمْ وَآبَاءَهُمْ﴾^(٥).
لَيْسَ فِيهِ أَنَّهُ مَتَّعَهُمْ لَذَلِكَ. وَالْإِمْتَاعُ لَيْسَ بِمُوجِبٍ لِلنَّسْيَانِ عَلَى مَذْهَبِهِ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَلَا يَخْسِبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّمَا نُعَلِّيْ لَهُمْ خَيْرَ لَأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا
نُعَلِّيْ لَهُمْ لِيَزِدَادُوا فِيْهُمْ﴾^(٦).

(١) في (أ): الجليل. بالجيم المعجمة من تحت.

(٢) التبيان في تفسير القرآن: ٥: ٤٢٣.

(٣) ما بين المعقوفين ساقطة من (ش).

(٤) في (ك): أليم. من دون (أل).

(٥) الفرقان: ١٨.

(٦) آل عمران: ١٧٨.

قال البلخي^(١): «وَلَا يَحْسَبَنَّ^(٢) الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ^(٣) إِمْلَاءَنَا لَهُمْ رِضَىٰ بِأَفْعَالِهِمْ، وَقَبُولَ لَهَا، بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ، لَأَنَّا نُمِلِّي لَهُمْ، وَهُمْ يَزْدَادُونَ إِثْمًا، يَسْتَحِقُّونَ بِهِ عَذَابًا أَلِيمًا.

ومثله: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنسِ﴾^(٤). أي: ذَرَأْنَا كَثِيرًا مِنَ الْخَلْقِ، سَيُصِيرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ، بِسُوءِ أَفْعَالِهِمْ.

وَجَوَّزَ الْأَخْفَشُ^(٥) فِي قَوْلِهِ: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمِلِّي لَهُمْ﴾^(٦)، كَسَّرَ «أَنَّمَا»، لِيَجْعَلَهُ حُجَّةً لِأَهْلِ الْقَدَرِ، وَيَجْعَلَهُ عَلَى التَّقْدِيمِ، وَالتَّأْخِيرِ. كَأَنَّهُ قَالَ: وَلَا يَحْسَبَنَّ^(٧) الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّمَا نُمِلِّي لَهُمْ خَيْرًا^(٨) لَّأَنفُسِهِمْ.

فَقَالَ بَعْضُهُمْ: فَكَيْفَ يَكُونُ هَذَا، وَإِلَىٰ جَنبِهِ: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾^(٩).

(١) مجمع البيان: ١: ٥٤٤.

(٢) في (ك) و(هـ) و(ج): تحسبن. بناء المضارعة المثناة من فوق.

(٣) (أن) ساقطة من (هـ).

(٤) الأعراف: ١٧٩.

(٥) لم أقف عليه في كتابه (معاني القرآن) وهو في (مختصر في شواذ القرآن) لابن خالويه: ٢٣ معزوم.

إلى يحيى بن وثاب.

(٦) آل عمران: ١٧٨.

(٧) في (ك): تحسبن. بناء المضارعة المثناة من فوق.

(٨) في (هـ): خير. من دون تنوين النصب.

(٩) آل عمران: ١٧٨.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴾^(١).

تَأْخِيرُهُمْ إِنَّمَا لِقَوْلِهِ: ﴿ لِيَزَادُوا إِيمَانًا ﴾^(٢)، أَوْ لِقَوْلِهِ: ﴿ لِيَزَادُوا إِثْمًا ﴾^(٣)، أَوْ يَدْفَعُ بِهِمْ عَنِ الْأُولِيَاءِ، قَوْلُهُ: ﴿ وَلَوْ لَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ ﴾^(٤)، أَوْ لِيُخْرِجَ مِنْهُمْ^(٥) الْوَلَدَ الصَّالِحَ، أَوْ لِقَوْلِهِ: ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾^(٦) / ٨٥ / أَوْ أَنَّهُ يُبَيِّنُ^(٧) حِلْمَهُ، أَوْ أَنَّهُ إِنَّمَا يُعَجِّلُ^(٨) مَنْ يَخَافُ الْفَوْتَ^(٩).

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ الْآيَةَ ﴾^(١٠).

قَالَ الْمُفَسِّرُونَ: «اللَّامُ»، لَامُ الْعَاقِبَةِ، وَلَيْسَتْ بِلَامِ الْغَرَضِ. كَأَنَّهُ قَالَ: إِنَّ عَاقِبَةَ أَمْرِهِمْ، إِزْدِيَادُ الْإِثْمِ، كَمَا قَالَ: ﴿ فَالْتَقِطْهُ أَلْ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ هُمُ

(١) إبراهيم: ٤٢.

(٢) الفتح: ٤.

(٣) آل عمران: ١٧٨.

(٤) البقرة: ٢٥١، الحج: ٤٠.

(٥) في (ك): منه.

(٦) الأنفال: ٣٣.

(٧) في (ك) و(ح): يبين. بصيغة الماضي.

(٨) في (ش) و(ك) و(أ): يجعل. بجيم معجمة من تحت بعدها عين مهملة.

(٩) في (ك): الموت. بالميم، وهو تحريف.

(١٠) الأعراف: ١٧٩.

عُدُّوْا^(١)، وَقَالَ: ﴿وَجَعَلُوا اللَّهَ أُنْدَادًا لِّيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ^(٢)﴾، وَقَالَ: ﴿لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا الْإِنْسَانُ أِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ...﴾^(٣) إِلَى قَوْلِهِ ﴿...لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ^(٤)﴾.

وَقَالَ الشَّاعِرُ^(٥):

لِئْدُوا لِلْمَوْتِ وَابْنُوا لِلْخَرَابِ [فَكُلُّكُمْ يَصِيرُ إِلَى تَبَابٍ]

وَلَا يَجُوزُ أَنْ يُحْمَلَ ذَلِكَ عَلَى لَامِ الْغَرَضِ، وَالْإِرَادَةِ، لِوَجْهَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: إِنَّ إِرَادَةَ الْقَبِيحِ، قَبِيحَةٌ. وَلَا يَجُوزُ^(٦) ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ - تَعَالَى -

وَالثَّانِي: لَوْ كَانَتْ «الْأَلَامُ» لَامَ الْإِرَادَةِ^(٧)، لَكَانَ الْكُفَّارُ مُطِيعِينَ لِلَّهِ مِنْ حَيْثُ فَعَلُوا مَا أَرَادَهُ. وَذَلِكَ خِلَافُ الْإِجْمَاعِ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ^(٨)﴾.

(١) القصص: ٨.

(٢) إبراهيم: ٣٠.

(٣) آل عمران: ١٥٦.

(٤) آل عمران: ١٥٦.

(٥) هو أبو العتاهية. انظر شرح ديوان أبي العتاهية: ٢٣. ومنه تمام البيت.

(٦) في (هـ): وذلك لا يجوز على الله - تعالى -.

(٧) في (أ): إرادة. من دون (أل).

(٨) الذاريات: ٥٦.

يَيْتُ^(١):

وَلَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَمَى وَكُلُّ سَاعٍ سَاعَةٌ سَوْفَ يُرَى



(١) لم نقف على اسم قائله ولا مورد أخذه.

فصل [- ١٩ -]

[الإذن بمعنى العلم أو التخليّة]

قَوْلُهُ - تَعَالَى -: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾^(١).

الإِذْنُ: الْعِلْمُ. مِنْ قَوْلِهِمْ: أَذِنْتُ فُلَانًا بِكَذَا، وَأَذِنْتُ لِكَذَا.

﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾، أَي^(٢): بِعِلْمِهِ. قَوْلُهُ: ﴿فَقُلْ

أَذْنَتُكُمْ عَلَى سِوَاءِ﴾^(٣). وَالْأَمْرُ: ﴿فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾^(٤)، أَي: يُسَهِّلُ السَّبِيلَ إِلَيْهِ.

وَقَدْ جَاءَ «الإِذْنُ» بِمَعْنَى: التَّخْلِيَةِ، وَالْإِبَاحَةِ، لِأَنَّ الْمَوْتَ لَيْسَ إِلَى

الْإِنْسَانِ، فَيَكُونُ مَأْمُورًا بِهِ، أَوْ مَبَاحًا لَهُ، وَلَيْسَ ذَلِكَ مِنْ فِعْلِهِ. وَلَا خِلَافَ بِأَنَّ

الْإِنْسَانَ، يَمُوتُ بِأَجَلِهِ عِنْدَ الْوَقْتِ الَّذِي عَلِمَ اللَّهُ - تَعَالَى -.

(١) آل عمران: ١٤٥.

(٢) (أَي) ساقطة من (ك).

(٣) الأنبياء: ١٠٩.

(٤) البقرة: ٩٧.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾^(١).

أي: يَعْلَمُ اللَّهُ. فَكَأَنَّهُ قَالَ: لَا تُصِيبُكُمْ^(٢) مُصِيبَةٌ، إِلَّا وَاللَّهُ - تعالى -^(٣) عَالِمٌ

بِهَا.

قال البلخي^(٤): معناه: إِلَّا بِتَخْلِيَةِ اللَّهِ بَيْنَكُمْ، وَبَيْنَ مَنْ^(٥) يُرِيدُ فَعْلَهَا.

وسأل محمد بن سليمان الهاشمي عمر بن قائد عن قوله: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ

أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾^(٦).

فقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَمِنُوا خَيْرًا

لَكُمْ﴾^(٧).

ثم قال: ﴿وَيَجْعَلُ الرَّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾^(٨)، أي: الَّذِينَ لَمْ يَعْلَمُوا

مَا أَوْجَبَ عَلَيْهِمْ، وَصَفَهُمْ بِأَنَّهُمْ لَا يَعْقِلُونَ. كما قال: ﴿صُمُّ بَكْمٌ عُمِّيٌّ﴾^(٩)، أي:

(١) التغابن: ١١.

(٢) في (ش) و(ك) و(هـ) و(أ): يصيبكم. بياء المضارعة المثناة من تحت.

(٣) (تعالى) ساقطة من (هـ).

(٤) مجمع البيان: ٥: ٣٠٠.

(٥) في (أ): ما.

(٦) يونس: ١٠٠.

(٧) النساء: ١٧٠.

(٨) يونس: ١٠٠.

(٩) البقرة: ١٨، ١٧١.

أَنَّهُ لَا يُمَكِّنُ أَحَدًا أَنْ يُؤْمِنَ بِإِطْلَاقِ اللَّهِ لَهُ^(١) فِي الْإِيمَانِ، وَتَمَكِّيْنِهِ^(٢) مِنْهُ، وَدُعَائِهِ إِلَيْهِ، بِمَا خَلَقَ فِيهِ مِنَ الْعَقْلِ الْمَوْجِبِ لَذَلِكَ.

وقال الحسن^(٣)، وأبو علي^(٤): إِذْنُهُ - هَاهُنَا - أَمْرُهُ، كَمَا قَالَ ابْنُ قَائِدٍ.

وَحَقِيقَةُ إِطْلَاقِهِ - فِي الْفِعْلِ - بِالْأَمْرِ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾^(٥).

يعني: تَخْلِيَةِ اللَّهِ. فَكَأَنَّهُ أَقَادَ: أَنَّ الْعِبَادَ، لَا يُعْجِزُونَهُ^(٦)، وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ أَحَدًا، إِلَّا بِأَن^(٧) يُخْلِيَ^(٨) اللَّهُ بَيْنَهُمْ، وَيَبْنِيَهُ. وَلَوْ شَاءَ، لَمَنْعَهُمْ بِالْقَهْرِ، زَائِدًا عَلَى مَنْعِهِمْ بِالزَّجْرِ.

أَوْ تَكُونُ «إِلَّا» زِيَادَةً، فَيَكُونُ الْمَعْنَى: وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ، بِإِذْنِ

(١) فِي (أ): لَهُ مَا فِي الْإِيمَانِ.

(٢) فِي (أ): يُمْكِنُهُ. بِصِيغَةِ الْمَضَارِعِ.

(٣) مَجْمَعُ الْبَيَانِ: ٣: ١٩٣ - ١٩٤.

(٤) أَبُو عَلِيٍّ الطَّبْرَسِيُّ: مَجْمَعُ الْبَيَانِ: ٥: ٣٠٠.

(٥) الْبَقَرَةُ: ١٠٢.

(٦) فِي (ش): يَعْجِزُوهُ. مِنْ دُونَ نُونِ الرَّفْعِ.

(٧) فِي (هـ): بِأَذْنِ.

(٨) فِي (ش): يُخْلَقُ. بِالْقَافِ الْمُنْتَهَا.

الله. كما يقال: لَقِيتُ زَيْدًا إِلَّا أَنِّي أَكْرَمْتُهُ. أي: لَقِيتُ زَيْدًا، فَأَكْرَمْتُهُ.

ويكون^(١) «الضَّرَرُ» المُضَافُ إِلَيْهِ، هُوَ مَا يَلْحُقُ الْمَسْحُورَ^(٢) مِنَ الْأَدْوِيَةِ الَّتِي يَطْعُمُهُ إِيَّاهَا السَّحَرَةُ.

وَالضَّرَرُ الْحَاصِلُ نَحْوَ هَذَا مِنْ فِعْلِ اللَّهِ بِالْعَادَةِ، لِأَنَّ الْأَغْذِيَةَ، لَا تَوْجِبُ ضَرًّا، وَلَا نَفْعًا.

وإِنْ كَانَ الْمَعْرُضُ^(٣) لِلضَّرَرِ مِنْ حَيْثُ كَانَ الْفَاعِلُ لَهُ، هُوَ الْمُسْتَحَقُّ لِلذَّمِّ. وَعَلَيْهِ يَجِبُ الْعِوَضُ.

وَالضَّرَرُ الْمَذْكُورُ مِنَ التَّفْرِيقِ بَيْنَ الْأَزْوَاجِ أَنَّهُ إِذَا ارْتَدَّ أَحَدُ الزَّوْجَيْنِ، وَكَفَرَ، بَانَتْ مِنْهُ زَوْجَتُهُ، فَاسْتَقَرَّ بِذَلِكَ، كَانُوا ضَارِّينَ لَهُ، مِمَّا حَسَنُوهُ لَهُ مِنْ الْكُفْرِ، إِلَّا أَنَّ الْفُرْقَةَ، لَمْ تَكُنْ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ، وَحُكْمِهِ، لِأَنَّهُ - تَعَالَى - هُوَ الَّذِي حَكَمَ، وَأَمَرَ بِالتَّفْرِيقِ بَيْنَ الْمُخْتَلِفِي الْأَدْيَانِ، فَلِهَذَا قَالَ: ﴿وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾^(٤).

وَالْمَعْنَى: إِنَّهُ لَوْ لَا حُكْمُ اللَّهِ - تَعَالَى - وَإِذْنُهُ فِي الْفُرْقَةِ بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ، بِاخْتِلَافِ الْمِلَّةِ، لَمْ يَكُونُوا ضَارِّينَ لَهُ هَذَا الضَّرْبَ مِنَ الضَّرَرِ الْحَاصِلِ عِنْدَ الْفُرْقَةِ.

(١) في (هـ): فيكون.

(٢) في (أ): المسحور. بالشين المعجمة.

(٣) في (ش): الغرض.

(٤) البقرة: ١٠٢.

وقد روي أنه كان من دين سليمان - عليه السلام - أنه من سحرة^(١)، بآنت منه امرأته.

قوله - سبحانه - ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ﴾^(٢).

الزَّيْغُ: هو الميل: ﴿وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ﴾^(٣)، ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ﴾^(٤).
والميل، يكون عن الحق، وعن الباطل، وليس في الآيات ذكر^(٥)، وإنما يُعرف ذلك بدليل.

قوله - سبحانه -: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ / ٨٦ / اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾^(٦).
لا يخلو من أن يكون منهم، أو من الله، فإن كان منهم، فسَدَ مَذْهَبُهُمْ،
وكان قوله: ﴿أَزَاغَ اللَّهُ﴾ مَصْرُوفاً إِلَى الرَّحْمَةِ، وَالتَّوَابِ.

(١) في (أ): سحر. بالشين المعجمة.

(٢) آل عمران: ٧.

(٣) سبأ: ١٢.

(٤) النجم: ١٧.

(٥) في (أ): ذكرأ. بتنوين النصب.

(٦) الصف: ٥.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا﴾^(١).

هذا سؤال. ومثله لَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ أَنْ يَفْعَلَ خِلَافَهُ.

وَيَبْنِي جَوَارَ مَسْأَلَتِهِ أَنْ يَفْعَلَ مَا فَعَلَهُ، لَا مَحَالَةَ، وَلَا يَفْعَلَ خِلَافَهُ كَقَوْلِهِ:

﴿رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ﴾^(٢).

وذلك دُعَاءٌ بِالنَّشِيطِ عَلَى الْهِدَايَةِ، وَإِمْدَادِهِمْ بِاللَّطَافِ، الَّتِي مَعَهَا

يَسْتَمِرُّونَ عَلَى الْإِيمَانِ. وَمَتَى قَطَعَ إِمْدَادُهُم بِالطَّافَةِ، وَتَوَفِيقَاتِهِ، زَاغُوا. كَمَا يُقَالُ:

اللَّهُمَّ لَا تُسَلِّطْ عَلَيْنَا مَنْ لَا يَرْحَمُنَا. مَعْنَاهُ: لَا تُخْلِلْ^(٣) بَيْنَنَا، وَبَيْنَهُ، فَيَسْلُطَ عَلَيْنَا.

﴿لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا﴾^(٤): لَا تُشَدِّدْ عَلَيْنَا الْمِحْنَةَ فِي التَّكْلِيفِ، فَيُفْضِي ذَلِكَ بِنَا إِلَى

زَيْغِ قُلُوبِنَا بَعْدَ الْهِدَايَةِ. لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا عَنْ ثَوَابِكَ، وَرَحْمَتِكَ بَعْدَ أَنْ دَعَوْتَنَا إِلَيْهِ،

وَدَلَّلْتَنَا عَلَيْهِ.

ومعنى هذا السؤال: أَتَيْتُمْ سَأَلُوا اللَّهَ - تَعَالَى - أَنْ يَلْطَفَ بِهِمْ فِي فِعْلِ

الْإِيمَانِ، حَتَّى يَقِيمُوا عَلَيْهِ، وَلَا يَتْرُكُوهُ فِي مُسْتَقْبَلِ عُمْرِهِمْ، فَيَسْتَحِقُّوا بِتَرْكِ

الْإِيمَانِ أَنْ تَزِيغَ قُلُوبُهُمْ عَنِ الثَّوَابِ، وَأَنْ يَفْعَلَ بِهِمْ - بَدَلًا مِنْهُ - الْعِقَابَ، كَقَوْلِهِ:

(١) آل عمران: ٨ وفي (ح) تكملة الآية: ﴿...بَعْدَ إِذْ هَدَيْنَا...﴾.

(٢) الأنبياء: ١١٢.

(٣) في (ك) و(أ): لَا تَخْل. بالخاء المهملة.

(٤) آل عمران: ٨.

﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾^(١)، وقوله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ﴾^(٢)، وقوله: ﴿أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ﴾^(٣).

وضد هذه الآيات في قلوب الكافرين الآية محمولة على الدعاء بأن لا يزيع القلوب عن اليقين، والإيمان.

ولا يقتضي ذلك أنه - تعالى - سئل ما كان لا يجب عليه فعله، لأنه غير مُتَمَتِّعٍ أَنْ يَدْعُوهُ عَلَى سَبِيلِ الانْقِطَاعِ إِلَيْهِ، والافتقار إلى ما عنده، بأن يفعل ما يَعْلَمُهُ أَنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ أَنْ يَفْعَلَهُ بِمَا أَعْلَمَ أَنَّهُ وَاجِبٌ أَلَّا يَفْعَلَهُ، إِذَا تَعَلَّقَ - بذلك - صَرْبٌ مِنَ الْمَصْلَحَةِ، كما قال إبراهيم: ﴿وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُنْعَتُونَ﴾^(٤)، وقال النبي - عليه السلام -: ﴿قَالَ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ﴾^(٥). بَيَّتَ^(٦):

وَمِنْ بَعْدِ مَا زَاغُوا أَزَاغَ قُلُوبَهُمْ وَغَيْرَ لَا غَيْرَ وَانْعَمَ الْمُشْرِي



(١) الأنعام: ١٢٦.

(٢) المائدة: ٤١.

(٣) المجادلة: ٢٢.

(٤) الشعراء: ٨٧.

(٥) قول النبي (ص) - في الأصل - مقتبس من الآية: ١١٢ من سورة الأنبياء.

(٦) لم نقف على اسم قائله ولا مورد أخذه.

فصل [٢٠-]

[في نسبة النسيان والخطأ والكفر]

قَوْلُهُ - تَعَالَى -: ﴿وَبَيْنَا لَا تُؤَاخِذُنَا إِنْ نَسِينَا﴾^(١).

النَّسْيَانُ مِنْ فِعْلِ اللَّهِ - تَعَالَى - وَلَا تَكْلِيفَ عَلَى النَّاسِي فِي حَالِ نَسْيَانِهِ،
فَكَيْفَ يَأْمُرُنَا - عَلَى سَبِيلِ الْعَادَةِ لَنَا - بِالذُّعَاءِ كَذَلِكَ.

ثُمَّ إِنَّهُ إِذَا أَنْ يَكُونَ النَّسْيَانُ مِنْ فِعْلِنَا، أَوْ نَكُونَ^(٢) مُتَعَبِّدِينَ بِمَسْأَلَتِهِ - تَعَالَى
- مَا نَعْلَمُ أَنَّهُ وَاقِعٌ، لِأَنَّ مُؤَاخَذَةَ النَّاسِي^(٣) مَأْمُوءَةٌ مِنْهُ - تَعَالَى -.

قَالَ قُطْرُبٌ^(٤): النَّسْيَانُ - هَاهُنَا - التَّرْكُ، كَمَا قَالَ: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ
قَبْلُ فَنَسِيَ﴾^(٥)، وَكَقَوْلِهِ: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾^(٦). أَي: تَرَكُوا طَاعَتَهُ، فَتَرَكَهُمْ مِنْ

(١) البقرة: ٢٨٦.

(٢) في (ش): يكون. بياض المضارعة المثناة من تحت.

(٣) في (أ): الناسي. بالشين المعجمة.

(٤) في مجمع البيان: ١: ٤٠٣ هذا القول غير معزو إلى أحد، وكذا في التفسير الكبير: ١٦: ١٢٦.

(٥) طه: ١١٥. وفي (هـ): نكلمة الآية: ﴿وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً﴾.

(٦) التوبة: ٦٧.

رَحْمَتِهِ، كَمَا يُقَالُ: لَا تَنْسِنِي مِنْ عَطِيَّتِكَ.

قال الشاعر^(١):

[وَلَمْ أَكْ عِنْدَ الْجُودِ لِلْجُودِ قَالِيًا] وَلَا كُنْتُ - يَوْمَ الرُّوعِ - لِلطَّمَنِ نَاسِيًا

أي: تَارِكًا. وقوله: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ﴾^(٢).

وَيَحْمِلُ النَّسِيَّانُ عَلَى السَّهْوِ، وَيَكُونُ وَجْهُ الدُّعَاءِ - بِذَلِكَ - عَلَى سَبِيلِ

الانْقِطَاعِ إِلَى اللَّهِ - تَعَالَى - وَإِنْ كَانَ مَأْمُونًا الْمُواخِذَةُ بِمِثْلِهِ، كَقَوْلِهِ: ﴿رَبِّ احْكُمْ

بِالْحَقِّ﴾^(٣)، ﴿وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴾^(٤).

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ...﴾ الْآيَةُ^(٥).

هَذَا كَمَا قَالَ فِي قِصَّةِ آلِ فِرْعَوْنَ: ﴿وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ﴾^(٦).

(١) مجمع البيان: ١: ٤٠٢ بلا عزو، ومنه صدر البيت. كنز الفوائد: ٤٠ وفيه: وأنشد أبو عرفة.

(٢) البقرة: ٤٤.

(٣) الأنبياء: ١١٢.

(٤) الشعراء: ٨٧.

(٥) الأنعام: ٤٤.

(٦) الأعراف: ١٦٨.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾^(١).

الخطأ: مَا وَقَعَ سَهْوًا، أَوْ عَنْ غَيْرِ عَمْدٍ^(٢).

أَمَّا الْأَوَّلُ، فَقَدْ يَجُوزُ أَنْ يُرِيدَ بِالْخَطَا مَا يُفْعَلُ بِالتَّأْوِيلِ لِلشَّيْءِ، وَعَنْ جَهْلِ بَأْتِهَا مَعَاصِي، لِأَنَّ مَنْ قَصَدَ شَيْئًا عَلَى إِعْتِقَادِ أَنَّهُ يَصِفُهُ^(٣)، فَوَقَعَ بِخِلَافِ مَا هُوَ مُتَعَمِّدُهُ، يُقَالُ: قَدْ أَخْطَأَ. فَكَأَنَّهُ أَمَرُهُمْ بِأَنْ يَسْتَغْفِرُوا بِمَا^(٤) تَرَكُوهُ مُتَعَمِّدِينَ مِنْ غَيْرِ سَهْوٍ، وَلَا تَأْوِيلٍ، وَمِمَّا أَقْدَمُوا عَلَيْهِ مُتَأَوِّلِينَ.

وَيُقَالُ: أَخْطَأْنَا: أَذْنَبْنَا. وَإِنْ كَانُوا لَهُ مُتَعَمِّدِينَ، وَبِهِ عَالِمِينَ، لِأَنَّ جَمِيعَ الْمَعَاصِي، قَدْ تُوصَفُ بِأَنَّهَا خَطَأٌ مِنْ حَيْثُ فَارَقَتِ الصَّوَابَ، وَإِنْ كَانَ فَاعِلُهَا مُتَعَمِّدًا. وَكَأَنَّهُ أَمَرُهُمْ بِأَنْ يَسْتَغْفِرُوا بِمَا تَرَكُوهُ مِنَ الْوَاجِبَاتِ، وَمِمَّا فَعَلُوهُ مِنَ الْمُقْبَحَاتِ، لِيَشْتَمِلَ الْكَلَامُ عَلَى جِهَتَيْ الذُّنُوبِ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ

وَعَظِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْفِرْدَوْسَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ...﴾ الْآيَةُ^(٥).

(١) البقرة: ٢٨٦.

(٢) في (أ): عمدًا. بتنوين النصب.

(٣) في (ك): بصفة. بالباء الموحدة من تحت.

(٤) في (ش) و(هـ): قَمَّا. مَعَ الْفَاءِ.

(٥) المائدة: ٦٠.

قَدْ^(١) وَبَّخَهُمْ عَلَى كُفْرِهِمْ، فَلَا / ٨٧ / مَدْخَلَ لِكُونِهِ خَالِقًا لِكُفْرِهِمْ فِي
بَابِ ذَمِّهِمْ.

وَلَا شَيْءٌ أْبْلَغَ فِي عُذْرِهِمْ مِنْ أَنْ يَكُونَ خَالِقًا لِمَا^(٢) ذَمَّهُمْ مِنْ أَجْلِهِ. وَهَذَا
يَقْتَضِي أَنْ يَكُونَ الْكَلَامُ مُتَنَاقِضًا.

وَإِذَا أَرَدْنَا ذَمَّ إِنْسَانٍ، قُلْنَا: أَلَا أَخْبَرْتُكُمْ بِشَرِّ النَّاسِ: مَنْ فَعَلَ كَذَا، وَصَنَعَ
كَذَا. فَيَعْدُدُّ مِنَ الْأَفْعَالِ، وَالْأَحْوَالِ، قَبَائِحِهَا، وَلَا يُدْخِلُ فِي جُمْلَتِهَا مَا لَيْسَ
بِقَبِيحٍ.

وَأَكْثَرُ مَا فِيهَا أَنَّهُ خَلَقَ، وَجَعَلَ مِنَ يَعْبُدُ الطَّاغُوتَ، كَمَا جَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ،
وَالْخَنَازِيرَ.

وَلَا شُبْهَةٌ فِي أَنَّهُ - تَعَالَى - خَلَقَ الْكَافِرَ، غَيْرَ أَنَّهُ لَا يُوجِبُ أَنَّهُ خَلَقَ كُفْرَهُ،
وَجَعَلَهُ كَافِرًا.

وَالدَّلِيلُ قَدْ دَلَّ عَلَى أَنَّ مَا بِهِ يَكُونُ الْقِرْدُ قِرْدًا، وَالْخَنَزِيرُ خَنَزِيرًا، لَا يَكُونُ
إِلَّا فِعْلُهُ. وَهَكَذَا حُكْمُ مَنْ كَفَرَ.

وَلَا يَكُونُ قَوْلُهُ - تَعَالَى -^(٣): ﴿وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾ مَعْطُوفًا عَلَى: ﴿الْقِرَدَةَ﴾

(١) فِي (هـ): وَقَدْ. مَعَ الْوَاوِ.

(٢) (ل) سَاقِطَةٌ مِنْ (أ).

(٣) (تَعَالَى) سَاقِطَةٌ مِنْ (ح).

وَالْخَنَازِيرَ، بَلْ مَعْطُوفًا عَلَى: ﴿مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَعَظِبَ عَلَيْهِ﴾. وتقديره: مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ، وَمَنْ غَضِبَ عَلَيْهِ، وَمَنْ عَبْدَ الطَّاغُوتِ، وَمَنْ جَعَلَ اللَّهُ^(١) مِنْهُمْ^(٢) الْفِرْدَةَ، وَالْخَنَازِيرَ.

وَمَوْ الصَّحِيحُ، لَأَنَّ ﴿عَبَدَ﴾، فِعْلٌ، وَالْفِعْلُ لَا يُعْطَفُ عَلَى الْاسْمِ^(٣).
وَأَمَّا جَعَلُهُمْ فِرْدَةً، وَخَنَازِيرَ، عُقُوبَةٌ هُمْ عَلَى أفعالِهِمْ، فَجَرَى ذَلِكَ مَجْرَى أفعالِهِمْ، كَمَا دَمَّهْم بِأَن لَعَنَهُمْ، وَغَضِبَ عَلَيْهِمْ مِنْ حَيْثُ اسْتَحَقُّوا ذَلِكَ بِأفعالِهِمْ، وَعِبَادَتِهِمِ الطَّاغُوتِ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: حِكَايَةً عَنْ مُوسَى - عَلَيْهِ السَّلَام - : ﴿رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ...﴾^(٤) إِلَى قَوْلِهِ: ﴿...دَعْوَتُكُمْ﴾^(٥).

الطَّمْسُ عَلَى أَمْوَالِهِمْ، لَا يُوجِبُ نَفْيَ الْإِيمَانِ، لِأَنَّ مَعَ ذَلِكَ يَصُحُّ مِنْهُمْ الْإِيمَانُ. وَكَذَلِكَ يَصُحُّ مَعَ الشَّدَّةِ عَلَى الْقُلُوبِ، لِأَنَّ مَعْنَاهُ، يَحْتَمِلُ وَجْهَيْنِ:

(١) (الله) ساقطة من (ح).

(٢) في (أ): فِيهِمْ.

(٣) اللمع في العربية: ١٥٥.

(٤) يونس: ٨٨.

(٥) يونس: ٨٩.

أَمَّا: كُنْ شَدِيدًا عَلَيْهِمْ^(١). وَالشَّدَّةُ، رَاجِعَةٌ إِلَى الْمَسْئُولِ دُونَ الْمَسْئُولِ لَهُ^(٢)، لِأَنَّهُ لَمْ يَقُلْ: اشْدُدْهُمْ، أَوْ: اشْدُدْ قُلُوبَهُمْ. وَأَيْضًا: إِنَّ لَفْظَ ﴿الشَّدَّةُ﴾، يَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ مَا يَتَعَلَّقُ بِهَا مِنْ حُرُوفِ الصِّفَاتِ، [و] ^(٣) بِأَمَّاكِيزِهَا. يُقَالُ: شَدَّ كَذَا، وَشَدَّ عَلَيْهِ كَذَا. إِذَا جَعَلَهُ مُشْدُودًا^(٤) بِحَبْلِ، أَوْ نَحْوِهِ. وَشَدَّدَهُ. إِذَا جَعَلَهُ شَدِيدًا. وَشَدَّ عَلَى فُلَانٍ. - مُطْلَقًا - إِذَا حَمَلَ عَلَيْهِ. قَالَ ابْنُ مَرْدَاسٍ^(٥):

اشْدُدْ عَلَى الْكُتَيْبَةِ لِأَلْبَالِي [أَخْفِضِي كَأَنَّ فِيهَا أُمَّ سَوَاهَا]^(٦)
وَيُقَالُ: شَدُّوا عَلَيْهِمْ شَدَّةً وَاحِدَةً. إِذَا حَمَلُوا عَلَيْهِمْ. فَيَحْتَمِلُ أَنْ يُرِيدَ:
إِحْمِلْ^(٧) عَلَيْهِمْ.



قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَلَوْ لَا أَنْ تُبْتَكَ لَقَدْ كَذَبْتَ تَرَكْنُ إِلَيْهِمْ﴾^(٨).

(١) فِي (ش) ﴿إِنَّمَا أَنْ يَشْدُدْ عَلَيْهِمْ﴾ بَدَلًا مِنْ ﴿إِمَّا كُنْ شَدِيدًا عَلَيْهِمْ﴾.

(٢) (لَهُ): سَاقِطَةٌ مِنْ (هـ).

(٣) مَا بَيْنَ الْمُعْقُوفَتَيْنِ سَاقِطَةٌ مِنْ (ش).

(٤) فِي (هـ): مُشْدُودٌ. مِنْ دُونَ تَنْوِينِ النِّصْبِ.

(٥) فِي (هـ): مَرْدَاسٌ. بِالثَّنِينَ. الْمُثَلَّثَةُ.

(٦) دِيوَانُ الْعَبَّاسِ بْنِ مَرْدَاسٍ السَّلْمِيِّ: ١١٠. وَمِنْهُ تَمَامُ الْبَيْتِ.

(٧) فِي (ش): حَمَلَ. بِصِيغَةِ الْمَاضِي.

(٨) الْإِسْرَاءُ: ٧٤.

أَصَافَ التَّيِّبَ إِلَى نَفْسِهِ، وَالرُّكُونَ إِلَى النَّبِيِّ - عَلَيْهِ السَّلَام -، وَجَعَلَهُ مِنْ فِعْلِهِ. فَإِنْ جَاَزَ الْعُدُولُ عَنْ ذَلِكَ^(١)، جَاَزَ الْعُدُولُ عَنِ الْأَوَّلِ. ثُمَّ إِنَّهُ^(٢) ثَبَّتَهُ، وَلَمْ يُبَيِّنْ وَجْهَهُ. وَيَحْزَنُ أَنْ يُثَبَّتَ الْعَبْدُ عَلَى الطَّاعَةِ بِوُجُوهِ الطَّافَةِ، وَلَيْسَ يُوجِبُ ذَلِكَ جَبْرًا.

يُثَبَّتُ^(٣):

إِسْتَأْثَرَ اللَّهُ بِالْوَقَاءِ وَبِالْعَدْلِ وَوَلَّى الْمَلَائِكَةَ الرُّجْمَ لَا قَوْلَهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا﴾^(٤).

يعني: تشبيها بتفريغ الإناء مِنْ جِهَةٍ أَنَّهُ نِهَايَةٌ مَا تُوجِبُهُ^(٥) الْحِكْمَةُ، كَمَا أَنَّهُ نِهَايَةٌ مَا فِي الْوَاحِدِ مِنَ الْإِنِّيَّةِ.

وقوله: ﴿وَوَثَّيْتُ أَقْدَامَنَا﴾^(٦)، ثَبَّتْتُ الْأَقْدَامَ يَكُونُ بِشَيْئَيْنِ: أَحَدِهِمَا: بِتَقْوِيَةِ قُلُوبِهِمْ.

(١) العبارة: «عن ذلك جاز العدول عن» ساقطة من (أ).

(٢) (إِنَّهُ) ساقطة من (هـ).

(٣) (يُثَبَّتُ) ساقطة من (أ).

(٤) ديوان الأعشى الكبير (ميمون بن قيس): ٢٣٣. وفي (أ): وَلِيَّ. بالبناء للمجهول.

(٥) البقرة: ٢٥٠.

(٦) في (ش) و(ك) و(أ): يُوَجِّه. بياء المضارعة المثناة من تحت.

(٧) البقرة: ٢٥٠.

والثاني: بإلقاء الرعب في قلوب أعدائهم، حتى يظهر فيهم الخور^(١) في قتلهم.

وقيل: باختلاف كلمتهم، حتى يقع التخاذل بينهم.

والصبر، والثبوت من فعل العبد، لأنه مجازى عليها. وأما النصر، ففعل الله - تعالى -.



(١) في (أ): الجور. بالجيم المعجمة من تحت.

فصل [- ٢١ -]

[في نسبة الأعمال إلى الله]

قَوْلُهُ - تَعَالَى -: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمُّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ﴾^(١).
 وَصَفُهُ^(٢) بِأَنَّهُمْ: صُمٌّ، وَبُكْمٌ. إِمَّا أَنْ يَكُونَ حَقِيقَةً، أَوْ تَشْبِيهًا.
 فَإِنْ كَانَ حَقِيقَةً، فَلَا يَكُونُونَ سُلُومِينَ عَلَيْهِ. عَلَى أَنَّهَا غَيْرُ مَا نِعَى مِنَ
 الْإِيمَانِ، وَكَذَلِكَ كَوْنُهُمْ فِي الظُّلْمَةِ. فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا التَّشْبِيهُ.
 وَقَدْ جَاءَ فِي مَوْضِعٍ بِأَنَّهُمْ: ﴿لَا يُبْصِرُونَ﴾^(٣)، وَ﴿لَا يَسْمَعُونَ﴾^(٤)، وَأَنَّ
 ﴿عَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ﴾^(٥).
 قَالَ أَبُو مُسْلِمٍ^(٦): ﴿صُمُّ بُكْمٌ عُمَى فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾^(٧)، مَعْنَاهُ: لَا يَسْمَعُونَ

(١) الأنعام: ٣٩.

(٢) في (ك): وصفهم.

(٣) البقرة: ١٧. وفي مواضع أخرى من القرآن الكريم.

(٤) الأعراف: ١٠٠. وفي مواضع أخرى من القرآن الكريم.

(٥) البقرة: ٧.

(٦) قول أبي مسلم في مجمع البيان: ٣: ١٩٤ من دون عزو إليه.

(٧) البقرة: ١٧١.

عَنْ قُدْرَةٍ، وَلَا يَتَذَكَّرُونَ مَا يَسْمَعُونَ، وَلَا يَعْتَبِرُونَ بِمَا يَرَوْنَ، بَلْ هُمْ - عَنْ ذَلِكَ - غَافِلُونَ. فَكَأَنَّ اللَّهَ - تَعَالَى - يَقُولُ - فِي الْآخِرَةِ -: ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾^(١). وَالْمُرَادُ بِهِ التَّعَجُّبُ مِنْ قُوَّةِ أَبْصَارِهِمْ وَأَسْمَاعِهِمْ فِي الْآخِرَةِ، لِقَوْلِهِ: ﴿يَوْمَ يَأْتُونَنَا﴾، فَيَدُلُّ عَلَى أَنَّهُمْ عَارِفُونَ بِاللَّهِ صُرُورَةً.

وتجري هذه الآية مجرى قوله: ﴿لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ / ٨٨ / فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾^(٢).

وأما الآيات الأخرى، ففي حَالِ التَّكْلِيفِ، وهي الأحوال^(٣) التي كان الكُفَّارُ فيها ضُلَالًا عَنِ الدِّينِ.

قوله - سبحانه^(٤) -: ﴿وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ﴾^(٥).

(١) مريم: ٣٨.

(٢) ق: ٢٢.

(٣) في (أ): الأحوال.

(٤) (سبحانه) ساقطة من (هـ).

(٥) هود: ٣٤.

وهذا على سبيل الشرط. ولم يقل: إنه فعل الغواية، وأرادها، وإنما أراد: أن نصح النبي، لا يقع إن كان الله يريد غوايتهم، ووقوع^(١) الإرادة لذلك، وجواز وقوعها، لا دلالة عليه في الظاهر. ولا خلاف^(٢) في أن نصيحة النبي - عليه السلام - لا تنفع من أراد الله إغواءه، ولكن ليس فيها أنه يريد إغواءهم، أو لا يريد. وهو محل النزاع.

على أن الغواية، لفظ، مشترك^(٣). يقال: أصبح فلان غاوياً. أي: مريضاً. وغوى الفصيل. إذا فقد اللبن، فمات. وأغويت فلاناً.

أهلكته. ﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾^(٤): الحية.

شاعر^(٥):

[فمن تلقى خيراً يحمّد الناس امرءاً] ومن يفولا يعدم على الفئ لائماً

﴿هؤلاء الذين أغوينا أغويناهم كما غوينا﴾^(٦). هذا الأخير لا يجوز على

الله - تعالى -.

(١) في (هـ): وقوع. من دون واو.

(٢) في ساقطة من (أ).

(٣) لسان العرب (غوى).

(٤) مريم: ٥٩.

(٥) مضي ذكر هذا البيت في الصفحة:

(٦) القصص: ٦٣.

فَكَانَهُ قَالَ - تَعَالَى -: إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُعَاقِبَكُمْ بِسُوءِ عَمَلِكُمْ، فَلَيْسَ يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي مَا دُمْتُمْ مُقِيمِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ.

وَمَا قَبِلَ الْآيَةَ يَذُلُّ عَلَى مَا قُلْنَا^(١)، وَإِنَّ الْقَوْمَ اسْتَعْجَلُوا عِقَابَ اللَّهِ: ﴿قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا الْآيَاتِ^(٢)﴾.

وقال جعفر^(٣) بَنُ حَرْبٍ: كَانَ قَوْمُ نُوحٍ، جَبَرِيَّةً، فَقَالَ اللَّهُ - تَعَالَى - عَلَى سَبِيلِ الْإِنْكَارِ عَلَيْهِمْ: إِنْ كَانَ الْقَوْلُ كَمَا تَقُولُونَ، فَمَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي.

وقال الحسن^(٤): إِنْ كَانَ اللَّهُ، يُرِيدُ أَنْ يُعَذِّبَكُمْ، فَلَيْسَ يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي، عِنْدَ نَزُولِ الْعَذَابِ بِكُمْ، وَإِنْ آمَنْتُمْ بِهِ، لِأَنَّهُ لَا يَقْبَلُ الْإِيمَانَ عِنْدَ نَزُولِ الْعَذَابِ.

وَلَوْ كَانَ مُرِيداً لِإِغْوَائِهِمْ، لَوَجَبَ أَنْ يَتْرَكَ نُوحٌ نَصِيحَتَهُمْ بَعْدَ مَا اعْتَرَفَ بِذَلِكَ، فَلَمَّا كَانَ نُوحٌ مُجِدِّاً فِي النَّصِيحِ هُمْ مُجْتَهِدُونَ فِي مَجَادَلَتِهِمْ، حَتَّى قَالُوا: ﴿يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا...﴾ الْآيَةُ، صَحَّ أَنَّ اللَّهَ^(٥)، لَمْ يَكُنْ مُرِيداً لِإِغْوَائِهِمْ عَنِ الدِّينِ.

(١) في (ح): قلناه. مع ضمير الغائب (الهاء).

(٢) العبارة: ﴿قَدْ جَادَلْتَنَا نُوحٌ﴾ ساقطة من (أ).

(٣) هما آيتان: ٣٢، ٣٣ من سورة هود.

(٤) مجمع البيان: ٣: ١٥٨. وفي التفسير الكبير: ١٧: ٢١٩ معزى إلى المعتزلة مطلقاً.

(٥) مجمع البيان: ٣: ١٥٨. أيضاً: التفسير الكبير: ١٧: ٢١٩.

(٦) في (أ): (أ): الله أَنْ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ - ^(١): ﴿يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ بَلْ بَدَأَهُمْ...﴾ ^(٢) إِلَى قَوْلِهِ ﴿...لَكَاذِبُونَ﴾ ^(٣).

فقوله: ﴿يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبُ﴾ عَلَى وَجْهِ ^(٤) التَّمْنَى.

وقوله: ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ رَاجِعٌ إِلَى الْأَمْرِ الَّذِي تَمَنَّوْهُ، لِأَنَّ التَّمْنَى، لَا يَكُونُ صِدْقًا، وَلَا كَذِبًا، وَقَعَ مَا تَمَنَّاهُ، أَوْ لَمْ يَقَعْ، فَيَكُونُ قَوْلُهُ: ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ مَصْرُوفًا إِلَى حَالِ الدُّنْيَا.

وَيُحْمَلُ - أَيْضًا - عَلَى غَيْرِ الْكَذِبِ الْحَقِيقِيِّ. وَالْمَعْنَى: إِنَّهُمْ تَمَنَّوْا مَا لَا سَبِيلَ إِلَيْهِ، فَكَذِبَ أَمَلُهُمْ، وَتَمَنَّيْهِمْ. يُقَالُ: كَذَبَ أَمَلُهُ، وَأَكْدَى رَجَاؤُهُ.

قال الشاعر ^(٥):

كَذِبْتُمْ - وَيَبْتَ اللَّهُ - لَا نَأْخُذُوهَا مُرَاعَمَةً مَادَامَ لِلسَّيْفِ قَائِمٌ
وقالوا: ﴿يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ﴾. هَذَا هُوَ التَّمْنَى. ثُمَّ قَالَ: ﴿وَلَا نُكَذِّبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾، فَأَخْبَرُوا بِمَا عَلِمَ اللَّهُ - تَعَالَى - أَنَّهُمْ فِيهِ كَاذِبُونَ، وَإِنْ

(١) (سبحانه) ساقطة من (ها).

(٢) الأنعام: ٢٧.

(٣) الأنعام: ٢٨.

(٤) في (أ) وجهه.

(٥) عيون الأخبار: ١: ٢٣٧ معزواً إلى مالك بن حريم. حقائق التأويل: ٣٢٧. بلا عزو. أمالي

المرتضى: ٢: ٢٧٣. التبيان في تفسير القرآن: ٤: ١٠١ مجمع البيان: ٢: ٢٩٠ وكلها بلا عزو.

لَمْ يَعْلَمُوا^(١) مِنْ أَنْفُسِهِمْ مِثْلَ ذَلِكَ، فَلِهَذَا كَذَّبَهُمْ.

الصَّاحِبُ^(٢):

قُلْتُ: فَأَعَالَتَا مَنْ ذَا يَكُونُهَا فَقُلْتُ: نَحْنُ. مَقَالًا، صَيَّرَ عَنْ خَلَلٍ

قَالَتْ: فَلِمَ لَا يَكُونُ اللَّهُ خَالِقَهَا فَقُلْتُ: لَوْ كُنَّ خَلْقًا لَمْ تَكُنْ عَمَلِي^(٣)



(١) في (هـ): يعلمون. بآثبات نون الرفع.

(٢) (الصاحب) ساقطة من (هـ).

(٣) ديوان الصَّاحِبِ بن عباد: ٤١. وفيه: فأعمالنا. وقد أشار محققه إلى الرواية المطابقة لرواية كتابنا.

وفيه: وَلَمْ. لم يكن.

فصل [- ٢٢ -]

[في نسبة الأفعال]

قَوْلُهُ - تَعَالَى -: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ﴾^(١).

إِنَّهُ^(٢) إِخْبَارٌ عَنْ قُدْرَتِهِ، فَحَسَبُ.

وَلَمْ يَقُلْ: لَسَلَّطْنَاهُمْ عَلَيْكُمْ. وَكَيْفَ يَتَسَلَّطُ مَنْ لَا يَقْدِرُ، قَوْلُهُ: ﴿وَمَا كَانَ

لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ﴾^(٣)؟

قَوْلُهُ - سُبحَانَهُ -: ﴿أَنَا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تُوْزُّهُمْ أَزَّاءً﴾^(٤).

إِنَّمَا جَعَلَهُ مُتَعَلِّقًا بِكُفْرِهِمْ كُفَّارًا، لِأَنَّ قَوْلَهُ: ﴿الْكَافِرِينَ﴾ لَيْسَ بِاسْمِ

جِنْسٍ، وَإِنَّمَا هُوَ جَزَاءٌ كُفْرِهِمْ.

(١) النساء: ٩٠.

(٢) في (ل): وكيف أنه إخبار.

(٣) سبأ: ٢١.

(٤) مريم: ٨٣.

ولم يُقَل: أرسلناهم على المؤمنين، لأنهم مُعْتَصِمُونَ بِحَبْلِهِ. والكافرون
لَمْ^(١) لم يَسْتَعِصِمُوا بِحَبْلِهِ، ولم يَقْبَلُوا حُجَّةً، أَرْسَلَ الشَّيَاطِينَ عَلَيْهِمْ، إِذْ خَلَّاهُمْ،
وَيَايَاهُمْ، كَمَا يُقَالُ: أَرْسَلْتُ كَلْبَكَ عَلَى النَّاسِ. إِذَا لَمْ يَمْنَعُهُ.
والآية تُدَلُّ^(٢) على فَسَادِ مَذْهَبِهِمْ. فَإِنَّهُ أَخْبَرَ أَنَّ الشَّيَاطِينَ تَوَزَّعُوا.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَمَنْ يَغْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِيضَ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ
قَرِينٌ﴾^(٣).

يعني: في الآخرة. بِدَلَالَةِ قَوْلِهِ: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ
بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَيَنْشَأُ الْقَرِينُ﴾^(٤).

ثُمَّ قَالَ: ﴿وَلَنْ يَنْفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ﴾^(٥).
وقد جاء في الأخبار^(٦): إِنَّ كُلَّ آدَمِيٍّ يَدْخُلُ جَهَنَّمَ يُقَرَّنُ بِشَيْطَانِهِ الَّذِي
كَانَ يَقْبَلُ مِنْهُ فِي دَارِ الدُّنْيَا.

(١) (لَمْ) ساقطة من (هـ).

(٢) في (ش): يدل. بياض المضارعة المثناة من تحت.

(٣) الزخرف: ٣٦.

(٤) الزخرف: ٣٨.

(٥) الزخرف: ٣٩.

(٦) جامع البيان: ٢٥: ٧٤. أيضاً: مجمع البيان: ٥: ٤٨. باختلاف اللفظ. فيها، وكذا في التفسير

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَكَذَلِكَ نُؤَيِّ بِعُضِّ الظَّالِمِينَ بَعْضًا﴾^(١).

أي: نَكِيلُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ فِي الْآخِرَةِ، فَنَكِيلُ الَّذِينَ كَانُوا يَعْصُونَ اللَّهَ، بِأَمْرِ هَؤُلَاءِ الظَّالِمِينَ، وَاتِّبَاعِ أَهْوَائِهِمْ، إِلَيْهِمْ، لِيُوقِنُوا / ٨٩ / بِالْإِيَّاسِ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ، إِذْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ نَفْعًا. وَيَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ فِي الْآخِرَةِ قَوْلُهُ: ﴿بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾^(٢)، وَهُوَ مِثْلُ قَوْلِهِ: ﴿نُؤَيِّ مَا تَوَلَّى وَنُضْلِهِ جَهَنَّمَ﴾^(٣). أَي: نَكِيلُهُ إِلَى مَا كَانَ عَبْدُهُ فِي الدُّنْيَا مِنَ الْآلِهَةِ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ﴾^(٤).

قَالَ^(٥) الْحَسَنُ^(٦): مَعْنَاهُ: خَلَّيْنَا بَيْنَهُمْ، وَبَيْنَ الشَّيَاطِينِ، فَأَغْوَوْهُمْ. وَقَالَ الْجَبَّارِيُّ^(٧): التَّقْيِضُ: إِحْوَاجُ بَعْضِ الْعِبَادِ إِلَى بَعْضٍ، كَحَاجَةِ الرَّجُلِ إِلَى الْمَرَأَةِ، وَالْمَرَأَةِ إِلَى الرَّجُلِ.

وَقَالَ قَوْمٌ: التَّقْيِضُ^(٨): الْمُتَاثَلَةُ، وَالْمُقَايَضَةُ. فَاِلْمَعْنَى - عَلَى هَذَا -: إِنَّا نَضُمُّ

(١) الأنعام: ١٢٩.

(٢) الأنعام: ١٣٠.

(٣) النساء: ١١٥.

(٤) فصلت: ٢٥.

(٥) في (ش) و(ل): وقال. مع الواو.

(٦) جامع البيان: ١١١: ٢٤. أيضاً: مجمع البيان: ٥: ٤٨، ١٠.

(٧) التبيان في تفسير القرآن: ٩: ١٢٠. أيضاً: التفسير الكبير: ٢٧: ١١٨ - ١١٩.

(٨) في (ح): التَّقْيِضُ.

إِلَى كُلِّ كَافِرٍ قَرِينًا لَهُ مِنَ الْجِنَّ مِثْلَهُ فِي الْكُفْرِ، فِي نَارِ جَهَنَّمَ، كَمَا قَالَ: ﴿نُقَبِّضُ لَهُ شَيْطَانًا﴾^(١)، وَقَوْلِهِ: ﴿فَرِيقٌ هُمْ صَاحِبِينَ لِيُدْخِلَهُمْ﴾^(٢). وَلَمْ يَقُلْ: لِيُزَيِّنُوا^(٣). وَتَزِينُ^(٤) الْفِعْلُ، إِنَّمَا يَصْحُحُ عَلَى مَذْهَبِنَا.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿كَذَلِكَ زَيْنًا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ﴾^(٥)، وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيْنًا لَهُمْ﴾^(٦). كَيْفَ^(٧) يُزَيِّنُ لِلْغَيْرِ عَمَلَ^(٨) نَفْسِهِ؟ وَمَتَى مَا أَحَدَثَهَا، فَسَوَاءٌ كَانَ مُزَيِّنًا لَهُمْ ذَلِكَ، أَمْ غَيْرَ مُزَيِّنٍ. وَلَمَّا قَالَ: ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ﴾ اسْتَغْنَى عَنْ تَزِينِ^(٩) ذَلِكَ، وَأَنَّهُمْ سَيَفْعَلُونَهَا فِي الْمُسْتَقْبَلِ. فَالْكَلَامُ مُجْمَلٌ.

(١) الزخرف: ٣٦.

(٢) فضلت: ٢٥.

(٣) في (هـ): ليزنوا.

(٤) في النسخ جميعها: تزين. والقياس اللغوي يقتضي ما أثبتنا.

(٥) الأنعام: ١٠٨.

(٦) النمل: ٤.

(٧) في (أ): كيف للغير يزئ.

(٨) العبارة: «عمل نفسه... مزين» ساقطة من (أ).

(٩) في (أ): تزين. بياء واحدة.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَرَزَيْنَا لَهُمُ الشَّيْطَانَ أَعْمَاهُمْ﴾^(١)، الَّتِي كَفَرُوا بِهَا، وَعَصَوْا اللَّهَ فِيهَا.

﴿فَصَدَّمُومَ عَنِ السَّبِيلِ﴾^(٢) أَي: طَرِيقِ الْحَقِّ، فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ إِلَيْهِ، لَا تَبَاعِيهِمْ دُعَاءَ الشَّيْطَانِ، وَعُدُولِهِمْ عَنِ الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ.
﴿وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ﴾^(٣). أَي: عُقْلَاءَ، يُمَكِّنُهُمْ تَمْيِيزُ الْحَقِّ مِنَ الْبَاطِلِ، بِإِبْصَارِهِمْ لَهُ، وَفَكْرِهِمْ فِيهِ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَبَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ﴾^(٤)، وَقَوْلُهُ: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ﴾^(٥).
قَالَ أَبُو عَلِيٍّ^(٦): أَي: حَكَمَ بَأْتَهُمْ أَعْدَاءَ.

وَقَالَ غَيْرُهُ^(٧): أَي: خَلَّى بَيْنَهُمْ، وَلَمْ يَمْنَعَهُمْ مِنَ الْعَدَاوَةِ.

(١) العنكبوت: ٣٨.

(٢) العنكبوت: ٣٨.

(٣) العنكبوت: ٣٨.

(٤) الأنعام: ١١٢.

(٥) الفرقان: ٣١.

(٦) هو أبو علي الطبرسي: مجمع البيان: ٢: ٣٥٢.

(٧) هو قول الحسن، وقتادة، ومجاهد: مجمع البيان: ٢: ٣٥٢.

وقيل: المرادُ - بذلك - أنَّ الله - تعالى - لما أنعمَ على أنبيائه بِضُرُوبِ النِّعَمِ، وشرَّفهم بالبعثة، حسدَهم على ذلك خلق، وعادوهم عليه، فيجوزُ أن يُقالَ: بأنَّ اللهَ جعلَ لهم أعداءَ على وجهِ المجاز.

وقيل: بيَّنَّا أنَّهم أعداؤهم، كما يُقالُ: جعلهُ لصاً، أو خائناً.

وقيل: أمرنا أن يُسمَّوهم بذلك.

قوله - سبحانه -: ﴿وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾^(١).

المدُّ: هو الإنشاء^(٢) في الأجل. يُقالُ: مدَّ اللهُ في عُمُرِهِ. ولا يُقالُ: مدَّ في الطغيان.

ولم يُقلْ: مدَّ في طُغْيَانِهِمْ، وإنَّما^(٣) قال: ﴿يَمُدُّهُمْ﴾. ثمَّ قالَ: ﴿فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾.

الطُّغْيَانُ: الفُعلَانُ^(٤). مِنْ: طَغَى: يَطْغَى. إذا تَجَاوَزَ حَدَّهُ. ومنه: ﴿كَلاَّ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِكَبَّاسٍ﴾^(٥). والطَّاعِيَةُ: الجبَّارُ، العنيدُ.

(١) البقرة: ١٥.

(٢) في (أ): الإنسان: وهو تعريف.

(٣) العبارة: «وإنَّما قال... طغيانهم» ساقطة من (أ).

(٤) في (ج): طغيان. من دون (أل).

(٥) العلق: ٦.

وَلَوْ تَعَلَّقَ ﴿يَعْمَهُونَ﴾ بِ﴿يَمُدُّهُمْ﴾، لَقَالَ: يَعْمَهُوا^(١).

ومعنى الآية: إِنَّهُ تَرَكَهُمْ فِي الْكُفْرِ، فَلَمْ يَعِصِمِهِم بِالْعِصْمَةِ، الَّتِي عَصَمَ بِهَا الْمُؤْمِنِينَ، لَمَّا عَرَفَهُمْ، وَبَيَّنَّ هُمْ الْكُفْرَ مِنَ الْإِيَانِ، فَاعْتَصَمُوا بِمَا عَرَفَهُمُ اللَّهُ مِنْ دِينِهِ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ - : ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ﴾^(٢).

إِسْتَدَلَّ أَبُو عَلِيٍّ^(٣) بِهَذِهِ الْآيَةِ أَنَّهُ مَتَى كَانَ فِي مَعْلُومٍ اللَّهُ أَنَّهُ لَوْ آتَاهُمُ الْآيَاتِ الَّتِي طَلَبُوهَا، لَأَمَنُوا عِنْدَهَا، وَجَبَّ أَنْ يَفْعَلَهَا بِهِمْ، وَلَوْ لَا أَنَّ ذَلِكَ، كَذَلِكَ، لَمْ يَحْتَجَّ عَلَى الْعِبَادِ فِي مَنَعِهِ آيَاتِهِمُ الَّتِي طَلَبُوهَا: أَنِّي إِنَّمَا مَنَعْتُهُمْ إِيَّاهَا، لِأَنَّهُمْ كَانُوا لَا يُؤْمِنُونَ، وَلَوْ آتَيْتُهُمْ إِيَّاهَا، لَقَالُوا: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾^(٤). وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى وَجُوبِ اللَّطْفِ.



(١) فِي (ح): يَعْمَهُ. مِنْ دُونَ إِسْنَادٍ إِلَى وَائِلِ الْجَمَاعَةِ.

(٢) الْأَنْعَامُ: ٧. وَفِي (أ): تَكْمِلَةُ الْآيَةِ: ﴿لَقَالَ الَّذِينَ...﴾.

(٣) جَمْعُ الْبَيَانِ: ٢: ٢٧٦.

(٤) الْأَنْعَامُ: ٧.

فصل [-٢٣-]

[من معاني جعل وكتب]

قَوْلُهُ - تَعَالَى -: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا﴾^(١).

لَمْ يَقُلْ: لِأَجْلِ الإِصْغَاءِ، أَوْ لِأَجْلِ كَذَا.

وقوله^(٢): ﴿وَلِتَصْنِيءَ﴾^(٣) عطفٌ، وَلَيْسَ بِجَوَابٍ لِقَوْلِهِ: ﴿جَعَلْنَا﴾. وَلَا تَعَلُّقٌ لِلْخَصْمِ فِيهِ، إِذْ لَيْسَ شَيْءٌ مِنْهَا يَحْدُثُ عَمَّا عُلِّقَ بِهِ عَلَى مَذْهَبِهِمْ، وَإِنَّمَا يَصُحُّ عَلَى مَذْهَبِنَا.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^(٤).

معناه: إِنَّا حَكَمْنَا بِذَلِكَ، لِأَنَّهُمْ يَتَنَاصَرُونَ عَلَى الْبَاطِلِ.

(١) الأنعام: ١١٢.

(٢) في (هـ): ولقوله.

(٣) الأنعام: ١١٣.

(٤) الأعراف: ٢٧.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَانَا﴾^(١).
أي: حَكَمُوا - بذلك - حُكْمًا بَاطِلًا.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ﴾^(٢).
«جَعَلَ» عَلَى وُجُوهِ:
الْحَلْقُ: ﴿وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾^(٣).
وَالْأَمْرُ: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ﴾^(٤).
وَالْحُكْمُ بِالنَّيِّءِ: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ...﴾^(٥).
وَالِاتِّخَاذُ: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾^(٦).
ومعنى^(٧) الآية: إِنَّهُ وَصَفَهُمْ بِذَلِكَ، وَحَكَمَ بِهِ عَلَيْهِمْ.

(١) الزخرف: ١٩.

(٢) القصص: ٤١.

(٣) الأنعام: ١.

(٤) المائدة: ١٠٣.

(٥) الزخرف: ١٩.

(٦) البقرة: ٣٠.

(٧) في (ش) و(ك) و(هـ) و(أ): بمعنى. مع حرف الجر (الباء).

أو يعني^(١) بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، كَقَوْلِهِ - فِي فِرْعَوْنَ -^(٢): ﴿فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ﴾^(٣)،
وقول النَّبِيِّ^(٤) - عَلَيْهِ السَّلَام - فِي إِمْرِئِ الْقَيْسِ -: / ٩٠ / يَبْدُو لِوَاءِ الشُّعْرَاءِ
يَقُودُهُمْ إِلَى النَّارِ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾^(٥).

قَالَ الْبَلْخِي^(٦): أَي: سَمَّيْنَاهُمْ بِذَلِكَ، عُقُوبَةً عَلَى كُفْرِهِمْ، وَنَقْضٍ^(٧)
مِثَاقِهِمْ.

وَقَالَ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَجَعَلُوا اللَّهَ شُرَكَاءَ الْحِجْنِ﴾^(٨): أَرَادَ بِذَلِكَ أَنَّهُمْ سَمَّوْا اللَّهَ
شَرِيكًا^(٩).

(١) فِي (أ): بِمَعْنَى.

(٢) فِي (أ): فِرْعَوْنَ. بِالْدَالِ الْمُهْمَلَةِ.

(٣) هُود: ٩٨.

(٤) الْعَقْدُ الْفَرِيد: ٥: ٢٧٠ بِاخْتِلَافٍ يَسِيرٍ فِي اللَّفْظِ.

(٥) الْمَائِدَةُ: ١٣.

(٦) هَذَا الْقَوْلُ فِي مَجْمَعِ الْبَيَانِ: ٢: ١٧٢ مَنْسُوبٌ إِلَى الْجَبَانِيِّ. وَفِي التَّفْسِيرِ الْكَبِيرِ: ١١: ١٨٧ مَعْرُوفٌ إِلَى الْمُعْتَزَلَةِ مُطْلَقًا.

(٧) فِي (ش): نَقِضَ.

(٨) الْأَنْعَام: ١٠٠.

(٩) التِّيْبَانِ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ: ٣: ٤٦٩.

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ: أَنَّ اللَّهَ - تَعَالَى - يَكْفُرُهُمْ، لَمْ يَفْعَلْ بِهِمُ اللَّطْفَ الَّذِي تَنْشِرُحُ^(١) بِهِ صُدُورُهُمْ، كَمَا يَفْعَلُ بِالْمُؤْمِنِ، وَذَلِكَ مِثْلُ قَوْلِهِمْ، أَفْسَدَتْ سَيْفَكَ. إِذَا تَرَكْتَ نَعَامَهُدَّ. وَجَعَلْتَ أَظْافِيرَكَ سِلَاحَكَ. إِذَا^(٢) لَمْ تَقْصُصْهَا. وَجَعَلْتَهُ بِحَيْثُ لَا يُفْلِحُ أَبَدًا. وَجَعَلْتَهُ نُورًا، أَوْ حَارًّا.

وقوله: ﴿يُحَرِّقُونَ الْكَلِمَ﴾^(٣) لَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ جَعَلَ قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً، لِيُحَرِّقُوا، بَلْ يَحْتَمِلُ^(٤) أَنْ يَكُونَ كَلَامًا مُسْتَأْنَفًا^(٥)، وَيُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ حَالًا لِقَوْلِهِ: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ... يُحَرِّقُونَ﴾^(٦). أَي: مُحَرِّقِينَ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً﴾^(٧)، وقوله: ﴿وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾^(٨).

(١) في (ش) و(ك) و(أ): ينشرح. بياء المضارعة المثناة مت تحت.

(٢) في (هـ): (ثم) بدلاً من (إذا).

(٣) المائدة: ١٣.

(٤) في (أ): يحمل.

(٥) في (أ): سابقاً.

(٦) المائدة: ١٣.

(٧) الحديد: ٢٧.

(٨) الحشر: ١٠.

لَا حُجَّةَ لَهُمْ فِيهِ، لَأَنَّ «الْجَعْلَ» لَفْظٌ مُشْتَرِكٌ - كَمَا بَيَّنَّا - وَإِذَا أُضِيفَ جَعَلَ الشَّيْءُ إِلَى اللَّهِ - تَعَالَى - إِذَا وَقَعَ مِنَ الْأَرْضِ، تَخْلِيَّتُهُ^(١) بَيْنَهُ، وَبَيْنَهُ، أَوْ بَيْنَهُ، وَبَيْنَ مَا يَحْصُلُ عَنْدَهُ، كَمَا يَقُولُ أَحَدُنَا: جَعَلْتَنِي ذَلِيلًا. إِذَا^(٢) خَلَى بَيْنَهُ، وَبَيْنَ مَنْ أَدْلَهُ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ﴾^(٣) ..

مَعْنَاهُ: جَعَلَهُ بِحُكْمِهِ. فَكَأَنَّهُ مَكْتُوبٌ فِيهِ.

وَقَالَ الْحَسَنُ^(٤): ثَبَّتَ الْإِيمَانَ فِي قُلُوبِهِمْ، بِمَا فَعَلَ فِيهِمْ مِنَ الْأَلْطَافِ وَقِيلَ:

جَعَلَ فِيهَا كِتَابَةً^(٥)، عَلَى سَبِيلِ الْعَلَامَةِ، لِلْفَرَقِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِ، وَالْكَافِرِ، كَمَا فَعَلَ الطَّبَعُ، وَالْخَتَمُ، لِخَلْقِ الْكَافِرِ.

وَخَلَقَ الْإِيمَانَ فِي قُلُوبِهِمْ، لَا يَسْمَى كِتَابَةً، حَقِيقَةً، وَمَجَازًا.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾^(٦).

(١) في (ش): تخلية. من دون إضافته إلى الضمير (الهاء).

(٢) في (هـ): إذ.

(٣) المجادلة: ٢٢.

(٤) جمع البيان: ٥: ٢٥٥.

(٥) في (ش): كناية. بنون موحدة من فوق وياه مثناة من تحت بينهما ألف.

(٦) التوبة: ٥١. وفي (أ): تكملة الآية: ﴿... هُوَ مَوْلَانَا﴾.

قَالَ الْحَسَنُ^(١): أَي: كُلُّ مَا يُصِيبُنَا مِنْ خَيْرٍ، أَوْ شَرٍّ، فَهُوَ مِمَّا كَتَبَهُ^(٢) اللَّهُ فِي اللُّوْحِ الْمَحْفُوظِ، مِنْ أَمْرِنَا.

وَقَالَ الْجَبَّائِيُّ^(٣)، وَالزَّجَّاجُ^(٤): أَي: لَنْ يُصِيبَنَا فِي عَاقِبَةِ أَمْرِنَا، إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا فِي الْقُرْآنِ مِنَ النَّصْرِ الَّذِي وَعَدَنَا^(٥).

وَقَالَ الْبَلْخِيُّ^(٦): يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ «كَتَبَ» بِمَعْنَى: عَلِمَ، وَبِمَعْنَى: حَكَّمَ.



(١) مجمع البيان: ٣: ٣٧.

(٢) في (أ): كتب. من دون الضمير (الماء).

(٣) مجمع البيان: ٣: ٣٧.

(٤) معاني القرآن وإعرابه: ٢: ٥٠١.

(٥) في (ح): وَعَدْنَاهُ. مَعَ ضَمِيرِ الْغَائِبِ (الماء).

(٦) التبيان في تفسير القرآن: ٥: ٢٣٤.

فصل [-٢٤-]

[في خلق الأعمال]

قَوْلُهُ - تَعَالَى -: ﴿أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهُ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ﴾^(١).

هذه الآية وَرَدَتْ حُجَّةً عَلَى الْكُفَّارِ، وَلَوْ كَانَ الْمُرَادُ مَا قَالَتِ الْمَجْبُورَةُ^(٢)، لَكَانَ فِيهَا حُجَّةٌ عَلَى اللَّهِ، لِأَنَّهُ إِذَا كَانَ الْخَالِقُ - لِعِبَادَتِهِمْ - الْأَصْنَامَ، هُوَ اللَّهُ، فَلَا يَلْحَقُهُمُ اللَّوْمُ، بَلْ يَكُونُ هُمْ أَنْ يَقُولُوا: إِنَّكَ خَلَقْتَ فِينَا ذَلِكَ، فَلِمَ تُؤَيِّدُنَا بِفِعْلِكَ؟

ثُمَّ إِنَّ الْخَلْقَ، إِخْتِرَاعٌ، وَأَفْعَالُنَا - مُبَاشَرًا وَمُتَوَلِّدًا^(٣) - فِي عَمَلِ الْقُدْرَةِ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾^(٤).

(١) الرعد: ١٦.

(٢) الملل والنحل: ١: ١٣٣، ١٣٦، ١٣٩، ١٤٣.

(٣) في (هـ): مولدًا.

(٤) الرعد: ١٦. الزمر: ٦٢.

أَرَادَ بِهِ الْمُبَالِغَ، كَقَوْلِهِ: ﴿تُدْمِرُ كُلَّ شَيْءٍ﴾^(١)، و﴿يُجْبِئِي إِلَيْهِ نَمْرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾^(٢)، و﴿وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾^(٣).

وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ - تَعَالَى - تَمَدَّحٌ بِالْأَكْيَةِ [بِأَنَّهُ]^(٤) أَكْثَرُ الْخَالِقِينَ خَلْقًا، وَأَوْسَعُ الْفَاعِلِينَ فِعْلًا، حَتَّى إِنَّ أَعْمَالَ الْعِبَادِ، مَخْلُوقَةٌ لَهُ، أَخْطَأَ^(٥)، لِأَنَّهُ لَا مِدْحَةَ فِي خَلْقِ الْكُفْرِ بِهِ، وَالْفِرْيَةِ عَلَيْهِ، وَعَلَى أَنْبِيَائِهِ، وَالظُّلْمِ، وَالْجَوْرِ، وَكُلِّ قَبِيحٍ. بَلِ الذَّمُّ فِي ذَلِكَ، وَالنَّقْصُ.

و«الخلق» يُعَبَّرُ بِهِ عَنِ التَّقْدِيرِ، قَوْلُهُ: ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ﴾^(٦).

فَيَكُونُ مَعْنَاهُ: أَنَّهُ خَالِقُ أَعْمَالِ الْعِبَادِ، بِمَعْنَى: أَنَّهُ مُقَدِّرُهَا.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾^(٧).

(١) الأحقاف: ٢٥.

(٢) القصص: ٥٧.

(٣) النمل: ٢٣.

(٤) ما بين المعرفتين ساقطة من (ش).

(٥) في (ح): فقد أخطأ.

(٦) المائدة: ١١٠.

(٧) الفرقان: ٥٩. السجدة: ٤.

لا مِدْحَةً^(١) في خَلْقِ الْكُفْرِ، وَالضَّلَالِ، وَسَائِرِ الْقَبَائِحِ، فَلَا يَدْخُلُ فِيهِ أَفْعَالُ الْعِبَادِ.

وَكَانَ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ أَفْعَالُ الْعِبَادِ، مَفْعُولَةً^(٢) فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ. وَقَدْ ذَكَّرْنَا^(٣) أَنَّهُ يَجِبُ بِمَعْنَى: التَّقْدِيرِ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا﴾^(٤).

لَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ خَلَقَ الْجَزَعَ، وَالْهَلَعَ.

وَالْمُرَادُ: أَنَّهُ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا عَنْ تَحْمُلِ الشَّدَائِدِ، وَالصَّرِّ عَلَى تَحْمُلِ الْمِحَنِ^(٥). وَكُنِيَ - عَنْ ذَلِكَ - بِمَا الضَّعْفُ سَبِيَّهُ، كَمَا قَالَ ﴿وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾^(٦).

وَإِذَا كَانَ - تَعَالَى - قَدْ خَلَقَ فِي الْإِنْسَانِ النَّفَارَ عَنِ الْمَضَارِّ، وَالشَّهْوَةَ

(١) في (ح): لا مدحة له.

(٢) في (ح): مخلوقة.

(٣) في (ح): ذكر. من دون (نا).

(٤) المعارج: ١٩ - ٢١.

(٥) في النسخ جميعها: المن. بنونين متالين. وما أثبتناه من (ط).

(٦) النساء: ٢٨.

لِلْمَنَافِعِ، جَازَ أَنْ يُقَالَ: إِنَّهُ خَلَقَ جَازِعاً مِنْ تِلْكَ، وَمَانِعاً^(١) مِنْ هَذِهِ، بِمَعْنَى أَنَّهُ خَلَقَ فِيهِ مَا يَدْعُو إِلَى ذَلِكَ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَاخْتَلَفَ
الْسِّتِيحُكُمْ وَالْوَانِيكُمْ﴾^(٢).

لَا دَلَالَةَ لَهُمْ فِيهِ، لِأَنَّ حَمَلَ اللِّسَانِ عَلَى الْجَارِحَةِ، حَقِيقَةٌ، فَلَا يُحْمَلُ عَلَى
المَجَازِ.

وَيُرِيدُ بِاخْتِلَافِ الْأَلْسِنَةِ مَا فِيهَا مِنْ غُنَّةٍ^(٣)، وَلِثَّةٍ^(٤)، يَقْتَضِيهِمَا^(٥) خَلْقُ
الْإِنْسَانِ، وَمَخَارِجُ الْحُرُوفِ مِنْهُ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: / ٩١ / ﴿وَأَمِرُوا قَوْلَكُمْ أَوْ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ
الصُّدُورِ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾^(٦).

(١) فِي (أ): مَعَانًا. وَهُوَ تَحْرِيفٌ.

(٢) الرُّوم: ٢٢.

(٣) الْغُنَّةُ: صَوْتٌ يَخْرُجُ مِنَ الْخِيَشُومِ. (الْمَعْجَمُ الْوَسِيطُ - غُنَن).

(٤) اللَّثَّةُ: تَحْوِيلُ اللِّسَانِ مِنْ حَرْفٍ إِلَى حَرْفٍ كَقَلْبِ السَّيْنِ ثَاءً، وَالرَّاءَ غَيْنًا (الْمَعْجَمُ الْوَسِيطُ - لَثَغ).

(٥) فِي (أ): يَقْتَضِيهَا.

(٦) الْمَلِك: ١٣، ١٤.

معناه: أَلَا يَعْلَمُ قَوْلَ مَنْ خَلَقَ، وَسِرَّهُ^(١)، وَأَحْوَالَهُ.

وَلَوْ أَرَادَ مَا [ظَنَّهُ]^(٢) الْمُخَالِفُ، لَقَالَ: أَلَا يَعْلَمُ مَا خَلَقَ. لِأَنَّ «مَنْ» لِيَنَّ^(٣) يَعْقِلُ.

وإِنَّمَا وَجِبَ أَنْ يَكُونَ - تعالى - عَالِمًا بِأَسْرَارِنَا مِنْ حَيْثُ كَانَ خَالِقَنَا، لِأَنَّ الْخَالِقَ لِلْعِبَادِ، لَا يَكُونُ إِلَّا قَدِيمًا عَالِمًا لِنَفْسِهِ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا﴾^(٤).

معناه: إِنَّ كُلَّ شَيْءٍ يُطْلَقُ عَلَيْهِ اسْمُ الْمَخْلُوقِ، فَإِنَّهُ خَلَقَهُ، لِأَنَّ أَفْعَالَنَا^(٥)، لَا يُطْلَقُ عَلَيْهَا اسْمُ «الْخَلْقِ» حَقِيقَةً، لِأَنَّ الْخَلْقَ، يُفِيدُ الْإِخْتِرَاعَ، وَإِنَّمَا يُسَمُّوْنَهَا - بِذَلِكَ - مَجَازًا.

عَلَى أَنَّهُ لَا يُعْتَدُّ بِمَا يَخْلُقُهُ الْعِبَادُ فِي جَنْبِ مَا خَلَقَهُ اللَّهُ، لَكثَرَةِ ذَلِكَ، وَقِلَّةِ مَا خَلَقَهُ الْعَبْدُ.

(١) في (هـ): سِرِّهِ. من دون واو.

(٢) ما بين المعقوفين ساقطة من (ش).

(٣) في (ك): لِمَنْ لَمْ يَعْقِلْ. وهو وهم من الناسخ.

(٤) الفرقان: ٢.

(٥) في (ل): أَفْعَالُهَا.

أَوْ يَكُونُ الْمُرَادُ: أَنَّهُ قَدَّرَ كُلَّ شَيْءٍ. وَأَفْعَالُ الْعِبَادِ، مُقَدَّرَةٌ. اللَّهُ - تَعَالَى - مِنْ حَيْثُ بَيَّنَّ مَا يَسْتَحِقُّ عَلَيْهَا مِنَ الثَّوَابِ، وَالْعِقَابِ، أَوْ لَا يَسْتَحِقُّ شَيْئاً مِنْ ذَلِكَ. يُقَوِّي ذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ﴾^(١).

الْخَلْقُ - فِي اللِّسَانِ - هُوَ: التَّقْدِيرُ، وَالْإِتْقَانُ^(٢) فِي الصَّنْعَةِ، وَفِعْلُ الشَّيْءِ، لَا عَلَى وَجْهِ السَّهْوِ، وَالْمَجَازَفَةِ، بِدِلَالَةِ قَوْلِهِ: ﴿وَتَخْلُقُونَ إِنْكَارًا﴾^(٣)، وَقَوْلُهُ: ﴿إِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ﴾^(٤)، وَقَوْلُهُ: ﴿أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾^(٥).

فَاعْلَمْنَا أَنَّ غَيْرَهُ يُسَمَّى خَالِقًا، لِأَنَّهُ لَوْ لَمْ يَسْتَحِقَّ إِسْمَ «خَالِقٍ» غَيْرُهُ، لَمَا قَالَ: ﴿أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾، كَمَا لَا يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ: إِنَّهُ أَعْظَمُ الْآلِهَةِ، لَمَّا لَمْ يَسْتَحِقَّ الْإِلَهِيَّةَ غَيْرُهُ.

إِلَّا أَنَّا لَا نُطْلِقُ هَذِهِ الصِّفَةَ إِلَّا فِيهِ - تَعَالَى - لِأَنَّ ذَلِكَ يُوْهِمُ.

(١) النحل: ١٧.

(٢) فِي (أ): الْإِتْقَانُ. وَهُوَ تَحْرِيفٌ.

(٣) مَا بَيْنَ الْمُعْقِفَيْنِ سَاقِطٌ مِنْ (ش).

(٤) العنكبوت: ١٧.

(٥) المائدة: ١١٠.

(٦) المؤمنون: ١٤.

وَالْوَجْهُ فِي الْآيَةِ: الرَّدُّ عَلَى عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ، وَالْجَهَنَّمَاتِ الَّتِي لَا تَقْدِرُ عَلَى نَفْعٍ، وَلَا ضَرٍّ. يُقَوِّي ذَلِكَ قَوْلَهُ - فِي آخِرِهَا -: ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ﴾^(١).



فصل [-٢٥-]

[من معاني الفتنة]

قَوْلُهُ - تَعَالَى -: ﴿وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾^(١).

قال أبو علي^(٢): معنى قوله: ﴿فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾، أي: شَدَدْنَا التَّكْلِيفَ عَلَى أَشْرَافِ الْعَرَبِ، وَكَبَّرَاتِهِمْ، بِأَنْ أَمَرْنَاهُمْ بِالْإِيمَانِ بِرَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - بِتَقْدِيرِهِ هَؤُلَاءِ الضُّعَفَاءِ عَلَى نُفُوسِهِمْ لِتَقْدِيمِهِمْ إِيَّاهُمْ فِي الْإِيمَانِ، وَكَوْنِهِمْ أَفْضَلَ عِنْدَ اللَّهِ. وَهَذَا أَمْرٌ كَانَ شَاقًّا عَلَيْهِمْ، فَلِذَلِكَ سَمَّاهُ فِتْنَةً.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً﴾^(٣).

قال الحسن^(٤): معناه: كَمَا يَقُولُ^(٥) الْأَعْمَى: لَوْ شَاءَ، لَجَعَلَ لِي عَيْنًا مِثْلَ

(١) الأنعام: ٥٣.

(٢) هو أبو علي الطبرسي: مجمع البيان: ٢: ٣٠٦.

(٣) الفرقان: ٢٠.

(٤) جامع البيان: ١٨: ١٩٤. أيضاً: مجمع البيان: ٤: ١٦٤.

(٥) في (ك) و(أ): تقول. بناء المضارعة المثناة من فوق.

فُلَانٍ. وَيَقُولُ السَّقِيمُ: لَوْ شَاءَ، لِأَصْحَنِي مِثْلَ فُلَانٍ.

وَقَالَ الْفَرَّاءُ^(١): كَانَ الشَّرِيفُ إِذَا أَرَادَ أَنْ يُسَلِّمَ - وَقَدْ سَبَقَ الْمَشْرُوفُ إِلَى الْإِسْلَامِ - فَيَقُولُ: [١] ^(٢) أَسَلِّمُ بَعْدَ ذَا؟ فَكَانَ ذَلِكَ فِتْنَةً.

وَقِيلَ: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً﴾ لِلْعِدَاوَاتِ الَّتِي كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدِّينِ.

و«الْفِتْنَةُ»: شِدَّةٌ فِي التَّعَبُّدِ تُظْهِرُ مَا فِي نَفْسِ الْعَبْدِ^(٣) مِنْ خَيْرٍ، وَشَرٍّ، وَهِيَ الْإِخْتِيَارُ^(٤).

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿أَلَمْ أَحْسِبِ النَّاسَ أَنْ يَتَرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾^(٥).

قَالَ مُجَاهِدٌ^(٦): أَيُّ: يُبْلَوْنَ فِي أَنْفُسِهِمْ، وَأَمْوَالِهِمْ.

وَقِيلَ: أَيُّ: يُصَابُونَ بِشِدَائِدِ الدُّنْيَا.

(١) معاني القرآن: ٢: ٢٦٥.

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (ش).

(٣) في (ح): المتعبد.

(٤) في (ش) و(ك) و(أ) و(ح): الاختيار. بياء مثناة من تحت قبل الألف.

(٥) المنكبت: ٢، ١.

(٦) جامع البيان: ٢٠: ١٢٨. أيضاً: مجمع البيان: ٤: ٢٧٢. الجامع لأحكام القرآن: ١٣: ٣٢٣.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ - : ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبُّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾^(١).

أَصْلُ «الْفِتْنَةِ»: التَّعْرِيضُ لِمَا بِهِ يَظْهَرُ الْخَالِصُ مِنَ الشَّوَابِ، وَمَتَى صُرِفَ عَنْ ظَاهِرِهِ، سَقَطَ تَعَلُّقُهُمْ بِهَا.

عَلَى أَنَّ الْفِتْنَةَ، الْامْتِحَانُ. يُقَالُ: فَتَنْتُ الذَّهَبَ فِي النَّارِ. ﴿فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ﴾^(٢)، ﴿وَقَتْنَاكَ فِتُونًا﴾^(٣).

وَالْفِتْنَةُ - أَيْضاً -: الْإِحْرَاقُ. يُقَالُ: فَتَنْتُ الرَّغِيفَ فِي النَّارِ، قَوْلُهُ: ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارٍ يُفْتَنُونَ﴾^(٤)، ﴿ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ﴾^(٥).

قال الشاعر^(٦):

إِذَا جَاءَ عَبَسِيٌّ^(٧) جَرَزْنَا بِرَأْسِهِ إِلَى النَّارِ وَالْعَبَسِيُّ فِي النَّارِ يُفْتَنُ
وَلَا يُصَرَفُ إِلَى الْكُفْرِ، إِلَّا بِدَلِيلٍ. وَلَا دَلِيلٌ - هَاهُنَا - يَجِبُ صَرْفُهُ إِلَيْهِ.

(١) الأنعام: ٢٣.

(٢) طه: ٨٥.

(٣) طه: ٤٠.

(٤) الذاريات: ١٣.

(٥) الذاريات: ١٤.

(٦) الزاهر في معاني كلمات الناس: ١: ٥٨١. بلا عزو.

(٧) في (هـ): عبشي. بالشين المعجمة. وفي (أ): عيسى. بالياء المثناة من تحت بعد العين.

وإذا كانت بمعنى الامتحان، صَحَّ أَنَّ الْإِنْسَانَ، مُحْتَارٌ. وامتحانُ المَجْبُورِ، مُحَالٌ، لَأَنَّهُ إِنَّمَا جَرَّبُهُ، لِيَتَّبِعَ فِيهِ مَا يَكُونُ مِنْهُ مِنْ طَاعَةٍ، أَوْ مَعْصِيَةٍ، وَمُؤَالَاةٍ، أَوْ مُعَادَاةٍ. وَإِذَا كَانَ الْمُتَحَنُّ، هُوَ الْفَاعِلُ بِجَمِيعِ ذَلِكَ، بَطَلَ الْامْتِحَانُ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾^(١).
فَعِدَّةُ الْمَلَائِكَةِ، لَا تَكُونُ كُفْرًا لِلْكَافِرِ^(٢). وَلَا خِلَافَ أَنَّهُمْ لَا يَكْفُرُونَ لِأَجْلِ عِدَّتِهِمْ، وَإِنَّمَا يَكْفُرُونَ لِغَيْرِ ذَلِكَ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَرَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً﴾^(٣)، وَقَوْلُهُ: ﴿لَا تَفْتِنِّي﴾^(٤)، سَوَالٌ، وَلَا تَعْلُقُ بِالسَّوَالِ، وَلَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْمَسْئُولَ، يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ، أَوْ يَفْعَلُ بِخِلَافِهِ.
قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ^(٥) - عَلَيْهِ السَّلَامُ -: «لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ: اللَّهُمَّ إِنِّي / ٩٢ /
أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْفِتْنَةِ، لِأَنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ إِلَّا وَهُوَ مُشْتَمِلٌ عَلَى فِتْنَةٍ، وَلَكِنْ مَنْ اسْتَعَاذَ،

(١) المدثر: ٣١.

(٢) فِي (هـ): كُفْرَ الْكَافِرِ. بِالإِضَافَةِ.

(٣) يونس: ٨٥.

(٤) التوبة: ٤٩.

(٥) نَهجُ الْبَلَاغَةِ بِشَرْحِ مُحَمَّدٍ عَبْدِهِ: ٤: ٢٠-٢١.

فَلَيْسَتَعِذُّ مِنْ مُضَلَّاتِ الْفِتَنِ، فَإِنَّ اللَّهَ - تعالى - يَقُولُ: ﴿أَنَّهُ أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾^(١).

وَمَعْنَى الْآيَةِ: إِنَّ اللَّهَ - تعالى - بَخْشِرُهُمْ بِالْأَمْوَالِ، وَالْأَوْلَادِ، لِيَتَبَيَّنَ السَّاحِطَ لِرِزْقِهِ، وَالرَّاضِيَ بِقَسَمِهِ. وَإِنْ كَانَ^(٢) - تعالى - أَعْلَمَ بِهِمْ، وَلَكِنْ لِيُظْهِرَ الْأَفْعَالَ الَّتِي يَسْتَحِقُّ بِهَا الثَّوَابَ، وَالْعِقَابَ، لِأَنَّ بَعْضَهُمْ يُحِبُّ الذُّكُورَ^(٣)، وَيَكْرَهُ الْإِنَاثَ، وَبَعْضُهُمْ يُحِبُّ تَشْمِيرَ^(٤) الْمَالِ، وَيَكْرَهُ انْتِلَامَ الْحَالِ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ﴾^(٥).

أَي: عَامِلِنَاهُمْ مُعَامَلَةَ الْمُخْتَبَرِ، بَأَن شَدَدْنَا عَلَيْهِمْ فِي التَّعَبُّدِ، بَأَن الزَّمَانُ هُمْ عِنْدَ إِخْرَاجِ الْعَجَلِ، إِلَى أَنْ يَسْتَدِلُّوا عَلَى أَنَّهُ لَا يُجُوزُ أَنْ يَكُونَ إِلَهًا، وَلَا أَنْ يَخْلُقَ مِنْ إِلَهٍ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾^(٦).

(١) الأنفال: ٢٨.

(٢) في (هـ): وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى...

(٣) في (أ): الْمَذْكُور.

(٤) في (هـ) و(ح): تَمْيِيز.

(٥) طه: ٨٥.

(٦) النور: ٦٣.

لَمْ يَذْكُرْ مَا فِيهَا، وَجَعَلَهَا مُضَافَةً إِلَيْنَا.

ولا يَجُوزُ بمعنى «الإضلال» من حيث تَوَعَّدَهُمْ بِهَا، وَالتَّوَعَّدُ^(١)، لَا يَصُحُّ بِالْإِضْلَالِ. وَكَيْفَ يَصُحُّ أَنْ يَتَوَعَّدَ بِالْإِضْلَالِ مَنْ هُوَ ضَالٌّ؟ عَلَى أَنَّهُ إِنَّمَا تَوَعَّدَ الْمُخَالَفَ لِأَمْرِهِ، فَلَوْ كَانَ بِمَعْنَى «الإضلال»، لَكَانَ بِمِثَابَةِ أَنْ لَوْ قَالَ: فَلْيَحْذَرِ مَنْ أَضَلَّتْهُ لِمُخَالَفَةِ أَمْرِي أَنْ أَضِلَّهُ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَمِنْ أَزْوَاجٍ لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ﴾^(٢)، وَقَوْلُهُ: ﴿وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ﴾^(٣)، وَأَمْثَلُهُمَا. لَا يَدُلُّ عَلَى مَذْهَبِهِمْ: أَنَّ اللَّهَ - تَعَالَى - إِنَّمَا يُضِلُّهُمْ بِقُدْرَةٍ، مُوجِبَةٍ لِلضَّلَالِ^(٤) وَإِنَّهُ لَا يَقَعُ إِضْلَالُهُمْ بِمِثْلِ مَا تَعَلَّقُوا^(٥) بِهِ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾^(٦).

(١) فِي (هـ) وَلَمْ. مَعَ الرَّوَا.

(٢) فِي النِّسْخِ جَمِيعُهَا: التَّوَعَّدُ. وَمَا أَثْبَتْنَاهُ هُوَ الْمَوَافِقُ لِلْقِيَاسِ لِللُّغَوِيِّ.

(٣) الْأَنْبِيَاءُ: ١١١.

(٤) الْأَنْعَامُ: ٥٣.

(٥) فِي (أ): لِلضَّلَالِ.

(٦) فِي (ش) ٩ وَ(ك) وَ(هـ) وَ(أ): تَعَلَّقَ. مِنْ دُونَ إِسْنَادٍ إِلَى وَائِلِ الْجَمَاعَةِ.

(٧) الْمَائِدَةُ: ٤١.

لَا خِلَافَ أَنْ مَنْ أَرَادَ اللَّهُ فِتْنَتَهُ، فَلَنْ يَمْلَكَ أَحَدٌ لَهُ مِنْ اللَّهِ شَيْئاً، عَلَى أَيْ^(١) وَجْهِ فَتَرِ «الْفِتْنَةَ». وَإِنَّمَا الْخِلَافُ فِي جَوَازِهِ، لِأَنَّهُ لَا خِلَافَ أَنَّهُ يُرِيدُ فِتْنَةَ الْعَبْدِ، بِمَعْنَى: الْامْتِحَانِ، وَالتَّكْلِيفِ، وَهَاهُنَا: فِي الْعَذَابِ، أَوْ نَحْوِهِ، كَمَا قَالَ: ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئاً﴾^(٢).

وَأَنَّهُ لَا يُرِيدُ تَطْهِيرَ قَلْبٍ مَنْ كَفَرَ، لِأَنَّ تَطْهِيرَهُ، إِمَّا أَنْ يُرِيدَ بِهِ^(٣) أَنْ يُطَهَّرَهُ جَبْرًا. وَبِهَذَا يَبْطُلُ التَّكْلِيفُ، أَوْ يُرِيدُ بِهِ الْحُكْمَ بِطَهَارَتِهِ. وَغَيْرُ جَائِزٍ أَنْ يَحْكُمَ اللَّهُ بِطَهَارَةِ قَلْبٍ مَنْ هُوَ كَافِرٌ، أَوْ يُرِيدُ إِثَابَتَهُ^(٤)، وَهُوَ لَا يُرِيدُ إِثَابَةَ الْكَافِرِ.

نظم^(٥):

وَكَمْ حَذَّرَ اللَّهُ الْعِبَادَ عَدُوَّهُمْ وَشَيْطَانَهُمْ فَاسْتَأْثَرُوا التَّرْكَ لِلْحَذَرِ
وَلَكِنْ إِذَا مَا ضَلَّ^(٦) قَوْمٌ عَنِ الْهُدَى أَصْلَهُمُ الرَّحْمَنُ فِي السَّرِّ وَالْجَهْرِ



(١) فِي (هـ): وَآيٍ. مَعَ الْوَاوِ.

(٢) الْإِنْفِطَارُ: ١٩. وَفِي (أ) تَكْمِلَةُ الْآيَةِ: ﴿... وَالْأَمْرُ يُؤَمِّنُهُ اللَّهُ﴾.

(٣) (بِه) سَاقِطَةٌ مِنْ (أ).

(٤) فِي (ش): إِثْبَاتِهِ.

(٥) لَمْ نَقِفْ عَلَى اسْمِ قَائِلِهِ وَلَا مَوْرَدِ أَخْذِهِ.

(٦) فِي (هـ): ظَلَّ.

فصل [٢٦-]

[في معنى المكر]

قَوْلُهُ - تَعَالَى -: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَتَنَكَّرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾^(١).

أي: فَعَلْنَا بِهِؤُلَاءِ مِثْلَ مَا فَعَلْنَا بِأُولَآءِ، إِلَّا أَنَّ أَوْلَئِكَ اهْتَدَوْا بِحُسْنِ إِخْتِيَارِهِمْ^(٢)، وَهَؤُلَاءِ ضَلُّوا بِسُوءِ إِخْتِيَارِهِمْ^(٣)، لِأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا «جَعَلَ»، بِمَعْنَى: صَارَ بِهِ كَذَا. إِلَّا^(٤) أَنَّ الْأَوَّلَ بِاللُّطْفِ، وَالثَّانِي بِالتَّمْكِينِ مِنَ الْمَكْرِ، فَصَارَ كَأَنَّهُ جَعَلَ كَذَا.

وَأَمَّا حَصَّ أَكَابِرَ الْمُجْرِمِينَ بِهَذَا الْمَعْنَى، لِأَنَّ الْأَكَابِرَ، إِذَا كَانُوا فِي قَبْضَةِ الْقَادِرِ، فَالْأَصَاغِرُ - بِذَلِكَ - أَجْدَرُ.

وَقَوْلُهُ: ﴿لِيَتَنَكَّرُوا فِيهَا﴾: «الَلَامُ الْعَاقِبَةُ»^(٥)، كَقَوْلِهِ: ﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ

(١) الأنعام: ١٢٣.

(٢) في (أ): إختبارهم. بالباء الموحدة من تحت بعد التاء المثناة من فوق.

(٣) في (أ): إختبارهم. بالباء الموحدة من تحت بعد التاء المثناة من فوق.

(٤) العبارة: «إِلَّا أَنْ... كَذَا» ساقطة من (هـ).

(٥) التفسير الكبير: ١٣: ١٧٤.

فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا^(١)، وليس «لام» الغَرَضِ^(٢)، لأنه - تعالى - لا يريد أن يَمْكُرُوا، وقد قال: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(٣).

وإِزَادَةُ الْقَبِيحِ، قَبِيحَةٌ، فَيَكُونُ التَّقْدِيرُ: وكذلك جَعَلْنَا - في كُلِّ قَرْيَةٍ - أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا، لِيُطِيعُونِ^(٤)، فكان عَاقِبَتُهُمْ أن مَكُرُوا بالمؤمنينَ.

﴿وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ﴾. أي: وبِأَلْ مَكْرِهِمْ يَعُودُ إِلَيْهِمْ، ولا يَصُحُّ أن يَمْكُرَ الإنسانُ بِنَفْسِهِ عَلَى الْحَقِيقَةِ، لأنه لا يَصُحُّ أن يُخْفِيَ عَنْ نَفْسِهِ مَا يَخْتَالُ^(٥) بِهِ عَلَيْهَا، كَمَا يَصُحُّ أن يُخْفِيَ ذَلِكَ عَنْ غَيْرِهِ.

قَوْلُهُ - سُُبْحَانَهُ -: ﴿وَمَكُرُوا وَمَكَّرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَبِيرُ السَّائِرِينَ﴾^(٦).

الْمَكْرُ: هُوَ إِدْخَالُ الضَّرَرِ عَلَى الْغَيْرِ، حَيْلًا - كَانَ - أَوْ سَلْبًا مِنْ جِهَةِ الْحَيْلَةِ، وَالتَّوَرِيَّةِ. وَاللَّهُ يَتَعَالَى عَنْ ذَلِكَ.

وَلَيْسَ الْمَكْرُ مِنَ الْإِضْلَالِ بِسَبِيلٍ، لَأنَّهُ يُسْتَعْمَلُ فِي الْخُرُوبِ، وَفِي أُمُورٍ

(١) القصص: ٨.

(٢) مغني اللبيب:

(٣) الذاريات: ٥٦.

(٤) في (هـ): لِيُطِيعُوا.

(٥) في (أ): يَخْتَالُ. بالخاء المعجمة من فوق. وهو تصحيف.

(٦) آل عمران: ٥٤.

تُسْتَعْمَلُ^(١) فِيهَا الْحِيلُ.

وَقَدْ يُسَمَّى قَصْدُ الْإِنْسَانِ بِتَدْبِيرٍ مَكْرًا^(٢)، كَقَوْلِهِ: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾^(٣)، وَلَيْسَ ذَلِكَ إِضْلَاحَهُمْ إِيَّاهُ عَنِ الدِّينِ، بَلْ هُوَ كَمَا فَسَّرَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿يَبْتَغُونَكَ﴾^(٤).

وَالْإِجْمَاعُ: إِنَّ قَوْلَهُ: «يَمْكُرُونَ» إِنَّمَا هُوَ مَا كَانُوا يَكِيدُونَ بِهِ النَّبِيَّ - عَلَيْهِ السَّلَامُ -^(٥) مِنَ الْقَصْدِ لِإِهْلَاكِهِ.

وَأَخْبَرَ: أَنَّهُ مَكْرَهُمْ^(٦). أَي: أَهْلَكَهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَهُ، أَوْ جَارَاهُمْ عَلَى مَكْرِهِمْ، فَسَمِيَ الْجَزَاءُ عَلَى الْمَكْرِ / ٩٣ / مَكْرًا، كَمَا سَمِيَ الْجَزَاءُ عَلَى الْإِعْتِدَاءِ، إِعْتِدَاءً. وَهَذَا مِنْ بَابِ تَسْمِيَةِ الْإِبْتِدَاءِ بِاسْمِ الْعَاقِبَةِ، وَالْعَاقِبَةُ بِاسْمِ الْإِبْتِدَاءِ.

نَظْمٌ^(٧):

(١) فِي (ش) وَ(ك) وَ(أ): يَسْتَعْمَلُ. بَيَاءُ الْمُضَارَعَةِ الْمَثَلَةُ مِنْ تَحْتِ.

(٢) فِي (ش): مَكْرٌ. مِنْ دُونَ تَنْوِينِ التَّصْبِ.

(٣) الْأَنْفَالُ: ٣٠.

(٤) الْأَنْفَالُ: ٣٠.

(٥) فِي (أ): صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ.

(٦) فِي (ك) وَ(أ) وَ(ح): بِهِمْ. مَعَ حَرْفِ الْجَرِّ (الْبَاءِ).

(٧) لَمْ يَقِفْ عَلَى اسْمِ الْقَائِلِ وَلَا مُورِدِ أَخْذِهِ. وَفِي (ح): (شَعْرٌ). بَدَلًا مِنْ (نَظْمٍ).

وَأِنِّي لَأَسْتَحْيِي^(١) مَنْ اللَّهَ أَنْ أَرَى يُخَالِفُ قَوْلِي^(٢) الْفَعْلَ سِرًّا وَلَا جَهْرًا
أَبَى ذَاكَ خَوْفِي^(٣) اللَّهُ - جَلَّ تَنَاؤُهُ - وَهَلْ يَأْمَنُ الْإِنْسَانُ مِنْ رَبِّهِ الْمَكْرًا

قوله - سبحانه -: ﴿وَمَكْرُؤًا مَكْرًا وَمَكْرَنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾^(٤).

يعني: قولهم قبل الآية: ﴿قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ﴾^(٥).

﴿وَمَكْرَنَا مَكْرًا﴾، أي: جَارَيْنَاهُمْ عَلَى مَكْرِهِمْ، بَأْنَا ﴿دَمَرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ
أَجْمَعِينَ﴾^(٦). أي: أَهْلَكْنَاهُمْ عَنْ آخِرِهِمْ.

وقيل: إِنَّ اللَّهَ - تعالى -^(٧) أَرْسَلَ عَلَيْهِمْ صَخْرَةً عَظِيمَةً أَهْلَكَهُمْ بِهَا.

وقيل: أي: أَبْخَنَّا الْمُؤْمِنِينَ الْمَكْرَ بِالْكَفَّارِ، بِكُلِّ مَا يَقْدِرُونَ عَلَيْهِ مِنْ
الْإِضْرَارِ بِهِمْ، وَالْجَائِثِ إِلَى الْإِيْمَانِ. وَأَنَّا نَسَبُهُ إِلَى نَفْسِهِ، لَمَّا كَانَ بِأَمْرِهِ.

(١) في (أ): لا يستحي.

(٢) في (ش) و(ك) و(هـ) و(ح): خوف. من دون ياء الملك.

(٣) في (هـ): قول. من دون ياء الملك.

(٤) النمل: ٥٠.

(٥) النمل: ٤٩.

(٦) النمل: ٥١.

(٧) (تعالى) ساقطة من (ح).

قال النبي^(١) - عَلَيْهِ السَّلَام - : الْحَرْبُ خُدْعَةٌ. كَمَا فَعَلَهُ - عَلَيْهِ السَّلَام - ^(٢) بِالْمُشْرِكِينَ عِنْدَ اجْتِمَاعِهِمْ عَلَى الْإِقْبَاعِ بِهِ، فَأَمَرَ عَلِيًّا - عَلَيْهِ السَّلَام - بِالْمَيْتِ عَلَى فِرَاشِهِ، وَالْهَجْرَةِ إِلَى حَيْثُ أَمَرَهُ اللَّهُ.

فَأُضَافَ مَا فَعَلَهُ، وَفَعَلَهُ الْمُؤْمِنُونَ إِلَى نَفْسِهِ مِنْ حَيْثُ كَانَ ذَلِكَ بِأَمْرِهِ، وَتَعْلِيمِهِ، كَمَا قَالَ: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ...﴾ ^(٣) إِلَى قَوْلِهِ: ﴿...وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ^(٤).

قال الطبري^(٥)، والخطيب في «تاريخيهما»، والقزويني، والثعلبي^(٦) في «تفسيريهما»: كَانَ مَكْرُ اللَّهِ، بَيَّاتٌ عَلِيٌّ عَلَى فِرَاشِ النَّبِيِّ - عَلَيْهِ السَّلَام - ^(٧).

قال الشاعر^(٨):

(١) صحيح البخاري: ٤: ٧٨. صحيح مسلم: ٥: ١٤٣. سنن أبي داود: ٢: ٤١. سنن ابن ماجه:

٩٤٥: ٢، الجامع الصحيح: ٤: ١٩٤. المعجم الكبير: ٣: ٨٣، ٥: ١٤٩. تاريخ بغداد: ٥:

١١٧. العقد الفريد: ١: ١٢٧.

(٢) (عَلَيْهِ السَّلَام) ساقطة من (ح).

(٣) الأنفال: ١٧.

(٤) الأنفال: ٣٠.

(٥) تاريخ الطبري: ٢: ٣٧٣-٣٧٤.

(٦) تفسير الثعلبي من الكتب المفقودة. ثم انظر تفسير الآية في الجامع لأحكام القرآن: ٧: ٣٩٧.

(٧) في (أ) و(ح): صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ.

(٨) (قال الشاعر) ساقطة من (أ). وفي (ح): شاعر. بسقوط (قال) و(أل).

وَلَمَّا سَرَى الْهَادِي النَّبِيُّ مُهَاجِرًا وَقَدْ مَكَرَ الْأَعْدَاءُ وَاللَّهُ أَمَكْرُ
وَنَامَ عَيْلِيٌّ فِي الْفِرَاشِ بِنَفْسِهِ وَبَاتَ رَبِيطَ الْجَاشِرِ مَا كَانَ يَدْعُرُ
فَكَانَ مَكَانَ الْمَكْرِ حَيْدَرَةُ الرُّضَى مِنْ اللَّهِ لَمَّا كَانَ بِالْقَوْمِ يَمْكُرُ^(١)
فَيَكُونُ الْمَعْنَى: أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى^(٢) يَرُدُّ مَكْرَكُمْ^(٣) عَلَيْكُمْ، كَمَا يُقَالُ: إِنْ فَلَانًا،
أَرَادَ أَنْ يَخْدَعَنِي، فَخَدَعْتُهُ، وَقَصَدَ أَنْ يَمْكُرَ بِي^(٤)، فَمَكَرْتُ بِهِ. وَعَلَى هَذَا يُؤْوَلُ:
﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ^(٥)﴾، لِأَنَّ الثَّانِي، لَا يَكُونُ سَيِّئَةً، وَإِنَّمَا يَكُونُ جَزَاءً، وَهَكَذَا فِي
آيَةِ الْاسْتِهْزَاءِ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ﴾^(٦).
أَي: عَلَّمْنَا يُوسُفَ مِنْ جِهَةِ الْخَفِيَّةِ، دُونَ الظَّاهِرِ، وَذَلِكَ أَنَّ الْحَكَمَ، كَانَ
- فِي أَيَّامِ الْعَزِيزِ -: مَنْ سَرَقَ^(٧) شَيْئًا، أُخِذَ بِسَرِّقِهِ، وَمِثْلِكَ.

(١) لم نقف على اسم القائل ولا مورد أخذه.

(٢) (تعالى) ساقطة من (ح).

(٣) في (ح): مكرهم عليهم.

(٤) في (ك) و(هـ) و(أ): يمكرني. بنون الوقاية.

(٥) الشورى: ٤٠.

(٦) يوسف: ٧٦.

(٧) في (ح): أخذ. وفي هامشها إشارة إلى نسخة أخرى ثبتت كلمة (سرق).

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿يُحَادِّثُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يُخَدِّعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ﴾^(١).

الْخِدَاعُ: مُسْتَقْتَبٌ مِنَ الْخَدَعِ، وَهُوَ إِخْفَاءُ الشَّيْءِ، مَعَ إِيهَامٍ غَيْرِهِ، وَمِنْهُ: الْمَخْدَعُ. وَالْخَدَعُ: التَّغْيِيرُ^(٢).
أُنْشِدَ^(٣):

[أَبْيَضَ اللَّوْنِ لَدَيْدًا طَعْمُهُ] طَبَّبَ الرَّبِيقُ إِذَا الرَّبِيقُ خَدَعُ
أَي: تَغَيَّرَ، وَفَسَدَ.

قال أبو عبيدة^(٤): ﴿يُحَادِّثُونَ اللَّهَ﴾، بمعنى: يُخَدِّعُونَ.
قال الشاعر^(٥):

وَحَادَّعْتُ الْمَيْتَةَ عَنْهُ سِرًّا [فَلَا جَزَعَ الْأَوَانُ وَلَا رُوعَا]
ومثل ذلك، قولهم: قَاتَلَهُ اللَّهُ. وعافاه الله.

(١) البقرة: ٩.

(٢) لسان العرب (خَدَع).

(٣) قائله: سويد بن أبي كاهل اليشكري. انظر، ديوان سويد بن أبي كاهل اليشكري: ٢٤. ومنه صدر البيت.

(٤) مجاز القرآن: ١: ٣١.

(٥) النوادر في اللغة: ٣٦٨ في جملة أبيات معزوة إلى عُرْفُطَةَ بْنِ الطَّلَاحِ وفيه: عنك سرًّا. التبيان في تفسير القرآن: ١: ٦٨ بلا عزو. لسان العرب: خَدَع. ومنها تمام البيت.

ومعناه^(١): إِنَّ الْمُنَافِقَ يُخَادِعُ اللَّهَ بِلِسَانِهِ، خِلَافَ مَا فِي قَلْبِهِ، وَاللَّهُ يُخَادِعُهُ بِمَا فِيهِ نَجَاةٌ نَفْسِهِ.

قال الحسن^(٢)، والزجاج^(٣)، والأزهري^(٤): معنى ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ﴾: إِنَّهُمْ يُخَدِّعُونَ نَبِيَّهُ، كَمَا قَالَ: ﴿وَلِنْ يُرِيدُوا أَنْ يُخَدِّعُواكَ﴾^(٥).

وقيل: إِنَّهُمْ يُنَافِقُونَ، وَاللَّهُ يُجَازِيهِمْ عَلَى فِعْلِهِمْ، كَمَا قَالَ: ﴿وَلِنْ عَاقِبْتُمْ فَعَاقِبُوا﴾^(٦)، ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾^(٧).

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا﴾^(٨).

أي: يَحْتَالُونَ فِي دَفْعِ الْحَقِّجِ، وَإِنْكَارِ الْآيَاتِ.

(١) في (هـ): ومعنى.

(٢) قول الحسن هذا في مجمع البيان: ١: ٢٧ من غير عزو إلى أحد، وفي الجامع لأحكام القرآن: ١: ١٩٥ معزو إلى الحسن وغيره.

(٣) معاني القرآن وإعرابه: ١: ٥٠، ٢: ٦٨.

(٤) تهذيب اللغة: (مَادَّة - خَدَعَ).

(٥) الأنفال: ٦٢.

(٦) النحل: ١٢٦.

(٧) الشورى: ٤٠.

(٨) الطارق: ١٥.

﴿وَأَكِيدُ كَيْدَهُ﴾^(١). أي: أجازيهم على كيدِهِمْ. وسَمَى الجزاءَ على الكيدِ، بِاسْمِهِ، لا زِدَواجِ الكلامِ.
وقيل: إِنَّهُمْ يَحْتَالُونَ لِإِهْلَاكِ النَّبِيِّ، وَأَصْحَابِهِ، وَأَنَا أَسَبُّهُمْ النَّصْرَ، وَالْغَلْبَةَ، وَأَقْوِي دَوَائِعِهِمْ إِلَى الْقِتَالِ، فَسَمَى ذَلِكَ كَيْدًا، حَيْثُ يَخْفَى عَلَيْهِمْ وَجْهُ ذَلِكَ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ - حَاكِيًا عَنْ إِبْلِيسَ -: ﴿رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي﴾^(٢). إِنَّهُ كَلَامُ إِبْلِيسَ، وَإِنَّهُ لَيْسَ مِمَّنْ يُقْبَلُ قَوْلُهُ، إِنَّ أَبَانَا آدَمَ، هُوَ الصَّدُوقُ، الْمُعْتَمَدُ: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾^(٣)، فاعترفَ أَنَّهُ الظَّالِمُ لِنَفْسِهِ، فِيمَا يَتَعَاطَى مِنْ تَرْكِ الْمَسْدُوبِ^(٤) إِلَيْهِ. وَلَمْ يُضِفْهَا إِلَى رَبِّهِ. فَقَوْلُهُ أَصَحُّ، وَكَلَامُهُ أَثْبَتُ.

وإنَّ إِبْلِيسَ، قد اعترفَ في الآخِرَةِ، إِضْطِرَارًا فِي قَوْلِهِ: ﴿وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُضِرِّخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُضِرِّخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ﴾^(٥). ثُمَّ إِنَّهُ لَمْ يَقُلْ: إِنَّكَ

(١) الطارق: ١٦.

(٢) الحجر: ٣٩.

(٣) القصص: ١٦.

(٤) في (ش): الذنوب. وهو تحريف.

(٥) إبراهيم: ٢٢.

أَغْوَيْتَنِي عَنِ الْحَقِّ.

وقال - تعالى :- ﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾^(١)، ﴿وَلَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ﴾^(٢)، فأخبر أننا مختارون.

قَوْلُهُ - سُبحَانَهُ :- ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبَسُونَ﴾^(٣).

لا تعلق فيه، لأنه قال: لو فعلت كذا، لفعلت. وليس يُوجب / ٩٤ / ذلك بأنه يفعلُهُ. وقد قال في نظيمه: ﴿لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًا لَتَّخَذْنَاهُ﴾^(٤). وليس ذلك بِمُجَوِّزٍ أَنْ يَفْعَلَهُ.

قَوْلُهُ - سُبحَانَهُ :- ﴿وَهُوَ شَدِيدُ الْحِمَالِ﴾^(٥).

فتأويلُهُ، مثل ما قلنا في الكَيْدِ، والمَكْرِ.

(١) لقمان: ٣٣، فاطر: ٥.

(٢) الأعراف: ٢٧.

(٣) الأنعام: ٩.

(٤) الأنبياء: ١٧.

(٥) الرعد: ١٣.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سَعَدُوا...﴾ الآية^(١).

أَبَى ذُو الْكَلَّاحِ الْحِمَرِيُّ قَالَ عَلِيٌّ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - فَوَضَعَ عَمْرُو^(٢) ابْنُ الْعَاصِ: إِنَّ السَّعِيدَ مَنْ سَعَدَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ، وَالشَّقِيَّ مَنْ شَقِيَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ. وَاتَّحَلَّهُ إِلَى النَّبِيِّ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - وَقَارَنَهُ بِهَذِهِ الْآيَةِ، فَبَايَعَ ذُو الْكَلَّاحِ مُعَاوِيَةَ، فَانْتَشَرَ ذَلِكَ فِي بَنِي أُمَيَّةَ، وَاتَّبَاعِهِمْ^(٣)، إِلَّا عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ، فَإِنَّهُ لَمْ يَقْبَلْهُ.

فَإِنْ صَحَّ الْحَبَرُ، فَتَأْوِيلُهُ، وَتَأْوِيلُ الْآيَةِ: أَنَّ السَّعِيدَ، وَالشَّقِيَّ، مَنْ يَظْهَرُ أَمْرُهُ فِي قَبْرِهِ، لِأَنَّ «الْأُمَّ» كُلُّ مَا يُرْجَعُ إِلَيْهِ، قَوْلُهُ: ﴿فَأَمَّهُ هَاوِيَةً﴾^(٤). وَالْأَرْضُ هُوَ الْمَرْجِعُ، قَوْلُهُ: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ﴾^(٥)، وَقَوْلُهُ: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا أَحْيَاءَ وَأَمْواتًا﴾^(٦). وَقَالَ الضَّحَّاكُ^(٧): الْمَعْنَى: إِنَّ الَّذِينَ سَعَدُوا بِطَاعَاتِ اللَّهِ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ خَالِدِينَ فِيهَا، وَاسْتَنَى مِنْ جُمْلَتِهِمْ مَنْ كَانَ^(٨) مُسْتَحِقًّا لِلنَّارِ،

(١) هود: ١٠٨.

(٢) انظر تفصيل المسألة في التفسير الكبير: ١٨: ٦١.

(٣) في (ك) و(هـ) و(أ): تَبَاعِهِمْ.

(٤) القارعة: ٩.

(٥) طه: ٥٥.

(٦) المرسلات: ٢٥، ٢٦.

(٧) جامع البيان: ١٢: ١٢٠. أيضاً: مجمع البيان: ٣: ١٩٦ وفيه بلا عزو إلى أحد.

(٨) في (أ): كُلٌّ، وهو تحريف.

وَلَوْ أَرَادَ عِقَابَهُمْ، ثُمَّ إِخْرَاجَهُمْ مِنْهَا، فَكَأَنَّهُ^(١) قَالَ: خَالِدِينَ فِيهَا^(٢)، إِلَّا مُدَّةً. مَا كَانُوا مُعَاقِبِينَ فِي النَّارِ.

وَذَلِكَ صَحِيحٌ، لِإِجْمَاعِ الْأُمَّةِ عَلَى جَوَازِ إِخْرَاجِ بَعْضِ الْأَشْقِيَاءِ مِنَ النَّارِ بَعْدَ دُخُولِهِمْ فِيهَا.

وَسَمِعَ الْحَسَنَ قَوْلَ أَبِي مَعْشَرٍ الْكُوفِيِّ: إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ خَلْقًا، وَقَالَ: هَؤُلَاءِ لِلْجَنَّةِ، وَهَؤُلَاءِ لِلنَّارِ. فَقَالَ: يَا لُكْعُ! أَوْ جَعَلَهُ اللَّهُ قُرْعَةً بَيْنَ عِبَادِهِ؟

مُوسَى بْنُ^(٣) جَعْفَرٍ - عَلَيْهِ السَّلَامُ -: لَيْسَ مِنَ الْعَدْلِ أَنْ يَشْتَرِكَ إِنْسَانٌ فِي فِعْلٍ، فَيُعَذَّرُ الْقَوِيُّ، وَيُلَامُ الضَّعِيفُ.

وَحَقِيقَةُ السَّعَادَةِ، أَنَّهُ يَتَأْتَى لَهُ مَا يُرِيدُ الْوُصُولَ إِلَيْهِ مِنَ الْمَنَافِعِ، وَدَفْعِ الْمَضَارِّ. وَهَذَا لَا يُوجِبُ مَا زَعَمُوا^(٤).

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا﴾^(٥).

(١) فِي (ح): فَكَانَ. وَهُوَ تَحْرِيفٌ.

(٢) فِي (ش) وَ(ك): مِنْهَا.

(٣) الْإِحْتِجَاجُ: ٢: ١٥٩ بَلْفَظٍ مُخْتَلَفٍ، وَفِي تَحْفِ الْمَقُولِ: ٣٠٨ بِلَفْظٍ مُخْتَلَفٍ قَلِيلًا.

(٤) مَا بَيْنَ الْمُعْظَمَيْنِ سَاقِطٌ مِنْ (ش).

(٥) الْمُؤَنُونُ: ١٠٦.

الْعَلْبَةُ إِنَّمَا تَصْحُ^(١) مِنَ الْقَادِرِ الْحَيِّ، وَلَا وَجَهَ لِإِضَافَةِ الْعَلْبَةِ إِلَى الشَّقَاوَةِ.
عَلَى أَنَّ السَّعَادَةَ، وَالشَّقَاوَةَ^(٢) إِنَّمَا^(٣) تُسْتَعْمَلُ^(٤) فِي إِصَابَةِ الْحَرِّ، وَجِرْمَانِهِ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ﴾^(٥).
الظَّاهِرُ: أَنَّهُ خَلَقَهُمْ لِجَهَنَّمَ، وَلَا يُوجِبُ ذَلِكَ أَنَّهُ يُرِيدُ مِنْهُمْ الْكُفْرَ، وَأَنَّهُ
يُرِيدُ الْعِقَابَ، وَإِنْ لَمْ يَرِدْ مَا يَسْتَحِقُّ بِهِ ذَلِكَ، كَمَا يُرِيدُ التَّوْبَةَ مِنَ الْفَاسِقِ، وَإِنْ لَمْ
يُرَدْ مَا لِأَجْلِهِ، نَحِبُ^(٦) التَّوْبَةَ.
وَلَا مَ^(٧) ﴿لِجَهَنَّمَ﴾، «لَا مَ» الْعَاقِبَةُ، دُونَ غَرَضِ^(٨) الْفِعْلِ، لِأَنَّهُ قَالَ فِي
آخِرِهِ: ﴿أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾^(٩).

(١) فِي (أ): يَصْحُ. بَيَاءُ الْمُضَارَعَةِ الْمُثَنَّى مِنْ تَحْتِ.

(٢) فِي (هـ): الشَّقَاوَةُ وَالسَّعَادَةُ.

(٣) فِي (هـ): وَلِأَنَّهَا. مَعَ الْوَاوِ.

(٤) فِي (ش) وَ(ك) وَ(أ): يَسْتَعْمَلُ. بَيَاءُ الْمُضَارَعَةِ الْمُثَنَّى مِنْ تَحْتِ.

(٥) الْأَعْرَافُ: ١٧٩.

(٦) فِي (ش) وَ(هـ) وَ(أ): يَجِبُ. بَيَاءُ الْمُضَارَعَةِ الْمُثَنَّى مِنْ تَحْتِ.

(٧) فِي (هـ): وَاللَّامِ. مَعَ (أَلِ).

(٨) فِي النِّسْخِ جَمِيعُهَا: عَرَضٌ. بِالْعَيْنِ الْمَهْمَلَةِ. وَمَا أَتَيْتَاهُ مِنْ (ط).

(٩) الْأَنْعَامُ: ١٧٩.

وَكَيْفَ يَقُولُ^(١) ذَلِكَ، وَإِنَّا فَعَلُوا مَا لَهُ خُلِقُوا؟ وَكَيْفَ يَذُمُّهُمْ لِفِعْلِ مَا خَلَقَهُمْ لَهُ، وَأَرَادَهُ مِنْهُمْ؟

ولام «كي» التي تَكُونُ لِعَرَضِ^(٢) الْفِعْلِ، تَدْخُلُ^(٣) عَلَى الْأَفْعَالِ، دُونَ الْأَسْمَاءِ.

وَيُنَاقِضُ قَوْلَهُ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(٤)، فَإِذَا خَلَقَهُمْ لِعِبَادَتِهِ، فَكَيْفَ يَخْلُقُهُمْ لِحَتَمِهِمْ؟
وَإِذَا كَانَ خَلَقَ جَمِيعَهُمْ لِلْعِبَادَةِ، فَقَدْ شَاءَ مِنْ جَمِيعِهِمُ الْعِبَادَةَ.
بَيِّنٌ^(٥):

وَمَا النَّاسُ إِلَّا لِلْعِبَادَةِ خَلَقَهُمْ وَلَكِنْ تَعَدَّى مَنْ تَعَدَّى عَلَى خَيْرٍ^(٦)
وَيَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ «لَامٌ» الْعَاقِبَةُ، قَوْلُهُ: ﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَرَزَانًا﴾^(٧). وَالْ^(٨) فِرْعَوْنَ لَمْ يَلْتَقِطُوهُ لَذَلِكَ، وَإِنَّا التَّقِطُوهُ لِقَوْلِهِ: ﴿قُرْتُ عَيْنَ

(١) في (ك): تقول. بناء المضارعة المثناة من فوق. وفي (هـ): يقولوا. سنداً إلى واو الجماعة.

(٢) في النسخ جميعها: لعرض. بالعين المهملة. وما أنبتاه من (ط).

(٣) في (ش) و(ك) و(هـ) و(أ): يدخل. ببناء المضارعة المثناة من تحت.

(٤) الذاريات: ٥٦.

(٥) لم يَقِفْ على اسم قائله ولا مورد أخذه.

(٦) في (هـ): حبر. بالحاء المهملة.

(٧) القصص: ٨.

(٨) في (ح): قَالَ. مع الفاء.

لِي وَلَكَ^(١).

قال الشاعر^(٢):

فَلَمَّوْتُ تَعْدُو الْوَالِدَاتُ سِخَاهاً كَمَا لِحَرَابِ الدُّورِ^(٣) تُبْنَى الْمَسَاكِينُ

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ - : ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ^(٤)﴾.

يعني بِهِ مَنْ^(٥) أَسْلَمَ مِنْ هَؤُلَاءِ الْمُخْتَلِفِينَ، لِأَنَّهُمْ إِذَا أَسْلَمُوا^(٦)، اِرْتَفَعَ الْخِلَافُ بَيْنَهُمْ، وَصَارُوا^(٧) مُتَّفِقِينَ عَلَى الْحَقِّ.

﴿وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ^(٨)﴾ لِأَن يَرَحْمَهُمْ إِبْتَدَاءً، أَوْ أَنْ^(٩) يَرَحْمَهُمْ عَلَى فِعْلٍ. أَوْ خَلَقَ

(١) القصص: ٩.

(٢) العقد الفريد: ١: ٢٦٩. بلا عزو فقه اللغة وسر العربية: ٣٥١ معزواً إلى سابق البربري. التبيان

في تفسير القرآن: ٥: ٣٦ بلا عزو. مغني اللبيب: ١: ٢١٤ بلا عزو. خزانة الأدب: ٤: ١٦٣

منسوبة إلى سابق البربري الدرر اللوامع: ٢: ٣١. كنز الفوائد: ٤٨. بلا عزو أيضاً.

(٣) في (هـ): الذَّهَر.

(٤) هود: ١١٨، ١١٩.

(٥) (مَنْ) ساقطة من (أ).

(٦) في (ش): سلموا. من دون همزة.

(٧) في (هـ): فصاروا. مع الفاء.

(٨) في (ش): وأن. مع الواو.

النَّصَارَى، لِيُخَالِفَ^(١) الْيَهُودَ، [وَخَلَقَ الْيَهُودَ]^(٢)، لِيُخَالِفَ^(٣) النَّصَارَى، كَمَا
حَكَى عَنْهُمْ: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ
اللَّهِ﴾^(٤).

وقال الحسن^(٥): إِنَّهُمْ يَخْتَلِفُونَ بِالْأَرْزَاقِ، وَالْأَحْوَالِ، وَتَسْخِيرِ بَعْضِهِمْ
لِبَعْضٍ.



قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿فَأَعَزَّنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ﴾^(٦). أَي: إِغْرَاءُ
الْيَهُودِ بِمُعَادَاةِ النَّصَارَى؛ فِي إِدْعَاءِ النَّصَارَى: أَنَّ اللَّهَ^(٧) وَلَدًا، وَاعْتِقَادِهِمْ^(٨)
التَّثْلِيثَ. وَإِغْرَاءُ النَّصَارَى بِمُعَادَاةِ الْيَهُودِ، بِجَحْدِهِمْ بُبُوَّةَ الْمَسِيحِ، وَشَتْمِهِمْ
أُمَّةً.

(١) فِي (ش) وَ(ك) وَ(أ): لِيُخَالِفَ. بَيَاءُ الْمُضَارَعَةِ الْمُتَنَاءِ مِنْ تَحْتِ.

(٢) مَا بَيْنَ الْمَعْقُوفَتَيْنِ سَاقِطٌ مِنْ (ش).

(٣) فِي (ش) وَ(ك) وَ(أ): لِيُخَالِفَ. بَيَاءُ الْمُضَارَعَةِ الْمُتَنَاءِ مِنْ تَحْتِ.

(٤) التَّوْبَةُ: ٣٠.

(٥) جَامِعُ الْبَيَانِ: ١٢: ١٤٢. أَيْضًا: مَجْمَعُ الْبَيَانِ: ٣: ٢٠٣. الْجَامِعُ لِأَحْكَامِ الْقُرْآنِ: ٩: ١١٤ -

١١٥.

(٦) الْمَائِدَةُ: ١٤.

(٧) فِي (أ): اللَّهُ. مِنْ دُونِ حَرْفِ الْجَرِّ (الْلام).

(٨) فِي (أ): إِعْتِقَادِهِمْ. مِنْ دُونِ (وَاوِ) الْعَطْفِ.

وقال البلخي^(١): يَكُونُ الإِغْرَاءُ بَيْنَ النَّصَارَى خَاصَّةً، بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَلَى ظَاهِرِ الْآيَةِ: وَهُوَ أَنَّ اللَّهَ - تَعَالَى - نَصَّبَ الْأَدِلَّةَ عَلَى إِبْطَالِ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْ فِرْقِ النَّصَارَى، فَإِذَا عَرَفَتْ طَائِفَةٌ مِنْهَا فَسَادَ مَذْهَبِ الْأُخْرَى، فِيمَا نَصَّبَ اللَّهُ لَهَا مِنَ الْأَدِلَّةِ / ٩٥ - وَإِنْ جِهَلَتْ فَسَادَ مَقَالَةِ نَفْسِهَا، لِتَفْرِيطِهَا فِي ذَلِكَ، وَسُوءِ إِخْتِيَارِهَا - فَجَازَ - عَلَى هَذَا - إِصَافَةُ الإِغْرَاءِ إِلَى اللَّهِ - تَعَالَى -.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾^(٢).
 معنى ﴿تَتَّقُونَ﴾: لَتَتَّقُوا. لِأَنَّ «لَعَلَّ» بِمَعْنَى «لَامٍ» كُنِيَ.
 وَعِنْدَ الْمُفَسِّرِينَ: «لَعَلَّ» مِنْ اللَّهِ، وَاجِبٌ. فَإِذَا كَانَ خَلْقُ جَمِيعِهِمْ. لِلتَّقْوَى، فَقَدْ أَرَادَ مِنْ جَمِيعِهِمُ التَّقْوَى.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾^(٣).

(١) هذا القول في مجمع البيان: ٢: ١٧٣ من دون عزو إلى أحد. وهو في التبيان في تفسير القرآن: ٣:

٤٧٢ معزو إلى الربيع والزجاج والطبري.

(٢) البقرة: ٢١.

(٣) الأنعام: ١٥٥.

أَمْرٌ مِنَ اللَّهِ بِاتِّقَاءِ مَعَاصِيهِ، وَاتِّبَاعِ نَبِيِّهِ.

﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾: لِكَيْ تُرْحَمُوا.

وَأِنَّمَا قَالَ: ﴿وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ﴾ مَعَ أَنَّهُمْ إِذَا اتَّقَوْا رَحِمُوا، لَا مَحَالَةَ، لِأَمْرَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: اتَّقُوا عَلَى رَجَاءِ الرَّحْمَةِ، لِأَنَّكُمْ لَا تَدْرُونَ مَا تُؤَاقِفُونَ فِي الْآخِرَةِ.

وَالثَّانِي: اتَّقَوْهُ، لِتُرْحَمُوا. وَمَعْنَاهُ: لِيَكُونَ الْغَرَضُ بِالتَّقْوَى مِنْكُمْ طَلَبَ مَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الرَّحْمَةِ، وَالثَّوَابِ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ...﴾^(١).

الآيَةُ فِيهَا دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّهُمْ كَانُوا يَقْدِرُونَ عَلَى الطَّاعَةِ، فَتَمَنَّوْا الرُّجُوعَ لِيَعْمَلُوا^(٢) الْخَيْرَ^(٣). بِخِلَافِ مَا نَقُولُ الْمَجْبُرَةِ^(٤).

(١) المؤمنون: ٩٩، ١٠٠.

(٢) فِي (ش) وَ(ح) لِيَعْمَلُوا. بِلَامٍ ثُمَّ مِيمٍ. وَهُوَ تَحْرِيفٌ.

(٣) فِي (هـ): الْجَبْرِ. بِالْجِيمِ الْمَعْجَمَةِ مِنْ تَحْتَ بَعْدَهَا بَاءٌ مُوَحَّدَةٌ مِنْ تَحْتَ.

(٤) الْمَلَلُ وَالنَّحْلُ: ١٣٦.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾^(١).

يُذَلُّ عَلَى أَنَّهُمْ كَانُوا قَادِرِينَ عَلَى الْإِيمَانِ فِي الدُّنْيَا، فَلِذَلِكَ طَلَبُوا تِلْكَ الْحَالِ. وَلَوْ لَمْ يَكُونُوا قَادِرِينَ، لَمَا طَلَبُوا الرَّدَّ إِلَى الدُّنْيَا، وَإِلَى حَالِهِمْ^(٢) الْأُولَى.

وَتَذَلُّ - أَيْضًا - عَلَى بُطْلَانِ مَذْهَبِ الْحُسَيْنِ^(٣) النَّجَّارِ فِي تَكْلِيفِ أَهْلِ الْآخِرَةِ. وَهُوَ خِلَافُ الْقُرْآنِ وَالْإِجْمَاعِ.



قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾^(٤)، و﴿لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾^(٥)، و﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾^(٦)، و﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾^(٧)، و﴿لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾^(٨)،

(١) الأعراف: ٥٣.

(٢) في (ش): حالتهم.

(٣) التبيان في تفسير القرآن: ٤: ٤٢٠.

(٤) البقرة: ٥٣. وفي مواضع أخرى من القرآن الكريم.

(٥) إبراهيم: ٣٧.

(٦) آل عمران: ٧٢. وفي مواضع أخرى من القرآن الكريم.

(٧) البقرة: ٧٣. وفي مواضع أخرى من القرآن الكريم.

(٨) الأنعام: ٦٥.

﴿لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ﴾^(١).

فيها دلالات على أن الله - تعالى - أراد منهم المذكورات، لأنَّ كُلَّهَا لا مَاتُ الغرضي.



فصل [-٢٧-]

[في الاستقامة وفي معنى (كل) وفي الإرادة]

قَوْلُهُ - تَعَالَى -: ﴿وَأَنْ لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾^(١).

قال أكثرُ المفسرينَ: إِنَّهُ لَوْ اسْتَقَامَ الْعُقَلَاءُ عَلَى طَرِيقَةِ الْهُدَى، وَاسْتَمَرُّوا عَلَيْهَا، وَعَمِلُوا بِمُوجِبِهَا، لَجَازَاهُمْ عَلَى ذَلِكَ بِأَنْ أَسْقَاهُمْ مَاءً غَدَقًا. أي: كثيراً. وفي ذلك تَرْغِيبٌ فِي الْهُدَى.

وقال الفراء^(٢): معناه: وَأَنْ لَوْ اسْتَقَامُوا عَلَى طَرِيقِهِ الْكُفْرِ، لَفَعَلْنَا بِهِمْ مَا ذَكَرْنَاهُ؛ تَغْلِيظًا^(٣) لِلْمِحَنَةِ فِي التَّكْلِيفِ، وَلِذَلِكَ قَالَ: ﴿لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾.

قَوْلُهُ - سُُبْحَانَهُ -: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ

(١) الجن: ١٧.

(٢) معاني القرآن: ٣: ١٩٣ - ١٩٤.

(٣) في (١): وَإِنْ تَغْلِيظًا.

حَتَّىٰ إِذَا فَرَّحُوا بِهَا أُوتُوا أَخْذَنَا هُمْ بَغْتَةً^(١).

علمنا - في الجملة - أن هذه الآيات، مخصوصة، فلا نعتقد^(٢) فيها تخصيصاً^(٣)، وليس يلزمنا أكثر من ذلك.

ومن تكلف، وقال: إنما فتح أبواب كل شيء، ليفرحوا، ويضطروا فيستحقوا العقاب.

قلنا: انصرفنا عنه بدليل، كما انصرفنا عن آيات الجبر، والتشبيه، ثم إن لفظة «كل»^(٤) - هاهنا - المراد به التأكيد دون العموم، مثل قوله: ﴿وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾^(٥)، وقوله: ﴿وَلَقَدْ آرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا﴾^(٦).

ويقال: هذا قول أهل العراق، وأهل الحجاز. ويراد به: قول أكثرهم.



قوله - سبحانه -: ﴿وَلَا يَخْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَن يَصُرُوا اللَّهَ شَيْئاً يُرِيدُ اللَّهُ إِلَّا يَجْعَلَ لِمَنْ هُوَ حَظًّا فِي الْآخِرَةِ﴾^(٧).

(١) الأنعام: ٤٤.

(٢) في (ك) و(أ): تعتقد. بناء المضارعة المثناة من فوق. وفي (ح): يُعتقد، بالبناء للمجهول.

(٣) في النسخ جميعها: تخصيص. بالرفع، وحقه الت نصب كما ثبتناه.

(٤) في (ش) و(ك) و(هـ) و(أ): الكل. مع (أل).

(٥) النمل: ٢٣.

(٦) طه: ٥٦.

(٧) آل عمران: ١٧٦.

الِإِرَادَةُ لَا تَتَعَلَّقُ بِأَلَا يَكُونُ الشَّيْءُ، وَإِنَّمَا تَتَعَلَّقُ بِمَا يَصْحَحُ حَدُّهُ.

قال ابن إسحاق^(١): يُريدُ الله أن يَحْبِطَ أَعْمَالَهُمْ بِمَا اسْتَحَقُّوه مِنَ الْمَعَاصِي،
وَالْكَبَائِرِ.

وقال غيره: إِنَّ الله يُريدُ أن يَحْكُمَ بِحَرَمَانِ ثَوَابِ الَّذِينَ عُوْصُوا^(٢)،
بِتَكْلِيفِهِمْ. وَهُوَ لَا تَقُوتُ بِمَذْهَبِنَا، لِأَنَّ الْإِحْبَاطَ، بَاطِلٌ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ
وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾^(٣).

يعني: إِنَّهُ - تعالى - لَوْ يُؤَاخِذُ الْكُفَّارَ، وَالْعُصَاةَ، بِذُنُوبِهِمْ، وَيُعَاجِلُهُمْ
بِعُقُوبَاتِهِمْ، لَمَا تَرَكَ عَلَى الْأَرْضِ أَحَدًا مِنَ الظَّالِمِينَ، وَإِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ تَفَضُّلاً مِنْهُ،
لِيَتُوبُوا لِمَا^(٤) فِي ذَلِكَ مِنَ الْمَصْلَحَةِ لِبَاقِي الْمُكَلَّفِينَ، لِيَعْتَبَرُوا بِهِمْ.

وَالْوَجْهُ فِي تَعْمِيهِمْ بِالْإِهْلَاكِ - مَعَ أَنَّ فِيهِمْ مُؤْمِنِينَ -: أَنَّ الْإِهْلَاكَ - وَإِنْ
عَمَّهُمْ - فَهُوَ عِقَابُ الظَّالِمِ، دُونَ الْمُؤْمِنِ، لِأَنَّ الْمُؤْمِنَ، يُعَوَّضُ عَلَيْهِ.

(١) جامع البيان: ٤: ١٨٥.

(٢) في (أ): عوصوا. بالصاد المهملة.

(٣) النحل: ٦١.

(٤) في (ح): أَوْ لِمَا.

عَلَى أَنْ ذَلِكَ يَكُونُ خَاصَّةً. وَالتَّقْدِيرُ: مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ ذَابَّةٍ مِنْ أَهْلِ
الظُّلَمِ.

ثُمَّ إِنَّهُ لَوْ هَلَكَ الْآبَاءُ بِكُفْرِهِمْ، لَمْ يُؤَاخِذْ^(١) الْأَبْنَاءُ؟

قَوْلُهُ - سُبحَانَهُ -: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا...﴾^(٢) إِلَى قَوْلِهِ:
﴿...فَنَزَّلْنَاهَا عَلَىٰ أَذْيَارِهَا﴾^(٣).

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ^(٤): الْمَعْنَى: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ، وَغَيْرُهُ. فَلَمَّا أَسْلَمُوا / ٩٦/
دُفِعَ عَنْهُمْ.

وَقَالَ أَبِي بِنُ^(٥) كَعْبٍ: الطَّمْسُ: أَنْ تُرَدَّ عَنْ بَصَائِرِ الْهَدَى، وَتُحَوَّلَ الْوُجُوهُ
إِلَى الْإِقْفَاءِ. وَيَكُونُ الْمَعْنَى: أَنْ يُحَوَّلَ بِالْمَعْصِيَةِ، وَتُسَمَّى بِالضَّلَالِ.

(١) فِي (ك): يُؤَخِّذُ.

(٢) النِّسَاءُ: ٤٧.

(٣) النِّسَاءُ: ٤٧.

(٤) قَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ هَذَا فِي جَامِعِ الْبَيَانِ: ١٢٤: ٥ غَيْرُ مَعْرُوفٍ إِلَى أَحَدٍ، وَذُكِرَ مَعَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ
آخَرُونَ. أَيْضًا: جَمْعُ الْبَيَانِ: ٥٥: ٢ - ٥٦ مَعْرُوفٌ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ، وَكَذَا فِي الدَّرَجَةِ: ٥٥٥: ٢.
الْجَامِعُ لِأَحْكَامِ الْقُرْآنِ: ٢٤٥: ٥ مِنْ دُونَ عَزْوٍ إِلَيْهِ.

(٥) قَوْلُ أَبِي هَذَا فِي جَمْعِ الْبَيَانِ: ٥٥: ٢. مِنْ دُونَ عَزْوٍ إِلَيْهِ وَهُوَ مَعْرُوفٌ إِلَيْهِ فِي الْجَامِعِ لِأَحْكَامِ
الْقُرْآنِ: ٢٤٤: ٥.

وقال الحسن^(١)، ومجاهد^(٢)، والضَّحَّاكُ^(٣)، [والسُّدِّيُّ^(٤)]: نَطَمِسُهَا عَنْ
الْهَدْيِ، فَتَرُدُّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا فِي صَلَاتِهَا؛ ذِمًّا لَهَا: بِأَنَّهَا لَا تَنْصَلِحُ^(٥) أَبَدًا.

وإن كانوا^(٦) في الصَّلَاةِ - في الْحَالِ - فَتَوَعَّدَهُمْ: بِأَنَّهُمْ مَتَى لَمْ يُؤْمِنُوا بِالنَّبِيِّ
- عَلَيْهِ السَّلَامُ - إِزْدَادُوا - بِذَلِكَ - ضَلَالًا إِلَى ضَلَالَتِهِمْ وَإِنَّمَا أَنْ يَسْأَلَهُمْ: أَنْ يُؤْمِنُوا
مِنْ بَعْدُ. وَهُوَ الْمَرْوِيُّ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ^(٧) - عَلَيْهِ السَّلَامُ -.

وَيُقَالُ^(٨): يَكُونُ فِي الْقِيَامَةِ، تُقَلَّبُ وَجُوهُهُمْ إِلَى أَدْبَارِهِمْ.



(١) جامع البيان: ٥: ١٢٢. أيضاً: مجمع البيان: ٢: ٥٥. الدر المنثور: ٢: ٥٥٦. التفسير الكبير: ١٠:

١٢١.

(٢) جامع البيان: ٥: ١٢٢. أيضاً: مجمع البيان: ٢: ٥٥. الدر المنثور: ٢: ٥٥٦.

(٣) جامع البيان: ٥: ١٢٢. أيضاً: مجمع البيان: ٢: ٥٥. الدر المنثور: ٢: ٥٥٦.

(٤) جامع البيان: ٥: ١٢٢. أيضاً: مجمع البيان: ٢: ٥٥.

(٥) ما بين المعقوفتين ساقطة من (ش).

(٦) في (ش): كان. من دون إسناد إلى واو الجماعة.

(٧) مجمع البيان: ٢: ٥٥ نور الثقلين: ١: ٤٨٧. التبيان في تفسير القرآن: ٣: ٢١٥.

(٨) التفسير الكبير: ١٠: ١٢١.

فصل [- ٢٨ -]

[في نسبة الأفعال]

قَوْلُهُ - تَعَالَى - : ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾^(١).

الإهلاك عَلَى سَبِيلِ الامتحان، أو الاستحقاقِ حَسَنٌ، وَإِنَّمَا يَقْبَحُ إِذَا كَانَ ظُلْمًا. والله - تعالى - مُتَزَّهٌ عَنِ ذَلِكَ، وَلَا ظَاهِرٌ لِلآيَةِ يَقْتَضِي ذَلِكَ.

وَإِذَا قَامَتِ الدَّلَالَةُ عَلَى أَنَّهُ - تعالى - مُتَزَّهٌ عَنِ الْقَبَائِحِ، عَلِمْنَا أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ، لَمْ تَتَعَلَّقْ إِلَّا بِالْإِهْلَاكِ الْحَسَنِ.

قوله: ﴿أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا﴾: المأمورُ بِهِ مَحْذُوفٌ، وَلَيْسَ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ المأمورُ بِهِ، هُوَ الْفِسْقُ، وَإِنْ وَقَعَ - بَعْدَهُ - الْفِسْقُ. وَهَذَا كَمَا يَقُولُ: أَمَرْتُهُ، فَعَصَى، وَدَعَوْتُهُ، فَأَبَى. وَالْمُرَادُ: أَمَرْتُهُ بِالطَّاعَةِ، وَدَعَوْتُهُ إِلَى الْإِجَابَةِ.

وَأَنَّهُ - تعالى - لَمْ يُعَلِّقِ الْإِرَادَةَ، إِلَّا بِإِهْلَاكِ^(٢) مُسْتَحَقٍّ بِمَا تَقَدَّمَ مِنَ الذُّنُوبِ.

(١) الإسراء: ١٦.

(٢) في (ش): الإهلاك. مَعَ الْأَلْفِ وَاللَّامِ.

وَالَّذِي حَسَنَ قَوْلُهُ: ﴿إِذَا أَرَدْنَاكُمْ هُوَ أَنْ فِي تَكَرُّارِ الْأَمْرِ بِالطَّاعَةِ، وَالْإِيمَانِ،
إِعْذَارًا إِلَى الْعُصَاةِ، وَإِنْدَارًا لَهُمْ، وَإِتِّبَانًا لِلْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ، حَتَّى يُكُونُوا - مَتَى
خَالَفُوا بَعْدَ تَكَرُّارِ الْإِنْدَارِ - بِمَنْ يَحَقُّ الْقَوْلُ، وَتَحِبُّ^(١) عَلَيْهِ الْحُجَّةُ. يُوضَحُ
- ذَلِكَ - قَوْلُهُ^(٢) قَبْلَ الْآيَةِ: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾^(٣). وَيَكُونُ:
﴿أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا﴾ مِنْ صِفَةِ الْقَرِيَّةِ، وَصِلَتَهَا، وَلَا يَكُونُ جَوَابًا لِقَوْلِهِ: ﴿إِذَا أَرَدْنَاكُمْ﴾.
وَيَكُونُ تَقْدِيرُ الْكَلَامِ: وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرِيَّةً مِنْ صِفَتِهَا: أَنَّا إِذَا أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا،
فَسَقُوا فِيهَا. وَلَمْ يَأْتِ لَهَا جَوَابٌ ظَاهِرٌ فِي الْآيَةِ، لِلِاسْتِغْنَاءِ عَنْهُ بِمَا فِي الْكَلَامِ مِنْ
الدَّلَالَةِ عَلَيْهِ، نَحْوُ: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ
عَلَيْكُمْ طِينْتُمْ فَأَدْخَلُوها خَالِدِينَ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقْنَا وَعَدُوه﴾ الْآيَةِ^(٤).
وَلَمْ يَأْتِ لَهُ إِذَا، جَوَابٌ فِي طَوْلِ الْكَلَامِ، لِلِاسْتِغْنَاءِ عَنْهُ.
قَالَ الْمُتَدَبِّرُ^(٥):

حَتَّى إِذَا سَلَكُوهُمْ فِي فَنَائِدِهِ شَلًّا كَمَا تَطَرَّدُ الْجَمَالَةُ الشُّرَدَا

حَذَفَ جَوَابَ «إِذَا»، وَالْبَيْتُ آخِرُ الْقَصِيدَةِ.

(١) فِي (ش) وَ(ك) وَ(هـ) وَ(أ): يَجِبُ. بَيَاءُ الْمُضَارَعَةِ الْمُتَنَاءِ مِنْ تَحْتِ.

(٢) (قَوْلُهُ) سَاقِطَةٌ مِنْ (ك) وَ(ح).

(٣) الْإِسْرَاءُ: ١٥.

(٤) الزُّمَرُ: ٧٣، ٧٤.

(٥) دِيْوَانُ الْمُتَدَبِّرِينَ: ق ٢: ٤٢ منسوباً إِلَى عَبْدِ مَنْفَى بْنِ رَجَبٍ الْمُتَدَبِّرِ.

وَيَكُونُ ذِكْرُ الْإِرَادَةِ - فِي الْآيَةِ - مَجَازًا، وَإِنَّهُمْ مَتَى أَمُرُوا، فَسَقُوا^(١) وَيَجْرِي ذِكْرُ الْإِرَادَةِ فِي الْآيَةِ - هَاهُنَا - بِمَجْرَى قَوْلِهِمْ: إِذَا أَرَادَ التَّاجِرُ أَنْ يَفْتَقِرَ، أَتَتْهُ النَّوَائِبُ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ، وَالْخُسْرَانُ مِنْ كُلِّ طَرِيقٍ، وَقَوْلِهِمْ: إِذَا أَرَادَ الْعَلِيلُ أَنْ يَمُوتَ، خَلَطَ فِي مَأْكَلِهِ، وَتَسَرَّعَ إِلَى مَا تَتَوَقَّعُ إِلَيْهِ نَفْسُهُ.

وهذا كَقَوْلِهِ: ﴿فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ فَأَقَامَهُ﴾^(٢).

وَيَحْمَلُ^(٣) الْآيَةُ عَلَى التَّقْدِيمِ، وَالتَّأخِيرِ، فَيَكُونُ تَلْخِيصُهَا: إِذَا أَمَرْنَا مُتْرَفِي قَرْيَةٍ بِالطَّاعَةِ^(٤) فَعَصَوْا وَاسْتَحَقُّوا الْعِقَابَ، أَرَدْنَا إِهْلَاكَهُمْ. وَيَشْهَدُ - بِذَلِكَ - قَوْلُهُ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ﴾^(٥).

وقوله: ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ﴾^(٦). الطَّهَارَةُ قَبْلَ الْقِيَامِ إِلَى الصَّلَاةِ، وَقِيَامُ الطَّائِفَةِ مَعَهُ يَكُونُ قَبْلَ إِقَامَةِ الصَّلَاةِ.

وَيَحْتَمِلُ: كَأَنَّهُ قَالَ - تَعَالَى -: وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً مَأْمُورًا مُتْرَفُوهَا،

(١) فِي (هـ): فَسَقُوا.

(٢) الْكَهْف: ٧٧.

(٣) فِي (ح): تَحْمَلُ. بِنَاءِ الْمُضَارَعَةِ الْمُتَنَاءِ فَوْقَ.

(٤) فِي (ح): الطَّاعَةِ. بِسُقُوطِ حَرْفِ الْجَرِّ (الْبَاءِ).

(٥) الْمَائِدَةُ: ٦.

(٦) النِّسَاء: ١٠٢.

كَرَّرْنَا الْأَمْرَ عَلَيْهِمْ، أَوْ^(١) أَعَدْنَا، لِلْوَعظِ لَهُمْ، أَوْ^(٢) أَمَرْنَاهُمْ ثَانِيًا، فَفَسَقُوا فِيهَا، فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ.

وَيُمْكِنُ أَنْ يُتِمَّحَلَ لَهُ إِذَا فِي الْآيَةِ جَوَابٌ، وَهُوَ أَنْ يُجْعَلَ الْفَاءُ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا زَائِدَةً، وَيُجْعَلُ ﴿فَدَمَّرْنَاهَا﴾ جَوَابًا: لَهُ إِذَا. لِقَوْلِهِمْ: أَخْوَكَ فَمَجَّدُهُ، وَزَيْدًا فَاضْرِبْ، وَعَمْرًا فَأكْرِمْهُ. وَمِنْهُ: ﴿وَتِيَابَكَ فَطَهَّرَ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾^(٣).

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٤).

لَا يَقْتَضِي أَكْثَرَ مِنْ أَنَّهُ يَسْتَدْرِجُ مِنْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ، وَلَمْ يَذْكُرْ مَا يَسْتَدْرِجُهُ إِلَيْهِ.

وَأَصْلُهُ^(٥) «مِنَ الدَّرُوجِ»، وَهُوَ الْهَلَاكُ. وَيُقَالُ: مِنْ دَبٍّ، وَدَرَجٍ. وَ«سِينُهُ»

لَا يُمَكِّنُ إِجْرَاؤَهَا عَلَى^(٦) السُّؤَالِ^(٧) فِي أَوْصَافِهِ.

(١) فِي (ح): وَأَعَدْنَا. مَعَ الْوَاوِ.

(٢) فِي (هـ) وَ(ج): وَأَمَرْنَاهُمْ. مَعَ الْوَاوِ.

(٣) الْمَدَّثَرُ: ٤، ٥.

(٤) الْقَلَمُ: ٤٤.

(٥) فِي (ك): أَصْلُهُ. بِالضَّادِ الْمَعْجَمَةِ.

(٦) فِي (ش): عَنْ.

(٧) فِي (ش): السُّؤَالُ. بِالشَّيْنِ الْمَعْجَمَةِ.

قال ابن عباس^(١): إِنَّهُمْ كُلُّهَا أَحَدٌ ثُوا خَطِيئَةً، جَدَدَ لَهُمْ نِعْمَةً، وَإِنَّمَا يَسْتَدْرِجُهُمْ إِلَى الضَّرَرِ، وَالْعِقَابِ الَّذِي اسْتَحَقُّهُ بِمَا تَقَدَّمَ مِنْ كُفْرِهِمْ، وَهُوَ - تعالى - أَنْ يُعَاقِبَ الْمُسْتَحِقَّ بِمَا شَاءَ، أَيَّ وَقْتٍ / ٩٧ / شَاءَ، فَكَأَنَّهُ^(٢) - تعالى - لَمَّا كَفَرُوا، وَبَدَّلُوا نِعْمَتَهُ، وَعَانَدُوا رُسُلَهُ، لَمْ يُغَيِّرْ نِعْمَتَهُ^(٣) فِي الدُّنْيَا، بَلْ أَمَهَّلَهُمْ إِلَى وَقْتٍ أَرَادَهُ^(٤).

ولو جازَ أَنْ يَسْتَدْرِجَهُمْ إِلَى الْكُفْرِ، ثُمَّ يُعَذِّبَهُمْ عَلَيْهِ، لَجَازَ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ إِبْتِدَاءً.

ولو جازَ أَنْ يَأْمُرَهُمْ بِالْفِسْقِ، لَكَانُوا يَفْعَلُهُ مُطِيعِينَ.

﴿فَقَسَّوْا فِيهَا﴾^(٥) دَالٌّ عَلَى أَنَّهُ إِنَّمَا أَمَرَهُمْ بِالطَّاعَةِ، فَصَارُوا بِمُفَارَقَةِ أَمْرِهِ فَاسِقِينَ. ولو كَانَ أَمَرَهُمْ بِالْفِسْقِ، فَقَعَلُوا ذَلِكَ، لَكَانُوا - بِذَلِكَ - مُطِيعِينَ. وَالْإِرَادَةُ لِإِهْلَاكِ قَوْمٍ، قَدْ يَكُونُ [حَسَنًا، إِذَا كَانُوا]^(٦) مُسْتَحِقِّينَ.

(١) هذا القول منسوب في مجمع البيان: ٥ : ٣٤ إلى جعفر الصادق (ع).

(٢) في (ح): كَأَنَّهُمْ.

(٣) (تعالى) ساقطة من (ح).

(٤) في (أ): نعمة. بناءً مربوطة منقوطة.

(٥) ما بين المعقوفين زيادة من (أ) و(ح).

(٦) الإسراء: ١٦.

(٧) ما بين المعقوفين ساقط من (ش).

وقد بَيَّنَّ أَنَّهُ لَا يُهِلُّكَ أَحَدًا إِلَّا بِالْأَسْتِحْقَاقِ، قوله: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى﴾^(١)، ﴿وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى﴾^(٢).



(١) هود: ١١٧. وتمامها: ﴿يُظْلِمُ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾.

(٢) القصص: ٥٩. وتمامها: ﴿إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾.

فصل [- ٢٩ -]

[في مسائل متفرقة]

قَوْلُهُ - تَعَالَى -: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾^(١).

إِبْنُ عَبَّاسٍ^(٢)، وَقَتَادَةُ^(٣): فِي الْكَلَامِ تَقْدِيمٌ، وَتَأْخِيرٌ: فَلَا يُعْجِبُكَ - يَأْخُذُ - وَلَا يُعْجِبُ الْمُؤْمِنِينَ مَعَكَ أَمْوَالُ هَؤُلَاءِ الْكُفَّارِ، وَالْمُنَافِقِينَ، وَلَا أَوْلَادُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْآخِرَةِ، عُقُوبَةً لَهُمْ عَلَى^(٤) مَنْعِهِمْ حُقُوقَهَا.

وَمِثْلُهُ: ﴿فَالْقِصَّةُ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾^(٥). الْمَعْنَى:

(١) التوبة: ٥٥.

(٢) جامع البيان: ١٠: ١٥٣. أيضاً: جمع البيان: ٣: ٣٩. الدر المشور: ٤: ٢١٨. الجامع لأحكام القرآن: ٨: ١٦٤.

(٣) جامع البيان: ١٠: ١٥٣. أيضاً: جمع البيان: ٣: ٣٩. الدر المشور: ٤: ٢١٨. الجامع لأحكام القرآن: ٨: ١٦٤.

(٤) (عل) ساقطة من (ها).

(٥) النمل: ٢٨.

فَالْقِهِ إِلَيْهِمْ، فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ، ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ.

ومعنى التَّعْذِيبِ بالأموالِ، والأولادِ في الدُّنْيَا، ما هُوَ جَعَلَهُ لِلْمُؤْمِنِينَ مِنْ قَتْلِهِمْ، وَغَنِيمَةِ أَمْوَالِهِمْ، وَسَبْيِ أَوْلَادِهِمْ، وَفِي ذَلِكَ إِيْلَامٌ لَهُمْ.

وقد أَخْبَرَ اللَّهُ - تعالى - نَبِيَّهُ - عَلَيْهِ السَّلَام - أَنَّهُ يَرْزُقُ الْكُفَّارَ الْأَوْلَادَ - والأموالَ^(١)، لَا لِكِرَامَةٍ لَهُمْ، بَلْ لِلْمَصْلَحَةِ الدَّاعِيَةِ إِلَى ذَلِكَ، وَإِنَّهُمْ - مَعَ هَذِهِ الْحَالِ - مُعَذَّبُونَ بِهَا - بِالْوَجْهِ الْمَذْكُورِ.

والمُرَادُ - بِذَلِكَ - كُلُّ مَا يَدْخُلُ عَلَيْهِمْ فِي الدُّنْيَا مِنَ الْغُيُومِ، وَالْمَصَائِبِ، بِأَمْوَالِهِمْ، [وَأَوْلَادِهِمْ]^(٢)، عِقَابٌ، وَجَزَاءٌ، وَهُوَ لِلْمُؤْمِنِينَ مِحْنَةٌ، وَجَالِيَةٌ لِلْعَوَاضِ.

وَيَجُوزُ - أَيْضاً - أَنْ يُرَادَ بِهِ: مَا يُنْذَرُ بِهِ الْكَافِرُ - قَبْلَ مَوْتِهِ، وَعِنْدَ احْتِفَاضِهِ، وَعِنْدَ انْقِطَاعِ التَّكْلِيفِ عَنْهُ، مَعَ أَنَّهُ حَيٌّ - مِنَ الْعَذَابِ الدَّائِمِ، الَّذِي قَدْ أَعْدَّ لَهُ، وَإِعْلَامُهُ أَنَّهُ صَاحِبٌ إِلَيْهِ، وَمُتَّقِلٌ إِلَى قَرَارِهِ.

الحسن^(٣)، والطَّبْرِيُّ^(٤): الْمُرَادُ - بِذَلِكَ -: مَا أَلْزَمَهُ هَؤُلَاءِ الْكُفَّارِ مِنْ

(١) فِي (هـ): الْأَمْوَالُ وَالْأَوْلَادُ.

(٢) مَا بَيْنَ الْمَعْقُوفَتَيْنِ سَاقِطٌ مِنْ (ش).

(٣) جَامِعُ الْبَيَانِ: ١٠: ١٥٣. أَيْضاً: مَجْمَعُ الْبَيَانِ: ٣: ٣٩. أَيْضاً: أَمَالِي. الْمُرْتَضَى: ١: ٥١٦. الْجَامِعُ

لِأَحْكَامِ الْقُرْآنِ: ٨: ١٦٤.

(٤) جَامِعُ الْبَيَانِ: ١٠: ١٥٣.

الْفَرَائِضِ، وَالْحَقُوقِ فِي أَمْوَالِهِمْ، لِأَنَّ ذَلِكَ يُؤْخَذُ مِنْهُمْ عَلَى كَرِّهِ، وَهُمْ إِذَا أَنْفَقُوا، أَنْفَقُوا بِغَيْرِ نِيَّةٍ، فَتَصِيرُ نَفَقَتُهُمْ غَرَامَةً، وَعَذَابًا مَنْ حَيْثُ لَا يَسْتَحِقُّونَ عَلَيْهَا أَجْرًا. وَهَذَا غَيْرُ صَحِيحٍ.

وقال المرتضى^(١): تَقْدِيرُ الْآيَةِ: إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِأَمْوَالِهِمْ، وَأَوْلَادِهِمْ، [بِفَعْلِهِمْ]^(٢) الْوَاقِعِ ذَلِكَ مِنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنْ إِنْفَاقِهِمُ الْأَمْوَالَ فِي وَجُوهِ الْمَعَاصِي، وَحَمْلِهِمُ الْأَوْلَادَ عَلَى الْكُفْرِ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَتَرْهَقُ أَنْفُسُهُمْ﴾^(٣).

أَيُّ: يَمُوتُونَ^(٤) عَلَى الْكُفْرِ. وَلَيْسَ يَحِبُّ إِنْ كَانَ مُرِيدًا، لَا تَرْهَقُ أَنْفُسُهُمْ، وَهُمْ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ، أَنْ يَكُونَ مُرِيدًا لِلْحَالِ نَفْسِهَا عَلَى مَا ظَنُّوهُ لِأَنَّ الْوَاحِدَ مِنَّا قَدْ يَأْمُرُ غَيْرَهُ، وَيُرِيدُ مِنْهُ أَنْ يُقَاتِلَ أَهْلَ الْبَغْيِ، وَهُمْ مُحَارِبُونَ، وَلَا يُقَاتِلُهُمْ، وَهُمْ مُنْهَزَمُونَ، وَلَا يَكُونُ مُرِيدًا لِحَرْبِ أَهْلِ الْبَغْيِ لِلْمُؤْمِنِينَ، وَإِنْ أَرَادَ قِتَالَهُمْ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ. وَكَذَلِكَ قَدْ يَقُولُ لِغُلَامِهِ: أَرِيدُ أَنْ تُوَاطِبَ إِلَيَّ فِي السَّجَنِ، وَأَنَا مُحْبُوسٌ. وَلِلطَّبَّيْبِ: صِرْ إِلَيَّ، وَلَا زِمْنِي. وَأَنَا مَرِيضٌ. وَلَا يُرِيدُ الْحَبْسَ، وَلَا الْمَرَضَ، وَإِنْ

(١) أمالي المرتضى: ١: ٥١٧.

(٢) ما بين المعقوفتين زيادة يقتضيها السياق من أمالي المرتضى: ١: ٥١٧.

(٣) التوبة: ٥٥.

(٤) في (أ): تموتون. بناء المضارعة المثناة من فوق.

كَانَ قَدْ أَرَادَ مَا هُوَ مُتَعَلِّقٌ بِهَا تَيْنِ الْحَالَتَيْنِ.

وَلَا يَكُونُ قَوْلُهُ: ﴿وَهُمْ كَافِرُونَ﴾^(١) حَالًا لِرُحُوقِ أَنْفُسِهِمْ، بَلْ يَكُونُ كَأَنَّهُ
كَلَامٌ مُسْتَأْنَفٌ. وَالتَّقْدِيرُ: فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ، إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ
لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ - مَعَ ذَلِكَ - كُلُّهُمْ كَافِرُونَ،
صَائِرُونَ إِلَى النَّارِ.

وَتَكُونُ^(٢) الْفَائِدَةُ: أَنَّهُمْ - مَعَ عَذَابِ الدُّنْيَا - قَدْ اجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ عَذَابُ
الْآخِرَةِ، وَيَكُونُ مَعْنَى ﴿وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ﴾ - عَلَى هَذَا الْجَوَابِ - غَيْرَ الْمَوْتِ، بَلِ
الْمَشَقَّةَ الشَّدِيدَةَ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾^(٣).
لَمْ يَقُلْ: إِلَّا وَقَدْ آمَنَ بِهِ. فِي الْمَاضِي، وَإِنَّمَا قَالَ: ﴿إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ﴾. فِي
مُسْتَقْبَلِ الزَّمَانِ، فَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ عِنْدَ نُزُولِ عِيسَى، وَخُرُوجِ الْمَهْدِيِّ
- عَلَيْهِ السَّلَامُ -^(٤).

(١) التوبة: ٥٥.

(٢) فِي (هـ): فَيَكُونُ. مَعَ الْفَاءِ وَبَيَاءِ الْمُضَارَعَةِ الْمُثَنَّى مِنْ تَحْتِ.

(٣) النساء: ١٥٩.

(٤) (عَلَيْهِ السَّلَام) سَاقِطَةٌ مِنْ (هـ).

وَيَجُوزُ أَنْ يُرِيدَ يَقُولُهُ: ﴿قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ إِذَا عَايَنَ حَالَهُ^(١)، لِأَنَّ الْمُعَايَنَ، لَمْ يَمُتْ إِلَّا وَقَدْ عَرَفَ مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنْ هُدًى، أَوْ ضَلَالٍ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿سَيَصِلُ نَاراً ذَاتَ لَهَبٍ﴾^(٢).

لَمَّا سَمِعَ أَبُو هَبٍ هَذِهِ السُّورَةَ، لَوْ كَانَ آمِنًا، لَكَانَ فِيهِ تَكْذِيبُ اللَّهِ - تَعَالَى - وَإِنْ لَمْ يَجِبْ عَلَيْهِ الْإِيْمَانُ، فَهَوَ خِلَافُ الْإِجْمَاعِ.

الْجَوَابُ: خَبَرُ اللَّهِ - تَعَالَى -^(٣) مَشْرُوطٌ بِأَنَّهُ سَيَصِلُ / ٩٦ / نَارًا، إِنْ لَمْ يُؤْمِنْ. وَيَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَعْلَمَ^(٤) ذَلِكَ. وَإِنَّهُ^(٥) يَدُلُّ عَلَى صِدْقِ مُعْجَزَةِ النَّبِيِّ - عَلَيْهِ السَّلَامُ -.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿دَرَزَهُمْ فِي خَوَاضِحِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾^(٦)، ﴿فَدَرَزَهُمْ يُخَوِّضُوا

(١) في (ش): حالة. بالثاء المربوطة المنقوطة. وفي (ك): خالة. بالخاء المعجمة من فوق والثاء المربوطة المنقوطة.

(٢) السد: ٣.

(٣) (تعالى) ساقطة من (ح).

(٤) في (هـ): نعلم. بنون المضارعة الموحدة من فوق.

(٥) في (ح): مَعَ إِنَّهُ.

(٦) الأنعام: ٩٢.

وَيَلْعَبُوا^(١).

إجماع: أن الله - تعالى - لا يُطْلَقُ^(٢) الكُفْرُ بِهِ، وَالشَّتْمَ لَهُ، وَالْفِرْيَةَ عَلَيْهِ. بِالْمَجُوزِ لَهُ، خَارِجٌ عَنِ الْإِجْمَاعِ.
وقوله: ﴿يَلْعَبُونَ﴾، لَيْسَ بِجَوَابٍ: ﴿ذَرَهُمْ﴾.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ﴾^(٣).
أَخْبَرَ أَنَّهُ مَنَعَهُمْ مِنَ الْخُرُوجِ، فَلَيْسُوا يَخْلُونَ مَنْ أَنْ يَكُونُوا قَادِرِينَ عَلَى الْخُرُوجِ، أَوْ غَيْرِ قَادِرِينَ.
فَمَنْعُ غَيْرِ قَادِرِينَ، مُحَالٌ^(٤). وَإِنْ كَانُوا قَادِرِينَ، وَقَدْ مَنَعَهُمُ اللَّهُ، فَقَدْ صَحَّ مَذْهَبُنَا.
وَبَعْدُ: فَقَوْلُهُ: ﴿وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ﴾، فَالله - تعالى -^(٥) غَيْرُ كَارِهِ، عَلَى قَاعِدَتِكُمْ.



(١) الزخرف: ٨٣.

(٢) فِي النُّسخِ جَمِيعاً (يُطْلَقُ) وَلَعَلَّهُ: يَخْلَقُ.

(٣) التوبة: ٤٦.

(٤) فِي (ش): مَحَل.

(٥) (تعالى) ساقطة من (ح).

فصل [-٣٠-]

[في نسبة الأفعال]

قَوْلُهُ - تَعَالَى -: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾^(١).

قوله: ﴿وَفِي ذَلِكُمْ﴾ إشارة إلى المُقَدَّمِ ذِكْرُهُ مِنْ إِنْجَائِهِ لَهُمْ مِنَ الْمَكْرُوِهَاتِ.

وَقَالُوا: إِنَّهُ مَعْطُوفٌ عَلَى مَا تَقَدَّمَ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ﴾. الْآيَةُ^(٢).

وَالْبَلَاءُ، مُشْتَرَكٌ بَيْنَ الْخَيْرِ، وَالشَّرِّ^(٣). قوله: ﴿وَتَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ

فِتْنَةً﴾^(٤)، ﴿وَلِيُبَيِّنَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءٌ حَسَنًا﴾^(٥). وَهُوَ الْإِخْتِيَارُ. قوله:

(١) البقرة: ٤٩.

(٢) البقرة: ٤٧.

(٣) في (هـ): بين الشر والخير.

(٤) الأنبياء: ٣٥.

(٥) الأنفال: ١٧.

﴿وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ﴾^(١). وَمَصَدَرُ: يَلِي الثَّوبُ: يَبْلَى.

قَالَ الرَّاجِزُ^(٢):

الْمَرْءُ يَبْلَى بِأَلَاءِ السَّرْبَانِ [مَرُّ اللَّيَالِي وَإِنْتِقَالُ الْأَحْوَالِ]

وَيُقَالُ: قَدْ أَبْلَى فُلَانٌ فِي الْحَرْبِ.

وَإِذَا وَقَعَا عَلَى الْأَمْرَيْنِ، لَمْ يَكُنِ الْحَقْصُ فِي رَدِّهِ إِلَى الْمِحْنَةِ، بِأَسْعَدَ مِنَّا فِي رَدِّهِ إِلَى النُّعْمَةِ. عَلَى أَنَّهُ فِي الْإِنْعَامِ، أَوَّلَى لِقَوْلِهِ: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ﴾ فَبَيَّنَّ أَنَّهُ أَنْجَاهُمْ مِنْ قَتْلِهِمُ الْأَبْنَاءَ، وَاسْتِحْيَانِهِمُ النِّسَاءَ. ثُمَّ قَالَ: ﴿وَفِي ذَلِكَ بَلَاءٌ﴾. أَي: نِعْمَةٌ.

وَلَوْ كَانَ كَمَا زَعَمُوا، لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ إِمْتِنَانًا عَلَيْهِمْ، وَلَكَانَ^(٣) مُوجِبًا إِسْقَاطِ اللَّائِمَةِ مِنْ فِرْعَوْنَ فِيهَا كَانَ يَفْعَلُهُ.

وَأَمَّا إِضَافَةُ «النَّجَاةِ» إِلَيْهِ - تَعَالَى - وَإِنْ كَانَتْ إِقِيعَةً بِسَيْرِهِمْ^(٤) - لَوْ دَلَّ عَلَى مَا ظَنُّوهُ، لَوَجِبَ - إِذَا قُلْنَا: إِنَّ النَّبِيَّ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - أَنْقَذَنَا مِنَ الشَّرِّ، وَأَخْرَجَنَا مِنَ الضَّلَالَةِ، وَنَجَّانَا مِنَ الْكُفْرِ - أَنْ يَكُونَ فَاعِلًا لِأَفْعَالِنَا.

(١) الأعراف: ١٦٨.

(٢) هو العجاج. انظر ديوان العجاج: ٨٦ ط. لا يترك ومنه الشطر الثاني. وقد أحلَّ به ديوانه بتحقيق عزة حسن.

(٣) في (هـ): لكن. وهو تحريف.

(٤) أي: سير بني إسرائيل، وانتقالهم، وخلاصهم من فرعون.

وَيُقَالُ: أَنَا نَجَيْتُكَ مِنْ كَذَا، وَكَذَا، وَخَلَّصْتُكَ. وَلَا يُرِيدُ: أَنَّهُ فَعَلَ فِعْلَهُ.

ولهذا^(١) صَحَّ أَنْ مَا وَقَعَ بِتَوْفِيقِ اللَّهِ - تعالى - وَدِلَالَتِهِ، وَمَعُونَتِهِ، وَالطَّافِيهِ، قَدْ يَصُحُّ إِصَافَتُهُ إِلَيْهِ - تعالى -.

وقوله: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾، يُخَاطَبُ بِذَلِكَ مَنْ لَمْ يُدْرِكْ فِرْعَوْنَ، فَلَا نَجَا^(٢) مِنْ شَرِّهِ هَذَا. كَمَا يُقَالُ: قَتَلْنَاكُمْ يَوْمَ عُكَاظٍ.

المعنى: وَإِذَا أَنْجَيْنَا^(٣) آبَاءَكُمْ، وَأَسْلَافَكُمْ. وَالنُّعْمَةُ عَلَى السَّلَفِ، نِعْمَةٌ عَلَى الْحَقْلَفِ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿اللَّهُ يُسْتَهْزَأُ بِهِمْ﴾^(٤).

الاستِهْزَاءُ: مَا^(٥) يُقْصَدُ بِهِ إِلَى عَيْبِ الْمُسْتَهْزَأِ بِهِ، وَالْإِزْرَاءُ عَلَيْهِ.

وَإِذَا تَصَمَّنَتْ^(٦) التَّخَطُّطُ، وَالتَّجْهِيلُ، وَالتَّبَكُّيْتُ هَذَا الْمَعْنَى، جَازَ أَنْ

(١) في (ح): فلهذا. مَعَ الْفَاءِ.

(٢) في (أ): نَجَاء. بِالْهَمْزِ.

(٣) في (ك): نَجَّيْنَا.

(٤) البقرة: ١٥.

(٥) في (ش): أَمَا.

(٦) في (هـ): تَظْمَنَتْ. بِالطَّاءِ الْمَعْجَمَةِ.

يَجْرِي عَلَيْهِ اسْمُ الاستِهْزَاءِ، وَيَشْهَدُ - بِذَلِكَ - قوله: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا﴾^(١).

والآياتُ لا يَصُحُّ^(٢) عَلَيْهَا الاستِهْزَاءُ، والسُّخْرِيَّةُ، وإنَّما المعنى: إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ، يُكْفَرُ بِهَا، وَيُزَرَى عَلَيْهَا. وقد يُقَامُ الشَّيْءُ مَقَامَ مَا قَارَبَهُ فِي مَعْنَاهُ، لِيَجْرِيَ عَلَيْهِ اسْمُهُ.

قال الشاعر^(٣):

سَكَتَ الدَّهْرُ زَمَانًا عَنْهُمْ ثُمَّ أَبْكَاهُمْ دَمًا حِينَ نَطَقَ
وإنَّه - تعالى - يُجَازِيهِمْ عَلَى اسْتِهْزَائِهِمْ، فَسَمِيَ الْجَزَاءُ عَلَى الذَّنْبِ [بِاسْمِ الذَّنْبِ]^(٤)، كَمَا قَالَ: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾^(٥).

وقال: ﴿فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾^(٦).

وقال: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ﴾^(٧).

(١) النساء: ١٤٠.

(٢) في (ح): يصلح.

(٣) عيون الأخبار: ٢: ٣٠٣ بلا عزو. أمالي المرتضى: ٢: ١٤٥ بلا عزو.

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (ش).

(٥) الشورى: ٤٠.

(٦) البقرة: ١٩٤.

(٧) النحل: ١٢٦.

وَقَالَ عَمْرُو بْنُ كُلْثُومٍ^(١):

أَلَا لَا يَجْهَلُنَّ أَحَدٌ عَلَيْنَا فَتَجْهَلُ فَوْقَ جَهْلِ الْجَاهِلِينَ

وَالْعَرَبُ تَقُولُ: الْجَزَاءُ بِالْجَزَاءِ. وَالْأَوَّلُ لَيْسَ بِجَزَاءٍ.

وَلَا شَكَّ أَنَّ مَا وَقَعَ مِنْهُ - تَعَالَى - لَيْسَ بِاسْتِهْزَاءٍ عَلَى الْحَقِيقَةِ، وَلَكِنَّهُ^(٢)

سَمَاءُ بِذَلِكَ، لِيَزْدُوجَ اللَّفْظُ، وَيَخْفَ عَلَى اللِّسَانِ.

وَقِيلَ: اسْتِهْزَأُواهُمْ: لَمَّا رَجَعَ صَرَرُهُ عَلَيْهِمْ، جَازَ أَنْ يَقُولَ - عُقِيبَ ذَلِكَ -:

﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾^(٣). وَاللَّهُ - تَعَالَى - هُوَ الَّذِي يَرُدُّ^(٤) اسْتِهْزَاءَهُمْ عَلَيْهِمْ، وَإِنَّ

صَرَرَ مَا فَعَلُوهُ، لَمْ يَتَعَدَّهُمْ، كَمَا يُقَالُ: أَرَادَ فُلَانٌ أَنْ يَخْدَعَنِي، فَخَدَعْتُهُ. الْمَعْنَى: إِنَّ

صَرَرَ خِدَاعِهِ، عَادَ إِلَيْهِ، وَلَمْ يَضُرَّرْنِي.

(١) شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات: ٤٢٦ وفيه يقول أبو بكر الأنباري: «فجهل فوق

جهل الجاهلين. معناه: فتهلكه، ونعاقبه بما هو أعظم من جهله، فنب الجهل إلى نفسه، وهو يريد الإهلاك والمعاينة ليزدوج اللفظان، فتكون الثانية على مثل الأولى وهي تخالفها في المعنى، لأن ذلك أخف على اللسان، وأخصر من إختلافهما.

انظر البيت أيضاً في: شرح القصائد التسع المشهورات، صنعة أبي جعفر النحاس: ق ٢: ٦٧٩.

شرح القصائد العشر. صنعة الخطيب التبريزي: ٣٦٦.

(٢) في (ح): لكن. بإسقاط الضمير (الهاء) وبالنون المخففة.

(٣) البقرة: ١٥.

(٤) في (ش): يراد.

وقيل: الاستهزاء من الله، هو الإملاء الذي يظنون أنه إغفالاً^(١). ورُوي: أن ذلك يكون في القيامة، كما جاء - في التفسير - قوله: ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا﴾^(٢).

واستهزاء الله - تعالى - الإهلاك، والتدمير، واستهزاء / ٩٩ / الخلق، السفة، والعنف.

ولا خلاف أن المبتدأ^(٣)، ليس بعقوبة، ولا جزاء. ويجري هذا مجرى قوله: ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾^(٤)، ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ﴾^(٥)، ﴿إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾^(٦).



قوله - سبحانه -: ﴿فَلَيْمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾^(٧).
ما لآم هؤلاء على ما لم يفعلوا، ولم يدركوا، وإنما ذلك كقولهم: هزمناكم

(١) في (ح): إغفال. من دون تنوين النصب.

(٢) السجدة: ٢٠.

(٣) في (ح): المتدي. بصيغة اسم الفاعل وبتخفيف الهمز.

(٤) النساء: ١٤٢.

(٥) الأنفال: ٣٠.

(٦) هود: ٣٨.

(٧) البقرة: ٩١.

يَوْمَ الْحِجَارِ^(١)، وَفَضَحْنَاكُمْ يَوْمَ السَّتَارِ^(٢). أَي: قَتَلْتُ آبَاؤُنَا آبَاءَكُمْ.

ثُمَّ إِنَّهُ لَمَّا كَانَتْ الْأَبْنَاءُ رَاضِيَةً بِمَا صَنَعَتِ الْآبَاءُ، دَخَلُوا مَعَهُمْ فِي الْغَضَبِ، وَشَارَكُوهُمْ فِيهِ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾^(٣).

إِنَّ اللَّهَ لَا يُؤَاخِذُ أَحَدًا بِذَنْبٍ غَيْرِهِ^(٤)، كَمَا قَالَ: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾^(٥).

وَلَيْسَ ذَلِكَ بِمَنْزِلَةِ تَحْمِيلِ الدِّيَةِ عَنْ غَيْرِهِ، لِأَنَّ الْغَرَضَ فِي الدِّيَةِ، أَدَاءُ الْمَالِ عَنْ نَفْسِ الْمَقْتُولِ، فَلَا فَصْلَ^(٦) بَيْنَ أَنْ يُؤْذِيَهُ زَيْدٌ عَنْ نَفْسِهِ، وَبَيْنَ أَنْ يُؤْذِيَهُ عَمْرُو عَنْهُ، لِأَنَّهُ بِمَنْزِلَةِ قَضَاءِ الدِّينِ.

(١) لَعَلَّهُ يَوْمَ الْفَجَارِ، أَيَّامَ عِدَّةِ أَوْلَاهَا بَيْنَ كِنَانَةَ وَهُوَ ازن. وَثَانِيهَا بَيْنَ قَرِيشٍ وَهُوَ ازن، وَثَالِثُهَا بَيْنَ كِنَانَةَ وَهُوَ ازن، وَآخِرُهَا بَيْنَ قَرِيشٍ وَكِنَانَةَ كُلِّهَا وَبَيْنَ هُوَ ازن. (العقد الفريد: ٥: ٢٥١ - ٢٥٦).

(٢) هُوَ يَوْمَ بَيْنَ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ وَبَيْنَ تَمِيمٍ. (معجم البلدان: ٣: ١٨٨) كَذَلِكَ فِي جَمِيعِ النُّسخ.

(٣) العنكبوت: ١٢.

(٤) فِي (ح) زِيَادَةُ: (فَلَا يَصْغُ إِذْنُ أَنْ يَتَحَمَّلَ أَحَدٌ ذَنْبَ غَيْرِهِ) قَبْلُ: (كَمَا قَالَ ...).

(٥) فَاطِر: ١٨.

(٦) فِي (هـ): فَضْلٌ. بِالضَّادِ الْمُعْجَمَةِ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَنْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ﴾^(١).

معناه: إِنَّهُمْ يَحْمِلُونَ خَطَايَاهُمْ فِي أَنْفُسِهِمِ الَّتِي لَا يَعْمَلُونَهَا لِغَيْرِهِمْ، وَيَحْمِلُونَ الْخَطَايَا الَّتِي ظَلَمُوا بِهَا غَيْرَهُمْ، فَحَسَنَ - لَذَلِكَ - فِيهِمِ التَّفْصِيلُ الَّذِي ذَكَرَ^(٢) اللَّهُ - تَعَالَى -.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿لَيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾^(٣)، وقوله: ﴿أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا﴾^(٤)، وقوله: ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِذْنِي وَإِذْنِكَ﴾^(٥)، وَأَشْبَاهُهَا، إِذَا عُرِضَ عَلَى الْعَقْلِ، وَالْكِتَابِ، وَالسُّنَّةِ، وَالْإِجْمَاعِ، بَطَلَ ذَلِكَ.

وَلَا يَجُوزُ - فِي الْعَقْلِ - أَنْ يَفْعَلَ مَا هُوَ ظَلَمَ، وَالْأَخْذُ بِغَيْرِ الْجُرْمِ ظُلْمٌ، فَهُوَ غَيْرُ فَاعِلٍ لَهُ.

وَالْحَمْلُ الْمَعْقُولُ إِنَّهَا هُوَ حَمْلُ شَيْءٍ^(٦) بِهِ ثِقَلٌ. وَالْوِزْرُ - فِي اللُّغَةِ -^(٧) الثَّقُلُ.

(١) المتكيبوت: ١٣.

(٢) في (ح): ذكره. مع ضمير الغائب (الماء).

(٣) النحل: ٢٥.

(٤) الأعراف: ١٥٥.

(٥) المائدة: ٢٩.

(٦) في (ح): الشيء. مع (أل).

(٧) لسان العرب: (وَزَرَ).

وَمَنْ نَقَلَ «الْحِمْلَ»، و«الْوِزَرَ» عَنْ ذَلِكَ، كَانَ تَارِكًا لِلظَّاهِرِ.
وَالْمَعْلُومُ أَنَّ مَنْ حَمَلَ مِنْ ثِقَلٍ غَيْرِهِ، يَكُونُ ذَلِكَ تَخْفِيفًا عَنْهُ. وَلَا خِلَافَ أَنَّهُ لَا يُخَفَّفُ عَنِ الْمَحْمُولِ مِنْ أَوْزَارِهِمْ، لِأَنَّهُمْ يَقُولُونَ: إِنَّ هَؤُلَاءِ، لَا يَحْمِلُونَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُخَفَّفَ عَنْهُمْ.
﴿وَمَنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّوهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾. أَي: مِنْ أَوْزَارِ إِضْلَالِ الَّذِينَ يُضِلُّوهُمْ. مِثْلُ قَوْلِهِ: ﴿وَسَنَلِ الْقَرْيَةَ﴾^(١).
وَفِي الْقُرْآنِ: ﴿قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي﴾^(٢)، ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾^(٣)، وَأَشْبَاهُهَا.
وَبِالْإِجْمَاعِ: لَا يَجُوزُ ذَلِكَ مِنْ حَيْثُ أَنَّ ذَلِكَ يُوجِبُ التَّخْفِيفَ عَنْهُ. فَمَعْنَاهُ: إِنَّهُمْ يَحْمِلُونَ مِثْلَ أَوْزَارِهِمْ لِإِغْوَائِهِمْ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ فَعَلُوا فِعْلَيْنِ: ضَلُّوا، وَأَضَلُّوا. فَاسْتَحَقُّوا حَظَّيْنِ مِنَ الْعَذَابِ، وَتَحَمَّلُوا حِمْلَيْنِ مِنَ الْوِزْرِ. بَيْتٌ^(٤):
بِذَنْبِهَا تُوَخَّذُ كُلُّ وَازِرَةٍ^(٥)



(١) يوسف: ٨٢.

(٢) سبأ: ٥٠.

(٣) الأنعام: ١٦٤.

(٤) (بيت) ساقطة من (أ).

(٥) لم نقف على اسم قائله ولا مورد أخذه.

فصل [-٣١-]

[في مسائل متفرقة]

قَوْلُهُ - تَعَالَى -: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾^(١).
النُّورُ، وَالظُّلُمَةُ الْمَذْكُورَانِ فِي الْآيَةِ، جَائِزٌ^(٢) أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِهِمَا الْجَنَّةُ،
وَالنَّارُ، وَالثَّوَابُ، وَالْعِقَابُ. وَقَدْ تَصَحَّ الْكِنَايَةُ عَنِ الثَّوَابِ، وَالنَّعِيمِ فِي الْجَنَّةِ،
بِأَنَّهُ نُورٌ، وَعَنِ الْعِقَابِ فِي النَّارِ، بِأَنَّهُ ظُلْمَةٌ.

وَإِذَا كَانَ الْمُرَادُ بِهِمَا الْجَنَّةُ، وَالنَّارُ، سَاعَ إِصَافَةِ إِخْرَاجِهِم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى
النُّورِ، لِأَنَّهُ لَا شُبْهَةَ فِي أَنَّهُ - تَعَالَى - هُوَ الْمُدْخِلُ الْمُؤْمِنَ الْجَنَّةَ، وَالْعَادِلُ بِهِ مِنْ طَرِيقِ
النَّارِ.

فَلَوْ حُجِّلَ عَلَى الْإِيمَانِ، لَتَنَاقَضَ الْمَعْنَى، وَلَصَارَ تَقْدِيرُ الْكَلَامِ: أَنَّهُ يُخْرِجُ
الْمُؤْمِنَ مِنَ الْكُفْرِ، إِلَى الْإِيمَانِ.

(١) البقرة: ٢٥٧.

(٢) في (ح): جاز. بصيغة الماضي.

وَإِذَا كَانَ الْكَلَامُ يَقْتَضِي الاسْتِقْبَالَ فِي إِخْرَاجِ الْمُؤْمِنِ مِنَ الظُّلُمَاتِ، كَانَ
 حَمْلُهُ عَلَى ذِكْرِ طَرِيقِ الْجَنَّةِ، وَالْعُدُولِ بِهِمْ عَنْ طَرِيقِ ^(١) النَّارِ، أَشْبَهَ بِالظَّاهِرِ.
 وَبَعْدُ: فَلَوْ كَانَ الْأَمْرُ عَلَى مَا ظَنُّوهُ، لَمْ صَارَ اللَّهُ - تَعَالَى - وَلِيًّا لِلْمُؤْمِنِينَ،
 وَنَاصِرًا لَهُمْ، عَلَى مَا اقْتَضَتْهُ الْآيَةُ، وَالْإِيمَانُ مِنْ فِعْلِهِ، لَا مِنْ فِعْلِهِمْ؟
 وَلَمْ كَانَ خَاذِلًا لِلْكَافِرِ، وَمُضِيفًا لَوْلَا يَتَّهِمُوا إِلَى الطَّاعُوتِ إِذَا كَانَ مِنْ فِعْلِهِ؟
 وَلَمْ فَصَّلَ بَيْنَ الْكَافِرِ، وَالْمُؤْمِنِ فِي بَابِ الْوَلَايَةِ، وَهُوَ الْمُتَوَلَّى لِلْأَمْرَيْنِ فِيهِمَا؟
 وَفِيهِ كَلَامٌ كَثِيرٌ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ - : ﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا
 تَعْمَلُونَ﴾ ^(١).
 أَي: مَا تَعْمَلُونَ فِي الْحِجَارَةِ، وَالْحَشَبِ، وَغَيْرِ هُمَا، بِمَا ^(٢) كَانُوا يَتَّخِذُونَهُ
 آلِهَةً، وَيَعْبُدُونَهَا.
 وَلَمْ يُرِدْ: أَنَّكُمْ تَعْبُدُونَ تَحْتَكُمْ، الَّذِي هُوَ فِعْلٌ لَكُمْ. بَلْ أَرَادَ: مَا تَفْعَلُونَ

(١) فِي (أ): الطَّرِيقَ. مَعَ (أَل).

(٢) الصَّافَات: ٩٥: ٩٦.

(٣) فِي (ك): فَمَا. مَعَ الْفَاءِ.

فِيهِ النَّحْتُ، كَمَا قَالَ: ﴿فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾^(١).

ومثله: ﴿وَالْقِيَامَ فِي يَوْمِ نَكْتَفُ مَا صَنَعُوا﴾^(٢). وعَصَا مُوسَى لَمْ تَكُنْ تَلْقَفُ إِنْكَهُم، وَإِنَّمَا / ١٠٠ / كَانَ تَلْقَفُ الْأَجْسَامَ الَّتِي هِيَ الْعِصِيُّ^(٣)، وَالْحِبَالُ. ثُمَّ إِنَّهُ أَخْرَجَ الْكَلَامَ عَرَجَ التَّوْبِيخِ لَهُمْ، لِعِبَادَتِهِمُ الْأَصْنَامَ. فَلَوْ كَانَ ذَلِكَ مِنْ فِعْلِهِ - تَعَالَى - لَمَا تَوَجَّهَ عَلَيْهِمُ الْعَتَبُ. بَلْ يَكُونُ لَهُمُ الْحُجَّةُ، لَا عَلَيْهِمْ.

وَمَتَى لَمْ يَكُنِ الْمُرَادُ: مَا تَعْمَلُونَ فِيهِ، لِيَصِيرَ تَقْدِيرُ الْكَلَامِ: مَا تَعْبُدُونَ الْأَصْنَامَ الَّتِي تَنْحَتُونَهَا، وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ، وَخَلَقَ هَذِهِ الْأَصْنَامَ الَّتِي تَفْعَلُونَ فِيهَا التَّخْطِيطَ، وَالتَّصْوِيرَ، لَمْ يَكُنْ لِلْكَلامِ مَعْنَى.

عَلَى أَنْ إِضَافَةَ الْعَمَلِ إِلَيْهِمْ يَقُولُهُ: ﴿تَعْمَلُونَ﴾ يُبْطِلُ تَأْوِيلَهُمُ الْآيَةَ، لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ خَالِقًا لَهَا^(٤)، لَمْ يَكُنْ عَمَلًا لَهُمْ، لِأَنَّ الْعَمَلَ إِنَّمَا يَكُونُ عَمَلًا، لِمَنْ أَحْدَثَهُ، فَكَيْفَ يَكُونُ عَمَلًا لَهُمْ، وَاللَّهُ خَلَقَهُ؟

وَأِنْ قَوْلُهُ: ﴿وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ بِقَتَضِي الْأَسْتِقْبَالِ. وَكُلُّ فِعْلٍ، لَمْ يُوجَدْ فَهُوَ مَعْدُومٌ. وَمُحَالٌ أَنْ يَقُولَ - تَعَالَى -^(٥): إِنِّي خَالِقٌ لِلْمَعْدُومِ. وَلَوْ كَانَ كَمَا ظَنُّوهُ،

(١) الأعراف: ١١٧. الشعراء: ٤٥.

(٢) طه: ٦٩.

(٣) في (هـ): العصا. بصيغة المفرد.

(٤) (لها) ساقطة من (هـ).

(٥) (تعالى) ساقطة من (ح).

لَقَالَ: وَاللَّهِ خَلَقَكُمْ، وَخَلَقَ عِبَادَتَكُمْ لِلْأَصْنَامِ، فَيَكُونُ عَاذِرًا، وَمُزِيلًا لِلْوَمِ^(١) عَنْهُمْ، لِأَنَّ الْإِنْسَانَ، لَا يُدْمُ عَلَى مَا خُلِقَ فِيهِ. وَالْحَقْلُ إِذَا كَانَ بِمَعْنَى: التَّقْدِيرِ، فَقَدْ^(٢) يَكُونُ الْحَالِئُ، خَالِقًا لِفَعْلٍ غَيْرِهِ، إِذَا كَانَ مُقَدَّرًا. يُقَالُ: خَلَقَ الْأَدِيمَ، إِذَا قَدَّرَ^(٣) [هـ]. وَإِنَّ اللَّهَ - تَعَالَى - قَالَ: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾^(٤). وَهَذِهِ^(٥) الْآيَةُ تَذُلُّ عَلَى بَطْلَانِ الْجَحْرِ، وَأَنَّ اللَّهَ - تَعَالَى -^(٦) لَا يُرِيدُ مِنَ الْكُفَّارِ، الْكُفْرَ، لِأَنَّهُ صَرَّحَ - هَاهُنَا -: أَنَّهُ يُرِيدُ مِنْ جَمِيعِ الْمُكَلَّفِينَ الْإِيمَانَ، وَالطَّاعَةَ.



قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾^(٧).

هَذِهِ الْآيَةُ تَذُلُّ عَلَى أَرْبَعَةِ أَشْيَاءَ:

(١) فِي (ك) وَ(هـ) وَ(أ) وَ(ح): اللوم. مِنْ دُونَ حَرْفِ الْجَرِّ (اللام).

(٢) فِي (هـ): وَقَدْ. مَعَ الْوَاوِ.

(٣) مَا بَيْنَ الْمُعْقُوفَيْنِ سَاقِطَةٌ مِنْ (ش).

(٤) الْفَتْحُ: ٨، ٩.

(٥) سَقَطَتِ الْوَاوُ مِنْ (وَهَذِهِ) مِنْ (ح).

(٦) (تَعَالَى) سَاقِطَةٌ مِنْ (ح).

(٧) النِّسَاءُ: ٨٢.

أَحَدَهَا^(١): عَلَى بَطْلَانِ التَّقْلِيدِ، وَصِحَّةِ الاستِدْلَالِ فِي أَصُولِ الدِّينِ، لِأَنَّهُ حَقٌّ، وَدَعَا^(٢) إِلَى التَّنْذِيرِ^(٣)، وَذَلِكَ لَا يَكُونُ إِلَّا بِالْفِكْرِ، وَالنَّظَرِ.

وَالثَّانِي: يَدُلُّ عَلَى فَسَادِ مَذْهَبِ الْجَبَرِيَّةِ^(٤)، وَالْحَشَوَّةِ^(٥): أَنَّ الْقُرْآنَ لَا يُفْهَمُ مَعْنَاهُ إِلَّا بِتَفْسِيرِ الرَّسُولِ - عَلَيْهِ السَّلَام -، لِأَنَّهُ - تَعَالَى - حَقٌّ عَلَى تَدْبِيرِهِ^(٦)، لِيَعْمَلُوا^(٧) بِهِ.

وَالثَّلَاثُ: يَدُلُّ^(٨) عَلَى أَنَّهُ لَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ، لَكَانَ عَلَى قِيَاسِ كَلَامِ الْخَلْقِ مِنْ وَجْهِ الاختِلَافِ فِيهِ^(٩).

وَالرَّابِعُ: يَدُلُّ^(١٠) عَلَى أَنَّ الْمُتَنَاقِضِ مِنَ الْكَلَامِ، لَيْسَ مِنْ فِعْلِ اللَّهِ، لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ مِنْ فِعْلِهِ، لَكَانَ مِنْ عِنْدِهِ، لَا مِنْ عِنْدِ غَيْرِهِ.

(١) فِي (أ): أَحَدُهُمَا. وَهُوَ تَحْرِيفٌ.

(٢) فِي (ح): حَقٌّ وَدَعَا. بِصِيغَةِ الْمَصْدَرِ فِي الْمَوْضِعَيْنِ.

(٣) فِي (ش): التَّنْذِيرُ. وَهُوَ تَحْرِيفٌ.

(٤) مَجْمَعُ الْبَيَانِ: ٢: ٨١.

(٥) مَجْمَعُ الْبَيَانِ: ٢: ٨١.

(٦) فِي (أ): تَدْبِيرُهُ.

(٧) فِي (ك) وَ(أ) وَ(ح): لِيَعْمَلُوا. بِاللَّامِ ثُمَّ الْمِيمِ.

(٨) (يَدُلُّ) سَاقِطَةٌ مِنْ (ح).

(٩) (فِيهِ) سَاقِطَةٌ مِنْ (ح).

(١٠) (يَدُلُّ) سَاقِطَةٌ مِنْ (ح).

منصورُ الفقيه^(١):

لِي جَاوَزْتُ فِيهِ مِنْ الشَّرِّ أَمْوُورُ
كُلَّمَا أَبْصَرَ شَخْصِي ظَلَّ يَغْلِي وَيُقْوِرُ
لَا يُجْرِمُ^(٢) غَيْرَ أَنِّي قُلْتُ رَبِّي لَا يُجْوِرُ

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ﴾^(٣).
الَّلَامُ، لَامُ^(٤) الْعَاقِبَةِ. والمعنى: إِنَّهُ خَلَقَ الْخَلْقَ كُلَّهُمْ، وَتَصِيرُ عَاقِبَةُ كَثِيرٍ
مِنْهُمْ إِلَى جَهَنَّمَ بِسُوءِ اخْتِيَارِهِمْ مِنَ الْكُفْرِ بِاللَّهِ، وَارْتِكَابِ مَعَاصِيهِ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(٥).

(١) أخلَّ بها ديوانه المطبوع بتحقيق عبدالمحسن فراج القحطاني. وكذلك شعره بجمع مقتدى حسن
المنشور في مجلة المجمع العلمي الهندي العدد المزدوج ١ - ٢ المجلد الثاني ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م
وكذلك ما استدرك عليها مجاهد مصطفى بهجت في مجلة آداب المستنصرية العدد ١٦ في
١٩٨٨.

(٢) في (أ): يجم. بياض المضارعة والزاي المعجمة.

(٣) الأعراف: ١٧٩.

(٤) (لام) ساقطة من (أ).

(٥) الذاريات: ٥٦.

دليل على أنه لم يخلق الثقلين إلا لعبادته. فاللأم، لأم الغرض، ولا يجوز أن يكون، لأم العاقبة، لحصول^(١) العلم بأن عالماً لا يعبدون الله - تعالى -.

قوله - سبحانه -: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ﴾^(٢).

هذا التَعَوُّذُ إِنَّمَا هُوَ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ مِنْ أَنْوَاعِ خَلْقِهِ مِنَ السَّبَاعِ، وَالْهَوَامِّ، وَمَا أَشَبَّهُ ذَلِكَ، مِمَّا^(٣) يُوْذِي النَّاسَ.

قوله - سبحانه -: ﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾^(٤).

دلالة^(٥) على بطلان قول المجبرة^(٦) في أن الكافر لا يقدر على الإيمان، لأن الآية، نزلت على أنه لا عذر للكافر في ترك الإيمان، ولو كانوا [غير]^(٧) قادرين،

(١) في (ش): بحصول. مع الباء.

(٢) الفلق: ١، ٢.

(٣) في (أ): قها. مع الفاء.

(٤) النساء: ٣٩.

(٥) في (ح): فيها دلالة.

(٦) الملل والنحل: ١: ١٣٣، ١٣٦، ١٣٩، ١٤٣.

(٧) ما بين المقوفتين ساقط من (ش).

لَكَانَ فِيهِ أَوْضَحُ الْعُذْرِ لَهُمْ، وَلَمَّا جَازَ أَنْ يُقَالَ: ﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَإِنَّهُمْ لَا يَقْدِرُونَ عَلَيْهِ، وَلَا يَجِدُونَ السَّبِيلَ إِلَيْهِ: وَلِذَلِكَ لَا يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ لِأَهْلِ النَّارِ: مَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ خَرَجُوا مِنْهَا إِلَى الْجَنَّةِ؟ مِنْ حَيْثُ لَا يَقْدِرُونَ عَلَيْهِ، وَلَا يَجِدُونَ السَّبِيلَ إِلَيْهِ. وَكَذَلِكَ لَا يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ لِلْمَرِيضِ: مَاذَا عَلَيْهِ لَوْ كَانَ صَحِيحًا؟ وَلَا لِلْفَقِيرِ: مَاذَا عَلَيْهِ لَوْ كَانَ غَنِيًّا؟

إِبْنُ الصُّوفِيِّ^(١):

مَنْ رَأَى الظُّلْمَ قَبِيحًا فَعَلَهُ	لَا لِنَهْيِ الْأَمْرِ الْمُقْتَدِرِ
ثُمَّ لَا يَأْمَنُ مِنْ مُوبِقَةٍ	يَزْدَرِيهَا وَهِيَ أَحَدَى الْكِبَرِ ^(٢)
قَالَ: مِثْلُهُ بِشَيْءٍ بَيْنَ	قُلْتُ: فِي التَّحْصِيلِ ^(٣) - كَسْبُ الْأَشْعَرِيِّ



(١) لم نقف على مورد أخذه.

(٢) في (هـ): الكبري. بالياء.

(٣) في (ش): تحصيل. من دون (أل).

فصل [-٣٢-]

[تنزيه الله عن فعل الظلم]

قَوْلُهُ - تَعَالَى -: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾^(١).

إِعلم: أَنَّ الله - تعالى - قَدْ نَفَى الظُّلْمَ عَنْ نَفْسِهِ فِي الدُّنْيَا، وَالْآخِرَةِ. فَأَمَّا فِي الدُّنْيَا، فَقَوْلُهُ: ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ﴾^(٢)، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا﴾^(٣)، ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ / ١٠١ / لِيَظْلِمَهُمْ﴾^(٤)، ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ﴾^(٥)، ﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾^(٦)، ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا...﴾^(٧)، ﴿وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى...﴾^(٨)، ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى...﴾^(٩)، وَنَحْوَهَا.

(١) النساء: ٤٠.

(٢) غافر: ٣١.

(٣) يونس: ٤٤.

(٤) العنكبوت: ٤٠.

(٥) هود: ١٠٠ وفي (ح): (ذلك من أنباء القرى نتلوها عليك بالحق).

(٦) التوبة: ٧٠.

(٧) النحل: ١١٨. الزخرف: ٧٦.

(٨) القصص: ٥٩.

(٩) هود: ١١٧.

وَأَمَّا فِي الْآخِرَةِ، فَقَوْلُهُ: ﴿مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلَ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَامٍ لِلْعَمِيدِ﴾^(١)،
 ﴿وَتُوفِّي كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ﴾^(٢)، ﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ
 أَحَدًا﴾^(٣)، ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ﴾^(٤)، ﴿الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا
 كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ﴾^(٥)، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾^(٦).

دَخَلَ يَزِيدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ الشَّامِيَّ عَلَى الرَّضَا - عَلَيْهِ السَّلَام - بِمَرَوْ، وَسَأَلَ عَنْ
 قَوْلِ الصَّادِقِ - عَلَيْهِ السَّلَام -: لَا جَبَرَ، وَلَا تَفْوِيضَ، [بَلْ] ^(٧) أَمْرٌ بَيْنَ الْأَمْرَيْنِ.
 فَقَالَ - عَلَيْهِ السَّلَام -: مَنْ زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ، فَعَلَ أَعْمَالَنَا، ثُمَّ يُعَذِّبُنَا عَلَيْهَا، فَقَدْ
 قَالَ بِالْجَبْرِ، وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ فَوَّضَ أَمْرَ الْخَلْقِ ^(٨)، وَالرِّزْقَ إِلَى حُجَجِهِ، فَقَدْ قَالَ
 بِالتَّفْوِيضِ. وَالْقَائِلُ ^(٩) بِالْجَبْرِ، كَافِرٌ، وَالْقَائِلُ بِالتَّفْوِيضِ، مُشْرِكٌ.

قَالَ: قَمَا أَمْرٌ بَيْنَ أَمْرَيْنِ؟

(١) ق: ٢٩.

(٢) النحل: ١١١.

(٣) الكهف: ٤٩.

(٤) الزمر: ٦٩.

(٥) غافر: ١٧.

(٦) النساء: ٤٠.

(٧) ما بين المعقوفين ساقط من (ش) و(هـ) و(ح).

(٨) في (أ): الخالق.

(٩) في (ش): القابل. بالباء الموحدة من تحت.

فقال - عَلَيْهِ السَّلَام - : وَجُودُ السَّبِيلِ إِلَى إِيْتَانِ مَا تُهْوَا عَنْهُ؟

قَالَ : فَهَلْ لَهِ إِزَادَةٌ وَمَشِيئَةٌ فِي ذَلِكَ؟

فقال : أَمَّا الطَّاعَاتُ، فَإِزَادَةُ اللَّهِ، وَمَشِيئَتُهُ فِيهَا، الْأَمْرُ بِهَا، وَالرَّضَا بِهَا،
وَالْمَعَاوَنَةُ عَلَيْهَا. وَإِزَادَتُهُ، وَمَشِيئَتُهُ فِي الْمَعَاصِي، النَّهْيُ عَنْهَا، وَالسُّخْطُ لَهَا،
وَالْعُقُوبَةُ عَلَيْهَا، وَالْخِذْلَانُ بِهَا.

قال : فَلِلَّهِ فِيهِ الْقَضَاءُ؟

قال : نَعَمْ. مَا مِنْ فِعْلٍ، فَعَلَهُ الْعِبَادُ مِنْ خَيْرٍ، وَشَرٍّ، إِلَّا وَلِلَّهِ فِيهِ الْقَضَاءُ.

قال : فَمَا مَعْنَى هَذَا الْقَضَاءِ؟

قال : الْحُكْمُ عَلَيْهِمْ بِمَا يَسْتَحِقُّونَهُ عَلَى أَعْمَالِهِمْ مِنَ الثَّوَابِ، وَالْعِقَابِ فِي
الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ^(١).

الْفَقِيهُ^(٢) الْأَصْفَهَانِي^(٣) :

أَيُّكُلِفُ الذَّنْبَ الْعَظِيمَ عِبَادَةُ وَيُؤْمَذُّهُمْ قَسْداً ظُلْمَانِ
وَاللَّهُ لَيْسَ بِظَالِمٍ^(٤) لِعِبَادِهِ وَبِذَاكَ^(٥) أَنْطَقَ مُحْكَمَ الْقُرْآنِ

(١) الخبر بلفظه في عيون أخبار الرضا : ١ : ١٢٤.

(٢) في (ك) و(هـ) و(أ) : الْفَقِيهَ.

(٣) لم نقف على مورد أخذه.

(٤) في (أ) : بِظُلْمٍ.

(٥) في (ك) : فَبِذَاكَ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾^(١).

وَإِذَا لَمْ يُحِبَّ الظَّالِمَ، لَمْ يُحِبَّ فِعْلَ الظُّلْمِ، لِأَنَّهُ إِنَّمَا [لَمْ] ^(٢) يُحِبَّ فِعْلَ ^(٣) الظَّالِمِ، لِظُلْمِهِ. وَالْمَحَبَّةُ هِيَ الْإِرَادَةُ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَالَمِينَ﴾^(٤).

رَدٌّ عَلَى الْمَجْبَرَةِ، لِأَنَّهُ لَوْ أَرَادَ ظَلَمَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ، لَكَانَ قَدْ أَرَادَ ظَلَمَهُمْ. وَكَذَلِكَ لَوْ أَرَادَ ظَلَمَ الْإِنْسَانَ لِغَيْرِهِ، جَازَ أَنْ يُرِيدَ أَنْ يَظْلِمَهُ هُوَ، لِأَنَّهُ لَا يَفْعَلُ مَا لَا يُرِيدُهُ.

وَقَوْلُهُ ^(٥): ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَالَمِينَ﴾ تَفْيُّ لِرَادَةِ ظُلْمِهِمْ عَلَى كُلِّ حَالٍ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهِلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ﴾^(٦).

(١) آل عمران: ١٤٠.

(٢) ما بين المعقوفتين ساقطة من (ش).

(٣) (فعل) ساقطة من (ح).

(٤) آل عمران: ١٠٨.

(٥) في (أ): ولقوله.

(٦) هود: ١١٧.

أي: بظلمٍ صغير، يَكُونُ مِنْهُمْ، لَأَنَّهُ ^(١) يَقَعُ مُكْفَرًا بِمَا مَعَهُمْ مِنَ الثَّوَابِ الكثير.

وقيل: بظلمٍ كثير، من قَلِيلٍ مِنْهُمْ، مَعَ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ ^(٢) الْمُصْلِحُونَ، لَأَنَّ القَلِيلَ، لَا يُعْتَدُّ بِهِ فِي جَنْبِ ^(٣) الكثير.

وقيل: إِنَّ المعنى: يَظْلِمُ مِنَّا. كَمَا قَالَ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا﴾ ^(٤).
بَيْتٌ ^(٥):

جَلَّ إِلَهُ الْخَلْقِ مِنْ ظُلْمِ الْبَشَرِ

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ ^(٦).

ذَكَرَهُ بِالْفِعْلِ الْمُبَالِغَةِ فِي نَقْيِ الظُّلْمِ عَنْ نَفْسِهِ، وَإِنْ كَانَ لَا يَفْعَلُ الْقَلِيلَ مِنْهُ، لَأَنَّهُ خَرَجَ جَوَابًا لِلْمُجْبَرَةِ ^(٧)، وَرَدَّدًا عَلَيْهِمْ، لِأَنَّهُمْ يَنْسِبُونَ ^(٨) كُلَّ ظُلْمٍ - فِي الْعَالَمِ -

(١) في (ك) و(هـ) و(أ): لأَنَّهُمْ.

(٢) في (هـ): أَكْثَرُ. بسقوط الضمير (هم).

(٣) في (أ): جَنَّتْ. بَالْتِئَاءِ الْمَبْسُوطَةِ الْمُثَنَّى مِنْ فَوْقِ. وَهُوَ تَصْخِيفٌ.

(٤) يونس: ٤٤.

(٥) لم نقف على اسم قائله ولا مظنةً وروده.

(٦) فصلت: ٤٦.

(٧) في (هـ): الْجَبَرَةِ.

(٨) الملل والنحل: ١٣٣، ١٣٦، ١٣٩، ١٤٣.

إليه - تعالى - . فَبَيَّنَ أَنَّهُ لَوْ كَانَ كَمَا قَالُوا، لَكَانَ ظَلَامًا، وَأَنَّهُ لَيْسَ بِظَالِمٍ.

وَسُئِلَ مُتَكَلِّمٌ^(١): لِمَ وَرَدَ عَلَى وَزْنِ «فَعَالٍ»^(٢) الَّذِي صِيغَ لِلكَثِيرِ^(٣)، وَهُوَ مُتَنَزِّهٌ عَنِ الظُّلْمِ الْيَسِيرِ؟

فَقَالَ: لِأَنَّهُ لَوْ فَعَلَ أَقَلَّ قَلِيلٍ^(٤) الظُّلْمِ، لَكَانَ عَظِيمًا مِنْهُ، لِأَنَّهُ غَيْرُ مُحْتَاجٍ إِلَيْهِ، مَعَ عِلْمِهِ بِقُبْحِهِ^(٥)، وَبِأَنَّهُ غَنِيٌّ عَنْهُ. وَالْقَبِيحُ لَا يَتَأَتَّى إِلَّا مِنْ جَاهِلٍ، أَوْ مُحْتَاجٍ. فَلَوْ فَعَلَهُ مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ إِلَيْهِ، فَهُوَ أَعْظَمُ مِنْ كُلِّ ظُلْمٍ، فَعَلَهُ فَاعِلٌ، لِحَاجَتِهِ إِلَيْهِ.



(١) لم نقف على اسمه ولا مظنة أخذ الرواية.

(٢) في (أ): الفَعَال. مع (أل).

(٣) في (أ): الكثير.

(٤) في (ش): القليل. مع (أل).

(٥) في (ك) و(هـ): بقيحه. بالياء المثناة من تحت بعد القاف وهو تصحيف.

فصل [-٣٣-]

[في معنى الحسنه والسيئة ومصدرهما]

قَوْلُهُ - تَعَالَى -: ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَبِيئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ﴾^(١).

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ^(٢)، وَالْحَسَنُ^(٣): الْحَسَنَةُ مَا أَصَابَ النَّبِيَّ - عَلَيْهِ السَّلَام - يَوْمَ بَدْرِ مِنَ الظَّفَرِ^(٤)، وَالسَّيِّئَةُ مَا أَصَابَهُ يَوْمَ أُحُدٍ^(٥) مِنْ كَسْرِ رُبَاعِيَّتِهِ.

وَقَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ^(٦)، وَأَبُو الْقَاسِمِ^(٧): إِنَّ الْحَسَنَةَ، وَالسَّيِّئَةَ: الطَّاعَةُ، وَالْمَعْصِيَةُ. وَيَكُونُ الْمَعْنَى: إِنَّ الْحَسَنَةَ الَّتِي هِيَ الطَّاعَةُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ، وَتَرْغِيهِ فِيهَا،

(١) النساء: ٧٩.

(٢) جامع البيان: ٥: ١٧٥. أيضاً: مجمع البيان: ٢: ٧٩. الدر المنثور: ٢: ٥٩٧.

(٣) مجمع البيان: ٢: ٧٩. أيضاً: التبيان في تفسير القرآن: ٣: ٢٦٥.

(٤) في (أ): الطفر. بالطاء المهملة بعدها غين معجمة.

(٥) (أحد) ساقطة من (ها).

(٦) جامع البيان: ٥: ١٧٥. أيضاً: مجمع البيان: ٢: ٧٩. التبيان في تفسير القرآن: ٣: ٢٦٥. الدر

المنثور: ٢: ٥٩٦.

(٧) مجمع البيان: ٢: ٧٩. التبيان في تفسير القرآن: ٣: ٢٦٥.

وَلُطْفِهِ^(١) هَآءِ، وَالسَّيِّئَةَ بِخُذْلَانِهِ عَلَى وَجْهِ الْعُقُوبَةِ عَلَى الْمَعَاصِي الْمُتَقَدِّمَةِ. وَسَمَاءُ ﴿سَيِّئَةٍ﴾ كَمَا قَالَ: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾^(٢).

وَالْتَقْدِيرُ: مَا أَصَابَكَ مِنْ ثَوَابٍ حَسَنَةٍ فَمِنْ اللَّهِ، لِأَنَّهُ الَّذِي عَرَّضَكَ لِلثَّوَابِ، وَأَعَانَكَ عَلَيْهِ، وَمَا أَصَابَكَ مِنْ عِقَابٍ سَيِّئَةٍ، فَمِنْ نَفْسِكَ، لِأَنَّهُ - تَعَالَى - نَهَاكَ عَنْهَا، وَزَجَرَكَ عَنْ فِعْلِهَا، فَلَمَّا ارْتَكَبْتَهَا، كُنْتَ الْجَانِيَّ عَلَى نَفْسِكَ.

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِالسَّيِّئَةِ، مَا يُصِيبُهُمْ فِي دَارِ الدُّنْيَا مِنَ الْمَصَائِبِ، لِأَنَّهُ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ عِقَابًا، أَوْ بَعْضُ مَا يَسْتَحِقُّونَهُ.

وقوله: ﴿فَمِنْ نَفْسِكَ﴾، قَالَ / ١٠٢ / الحسن^(٣)، وقتادة^(٤)، والسُّدِّيُّ^(٥)، وابنُ جُرَيْجٍ^(٦)، والضَّحَّاكُ^(٧): أَي: فَبِذَنْبِكَ^(٨). أَصَافَ الْمَعْصِيَةَ إِلَى الْعَبْدِ - فِي هَذِهِ الْآيَةِ - وَنَقَاهَا عَنْ نَفْسِهِ.

(١) في (ش): أو لطفه.

(٢) الشورى: ٤٠.

(٣) مجمع البيان: ٧٩: ٢. نسبه إلى (الحسن) وجماعة من المفسرين.

(٤) جامع البيان: ١٧٥: ٥. أيضاً: التبيان في تفسير القرآن، ٢٦٦: ٣. الدر المنثور: ٥٩٧: ٢.

(٥) في (هـ): السُّدِّي. وقوله هذا في: جامع البيان: ١٧٥: ٥. أيضاً: التبيان في تفسير القرآن: ٢٦٦: ٣.

(٦) جامع البيان: ٧٥: ٥. أيضاً: التبيان في تفسير القرآن: ٢٦٦: ٣.

(٧) التبيان في تفسير القرآن: ٢٦٦: ٣.

(٨) في (ح). بذنبك، بسقوط الفاء.

وَلَوْ كَانَتْ مِنْ خَلْقِهِ^(١)، لَكَانَتْ مِنْهُ عَلَى أَوْ كَيْدِ الْوُجُوهِ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَإِنْ تُصِيبُهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾^(٢).

قال الحسن^(٣)، وأبو القاسم^(٤)، وأبو علي^(٥): هَذِهِ حِكَايَةٌ عَنِ الْمُنَافِقِينَ. وقال الزَّجَّاجُ^(٦)، والفَرَّاءُ^(٧):

إِنَّ الْيَهُودَ - لَمَّا قَدِمَ النَّبِيُّ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - الْمَدِينَةَ، فَكَانَتْ إِذَا زَكَّتْ تِبَارُهُمْ، وَأَخْصَبُوا، قَالُوا: هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَإِذَا أَجْدَبُوا، وَجَاسَتْ^(٨) تِبَارُهُمْ، قَالُوا: هَذَا لِشُومٍ^(٩) مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ -.

(١) (من خلقه) ساقطة من (هـ).

(٢) النساء: ٧٨.

(٣) جمع البيان: ٧٨: ٢ بلا عزو إلى أحد. وهو معزولُهُ في التبيان في تفسير القرآن: ٣: ٢٦٤.

(٤) جمع البيان: ٧٨: ٢ بلا عزو إلى أحد. وهو معزولُهُ في التبيان في تفسير القرآن: ٣: ٢٦٤.

(٥) هو أبو علي الطبرسي: أنظر: جمع البيان: ٧٨: ٢. وفي التبيان في تفسير القرآن: ٣: ٢٦٤

منسوب إلى أبي علي الجبائي.

(٦) معاني القرآن وإعرابه: ٢: ٨٤.

(٧) (الفراء) ساقطة من (هـ). وفي (أ): القرآن. وقوله هذا في معاني القرآن: ١: ٢٧٨.

(٨) في (أ): حاست. بالخاء المهملة.

(٩) في (ش): الشوم. مَعَ (أَل).

وقال ابن عباس^(١)، وقَتَادَةُ^(٢): الحُسْنَةُ، والسَّيِّئَةُ، هُوَ السَّرَّاءُ، وَالضَّرَّاءُ، وَالْبُؤْسُ، وَالرَّخَاءُ، وَالنَّعْمَةُ^(٣)، وَالْمُصِيبَةُ، وَالْخِصْبُ، وَالْجَدْبُ^(٤).

وقال الحسن^(٥)، وابن زَيْد^(٦): هُوَ النَّصْرُ، وَالْهَرِيمَةُ.

وقال ابن زَيْد^(٧): قَوْلُهُ: ﴿مِنْ عِنْدِكَ﴾، مَعْنَاهُ: بِسُوءِ تَدْبِيرِكَ.

وقال الجُبَّائِيُّ^(٨)، وَالْبَلْخِيُّ^(٩)، وَالزَّجَّاجُ^(١٠): أَي: بِشُؤْمِكَ الَّذِي يَلْحَقُنَا بِكَ. كَمَا حَكَى عَنْ مُوسَى: ﴿وَإِنْ تُصِيبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ﴾^(١١).

فَأَمَرَ اللَّهُ - تَعَالَى - نَبِيَّهٖ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - أَنْ يَقُولَ: إِنَّ جَمِيعَ ذَلِكَ، مِنْ عِنْدِ اللَّهِ.

(١) مجمع البيان: ٢: ٧٨. أيضاً التبيان: ٣: ٢٦٤.

(٢) مجمع البيان: ٢: ٧٨. أيضاً التبيان: ٣: ٢٦٤. الدر المنثور: ٢: ٥٩٦.

(٣) في (ش): النعمة. بالقاف المثناة.

(٤) في (ش): الجذب. بالذال المعجمة.

(٥) مجمع البيان: ٢: ٧٨.

(٦) جامع البيان: ٥: ١٧٤. أيضاً: مجمع البيان: ٢: ٧٨. الدر المنثور: ٢: ٥٩٧.

(٧) جامع البيان: ٥: ١٧٤، أيضاً: التبيان في تفسير القرآن: ٣: ٢٦٤.

(٨) مجمع البيان: ٢: ٧٨. أيضاً: التبيان في تفسير القرآن: ٣: ٢٦٤.

(٩) مجمع البيان: ٢: ٧٨. أيضاً: التبيان في تفسير القرآن: ٣: ٢٦٤.

(١٠) معاني القرآن وإعرابه: ٢: ٨٤. باختلاف اللفظ.

(١١) الأعراف: ١٣١.

والآية، مُعَارَضَةً بِقَوْلِهِ - تَعَالَى -: ﴿وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾^(١).
نَظْمٌ^(٢):

وَلَيْسَ بِمُجْزِي كَاسِبٍ^(٣) غَيْرَ مَا جَنَى إِذَا مَا سَوَاهُ كَانَ مُحْتَقِبِ الْوِزْرِ
وَمَاذَا عَلَيْهِمْ؟ قَالَ: لَوْ آمَنُوا. وَلَمْ يَقُلْ لِمَرِيضٍ: لِمَ مَرِضْتَ؟ وَذِي قَرِيرٍ
وَلَكِنَّهُ أَبَدَى الْخِطَابَ لِعَاقِلٍ تَبَايَنَ عَنْ جِنْسٍ^(٤) الْمُسَيِّنَ بِالْقَهْرِ



(١) آل عمران: ٧٨.

(٢) لم نقف على اسم قائله ولا مورد أخذه. وفي (ح): (شعر) بدلاً من (نظم).

(٣) في (ح): بمجزي كاسباً.

(٤) في (ك) و(أ): حبس. بالخاء المهملة بعدها الباء الموحدة من تحت. وفي (هـ): حبس. بالجيم

المعجمة من تحت والباء الموحدة من تحت.

فصل [- ٣٤ -]

[من معاني قضي]

قَوْلُهُ - تَعَالَى -: ﴿لَيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾^(١).

الْقَضَاءُ لَهُ أَرْبَعَةٌ عَشْرَ وَجْهًا:

﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَعَاتٍ﴾^(٢): خَلَقَ.

﴿إِذَا قُضِيَ أَمْرٌ﴾^(٣): فَعَلَ.

﴿وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ﴾^(٤): يَفْعَلُ. وَمِنْهُ سُمِّيَ الْقَاضِي لِلْحَاكِمِ.

﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ﴾^(٥): أَمَرَ.

﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾^(٦): أَعْلَمْنَا. فَهَذَا يَأْتِي مَقْرُونًا بِـ «إِلَى».

(١) الأنفال: ٤٢، ٤٤.

(٢) فصلت: ١٢.

(٣) آل عمران: ٤٧.

(٤) غافر: ٢٠.

(٥) الإسراء: ٢٣.

(٦) الإسراء: ٤.

- ﴿إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ﴾^(١): عَهْدَنَا.
- ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ﴾^(٢): فَرِغْتُمْ.
- ﴿فَوَكَرَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ﴾^(٣): مَاتَ.
- ﴿قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾^(٤): وَجَبَ.
- ﴿أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾^(٥): كِتَابًا.
- ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى﴾^(٦): إِمْتَامَ.
- ﴿فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ﴾^(٧): وَفَى.
- ﴿فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ﴾^(٨): فَاضْنَعِ.
- ﴿لِيُقْضَى اللَّهُ أَمْرًا﴾^(٩): يُقَدَّرَ.

(١) القصص: ٤٤.

(٢) البقرة: ٢٠٠.

(٣) القصص: ١٥.

(٤) يوسف: ٤١.

(٥) مريم: ٢١.

(٦) طه: ١١٤.

(٧) في (ح): يَتَمَّ. بصيغة الفعل المضارع.

(٨) القصص: ٢٩.

(٩) طه: ٧٢.

(١٠) الأنفال: ٤٢، ٤٤.

النَّبِيُّ^(١) - عَلَيْهِ السَّلَام - يَقُولُ اللهُ - تعالى: مَنْ لَمْ يَرْضَ بِقَضَائِي، وَلَمْ يَشْكُرْ نِعْمَائِي، وَلَمْ يَصْبِرْ عَلَى بَلَائِي، فَلْيَتَّخِذْ رَبًّا سِوَانِي.

زُرَّارَةُ بْنُ أَعْيُنٍ: قَالَ الصَّادِقُ^(٢) - عَلَيْهِ السَّلَام -: إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ وَجَعَ اللهُ الْخَلَائِقَ، سَأَلَهُمْ عَمَّا عَاهَدَ إِلَيْهِمْ، وَلَمْ يَسْأَلَهُمْ عَمَّا قَضَى عَلَيْهِمْ.

النَّبِيُّ^(٣) - عَلَيْهِ السَّلَام -: سَيَكُونُ فِي آخِرِ هَذِهِ الْأُمَّةِ، قَوْمٌ يَعْمَلُونَ^(٤) بِالْمَعَاصِي، ثُمَّ يَقُولُونَ: هَذِهِ^(٥) مِنْ اللهِ، قَضَاءٌ، وَقَدَرًا. فَلِذَا لَقِيتُمُوهُمْ، فَأَعْلِمُوهُمْ أَنِّي مِنْهُمْ بَرِيءٌ.

وَأَتَى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ^(٦) - عَلَيْهِ السَّلَام - بِمِفْطَرِي^(٧)، قَاذِفٍ، فَقَالَ لَهُ: يَا هَذَا لِمَ قَذَفْتَ هَذَا الْمُؤْمِنَ؟

فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ كَانَ^(٨) مِنْ قَضَاءِ اللهِ، وَقَدَرِهِ!

(١) عيون أخبار الرضا: ١: ١٤١. باختلاف في اللفظ بسير. التوحيد: ٣٧١.

(٢) التوحيد: ٣٦٥. الهداية: ٥. شرح عقائد الصدوق أو تصحيح الاعتقاد: ٢١١ الإرشاد: ٣١٧.

(٣) إنقاذ البشر من الجبر والقدر (ضمن رسائل الشريف المرتضى): ١١٧ ط. الحسيني.

(٤) في (أ): يعلمون. بلام ثُمَّ ميم. وهو تحريف.

(٥) في (ك) و(ج): هذه من عند الله.

(٦) في (أ): أمير المؤمنين علي.

(٧) في (ح): بمفتر. بالتنوين.

(٨) (كان) ساقط من (ك) و(هـ).

فقال: كَذِبْتَ يَا عَدُوَّ اللَّهِ عَلَى اللَّهِ، وَاللَّهِ يَقْضِي بِالْحَقِّ، وَهَذَا هُوَ الْبَاطِلُ.

فَأَمَرَ بِحَدِّ الْفَرِيَّةِ، ثُمَّ أَمَرَ - ثَانِيًا - حَتَّى أُقِيمَ عَلَيْهِ حَدٌّ^(١) الْاِفْتِرَاءِ، فَلَمَّا أَفَاقَ، وَقَامَ، قَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، جَمَعْتَ عَلَيَّ بَيْنَ مَا لَمْ يَجْمَعِ اللَّهُ عَلَيَّ؟

فَقَالَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ -: كَذِبْتَ يَا عَدُوَّ اللَّهِ. مَا ضَرَبْتُكَ إِلَّا حَدًّا لِلَّهِ. أَمَّا الْأَرْبَعُونَ^(٢)، فَلَا فِكَكَ عَلَى اللَّهِ [حِينَ]^(٣) نَسَبْتَ إِلَيْهِ قَضَاءَ الْمَعْصِيَةِ^(٤)، وَأَمَّا الثَّمَانُونَ^(٥)، فَهُوَ حَدُّ الْقَذْفِ.

وَقَالَ جَمِيعُ الْحَشَوِيِّ، وَمُعَظَمُ رُوَاةِ^(٦) الْعَامَّةِ، وَنَقَلَهُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ: إِنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ، أَرَى بِسَارِقٍ، فَقَالَ: مَا حَمَلَكَ عَلَى هَذَا؟
فَقَالَ: قَضَاءُ اللَّهِ، وَقَدَرُهُ.

فَضْرَبَهُ عُمَرُ ثَلَاثِينَ سَوْطًا، ثُمَّ قَطَعَ يَدَهُ، فَقَالَ: قَطَعْتُ يَدَكَ بِسَرِقَتِكَ، وَضَرَبْتُكَ بِكَذِبِكَ عَلَى اللَّهِ.

وَقَالَ أَبُو مَرْيَمَ الثَّنَوِيُّ لِأَبِي مُوسَى الْأَسْوَارِيِّ: مَا أَحْسَنَ دِينَكُمْ! لَوْلَا

(١) في (أ): أحد.

(٢) في النسخ جميعاً: الأربعين - بالياء. والوجه ما أثبتناه.

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (ش).

(٤) في (ح): القضاء بالمعصية.

(٥) في النسخ جميعها: الثمانين - بالياء. والوجه ما أثبتناه.

(٦) فرق وطبقات المعتزلة: ٢٥.

أَنْكُمْ تَقُولُونَ: إِنَّ اللَّهَ يَقْضِي هَذِهِ الْفَوَاحِشَ، ثُمَّ يُعَذِّبُ عَلَيْهَا.

فقال الحسن: هذه حُجَّةُ الله، قَامَتْ عَلَى لِسَانِ أَبِي مَرْيَمَ. أَعْلِمُوهُ أَنَّنَا لَا نَقُولُ هَذَا، إِنَّمَا يَقُولُهُ^(١) السُّفَهَاءُ مِنَّا. فَأَسْلَمَ أَبُو مَرْيَمَ.

وقال أَبُو مُحَمَّدٍ الْمَدَائِنِيُّ: أَقُولُ - إِذَا أُعْطِيتُ الْكِتَابَ: يَا رَبِّ إِنِّي مُعْتَرِفٌ بِمَا فِيهِ، وَلَكِنْ خَبَّرَنِي: أَهْوَى شَيْءٌ / ١٠٣ / [رُكِبَتْهُ]^(٢)، أَمْ شَيْءٌ قُضِيَ عَلَيَّ^(٣)؟

فَإِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ، فَعَبْدُكَ أَخْطَأَ، وَأَسَاءَ، فَإِنْ تَعَفُّ فَبِفَضْلِكَ، وَإِنْ تَعَذَّبَ، فَبِعَذْلِكَ^(٤). وَإِنْ كَانَ قُضِيَ عَلَيَّ، قُلْتُ: يَا مَعْمَرَ الْحَلَّاقِي! أَيْنَ الْعَدْلُ الَّذِي كُنَّا نَسْمَعُ بِهِ فِي دَارِ الدُّنْيَا؟ لَيْسَ - هَاهُنَا - مِنْهُ قَلِيلٌ، وَلَا كَثِيرٌ.

وَقَالَ بَعْضُ النَّاسِ: لَوْ كَانَ الرَّنَا، كَمَا قَضَى اللَّهُ، لَكَانَ الرُّضَا بِهِ، خَيْرَةً، لِاجْتِمَاعِ النَّاسِ عَلَى قَوْلِهِمْ: الْخَيْرَةُ فِيهَا يَصْنَعُ اللَّهُ.

نظم^(٥):

(١) في (هـ): تقول. بناء المضارعة المثناة من فوق. وفي (ش) و(ك) و(هـ) و(أ): من دون ضمير الغائب (الهـ).

(٢) في (هـ): زكيت. بالزاي المعجمة والياء المثناة من تحت بعد الكاف. وهي مطموسة في (ش).

(٣) في (هـ): عليّ به.

(٤) في (أ): فبعذك. وهو تحريف.

(٥) لم نقف على اسم قائله ولا مورد أخذه.

إِصْفَعَ الْمَجْبِرَ الَّذِي
فَإِذَا قَالَ: لَمْ فَعَلْتُ؟
يَقْضَاءِ السُّوءِ^(١) قَدْ رَضِيَ
قُلْ: هَكَذَا قُضِيَ

الْمَلِكُ^(٢) الصَّالِحُ:

وَلَوْ قَدْ قَضَى اللَّهُ الْمَعَاصِيَ بِقَوْلِكُمْ
وَلَمْ يَعْذِرِ الْأَعْمَى بِمَا قَدْ قَضَى بِهِ
وَلَكِنَّهُ لَمْ يَعْذِرِ السَّارِقَ الَّذِي
تَكُونُ^(٣) مَعَاصِيَ الْخَلْقِ جَوْرًا وَبَاطِلًا
وَحَاشَاءُ يَبْدُو بَاطِلًا^(٤) فِي قَضَائِهِ
وَلَكِنْ قَضَاءُ اللَّهِ فِيهَا عِقَابُهُ^(٥)
أَيَنْضَبُ مِمَّا قَدْ قَضَاهُ مُقَدَّرًا^(٦)
فَكَيْفَ يَكُونُ الْحَمْدُ وَالذَّمُّ لَامِرِيهِ
لَمْ هَدِلَا فِيهَا أَوْسَعَ الْعُذْرِ
عَلَيْهِ وَلَا أَهْلَ الزَّمَانَةِ وَالضُّرِّ
تَعَدَّى، وَلَا الزَّانِي وَلَا شَارِبَ الْخَمْرِ
وَنَسَبَهُ بَارِيْنَا لِذَاكَ مِنْ النُّكْرِ
وَقَدْ قَالَ: يَقْضِي الْحَقُّ فِي مُحْكَمِ الذِّكْرِ
عَلَيْهَا، وَتَعْجِلُ النُّكَالِ الَّذِي يَجْرِي
لَهُ؟ إِنَّ هَذَا لَيْسَ مِنْ قَوْلِ ذِي حَجَرٍ
عَلَى فِعْلَةٍ يُلْجَأُ إِلَيْهَا وَلَا يَدْرِي؟



(١) في (هـ): السوي.

(٢) هو ابن رزيك. وقد أخل بها ديوانه بطبعة محمد هادي الأميني.

(٣) في (ش) و(ك) و(أ): يكون. بياض المضارعة المثناة من تحت.

(٤) في (ح): باطل. من دون تنوين النصب.

(٥) في (ك) و(ح): عقوبة.

(٦) في (ش) و(ك) و(أ): مقدر. من دون تنوين النصب.

فصل [-٣٥-]

[في القضاء]

قَوْلُهُ - تَعَالَى -: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾^(١).

لَمْ يَقُلْ: قَضَيْنَا عَلَيْهِمْ، أَوْ: قَضَيْنَا فَسَادَهُمْ، وَإِنَّمَا قَالَ: قَضَيْنَا إِلَيْهِمْ فِي الْكِتَابِ. فَهَذَا الْقَضَاءُ مِمَّا حَصَلَ فِي التَّوْرَةِ. وَالْقَضَاءُ بِمَعْنَى «الْحَلْقِ» لَا يَحْصُلُ فِيهَا. وَلَا خِلَافَ أَنَّهُ لَا يَأْمُرُهُ.

وَقَالَ: ﴿لَتُفْسِدُنَّ﴾^(٢). فَأَضَافَ إِلَيْهِمْ، وَأَخْبَرَ أَنَّهُمْ يَفْعَلُونَ فِي الْمُسْتَقْبَلِ.

وَمَعْنَاهُ: أَنَّهُ أَخْبَرَهُمْ فِيهَا بِفَسَادِهِمْ مَرَّتَيْنِ. يَذُلُّ عَلَيْهِ: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُّضْبِحِينَ﴾^(٣).

الْأَصْبَحُ^(٤) بَنُ نَبَاتَةٍ، وَالْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: لَمَّا قَدِمَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ -

(١) الإسراء: ٤.

(٢) الإسراء: ٤.

(٣) الحجر: ٦٦.

(٤) الكافي: ١: ١٥٥، تحف العقول: ٣٤٩ - ٣٥٠. عيون أخبار الرضا: ١: ١٣٩ - ١٤٠ باختلاف

يسير في اللفظ. التوحيد: ٣٨٠ - ٣٨١، ٣٨٢. الإرشاد: ١٣٣. إنقاذ البشر: ١١٨ - ١١٩. فرق

وطبقات المعتزلة: ٢٣، ٢٤. الاحتجاج: ١: ٣١٠ - ٣١١.

مِنْ صِغَيْنِ، قَامَ إِلَيْهِ شَيْخٌ مِّنْ شَهَدَةِ الْوَقْعَةِ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَخْبِرْنَا عَنْ مَسِيرَتِنَا هَذَا إِلَى الشَّامِ، أَكَانَ بِقَضَاءٍ، مِنْ اللَّهِ، وَقَدَّرَ؟

قال: نَعَمْ يَا أَهْلَ^(١) الشَّامِ! وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ، وَبَرَأَ النَّسَمَةَ مَا وَطَنُنَا مَوْطِنًا، وَلَا مَبْطِنًا وَإِدْيَا، وَلَا عَلَوْنَا ثَلَعَةً، إِلَّا بِقَضَاءٍ مِنْ اللَّهِ، وَقَدَّرَ.

فَقَالَ الشَّامِيُّ^(٢): عِنْدَ اللَّهِ أَحْتَسِبُ عَنَّا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ! وَمَا أَظُنُّ أَنْ يَ أَجْرًا فِي سَعْيِي^(٣)، إِذَا كَانَ قَضَاءُ اللَّهِ عَلَيَّ، وَقَدَّرَهُ.

فَقَالَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ -: إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَعْظَمَ^(٤) لَكُمْ الْأَجَرَ فِي مَسِيرِكُمْ، وَأَنْتُمْ سَائِرُونَ، وَفِي مُنْصَرَفِكُمْ، وَأَنْتُمْ مُنْصَرِفُونَ، وَلَمْ تَكُونُوا فِي شَيْءٍ مِنْ رِحَالِكُمْ^(٥) مُكْرَهِينَ، وَلَا إِلَيْهَا مُضْطَرِّينَ، وَلَا عَلَيْهَا مُجْبَرِينَ.

فَقَالَ الشَّامِيُّ^(٦): كَيْفَ ذَآكَ، وَالْقَضَاءُ، وَالْقَدَرُ، سَاقَاتَانِ، وَعَنْهُمَا كَانَ مَسِيرُنَا، وَانْصِرَافُنَا؟

فَقَالَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ -: يَا أَخَا أَهْلِ^(٧) الشَّامِ! لَعَلَّكَ ظَنَنْتَ قَضَاءَ لَزِمًا،

(١) (أهل الشام) ساقطة من (ح).

(٢) في (ح): الشيخ.

(٣) في (ك) و(هـ) و(أ): سعي. من دون إضافة إلى ياء المتكلم.

(٤) في (أ): أعظمكم.

(٥) في (ش): رجالانكم. بالجمع المعجمة. وهو تصحيف.

(٦) في (ح): الشيخ.

(٧) في (ح): يا شيخ.

وَقَدَرًا حَتْمًا! وَلَوْ كَانَ كَذَلِكَ، لَبَطَلَ الثَّوَابُ، وَالْعِقَابُ، وَسَقَطَ الْوَعْدُ، وَالْوَعِيدُ، وَالْأَمْرُ، وَالنَّهْيُ مِنَ اللَّهِ. وَمَا كَانَ الْمُحْسِنُ بِثَوَابِ الْإِحْسَانِ، أَوْلَى مِنَ الْمُسِيءِ، وَلَا الْمُسِيءُ، أَوْلَى بِعُقُوبَةِ الْمَذْنِبِ مِنَ الْمُحْسِنِ. تِلْكَ مَقَالَةُ عَبْدَةِ الْأَوْتَانِ، وَخَصَمَاءِ الرَّحْمَنِ، وَحِزْبِ الشَّيْطَانِ، وَشُهَدَاءِ الزُّورِ، وَأَهْلِ الْعَمَى عَنِ الصَّوَابِ، وَهُمْ قَدَرِيَّةُ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَجُوسُهَا. إِنَّ اللَّهَ أَمَرَ عِبَادَهُ تَخِيرًا، وَنَهَاهُمْ تَحْذِيرًا، وَكَلَّفَ يَسِيرًا، وَلَمْ يُكَلِّفْ عَسِيرًا، وَأَعْطَى عَلَى الْقَلِيلِ كَثِيرًا، وَلَمْ يُطْعِ مُكْرَهًا، وَلَمْ يُعَصِّ مَغْلُوبًا، وَلَمْ يُرْسِلِ الْأَنْبِيَاءَ لِعِبَا، وَلَمْ يُنْزِلِ الْكُتُبَ إِلَى عِبَادِهِ عَبَثًا، وَلَمْ يَخْلُقِ السَّمَوَاتِ، وَالْأَرْضَ، وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ﴿ ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا... ﴾ الآية^(١).

فَقَالَ الشَّامِيُّ^(٢): فَمَا الْقَضَاءُ، وَالْقَدَرُ، اللَّذَانِ كَانَ مَسِيرُنَا بِهِمَا؟ فَقَالَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ -: الْأَمْرُ مِنَ اللَّهِ بِذَلِكَ، وَالْحُكْمُ بِهِ. ثُمَّ تَلَا:

﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا﴾^(٣).

ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ إِلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِلَٰهًا﴾^(٤).

(١) ص: ٢٧.

(٢) في (ح): الشيخ.

(٣) الأحزاب: ٣٨.

(٤) الإسراء: ٢٣.

فَقَامَ الشَّامِيُّ ^(١) فَرِحًا، مَسْرُورًا، لَمَّا سَمِعَ هَذَا الْمَقَالَ، وَقَالَ: فَرَجَتْ ^(٢)
عَنِّي، فَرَجَ اللَّهُ عَنْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ!



(١) في (ح): الشَّيْخ.

(٢) العبارة في (ح): فَرَجَتْ عَنِّي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَرَجَ اللَّهُ عَنْكَ!.

فصل [٣٦-]

[في القضاء]

قَوْلُهُ - تَعَالَى -: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾^(١).

لا يَجُوزُ بمعنى: الخلق. إِذْ لَوْ عَنَى بِهِ، جَازَ^(٢) أَنْ يُوجَدَ فِي النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ سِوَاهُ.

وَلَمْ يَقُلْ: إِنَّهُ قَضَىٰ عِبَادَتَهُمْ، وَإِنَّمَا قَالَ: ﴿وَقَضَىٰ... أَلَّا تَعْبُدُوا﴾. وَلَا يَصُحُّ أَنْ يُقَالَ: خَلَقَ أَلَّا يَفْعَلُوا كَذًّا، وَإِنَّمَا يَصُحُّ ذَلِكَ، إِذَا أُرِدَتْ بِهِ الْأَمْرُ، أَوِ الْحُكْمُ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ التَّفَقُّتُمْ فِي أَغْصَانٍ قَلِيلَةٍ﴾^(٣).

إِنَّهُ قَادِرٌ عَلَى مَا يَشَاءُ / ١٠٤ / غَيْرُ مُحْتَاجٍ إِلَى الْاسْتِعَانَةِ بِشَيْءٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ مِنْ جُرْأَةٍ، أَوْ تَقْلِيلٍ^(٤) لِلْفَرِيقَيْنِ.

(١) الإسراء: ٢٣.

(٢) في (ك): لجاز.

(٣) الأنفال: ٤٤.

(٤) في (ك): وتقليل. مع الواو.

وَكَيْفَ يَقْضِي مَا هُوَ مَفْعُولٌ، وَالْمَفْعُولُ الْمَوْجُودُ، لَا يَصُحُّ فِعْلُهُ ثَانِيًا؟ وَإِنَّمَا
قُلَّ الْكُفَّارُ فِي أَعْيُنِ الْمُسْلِمِينَ لِلْجُرْأَةِ، وَقَلَّ الْمُسْلِمِينَ فِي أَعْيُنِ الْكُفَّارِ لِلتَّحَرُّزِ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي...﴾^(١).

إِنَّهُ فِعْلٌ مَجْهُولٌ، وَلَا حُكْمَ لِلْمَجْهُولِ، لِأَنَّهُ إِمَّا أَنْ^(٢) يَكُونَ فَاعِلُهُ مَعْلُومًا،
وَلَا فَاعِلَ، لَهُ، كَقَوْلِهِ: ﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ﴾^(٣)، وَقَوْلِهِ: ﴿فَالْقِيَ
السَّحَرَةُ...﴾^(٤).

وَأَمَّا أَنْ يَأْتِيَ اللَّفْظُ عَلَى هَذِهِ الصِّيغَةِ فَقَطْ، نَحْوُ: أَعْجَبَ بِكَذَا. وَسُرَّ بِهِ.
وَأَشْرَبَ قَلْبُهُ مَعَ زَيْدٍ.

وَأِنْ أَرَادَ بِهِ: خُلِقَ. فَمَعْلُومٌ أَنَّ الْأَمْرَ، لَمْ يَكُنْ مَخْلُوقًا وَتَشْدِيدًا، وَإِنَّمَا خُلِقَ
ذَلِكَ بَعْدَ^(٥) مُدَّةٍ.

فَالْمُرَادُ بِهِ: حُكْمٌ.

(١) يوسف: ٤١.

(٢) (أَنْ) ساقطة من (هـ).

(٣) الأعراف: ١٤٩.

(٤) الشعراء: ٤٦.

(٥) في (ح): وَأَمَّا خُلِقَ بَعْدَ ذَلِكَ بُمُدَّةٍ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا...﴾^(١).

ظَاهِرُهُ: أَنَّهُ لَا يُصِيبُهُمْ إِلَّا مَا كَتَبَ لَهُمْ.

وَلَمْ يَقُلْ: عَلَيْهِمْ. فَلَيْسَ هُوَ مِنَ الْقَضَاءِ فِي شَيْءٍ، وَإِنَّمَا هُوَ فِي الثَّوَابِ،
وَذَلِكَ أَنَّ بَعْدَهُ: ﴿قُلْ هَلْ تَرْتَضُونَ بِنَا﴾^(٢).

فَاللَّهُ تَعَالَى أَمَرَهُمْ أَلَّا يَتَجَنَّبُوهُمْ^(٣) أَنَّهُ لَنْ يُصِيبَهُمْ^(٤) إِلَّا مَا كَتَبَ لَهُمْ مِنَ
الثَّوَابِ، لِأَنَّ فِي الْحَرِّ يَقُولُ: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾^(٥) وَفِي الشَّرِّ: ﴿وَعَلَيْهَا مَا
اكَتَسَبَتْ﴾^(٦).

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي يُبُوتِكُمْ لَكَبَّرَ الَّذِينَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ
إِلَى مَضَاجِعِهِمْ﴾^(٧).

كُتِبَ بِمَعْنَى: فُرِضَ. الْقَتْلُ لَا يُفَرِّضُ عَلَى الْمَقْتُولِ. وَبِمَعْنَى: حُكِمَ.

(١) التوبة: ٥١.

(٢) التوبة: ٥٢.

(٣) في (ش) و(ح): تجتنبونهم. بناء المضارعة المثناة من فوق.

(٤) في (ش) و(ك) و(هـ) و(أ): لا يصيبهم.

(٥) البقرة: ٢٨٦.

(٦) البقرة: ٢٨٦.

(٧) آل عمران: ١٥٤.

وَالْحُكْمُ إِنَّمَا يَكُونُ عَلَى سَبِيلِ الْوُجُوبِ. وَلَمْ يَكُنْ هَؤُلَاءِ مُسْتَحَقِّينَ لِلْقَتْلِ، وَلَا^(١) كَانَتْ قَتْلُهُمْ وَاجِبًا، فَيُحَكَّمُ عَلَيْهِمْ بِذَلِكَ.

وبمعنى الخبر، والعلم، فيكون معناه: إِنَّ مَنْ أَخْبَرَ اللَّهَ بِأَنَّهُ يُقْتَلُ، أَوْ مَنْ عَلِمَ أَنَّهُ سَيُقْتَلُ. إِلَّا أَنَّهُمَا لَا يَكُونَانِ قَضَاءً، وَلَا جَبْرًا، وَلَا يُوجِبَانِ الْأَفْعَالَ. وَالْفِعْلُ لَا يَتَعَلَّقُ بِوَاحِدٍ مِنْهُمَا.

ولو كَانَ خَبَرُهُ، وَعِلْمُهُ مُوجِبًا لِلْأَفْعَالِ، لَأَوْجَبَ مَا أَخْبَرَ بِهِ عَنْ أَفْعَالِ نَفْسِهِ، وَذَلِكَ يُوجِبُ أَنَّهُ يَجْنُونَ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا﴾^(٢).

لَمْ يَقُلْ: إِنَّ ذَلِكَ بِقَضَائِي.

فَأَمَّا «الْبَعْثُ» فَيُجَوِّزُ أَنْ أَرْسَلَهُمْ عَلَيْهِمْ بِأَنْ أَمَرَهُمْ بِذَلِكَ عَلَى لِسَانِ بَعْضِ الْأَنْبِيَاءِ، وَذَلِكَ أَنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ، لَمَّا أَرْسَلَ عَلَيْهِمْ مَنْ عَاقَبَهُمْ عَلَى مَعَاصِيهِمْ. وَلَمْ يَذْكُرِ اللَّهُ أَنَّ ذَلِكَ كَانَ مَعْصِيَةً^(٣)، وَلَا ذَمًّا لَهُمْ، بَلْ هُوَ كَمَا أَمَرَ مِنَ الْجِهَادِ،

(١) في (ل): وَكَوَلُو.

(٢) الإسراء: ٥.

(٣) في (ل): كَانَ مَفْعُولًا مَعْصِيَةً.

وَالسَّيِّئِ، وَالْهَدْمِ، وَالْإِحْرَاقِ. وَكُلُّ ذَلِكَ يَجْرِي بِجَرَى وَاحِدٍ.

وَالْبَعْثُ، بِمَعْنَى: الْإِرْسَالِ بِالْأَمْرِ، وَالتَّخْلِيَةِ، وَالتَّمْكِينِ. يُقَالُ: بَعَثْتُ فُلَانًا أَعْدَاةَ عَلِيٍّ مُكَارَمَةً.

وَلَمْ يَأْتِ بِمَعْنَى: الْجَبْرِ، وَالْقَضَاءِ، وَالْقَدَرِ. إِبْنُ عَلَوِيَّةٍ^(١) الْأَصْفَهَانِيُّ^(٢):

وَقَضَى وَقَدَّرَ كُلُّ شَيْءٍ بِالَّذِي	قَدْ كَانَ مِنْهُ بِهِ عَلَى هِرْقَانٍ
فَقَضَاؤُهُ يَجْرِي بِسَابِقِ عِلْمِهِ	مِنْ غَيْرِ إِجْبَارٍ ^(٣) عَلَى الْعِصْيَانِ
قَدَرًا قَضَاءً مُقَدَّرًا بِخِلَافِ مَا	أَوَّلَتْهُ بِالْجِدْسِ وَالْحَيَلَانِ ^(٤)
وَكَذَلِكَ يَوْمَ الْحِسَابِ يَعْدِلُهُ	يَجْزِيهِمْ بِالْقِسْطِ فِي الْمِيزَانِ
لَا يُظْلَمُونَ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِمْ	وَكَفَى لِمَنْ بِاللهِ ذَا حُسْبَانٍ ^(٥)

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾^(٦).

(١) في (ش): علوية. بالناء المربوطة المنقوطة.

(٢) لم نقف على مورد أخذه.

(٣) في (ش): إخبار. بالخاء المعجمة بعدها الباء الموحدة من تحت.

(٤) الخيلان: الظن.

(٥) في (أ): حسان. وهو تحريف.

(٦) الأحزاب: ٣٦.

دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّهُ لَوْ كَانَ اللَّهُ - تَعَالَى - قَضَى الْمَعَاصِي، لَمْ يَكُنْ لِأَحَدٍ الْخَيْرَةُ،
وَلَوْ جَبَّ عَلَيْهِ الْوَفَاءُ بِهِ. وَمَنْ خَالَفَ ذَلِكَ، كَانَ عَاصِيًا. وَذَلِكَ خِلَافُ الْإِجْمَاعِ.
مُحَمَّدُ بْنُ الْبَرْقِيِّ^(١):

وَرَعَمْتُمْ أَنَّ الْقَضَاءَ إِقَامَةٌ لَا ذَنْبَ لِلْعَدَوِيِّ فِيمَا جَاءَ^(٢)
فَكَذَا الْيَهُودُ مَعَ النَّصَارَى فَاعْلَمُوا لُعِنُوا بِمَا فَعَلُوا وَكَانَ قَضَاءُ
وَكَذَلِكَ إِبْلِيسُ اللَّعِينُ فَقَايَسُوا نَجِدُوا الْقِيَاسَ مَعَ الْقِيَاسِ سَوَاءُ



(١) لم نقف على مورد أخذه.

(٢) في (ش): جاء. قضاء. سواء. من دون ألف الإطلاق.

فصل [-٣٧-]

[في القدر]

قَوْلُهُ - تَعَالَى -: ﴿وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَامَهَا﴾^(١).

الْقَدَرُ لَهُ خَمْسَةُ مَعَانٍ:

الإِحْدَاثُ: ﴿وَقَدَّرَ فِيهَا﴾^(٢).

الْكِتَابَةُ، وَالْإِعْلَامُ: ﴿قَدَرْنَا إِيَّاهَا لِمَنْ الْغَايِرِينَ﴾^(٣).

وَيَبَيِّنُ حَالِ الشَّيْءِ، وَمَا يَجِيءُ مِنْهُ. يُقَالُ: قَدَّرَ الْخَيَّاطُ الثَّوبَ.

وَقَدْ يُسْتَعْمَلُ بِمَعْنَى: التَّقْدِيرِ. وَرُوِيَ عَنِ الصَّادِقِ - عَلَيْهِ السَّلَامُ -: أَنَّ

التَّقْدِيرُ، هُوَ الْعِلْمُ.

أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - وَقَدْ سُئِلَ^(٤) عَنِ الْقَدَرِ، فَقَالَ: بَحْرٌ عَمِيقٌ،

(١) قُضِلَتْ: ١٠.

(٢) قُضِلَتْ: ١٠.

(٣) الحجر: ٦٠.

(٤) في (هـ): سَأَلَ.

فَلَا تَلْجُوهُ، وَطَرِيقٌ مُظْلِمٌ، فَلَا تَسْلِكُوهُ^(١)، وَيُرِثُ اللَّهُ، فَلَا تَتَكَلَّفُوهُ^(٢)، وَرُويَ أَنَّ النَّبِيَّ^(٣) - عَلَيْهِ السَّلَامُ -^(٤) كَانَ إِذَا [مَرَّ]^(٥) بِصَدَفٍ^(٦) مَائِلٍ أَسْرَعَ الْمَشْيَ.

ابْنُ بَابُوهِ^(٧): إِنَّ عَلِيًّا - عَلَيْهِ السَّلَامُ - عَدَلَ مِنْ عِنْدِ حَائِطٍ مَائِلٍ إِلَى مَكَانٍ آخَرَ، فَقِيلَ^(٨) لَهُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ تَفَرُّ مِنْ قَضَاءِ اللَّهِ؟

فَقَالَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ -: أَفَرُّ مِنْ قَضَاءِ اللَّهِ، إِلَى قَدَرِ اللَّهِ.

١٠٥ / وَكَتَبَ الْحَسَنُ^(٩) الْبَصْرِيُّ إِلَى الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ - عَلَيْهِمَا السَّلَامُ -: يَا بَنِي هَاشِمٍ أَنْتُمْ اللَّجَجُ الزَّاحِرَةُ، وَالْأَفْلَاحُ الدَّائِرَةُ، مِثْلَكُمْ مِثْلُ سَفِينَةِ نُوحٍ، مَنْ تَمَسَّكَ بِهَا، نَجَا، وَقَدْ اخْتَلَفْنَا فِي الْقَضَاءِ، وَالْقَدَرِ، وَتَحِيرْنَا فِي الْكَسْبِ، وَالْإِسْطِطَاعَةِ، فَاكْتُبْ إِلَيْنَا مَا عَلَيْهِ مَذْهَبُ آبَائِكَ.

(١) في (أ): تشاكوه.

(٢) التوحيد: ٣٦٥. الهداية: ٥. نهج البلاغة بشرح محمد عبده: ٤: ٦٩.

(٣) غريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلام الهروي: ١: ٢٠٨. الفائق في غريب الحديث ٤: ٩٥.

النهاية في غريب الحديث: ٣: ١٧.

(٤) في (ح): صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ.

(٥) ما بين المعقوفتين ساقط من (ش).

(٦) في (أ): بصدق. بالقاف المثناة.

(٧) التوحيد: ٣٦٩.

(٨) في (هـ): فَقَالَ. بصيغة المبني للمعلوم.

(٩) فرق وطبقات المعتزلة: ٢٩. باختلاف الرواية، تُحْفُ الْعُقُولُ عَنْ آلِ الرُّسُولِ: ١٦٢.

فَكَتَبَ - عَلَيْهِ السَّلَام -: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. مَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِقَضَاءِ اللَّهِ، وَقَدَرِهِ، فَقَدْ كَفَرَ، وَمَنْ حَمَلَ عَلَى اللَّهِ ذَنْبَهُ، فَقَدْ فَجَرَ، إِنَّ اللَّهَ لَا يُطَاعُ إِسْتِكْرَاهًا، وَلَا يُعَصَى بِغَلْبَةٍ. وَهُوَ الْقَادِرُ عَلَى مَا أَقْدَرُهُمْ عَلَيْهِ. فَإِنْ اتَّعَمَرُوا بِالطَّاعَةِ، فَلَا حَاجَ بَيْنَهُمْ، وَبَيْنَهَا، فَهُمْ هَا مُسْتَطِيعُونَ، وَلِمَا نُهُوا عَنْهُ مُسْتَطِيعُونَ. فَلَوْ أَجَبَرَ اللَّهُ - تَعَالَى - عِبَادَهُ عَلَى الطَّاعَةِ، لَسَقَطَ عَنْهُمْ التَّكْلِيفُ، وَلَوْ أَجَبَرَهُمْ^(١) عَلَى الْمَعْصِيَةِ، لَسَقَطَ عَنْهُمْ الْعِقَابُ. فَلَهُ الْمُنَّةُ عَلَى الْمُطِيعِ، وَلَهُ الْحُجَّةُ عَلَى الْعَاصِي ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾^(٢).

وَجَاءَ رَجُلٌ بَصْرِيٌّ إِلَى الْبَاقِرِ^(٣) - عَلَيْهِ السَّلَام - وَهُوَ صَبِيٌّ، وَقَالَ: قَدْ فَتَنَّا فِينَا الْقَدْرَ، فَهَرَبْنَا إِلَيْكَ.

فَقَالَ - عَلَيْهِ السَّلَام -: سَلْ!

قَالَ: مَا تَقُولُونَ فِي الْحَقِيرِ؟

فَقَالَ - عَلَيْهِ السَّلَام -: اكْتُبْ: عَلِمَ، وَقَصَى^(٤)، وَقَدَّرَ، وَسَاءَ، وَأَرَادَ، وَرَضِيَ، وَاحْبَبَ.

(١) في (هـ): جَرَّهُمْ. وفي (ح): جَبَرَهُمْ. بسقوط همزة التعدية.

(٢) يونس: ١٨.

(٣) الكافي: ١: ١٥٠ وفيه: عن الصادق (ع).

(٤) في (ك): قَضَاء.

قَالَ^(١): زِدْنِي!

فَقَالَ - عَلَيْهِ السَّلَام - : هَذَا خَرَجَ إِلَيْنَا.

قَالَ: فَالْشَّرُّ؟

قَالَ: عَلِيمٌ، وَقَفَى، وَقَدَّرَ. وَلَمْ يَسَأْ، وَلَمْ يُرِدْ، وَلَمْ يَرَضْ، وَلَمْ يُحِبَّ.

فَقَالَ: زِدْنِي!

فَقَالَ - عَلَيْهِ السَّلَام -^(٢): هَكَذَا خَرَجَ إِلَيْنَا.

قَالَ: فَخَرَجَ الرَّجُلُ إِلَى الْبَصْرَةِ، فَنُصِبَ لَهُ مِنْبَرٌ^(٣)، وَخُطِبَ عَلَيْهِمْ بِمَا أَفْتَى. فَرَجَعَ أَكْثَرُ النَّاسِ.

أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحُسَيْنُ الْقَطَّانُ، قَالَ:

جَمَعَ الْحَجَّاجُ أَهْلَ الْعِلْمِ، وَسَأَلَهُمْ عَنِ الْقَضَاءِ، وَالْقَدْرِ.

فَقَالَ الشُّعْبِيُّ: قَالَ عَلِيٌّ - عَلَيْهِ السَّلَام - : يَا ابْنَ آدَمَ! مَنْ وَسَّعَ عَلَيْكَ الطَّرِيقَ، لَمْ يَأْخُذْ عَلَيْكَ الْمَضِيقُ.

وَقَالَ عَمْرُو بْنُ عُبَيْدٍ: قَالَ عَلِيٌّ - عَلَيْهِ السَّلَام - : إِذَا كَانَتْ الْحَطِيطَةُ عَلَى

(١) فِي (ك): فَقَالَ. مَعَ الْفَاءِ.

(٢) (عَلَيْهِ السَّلَام) ساقطة من (ح).

(٣) فِي (ح): فَنُصِبَ لَهُ مِنْبَرًا. بصيغة المعلوم.

الْحَاطِيءِ حَتْمًا، كَانَ الْقِصَاصُ فِي الْقَضِيَّةِ ظُلْمًا.

وقال واصل بن عطاء: قال عليّ - عَلَيْهِ السَّلَام -: مَا كَانَ مِنْ خَيْرٍ، فَبِأَمْرِ
الله، وَمَا كَانَ مِنْ شَرٍّ، فَبِعِلْمِ الله، لَا بِأَمْرِهِ.

وقال بشر: قال عليّ - عَلَيْهِ السَّلَام -: مَا تَحْمَدُ^(١) الله عَلَيْهِ، فَهُوَ مِنْهُ، وَمَا
تَسْتَغْفِرُ^(٢) الله مِنْهُ، فَهُوَ مِنْكَ.

وقال الحسن: قال عليّ - عَلَيْهِ السَّلَام -: أَتَنْظُرُ أَنَّ الَّذِي تَهَاكُ، دَهَاكَ. إِنَّمَا
دَهَاكَ أَسْفَلُكَ، وَأَعْلَاكَ. وَرَبُّكَ الْبَرِيُّ مِنْ ذَلِكَ.

فَقَالَ الْحَجَّاجُ: لَمْ يَجِدُوا مَا أَخَذُوا إِلَّا مِنْ أَبِي تَرَابٍ.

وقال عمر بن عبد العزيز لرجل، سَأَلَهُ عَنِ الْقَدْرِ: إِنَّ الله لَا يُطَالِبُ بِمَا
قَضَى، وَقَدَّرَ، وَإِنَّمَا يُطَالِبُ بِمَا نَهَى، وَأَمَرَ.

المُسْتَرْشِدُ^(٣) بالله:

إِذَا كَانَ الْقَضَاءُ عَلَى حَتْمًا وَكَانَ الْأَمْرُ يَجْرِي بِالْقَضَاءِ
فَكَيْفَ الْأَمْرُ^(٤) فِي خَطْئِي وَسَهْوِي^(٥) وَتَذْيِيرُ الْأُمُورِ إِلَى سَوَائِي

(١) في (ح): محمد. بياض المضارعة المثناة من تحت وبصيغة المبني للمجهول.

(٢) في (ح): يستغفر. بياض المضارعة المثناة من تحت وبصيغة المبني للمجهول.

(٣) لم نقف على مورد أخذه.

(٤) في (ش): الأمر.

(٥) في (ح): في خطأ وسهو... سواء. من دون إضافة إلى بياض المتكلم.

ابن رزّيك^(١):

يا أُمَّةً سَلَكَتَ ضَلَالًا بَيِّنًا حَتَّى اسْتَوَى إِقْرَارُهَا وَجُحُودُهَا
 مِلْتُمْ إِلَى أَنَّ الْمَعَاصِيَ لَمْ تَكُنْ [أَلَا]^(٢) بِتَقْدِيرِ الْإِلَهِ وَجُودُهَا
 لَوْ صَحَّ ذَا كَمَانَ الْإِلَهِ بِزَعَمِكُمْ مَنَعَ الشَّرِيعَةَ أَنْ تُقَامَ حُدُودُهَا
 حَاشَا، وَكَلَّا! أَنْ يَكُونَ إِلَهُهَا يَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ ثُمَّ يُرِيدُهَا



(١) ديوان طلائع ابن رزّيك (الملك الصالح): ٧٢.

(٢) ما بين المعقوفتين ساقط من (ش).

فصل [- ٣٨ -]

[في القدر]

قَوْلُهُ - تَعَالَى -: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾^(١).

لَا خِلَافَ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ خُلِقَ بِقَدَرٍ، وَإِنَّا الْخِلَافُ فِيْمَا خُلِقَ.

وَإِنَّمَا يَعْنِي: أَنَّ جَمِيعَ مَا خُلِقَ بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ، بِلَا تَفَاوُتٍ، وَأَنَّهُ خَلَقَ الْجَزَاءَ

عَلَى الْأَعْمَالِ، بِمِقْدَارٍ مَا يَسْتَحِقُّونَهُ؛ لَمَّا قَبَلَهَا قَوْلُهُ: ﴿ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾^(٢).

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾^(٣).

لَمْ يَقُلْ: إِنَّهُ قَدَّرَ ذَلِكَ. وَإِنَّمَا يُرِيدُ: بِمِقْدَارٍ مَا يَجِبُ. وَبَيْنَهُمَا بَوْنٌ بَعِيدٌ.

وَلَمْ يَقُلْ: إِنَّهُ قَدَّرَ جَمِيعَهُ. وَإِنَّمَا قَالَ: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ عِنْدَهُ﴾ مَعَ أَنَّ جَمِيعَ الْأَشْيَاءِ

(١) القمر: ٤٩.

(٢) القمر: ٤٨.

(٣) الرعد: ٨.

- في حكمه، وعلمه - ﴿بِمِقْدَارِهِ﴾، لَيْسَ فِيهِ زِيَادَةٌ، وَلَا نُقْصَانٌ عَمَّا يَجِبُ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا﴾^(١).

الْقَدَرُ الْمَقْدُورُ، هُوَ^(٢) مَا كَانَ عَلَى مِقْدَارٍ مَا تَقَدَّمَ مِنْ غَيْرِ زِيَادَةٍ، وَلَا نُقْصَانٍ.

جَابِرٌ: عَنِ النَّبِيِّ - عَلَيْهِ السَّلَامُ -^(٣) قَالَ^(٤): يَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ، قَوْمٌ، يَعْمَلُونَ بِالْمَعَاصِي، ثُمَّ يَقُولُونَ: اللَّهُ قَدَرَهَا عَلَيْنَا. الرَّادُّ^(٥) عَلَيْهِمْ - يَوْمَئِذٍ - كَالشَّاهِرِ - سَيْفُهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ.

حَدِيثُهُ: قَالَ النَّبِيُّ^(٦) - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ -: لُعِنَتِ الْقَدَرِيَّةُ، وَالْمُرْجِيَّةُ عَلَى لِسَانِ سَبْعِينَ نَبِيًّا.

قِيلَ: وَمَا الْقَدَرِيَّةُ؟

(١) الأحزاب: ٣٨.

(٢) في (هـ): وهو. مع الواو.

(٣) في (ل): صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ.

(٤) إنفاذ البشر من الجبر والقدر (رسائل الشريف المرتضى): ١١٩.

(٥) العبارة (الراد... النبي عليه السلام) ساقطة من (ل).

(٦) شرح الأصول الخمسة: ٧٧٥.

قال: قَوْمٌ يَفْعَلُونَ الْمَعَاصِيَ، ثُمَّ يَقُولُونَ: اللَّهُ قَدَّرَهَا / ١٠٦ / عَلَيْهِمْ.

النَّبِيُّ^(١) - عَلَيْهِ السَّلَام - : نُودِيَ فِي الْقِيَامَةِ: أَيْنَ الْقَدَرِيَّةُ خُصَمَاءُ اللَّهِ،
وَشُهَدَاءُ إِبْلِيسَ؟

فَتَقَوْمٌ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي، يَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمُ النَّارُ^(٢)، وَدُخَانٌ أَسْوَدُ^(٣).

وحكى أَبُو الْقَاسِمِ الْبَلْخِيُّ: إِنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الْحُسَيْنِ^(٤) قَالَ لِابْنِهِ مُحَمَّدٍ: كُلُّ
خِصَالِكَ مَحْمُودَةٌ، إِلَّا قَوْلُكَ بِالْقَدَرِ.

فقال: يَا أَبَه، فَتَيَّءُ أَقْدِرُ عَلَى تَرْكِهِ، أَوْ لَا أَقْدِرُ؟

مَعْنَاهُ: إِنْ كُنْتُ أَقْدِرُ عَلَى تَرْكِهِ، فَهَوَ قَوْلِي، وَإِنْ كُنْتُ لَا أَقْدِرُ، فَلَا عَتَبَ
عَلَيَّ.

فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: لَا أَعَاتِبُكَ عَلَيْهِ أَبَدًا.

[و]^(٥) نَازَعَ رَجُلٌ عَمْرَو بْنَ عُبَيْدٍ فِي الْقَدَرِ، فَقَالَ لَهُ عَمْرُو: إِنَّ اللَّهَ - تَعَالَى -

(١) شرح الأصول الخمسة: ٧٧٣، ٧٧٤، ٧٧٦. باختلاف يسير في اللفظ والرواية. فردوس

الأخبار: ١: ٢١١، ٣١٨ / ٢: ٢٤٢ بلفظ: القدرية خصماء الله.

(٢) (النار) ساقطة من (ك) و(هـ).

(٣) (أسود) ساقطة من (أ).

(٤) في (ح): الحسن - عَلَيْهِ السَّلَام -.

(٥) ما بين المعقوفين زيادة من (هـ) و(أ) و(ح).

قَالَ فِي كِتَابِهِ: ﴿فَوَرِّكَ لَنَسْتَلْتَهُمْ أَجْمَعِينَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(١)، وَلَمْ يَقُلْ:
لِنَسْأَلْتَهُمْ عَمَّا قَضَيْتُ^(٢) عَلَيْهِمْ، أَوْ قَدَرْتُ فِيهِمْ، أَوْ سَبَيْتُهُ هُمْ، أَوْ أَرَدْتُهِ مِنْهُمْ.
وَلَيْسَ بَعْدَ هَذَا إِلَّا الْإِقْرَارُ^(٣) بِالْعَدْلِ، وَالسُّكُوتُ^(٤) عَنِ الْجَوْرِ ﴿لَا يُسْتَقَلُّ عَمَّا
يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْتَلُونَ﴾^(٥).

وَمَرَّ الْحَسَنُ^(٦) الْبَصْرِيُّ بِفَضِيلِ بْنِ بَرْجَانَ، وَهُوَ مَصْلُوبٌ، فَقَالَ: مَا حَمَلَكَ
عَلَى السَّرِقَةِ؟

قَالَ: قَضَاءُ اللَّهِ، وَقَدَرُهُ!

قَالَ: كَذِبْتَ يَا لَكْعُ! أَيْقِضِي اللَّهَ [عَلَيْكَ أَنْ تَسْرِقَ ثُمَّ يَقْضِي عَلَيْكَ]^(٧) أَنْ
تُصَلَّبَ؟

النَّجَاشِيُّ^(٨):

(١) الحجر: ٩٢، ٩٣.

(٢) في (ح): قضيت. مع ضمير الغائب (الهاء).

(٣) في (ك) و(أ): إقرار. من دون (أل).

(٤) في (أ): أو السكوت.

(٥) الأنبياء: ٢٣.

(٦) فرق وطبقات المعتزلة: ٣٥.

(٧) ما بين المعقوفين ساقط من (ش).

(٨) الشعر والشعراء: ١: ٣٣٠. شعر النجاشي الحارثي (مجلة المجمع العلمي العراقي) المجلد: ١٣:

صَرُّبُونِي ثُمَّ قَالُوا: قَدَرًا! قَدَّرَ اللَّهُ لَهُمْ سَرَّ الْقَدَرِ
 واختَصَمَ^(١) ذُو الرُّمَّةِ، وَرُؤْبَةُ عِنْدَ بِلَالِ بْنِ أَبِي بُرْدَةَ فِي الْقَدَرِ، فَقَالَ رُؤْبَةُ:
 مَا فَحَصَ طَائِرٌ أَفْحُوصًا^(٢)، وَلَا تَقَرَّمَصَ سَبْعُ قُرْمُوصًا^(٣)، إِلَّا بِقَضَاءٍ مِنْ اللَّهِ،
 وَقَدَرِهِ.

فَقَالَ [لَهُ]^(٤) ذُو الرُّمَّةِ: وَاللَّهِ! مَا قَدَّرَ اللَّهُ^(٥) عَلَى الذَّنْبِ أَنْ يَأْكُلَ حَلُوبَةَ
 عِيَالِكَ^(٦)، ضَرًّا بِكَ^(٧).

فَقَالَ رُؤْبَةُ: أَفَقَدَّرْتَهُ^(٨) أَكَلَهَا؟ هَذَا كَذِبٌ عَلَى الذَّنْبِ ثَانٍ.
 فَقَالَ ذُو الرُّمَّةِ: الْكَذِبُ عَلَى الذَّنْبِ، أَوَّلَى مِنَ الْكَذِبِ عَلَى رَبِّ الذَّنْبِ.



(١) أمالي الشيخ المفيد: ٦٢. مجالس العلماء: ١٦١.

(٢) فَحَصَتِ الْقَطَاةُ: اتَّخَذَتْ أَفْحُوصًا تَفْرُخُ فِيهِ (المعجم الوسيط: فحص).

(٣) الْقُرْمُوصُ: حُفْرَةُ الصَّائِدِ (المعجم الوسيط: قمرمص).

(٤) مَا بَيْنَ الْمَعْرُوفَيْنِ سَاقِطٌ مِنْ (ش).

(٥) الْعِبَارَةُ: «اللَّهُ... أَنْ» سَاقِطَةٌ مِنْ (أ).

(٦) فِي (ك) وَ(أ) وَ(ح): عِيَالِ.

(٧) فِي (ك) وَ(ح): ضَرَّائِكَ.

(٨) فِي (هـ) وَ(ح): أَقْدَرْتَهُ. مِنْ دُونَ (فَاء).

[٣]

بَاب
مِمَّا جَاءَ فِي النُّبُوءَاتِ

فصل [- ١ -]

[في تفضيل الأنبياء على الملائكة]

قَوْلُهُ - تَعَالَى -: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾^(١)، وقوله: ﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ﴾^(٢).

أَجْمَعَتِ الْإِمَامِيَّةُ^(٣) عَلَى تَفْضِيلِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَى الْمَلَائِكَةِ، وَيَقُولُونَ: إِنَّ الْأَنْمَةَ أَفْضَلُ مِنْهَا^(٤) أَيْضًا.

وَأَجْمَعُوهُمْ حُجَّةً، لِأَنَّ الْمَعْصُومِينَ مِنْ جُمْلَتِهِمْ.

(١) الإسراء: ٧٠.

(٢) الأنعام: ٥٠.

(٣) أنظر رسالة: «تفضيل الأنبياء على الملائكة عليهم السلام» ورسالة: «المنع من تفضيل الملائكة على الأنبياء» ضمن «رسائل الشريف المرتضى».

(٤) في (ش) و(ك) و(ح): منها.

وَتَسْتَدِلُّ^(١) عَلَى ذَلِكَ - أَيْضاً - بِقَوْلِهِ: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾^(٢) لَأَنَّهُ يَقْتَضِي تَعْظِيمَهُ عَلَيْهِمْ، وَتَقْدِيمَهُ، وَإِكْرَامَهُمْ.

وَإِذَا كَانَ الْمَفْضُولُ لَا يَجُوزُ تَعْظِيمُهُ، وَتَقْدِيمُهُ عَلَى الْفَاضِلِ، عَلِمْنَا^(٣) أَنَّهُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - أَفْضَلُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ.

وَكُلُّ مَنْ قَالَ: إِنَّ آدَمَ، أَفْضَلُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، قَالَ: إِنَّ جَمِيعَ الْأَنْبِيَاءِ، أَفْضَلُ مِنْ جَمَاعَةِ الْمَلَائِكَةِ.

وَالدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ تَعَبُّدَهُمْ بِالسُّجُودِ، كَانَ لِلتَّعْظِيمِ، وَالتَّقْدِيمِ، أَنَّهُ إِبْلِيسَ مِنَ السُّجُودِ، وَتَكْبَرُهُ عَنْهُ، قَوْلُهُ: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾^(٤)، وَقَوْلُهُ: ﴿أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ﴾^(٥).

ثُمَّ إِنَّ مَنْ أَرَادَ تَعْظِيمَ آدَمَ، نَعَتَهُ بِإِسْجَادِ الْمَلَائِكَةِ لَهُ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿مَا تَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ

(١) فِي (هـ): يَسْتَدِلُّ. بَيَاءُ الْمُضَارَعَةِ الْمُنْتَهَا مِنْ تَحْتِ.

(٢) الْبَقَرَةُ: ٣٤.

(٣) فِي (ح): فَقَدْ عَلِمْنَا.

(٤) الْأَعْرَافُ: ١٢.

(٥) الْإِسْرَاءُ: ٦٢.

تَكُونُوا مِنَ الْخَالِدِينَ»^(١).

المعنى^(٢): إِنَّ الْمُنْهَى عَنْ تَنَاوُلِ الشَّجَرَةِ، غَيْرُكُمَا، وَإِنَّ النَّهْيَ يَخْتَصُّ الْمَلَائِكَةَ، وَالْخَالِدِينَ، دُونَكُمَا. وَلَيْسَ فِيهِ تَفْضِيلُ الْمَلَائِكَةِ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾^(٣).

إِنَّ هَذَا الْقَوْلَ، مُتَوَجِّهٌ إِلَى قَوْمٍ، إِعْتَقَدُوا أَنَّ الْمَلَائِكَةَ، أَفْضَلُ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، فَاجْرِيَ الْكَلَامُ عَلَى إِعْتِقَادِهِمْ. كَمَا يَقُولُ الْقَائِلُ لِغَيْرِهِ: لَا يَسْتَنْكِفُ^(٤) أَبِي مِنْ كَذَا، وَلَا أَبُوكَ. وَإِنْ كَانَ الْقَائِلُ يَعْتَقِدُ أَنَّ أَبَاهُ أَفْضَلُ.

ثُمَّ إِنَّهُ إِنَّمَا أَخَّرَ ذِكْرَ الْمَلَائِكَةِ عَنْ ذِكْرِ الْمَسِيحِ، لِأَنَّ جَمِيعَ الْمَلَائِكَةِ، أَكْثَرُ ثَوَابًا - لَا مَحَالَةَ - مِنَ الْمَسِيحِ مُنْفَرِدًا. وَهَذَا^(٥) لَا يَقْتَضِي أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ، أَفْضَلُ مِنْهُ. وَالْخِلَافُ فِي ذَلِكَ.

(١) الأعراف: ٢٠.

(٢) (المعنى) ساقط من (أ).

(٣) النساء: ١٧٢.

(٤) في (أ): يستكلف.

(٥) في (أ): وهذه.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ﴾^(١).

لَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ حَالَ الْمَلَائِكَةِ، أَفْضَلُ مِنْ حَالِ النَّبِيِّ - عَلَيْهِ السَّلَام - لِأَنَّ الْغَرَضَ فِي الْكَلَامِ، هُوَ نَفْيُ مَا لَمْ يَكُنْ^(٢) عَلَيْهِ، لَا التَّفْضِيلُ لِذَلِكَ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ. أَلَا تَرَى أَنَّهُ لَمَّا تَبَرَّأَ عَنِ عِلْمِ الْغَيْبِ، وَكَوْنِ خَزَائِنِ اللَّهِ عِنْدَهُ، لَا يَكُونُ فِيهِ فَضْلٌ. يُبْضَحُ - ذَلِكَ - آخِرُ الْآيَةِ: ﴿وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا﴾^(٣). وَهَذِهِ مَنَزَلَةٌ حَاطِيَّةٌ، وَهُوَ عَلَى أَحْوَالٍ أَرْفَعُ مِنْهَا، فَمَا الْمُنْكَرُ^(٤) مِنْ أَنْ يَكُونَ نَفْيُ الْمَلَائِكَةِ^(٥) عَنْهُ فِي أَنَّهُ لَا يَقْتَضِي أَنْ حَالَهُ دُونَ حَالِ الْمَلَكِ بِمَنَزَلَةٍ نَفْيِ^(٦) هَذِهِ الْمَنَزَلَةِ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَقُلْنَا حَاشَ اللَّهُ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾^(٧).

(١) هود: ٣١.

(٢) في (أ): يمكن.

(٣) هود: ٣١.

(٤) في (أ): فما أن المنكر.

(٥) أمالي المرتضى: ٢: ٩٣٩: المَلَكِيَّةُ. والعبارة: «فما المنكر... المنزلة» بلفظها فيه.

(٦) في (هـ): ففي. بفاء ثَمَّ فاو. وهو تحريف.

(٧) يوسف: ٣١.

إِسْتَدَلَّ الْجَبَّائِيُّ^(١) بِذَلِكَ عَلَى تَفْضِيلِ الْمَلَائِكَةِ عَلَى الْبَشَرِ، لِأَنَّهُ / ١٠٧ /
خَرَجَ مَخْرَجَ التَّعْظِيمِ، وَلَمْ يُنْكِرْهُ اللَّهُ - تعالى -.

وهذا ليس بشيء، لأنَّ الله - تعالى - حَكَمَ عَنِ النِّسَاءِ: أَتُنَّ أَعْظَمَنَ يُوسُفَ
لِمَا رَأَيْنَ مِنْ وَقَارِهِ، وَسُكُونِهِ، وَبُعْدِهِ عَنِ السُّوءِ، وَقُلْنَ: لَيْسَ هَذَا بَشَرًا، بَلْ هُوَ
مَلَكٌ. يَعْنِينَ: أَنَّ الْمَلَكَ، لَا يَأْكُلُ، وَلَا يَشْتَهِي النِّسَاءَ، وَلَمْ يَقْصُدَنَّ كَثْرَةَ ثَوَابِهِ عَلَى
ثَوَابِ الْبَشَرِ. وَكَيْفَ يَقْصُدْنَهُ، وَهُنَّ لَا طَرِيقَ لَهُنَّ إِلَى مَعْرِفَةِ ذَلِكَ؟ عَلَى أَنَّ هَذَا
مِنْ قَوْلِ الْمَائِلَاتِ إِلَيْهِ، بِمَا لَا يَجُوزُ، فَكَيْفَ يُحْتَجُّ بِقَوْلِهِنَّ؟

وَأَمَّا لَمْ يُنْكِرْهُ اللَّهُ، لِأَنَّهُ - تعالى - عَلِمَ أَتُنَّ لَمْ يَقْصُدَنَّ مَا قَالَ الْجَبَّائِيُّ، وَلَوْ
كُنَّ قَاصِدَتَهُ، لَا تَكْرَرُ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ - : ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ...﴾^(٢) إِلَى قَوْلِهِ :
﴿...تَفْضِيلًا﴾^(٣).

فَالْمُرَادُ^(٤) بِقَوْلِهِ: ﴿عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا﴾^(٥): إِنَّا فَضَّلْنَاهُمْ عَلَى مَنْ خَلَقْنَا،

(١) مجمع البيان: ٣: ٢٣١.

(٢) الإسراء: ٧٠.

(٣) الإسراء: ٧٠.

(٤) في (هـ): المراد. من دون الفاء. وفي (أ): ما المراد. وهو تحريف في الموضعين.

(٥) الإسراء: ٧٠.

وَهُمْ كَثِيرٌ، وَلَمْ يُرِدِ التَّبْعِيضُ، كَمَا قَالَ: ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا﴾^(١). المعنى: لا تشتروا بها ثمنًا^(٢)، فكلُّ ثَمَنٍ تأخذونه عنها قليلٌ. ولم يُرِدِ التَّخْصِصَ، والمنع من الثَّمَنِ القليلِ خاصَّةً.

وغيرُ مُمتنعٍ أن يكونَ جميعُ الملائكةِ، أفضلَ من جميعِ بني آدمَ، وإن كانَ في جملةِ بني آدمَ، الأنبياءُ - عليهم السلام - من تفضيلِ كُلِّ واحدٍ منهم على كُلِّ واحدٍ من الملائكةِ.

وقال الطُّوسِيُّ^(٣): المرادُ - بالآية - تَفْضِيلُهُمْ بِالنَّعَمِ الدُّنْيَوِيَّةِ، وَضُرُوبِ^(٤) الْمَلَاذِ، وَالْأَلْطَافِ^(٥). وليس المرادُ - بذلك - الثَّوَابُ. بِدَلَالَةِ جَوَازِ ابْتِدَائِهِمْ بِهَذَا التَّفْضِيلِ. وَالثَّوَابُ لَا يَجُوزُ الْابْتِدَاءُ بِهِ.



(١) المائدة: ٤٤.

(٢) في (ش): ثمن. من دون تنوين النَّصَبِ.

(٣) الثَّيَّان في تفسير القرآن: ٦: ٥٠٣.

(٤) في (ح): ضرب. بصيغة المفرد.

(٥) في (أ): ولا أَلطاف.

فصل [-٢-]

[في عصمة الأنبياء والأئمة]

قَوْلُهُ - تَعَالَى -: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِقَلَّ يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾^(١).

إِنْتَفَقَتِ الْإِمَامِيَّةُ^(٢) عَلَى أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ، وَالْأَئِمَّةَ - عَلَيْهِمُ السَّلَام - مَعْصُومُونَ مِنَ الْكِبَائِرِ، وَالصَّغَائِرِ، قَبْلَ النَّبُوَّةِ، وَبَعْدَهَا. وَخَالَفَهُمُ الْأُمَّةُ بِأَسْرِهَا فِي ذَلِكَ.

دَلِيلُنَا^(٣): إِنَّ جَمِيعَ مَا تَنَزَّهَ الْأَنْبِيَاءُ - عَلَيْهِمُ السَّلَام - عَنْهُ، يَسْتَنِدُ إِلَى دَلَالَةِ الْعِلْمِ الْمُعْجِزِ: إِمَّا بِنَفْسِهِ، أَوْ بِوَاسِطَةٍ.

وَالْعِلْمُ الْمُعْجِزُ بِمَنْزِلَةِ قَوْلِهِ - تَعَالَى - لَهُ: صَدَقْتَ فِي أَنَّكَ رَسُولِي. فَلَا بُدَّ مِنْ أَنْ يَكُونَ هَذَا الْمُعْجِزُ مَانِعًا مِنْ كَذِبِهِ، فِيمَا يُؤَدِّيهِ مِنَ الْوَحْيِ، لِأَنَّ تَصْدِيقَ^(٤)

(١) النساء: ١٦٥.

(٢) أوائل المقالات: ٧٠، ٧٦. تنزيه الأنبياء: ١.

(٣) في (ج): ودليلنا. مَعَ الواو.

(٤) في (ش): تطيق. بالطاء المهملة. وهو تحريف.

الكَذَّابِ، فَيُبَيِّحُ، كَمَا أَنَّ الْكَذِبَ^(١)، فَيُبَيِّحُ.

فَأَمَّا الْكَذِبُ فِي غَيْرِ مَا يُؤَدِّيهِ، وَسَائِرُ الْكِبَائِرِ، فَلِأَنَّ دَلَّ الْمُعْجِزُ عَلَى نَفْيِهَا مِنْ حَيْثُ كَانَ دَالًّا عَلَى وَجُوبِ إِتِّبَاعِ الرَّسُولِ، وَتَصْدِيقِهِ، فَيَمَّا يُؤَدِّيهِ، لِأَنَّ الْغَرَضَ فِي الْبَيْعَةِ، وَالتَّصْدِيقِ، هُوَ أَنْ يُمَثِّلَ مَا يَأْتُونَ بِهِ، فَمَا قَدَحَ فِي الْإِثْمِ، وَالْقَبُولِ، يَجِبُ أَنْ يُمْنَعَ^(٢) الْمُعْجِزُ مِنْهُ.

وَالدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ تَجْوِيزَ الْكِبَائِرِ، يَقْدَحُ^(٣) فَيَمَّا هُوَ الْغَرَضُ بِالْبَيْعَةِ مِنَ الْقَبُولِ، وَالْإِثْمِ، وَيَنْفَرُ عَنِ الْقَبُولِ: أَنَّ مَنْ يَجْوزُ عَلَيْهِ الْكِبَائِرُ، لَا نَأْمَنُ مِنْهُ الْإِقْدَامَ عَلَى الذُّنُوبِ، وَلَا تَكُونُ أَنْفُسُنَا سَاكِتَةً إِلَى قَبُولِ قَوْلِهِ، وَاسْتِيعَاعِهِ.

وَسُكُونُهَا إِلَى مَنْ لَا يَجْوزُ عَلَيْهِ شَيْءٌ^(٤) مِنْ ذَلِكَ، عَلَى^(٥) حَدِّ سُكُونِهَا إِلَى مَنْ يَجْوزُ عَلَيْهِ الْإِخْتِيَارُ، يُوضَحُ [ذلك].

وَلَا يَخْتَلِفُ^(٦) أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ فِي حَالِ النُّبُوَّةِ، أَوْ قَبْلَهَا، وَسَوَاءٌ كَانَتْ كَبِيرَةً،

(١) في (ش): الكذاب.

(٢) في (ش): يمتنع.

(٣) في (هـ): تقدح. بناء المضارعة المثناة من فوق.

(٤) في (ك) و(ح): لا يجوز عليه شيئاً.

(٥) العبارة: «على حدِّ... يوضح ذلك» ساقطة من (هـ). و«ذلك» ساقطة من (ش). و«إلى» ساقطة من (ح).

(٦) في (ك) و(هـ): تختلف. بناء المضارعة المثناة من فوق.

أو صَغِيرَةً، لَأَنَّ الطَّرِيقَةَ - فِي الْأَمْرَيْنِ - وَاحِدَةٌ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿اللَّهُ يُصْطَفِي مَنِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾^(١).
وَقَالَ: ﴿وَلَقَدْ اخْتَرْنَا هُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾^(٢)، وَقَالَ - فِي جَمَاعَةٍ مِنْهُمْ -:
﴿وَلِئَلَّيْهُمْ عِنْدَنَا لِمَنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ﴾^(٣).
تَذُلُّ^(٤) عَلَى عَصَمَتِهِمْ أَجْمَعِينَ، لِأَنَّهُ لَا يُخْتَارُ، وَلَا يُصْطَفَى إِلَّا مَنْ كَانَ
مَرْضِيًّا، مَعْصُومًا.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿الْحَيِّثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ...﴾ الْآيَةُ^(٥).
لَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ عَامًّا، لِأَنَّنَا نَجِدُ الطَّيِّبِينَ لِلطَّيِّبَاتِ، مِثْلُ آدَمَ، وَحَوَّاءَ.
قَوْلُهُ: ﴿يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾^(٦).
وَنَجِدُ الْحَيِّثَاتِ لِلْخَبِيثِينَ، مِثْلُ أَبِي هَبٍ، وَأُمِّ جَبَلٍ، قَوْلُهُ^(٧): ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي

(١) الحج: ٧٥.

(٢) الدخان: ٣٢.

(٣) ص: ٤٧.

(٤) فِي (ح): هَذِهِ تَذُلُّ.

(٥) النور: ٢٦.

(٦) البقرة: ٣٥.

(٧) فِي (ش): وَقَوْلُهُ.

هَبْ وَتَبَّ... ﴿١﴾ السُّورَةُ.

وَنَجِدُ الْحَبِيبَاتِ لِلطَّيِّبِينَ، مِثْلُ ﴿امْرَأَتِ نُوحٍ وَامْرَأَتِ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ﴾^(١).

وَنَجِدُ الطَّيِّبَاتِ لِلخَبِيثِينَ، مِثْلُ آيَةِ امْرَأَةِ فِرْعَوْنَ، قَوْلُهُ: ﴿رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ﴾^(٢).

وَكذلكَ الْحُكْمُ إِنْ مَحَلَّتْهُ عَلَى الْأَوْلَادِ، فَلَمْ تَحْكُمْ بِهَا إِلَّا بِدَلِيلٍ، نَحْوُ قَوْلِهِ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾^(٣).

وَيَعُدُّ: فَإِنَّ كُلَّ مُنْفَرٍ^(٤)، لَا يَجُوزُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ، وَالْأَنْمَةِ^(٥) - عَلَيْهِمُ السَّلَامُ - مِثْلُ: كُفْرِ الْوَالِدَيْنِ، وَفُسْقِ الْأَزْوَاجِ، لِأَنَّهَا^(٦) يَتَعَدَّيَانِ / ١٠٨ / إِلَيْهِمْ.

وَمَا لَا يَكُونُ مُنْفَرًا، جَازَ فِيهِمْ، مِثْلُ: كُفْرِ أَوْلَادِهِمْ، وَأَزْوَاجِهِمْ، أَوْ فُسْقِهِمْ. إِلَّا أَنَّ الْفَاحِشَةَ، لَا تَجُوزُ^(٧) عَلَى أَزْوَاجِهِمْ، فَإِنَّهَا لَا زِمَةَ لَهُمْ، قَوْلُهُ: ﴿إِنَّ

(١) اللهب: ١.

(٢) التحريم: ١٠.

(٣) التحريم: ١١.

(٤) الأحزاب: ٣٣.

(٥) في (ش): منفي. بالياء. وهو تحريف.

(٦) (الأنمة) ساقطة من (ح).

(٧) في (ش): كائنها.

(٨) في (ش) و(ك) و(أ): يجوز. بياء المضارعة المثناة من تحت.

انبي من أهلي^(١)، فقال: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾^(٢). وقوله: ﴿إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾^(٣) في المتظاهرتين^(٤).

ثم إنه روي عن ابن عباس^(٥)، ومجاهد^(٦)، والحسن^(٧)، والضحاك^(٨)، وعمار بن ياسر، وأهل البيت^(٩) عليهم السلام: أنهم قالوا: المراد به: الكلمات الطيبات للطيبين من الناس، والكلمات الحبيثات، للخبثين من الناس. يدل عليه قوله: ﴿مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ...﴾^(١٠) وقوله: ﴿مَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ﴾^(١١).



(١) هود: ٤٥.

(٢) هود: ٤٦.

(٣) التحريم: ٤.

(٤) في (هـ): المتضاهرتين. بالضاد المعجمة.

(٥) جامع البيان: ١٨: ١٠٦. أيضاً: مجمع البيان: ٤: ١٣٥. الدر المنثور: ٦: ١٦٧.

(٦) جامع البيان: ١٨: ١٠٧. أيضاً: مجمع البيان: ٤: ١٣٥. الدر المنثور: ٦: ١٦٧. الجامع لأحكام

القرآن: ١٢: ٢١١.

(٧) جامع البيان: ١٨: ١٠٧. أيضاً: مجمع البيان: ٤: ١٣٥. الدر المنثور: ٦: ١٦٧.

(٨) جامع البيان: ١٨: ١٠٧. أيضاً: مجمع البيان: ٤: ١٣٥. الدر المنثور: ٦: ١٦٧.

(٩) مجمع البيان: ٤: ١٣٥. تفسير نور الثقلين: ٣: ٥٨٥.

(١٠) إبراهيم: ٢٤.

(١١) إبراهيم: ٢٦.

فصل [-٣-]

[في مسائل متفرقة في النبوة]

قَوْلُهُ - تَعَالَى -: ﴿قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ﴾^(١).

فَقَوْلُهُ: ﴿الْأَسْبَاطِ﴾، لَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُمْ كَانُوا أَنْبِيَاءَ، لِأَنَّ الْإِنْزَالَ، يَحْزُرُ أَنْ يُكَوْنَ عَلَى بَعْضِهِمْ مِمَّنْ كَانَ نَبِيًّا، وَلَمْ تَقَعْ مِنْهُ الْأَفْعَالُ الْقَبِيحَةُ، وَالْمَعْصِيَةُ، مِثْلَ مَا فَعَلُوهُ مَعَ يَوْسُفَ، وَلَيْسَ فِي ظَاهِرِ الْقُرْآنِ، أَنَّهُمْ كَانُوا أَنْبِيَاءَ.

وَيُحْمَلُ قَوْلُهُ: ﴿وَالْأَسْبَاطِ﴾ عَلَى أَنَّهُ يَكُونُ الْمُرَادُ أَنَّهُمْ أَمَرُوا بِاتِّبَاعِهِ، كَمَا^(٢) يُقَالُ: أُنْزِلَ اللَّهُ إِلَى أُمَّةٍ النَّبِيُّ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - الْقُرْآنَ، كَمَا قَالَ: ﴿وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا﴾، إِنْ كَانَ الْمُنْزَلُ عَلَى النَّبِيِّ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - لَكِنْ لَمَّا كَانُوا مَأْمُورِينَ بِمَا فِيهِ، وَصِفَ بَأَنَّهُ أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ.

(١) آل عمران: ٨٤.

(٢) في (ج): وكما. مع الواو.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ - ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾^(١).

الِاصْطِفَاءُ، لَا يَلِيقُ إِلَّا بِمَنْ هُوَ مَعْصُومٌ كَالْأَنْبِيَاءِ، وَالْأَتَمَّةِ - عَلَيْهِمُ السَّلَامُ -: فَكَيْفَ قَالَ بَعْدَ ذَلِكَ: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾^(٢)؟

فَنَقُولُ: ﴿فَمِنْهُمْ﴾^(٣) يُرْجَعُ بِالْكِتَابَةِ فِيهِ إِلَى الْعِبَادِ، لَا إِلَى الَّذِينَ اصْطَفَوْا، لِأَنَّهُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ فِي الذِّكْرِ، فَكَأَنَّهُ قَالَ - تعالى -^(٤): وَمِنْ عِبَادِنَا ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ، وَمُقْتَصِدٌ، وَسَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّنَ عَلَى بَعْضٍ﴾^(٥)، وَقَوْلُهُ: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾^(٦).
يعني: عَالَمِي^(٧) زَمَانِهِمْ. وَتَفْضِيلُهُ إِيَّاهُمْ بَأَن جَعَلَ فِيهِمُ النَّبُوَّةَ، وَالْحِكْمَةَ.

(١) فاطر: ٣٢.

(٢) فاطر: ٣٢.

(٣) فاطر: ٣٢.

(٤) (تعالى) ساقطة من (ح).

(٥) الإسراء: ٥٥.

(٦) البقرة: ٤٧، ١٢٢.

(٧) في (ش): عاملي. بميم ثم لام.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾^(١).

إِنَّمَا ذَكَرَ تَفْضِيلَ الرُّسُلِ بَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ، لِأُمُورٍ:

مِنْهَا: الْأَيُّغَالِطُ^(٢) مُغَالِطٌ، فَيُسَوِّي بَيْنَهُمْ فِي الْفِعْلِ، كَمَا اسْتَوَوْا فِي الرِّسَالَةِ.

وَالثَّانِي^(٣): أَنَّ يُبَيِّنَ أَنَّ تَفْضِيلَ مُحَمَّدٍ - عَلَيْهِ السَّلَام - كَتَفْضِيلِ مَنْ مَضَى مِنْ

الْأَنْبِيَاءِ، بَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ.

وَالثَّلَاثُ^(٤): أَنَّ الْفَضِيلَةَ قَدْ تَكُونُ بَعْدَ إِدَاءِ الْفَرِيضَةِ. وَالْمُرَادُ بِالْفَضِيلَةِ -

هَاهُنَا - مَا خُصَّ بِهِ بَعْضُهُمْ مِنَ الْمَنَازِلِ الْجَلِيلَةِ، مِثْلُ مُوسَى [- عَلَيْهِ السَّلَام -]^(٥)

بِالْكَلَامِ، وَعِيسَى [- عَلَيْهِ السَّلَام -]^(٦) بِأَحْيَاءِ الْمَوْتَى، وَمُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ

- بِإِرْسَالِهِ إِلَى كَافَّةِ الْخَلْقِ.

وَالرَّابِعُ^(٧): فَضَّلْنَاهُمْ بِأَعْمَالِهِمُ الَّتِي اسْتَحَقُّوا بِهَا الْفَضِيلَةَ عَلَى غَيْرِهِمْ.

(١) البقرة: ٢٥٣.

(٢) في (ش): نغالط. بنون المضارعة الموحدة من فوق.

(٣) في (ح): ومنها.

(٤) في (ح): ومنها.

(٥) ما بين المعقوفتين زيادة من (ح).

(٦) ما بين المعقوفتين زيادة من (ح).

(٧) في (ح): ومنها.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾^(١).

دَالَّةٌ عَلَى أَنَّ النُّبُوَّةَ، لَيْسَتْ مُسْتَحَقَّةً بِالْأَفْعَالِ، لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ جَزَاءً^(٢)، لَمَا جَازَ أَنْ يَقُولَ: يَخْتَصُّ بِهَا مَنْ يَشَاءُ. كَمَا لَا يَجُوزُ أَنْ يَخْتَصَّ بِعَقَابِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ. أَمَّا اللَّطْفُ - وَإِنْ كَانَ مُسْتَحَقًّا وَهُوَ يَخْتَصُّ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ - فَإِنَّهُ يَكُونُ لُطْفًا عَلَى وَجْهِ الْاِخْتِصَاصِ، دُونَ الْاِشْتِرَاكِ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ الثَّوَابُ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾^(٣).

قَالَ الضَّحَّاكُ^(٤): ذَلِكَ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ - تعالى - أَرْسَلَ رُسُلًا مِنَ الْجِنِّ. وَبِهِ قَالَ الطَّبْرِيُّ^(٥)، وَاخْتَارَهُ الْبَلْخِيُّ^(٦).

(١) آل عمران: ٧٤.

(٢) في (ش): جز.

(٣) الأنعام: ١٣٠.

(٤) جامع البيان: ٨: ٣٦. أيضاً: مجمع البيان: ٢: ٣٦٧. والبيان في تفسير القرآن: ٤: ٢٧٧، الدر

المشور: ٣: ٣٦٠. الجامع لأحكام القرآن: ٧: ٨٦.

(٥) جامع البيان: ٨: ٣٦.

(٦) التبيان في تفسير القرآن: ٤: ٢٧٧.

وقال ابن عباس^(١): هُم رُسُلُ الْإِنْسِ إِلَى غَيْرِهِمْ مِنَ الْجِنِّ، كَمَا قَالَ: ﴿وَلَوْ أِ
لَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ﴾^(٢).
وَالأَوَّلُ أَقْوَى.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ﴾^(٣).
قال الحسن^(٤): مَا أَرْسَلَ اللَّهُ - تَعَالَى - (٥) إِمْرَأَةً، وَلَا رَسُولًا مِنَ الْجِنِّ، وَلَا
مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ.

وَوَجْهُ اللَّطْفِ فِي إِرسَالِ الرِّجَالِ مِنَ الْبَشَرِ، [أَنَّ] (٦) الشَّكْلَ إِلَى شَكْلِهِ،
أَنَسُ، وَعَنْهُ أَفْهَمُ، وَالْأَثَقَةُ مِنْهُ أَبْعَدُ، لِأَنَّهُ يَجْرِي بِجَرَى النَّفْسِ. وَالْإِنْسَانُ لَا يَأْتِفُ

(١) جامع البيان: ٨: ٣٦. وفي مجمع البيان: ٢: ٣٦٧: وقال ابن عباس: إِنَّمَا بَعَثَ الرَّسُولُ مِنَ
الْأَنَسِ، ثُمَّ كَانَ يُرْسَلُ هُوَ إِلَى الْجِنِّ رَسُولًا مِنَ الْجِنِّ. وَالْعِبَارَةُ بِلَفْظِهَا فِي التَّبْيَانِ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ:
٤: ٢٧٧، وَمَثَلُهَا فِي الدَّرِّ الْمَشْهُورِ: ٣: ٣٥٩ مَنْسُوبَةٌ إِلَى مُجَاهِدٍ، وَفِي الْجَامِعِ لِأَحْكَامِ الْقُرْآنِ: ٧:
٨٦: رَسَلَ الْجِنُّ هُمَ الَّذِينَ بَلَّغُوا قَوْمَهُمْ مَا سَمِعُوهُ مِنَ الْوَحْيِ.

(٢) الْأَحْقَافُ: ٢٩.

(٣) الْأَنْبِيَاءُ: ٧.

(٤) التَّبْيَانِ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ: ٧: ٢٣٢ بِلَفْظِهِ.

(٥) (تَعَالَى) سَاقِطَةٌ مِنْ (ح).

(٦) مَا بَيْنَ الْمَعْقُوفَتَيْنِ سَاقِطٌ مِنْ (ش).

مِنْ نَفْسِهِ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ...﴾^(١).

قال ابن عباس^(٢)، والحسن^(٣)، والجبائي^(٤): إِنْهُمْ كَانُوا عَلَى الْكُفْرِ.

وقال قتادة^(٥)، والضحاك^(٦): كَانُوا عَلَى الْحَقِّ، فَاخْتَلَفُوا. وَإِنَّمَا أَخْبَرَ اللَّهُ - تعالى - عَلَى الْغَالِبِ مِنَ الْحَالِ.

/ ١٠٩ / وَإِذَا قِيلَ: إِذَا^(٧) كَانُوا مُخْتَلِفِينَ فِي الْحَقِّ عَلَى إِصَابَةِ بَعْضِهِمْ^(٨)،

(١) البقرة: ٢١٣.

(٢) مجمع البيان: ١: ٣٠٦. أيضاً: التبيان في تفسير القرآن: ٢: ١٩٤. الدر المنثور: ١: ٥٨٣. الجامع لأحكام القرآن: ٣: ٣١ في أحد القولين المنسوين إليه.

(٣) مجمع البيان: ١: ٣٠٦. أيضاً: التبيان في تفسير القرآن: ٢: ١٩٤.

(٤) مجمع البيان: ١: ٣٠٦. أيضاً: التبيان في تفسير القرآن: ٢: ١٩٤.

(٥) جامع البيان: ٢: ٣٣٤. أيضاً: مجمع البيان: ١: ٣٠٦. والتبيان في تفسير القرآن: ٢: ١٩٤. الدر المنثور: ١: ٥٨٣. الجامع لأحكام القرآن: ٣: ٣٠.

(٦) مجمع البيان: ١: ٣٠٦. أيضاً: التبيان في تفسير القرآن: ٢: ١٩٤.

(٧) في (هـ): إِذْ.

(٨) في (ح): إِصَابَةُ بَعْضِهِمْ لَهُ.

فَكَيْفَ يَعْمَهُمُ الْكُفْرُ؟

قُلْنَا: لَا يَمْتَنِعُ أَنْ يَكُونَ الْكُلُّ كُفَّارًا. بَعْضُهُمْ يَكْفُرُ مِنْ جِهَةِ الْغُلُوِّ، وَبَعْضُهُمْ مِنْ جِهَةِ التَّقْصِيرِ، كَمَا كَفَرَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى فِي الْمَسِيحِ. وَعَلَى هَذِهِ الْآيَةِ سُؤَالَاتٌ كَثِيرَةٌ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾^(١).

أي: مِنْ قُرُونٍ سَلَفَتْ. وَلَيْسَ يَعْنِي^(٢) بِهِ غَيْرَ النَّاسِ، لِأَنَّ التَّكْلِيفَ، مَقْصُورٌ عَلَى الْجِنِّ، وَالْإِنْسِ، لِقَوْلِهِ: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيَّهَ الثَّقَلَانِ﴾^(٣). وَلَمْ يُخَاطَبْ غَيْرُهُمَا.

وَأَوَّلُ الْآيَةِ يَدُلُّ^(٤) عَلَى أَنَّهُ خَاصٌّ، قَوْلُهُ: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَلُكُمْ﴾^(٥).

الْمَعْنَى فِيهِ: وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ مِنَ الْبَشَرِ الْمُكَالِفِينَ، إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ. وَلِأَنَّ

(١) فاطر: ٢٤.

(٢) فِي (أ) بِمَعْنَى.

(٣) الرحمن: ٣١.

(٤) فِي (ش) وَ(ك) وَ(أ): تَدَلَّى. بَتَاءِ الْمُضَارَعَةِ الْمُنْتَهَا مِنْ فَوْقِ.

(٥) الأنعام: ٣٨.

شَرَائِطُ التَّكْلِيفِ، لَا يَصُحُّ^(١) حُصُولُهَا لِلْبَهَائِمِ، وَالطُّيُورِ، وَلِذَلِكَ^(٢) شَبَّهَ الْجُهَّالَ
بِالْأَنْعَامِ. وَلَوْ كَانَتْ الْأَنْعَامُ، مُكَلَّفَةً، لَكَانَ فِيهَا الْمُؤْمِنُ، وَالْكَافِرُ.



(١) في (ش) و(ك) و(أ) و(ح): تصحّ. بناء المضارعة المنشأة من فوق.

(٢) في (هـ): فلذلك. مع الفاء.

فصل [- ٤ -]

[مسائل متفرقة في النبوة]

قَوْلُهُ - تَعَالَى -: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾^(١).

قِيلَ: كَتَبَ اللَّهُ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ: أَنَا وَرُسُلِي. أَجْرَاهُ بِجَرَى الْقَسَمِ، فَأَجَابَهُ بِجَوَابِهِ.

الْحَسَنُ^(٢): مَا أَمَرَ اللَّهُ نَبِيًّا - قَطُّ - بِحَرْبٍ إِلَّا غَلَبَ، إِمَّا فِي الْحَالِ، أَوْ فِي الْإِسْتِقْبَالِ.

وَيُقَالُ: ﴿لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾ بِالْحُجَجِ، وَالْبَرَاهِينِ.

وَقِيلَ: فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ^(٣).

(١) المجادلة: ٢١.

(٢) مجمع البيان: ٥: ٢٥٥. أيضاً: التبيان في تفسير القرآن: ٩: ٥٥٦.

(٣) في (ح): وقيل: بالقيامة.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴾^(١).

وَقَدْ خَذَلَهُمْ، حَتَّى قُتِلُوا.

فَنَقُولُ: النَّصْرُ، الْعَلَبَةُ عَلَى الْعَدُوِّ، وَهُوَ عَلَى صَرِيحٍ:

نَصْرٌ بِالْحُجَّةِ، وَنَصْرٌ بِالْغَلَبَةِ فِي الْمَحَارِبَةِ، بِحَسَبِ الْمَصْلَحَةِ، وَمَا تَقْتَضِيهِ الْحِكْمَةُ. هَذَا إِذَا كَانَ فِي دَارِ التَّكْلِيفِ.

وَأَمَّا نَصْرُهُ إِيَّاهُمْ - يَوْمَ الْقِيَامَةِ - فَهُوَ عُلُوُّ كَلِمَتِهِمْ، وَظُهُورُ^(٢) حَقِّهِمْ، بِجَزِيلِ الثَّوَابِ، وَإِذْلالُ عَدُوِّهِمْ بِعَظِيمِ الْعِقَابِ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿ ثُمَّ يُعْطِي عَلَيْهِ لِيَنْصُرَهُ اللَّهُ ﴾^(٣).

مَعْنَاهُ: إِمَّا بِالْغَلَبَةِ، وَإَمَّا بِأَخْذِ الْحَقِّ لَهُ.

فَالنَّصْرَةُ^(٤) مِنَ اللَّهِ لِلْمَبْعِيِّ عَلَيْهِ، وَاقِعَةٌ لَا مَحَالَةَ، وَالْإِذْلَانُ، لَا يَكُونُ إِلَّا

(١) غافر: ٥١.

(٢) في (هـ): أو ظهور.

(٣) الحج: ٦٠.

(٤) في (هـ): بالنصرة. وفي (ش): فالنصر.

لِلظَّالِمِينَ، لَأَنَّهُ اللهُ، لَا يَخْذُلُ أَهْلَ طَاعَتِهِ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ﴾^(١).

إِنَّ اللَّهَ - تعالى - قَدْ نَصَرَ رَسُولَهُ بِإِقَامَةِ الْأَدِلَّةِ، وَنَصَبِ الْبَرَاهِينِ، وَالْأَمْرِ بِطَاعَتِهِمْ، وَالنَّهْيِ عَنْ مُخَالَفَتِهِمْ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَنْصُرَهُمْ بِمَا أَدَّى إِلَى الْإِلْجَاءِ^(٢)، وَيُنَافِي^(٣) الْإِخْتِيَارَ^(٤)، فَإِنَّ مَعَهَا يَزُولُ التَّكْلِيفُ، وَالْأَمْرُ، وَالنَّهْيُ، وَالشَّوَابُ، وَالْعِقَابُ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿لَقَدْ نَصَرَ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ﴾^(٥).

إِخْبَارًا بِأَنَّهُ نَصَرَهُمْ دُفْعَاتٍ كَثِيرَةً، وَلَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَنْصُرْهُمْ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ.

وقال البلخي^(٦): إِيَّاهُمْ لَمَّا اِنْهَزُمُوا، لَمْ يَكُونُوا مَنْصُورِينَ، وَكَانَ ذَلِكَ مِنْهُمْ

(١) آل عمران: ١٦٠.

(٢) في (ش): الإنجاء. بالنون الموحدة من فوق. وهو تحريف.

(٣) في (ح): نافي. بصيغة الماضي.

(٤) (الاختيار) مطموسة في (أ).

(٥) التوبة: ٢٥.

(٦) قول البلخي هذا بلفظه في التبيان في تفسير القرآن: ٥: ١٩٨ من دون عزو إلى أحد.

خَطَاً، وَإِنْ وَقَعَ مُكْفَرًا.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾^(١).

نَزَلَ الْعَذَابُ عَلَى الْأُمَمِ فِي أَيَّامِ نُوحٍ، وَهُودٍ، وَمُوسَى، وَعِيسَى^(٢) - عَلَيْهِمُ السَّلَام - [وَنَالَ نَبِيَّتًا - عَلَيْهِ السَّلَام -]^(٣) مَا نَالَ^(٤)، وَلَمْ يَنْزِلْ عَلَيْهِمْ، لِأَنَّهُ^(٥) خَصَّ أُمَّتَهُ بِأَمَانٍ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، قَوْلُهُ: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾^(٦).

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿قُلْ أَوْحِيَ إِلَيَّ﴾^(٧).

سُمِّيَ «وَحِيًّا»، لِأَنَّ الْمَلَكَ، سَتَرَهُ عَنْ جَمِيعِ الْخَلْقِ، وَخَصَّ بِهِ النَّبِيَّ

(١) الصافات: ١٧٢، ١٧٣.

(٢) (وعيسى) ساقطة من (ح).

(٣) ما بين المعقوفين ساقطة من (ش).

(٤) في (ش): قال. وهو تحريف.

(٥) في (ش): لأن.

(٦) الأنفال: ٣٣.

(٧) الجن: ١.

المبعوث، قوله: ﴿يُوجِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾^(١). هذا هو الأصل. ثُمَّ يُسْتَعْمَلُ بِمَعْنَى الإلهام، قوله: ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ...﴾^(٢).

وبمعنى الأمر، قوله: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ...﴾^(٣).

وبمعنى الإشارة، قوله: ﴿فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾^(٤).

وبمعنى الكتابية.

قَالَ الشَّاعِرُ^(٥):

كَوْخِي صَحَائِفٍ فِي عَهْدِ كِسْرَى فَأَمَدَاهَا^(٦) لَأَعْجَمَ^(٧) طُمْطَمِي

وَأَمَّا^(٨) قوله: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ﴾^(٩). أي: أَلْهَمْتُهُمْ.

وَقِيلَ: أَمَرْتُهُمْ.

(١) الأنعام: ١١٢.

(٢) النحل: ٦٨.

(٣) المائدة: ١١١.

(٤) مريم: ١١.

(٥) الزاهر: ٢: ٣٥٤. شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات: ٥١٩ بلا عزو فيها. والطمطمى:

الأعجم الذي لا يفصح.

(٦) في (ش): فاهدها.

(٧) في (أ): الأعجمي.

(٨) في (ح): فائًا. مع الفاء.

(٩) المائدة: ١١١.

وَقِيلَ: أَلْقَيْتُ إِلَيْهِمُ الْآيَاتِ الَّتِي أُرَيْتُهُمْ.

وَقَالَ أَبُو عَلِيٍّ^(١): أَي: أَوْحَيْتُ إِلَيْكَ أَنْ تُبَلِّغَهُمْ، أَوْ إِلَى رَسُولٍ مُتَقَدِّمٍ.
وَالْقُرْآنُ كُلُّهُ وَحِيٌّ. وَيَجِيءُ وَحْيٌ غَيْرُ قُرْآنٍ، مِثْلُ قَوْلِهِ - عَلَيْهِ السَّلَام -^(٢): أَمَرَنِي
رَبِّي بِمُذَارَاةِ النَّاسِ، كَمَا أَمَرَنِي بِإِدَاءِ الْفَرَائِضِ.

وَمِثْلُ قَوْلِ جَبْرِيلَ - حِينَ قَرَعَ مِنْ غَزَاةِ الْحَنْدَقِ -: يَا مُحَمَّدُ! إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ
أَلَّا تُصَلِّيَ الْعَصَرَ إِلَّا فِي بَنِي قُرَيْظَةَ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكْلِمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا﴾^(٣).

قَالَ^(٤) مُجَاهِدٌ^(٥): ﴿أَنْ يَكْلِمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا﴾: هُوَ دَاوُدُ، أَوْحَى فِي صَدْرِهِ،
فَزَبَرَ الزَّبُورَ^(٦).

(١) هو أبو عليّ الجبائي كما في التبيان في تفسير القرآن: ٤: ٥٨.

(٢) في (ح): صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ.

(٣) الشورى: ٥١.

(٤) العبارة «قال مجاهد... هو داود» ساقطة من (أ): وفي (ح): قال مجاهد: الذي كلمه الله وحياً هو

داود - ع -.

(٥) قول مجاهد بتمامه في أمالي المرتضى: ٢: ٢٠٥. الجامع لأحكام القرآن: ١٦: ٥٣.

(٦) في (ح): فزبر زبوراً.

﴿أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾^(١) / ١١٠ / : هُوَ مُوسَى [- عَلَيْهِ السَّلَام -] ^(٢).
 ﴿أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا﴾^(٣) : هُوَ جِبْرِيلُ ، أُرْسِلَ إِلَى مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَسَلَّمَ - ^(٤).

قَوْلُهُ - شُبْحَانَهُ -: ﴿يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾^(٥).
 اخْتَلَفُوا فِي كَيْفِيَّةِ هَذَا الْخِطَابِ:
 فَقَالَ الْجُبَّائِيُّ^(٦) : قَالَ^(٧) اللَّهُ - تَعَالَى - لَهُ ذَلِكَ عَلَى لِسَانِ بَعْضِ رُسُلِهِ.
 وَهُوَ الْأَلَيْقُ ، لِأَنَّهُ لَا يَصُحُّ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ بِلَا وَاسِطَةٍ فِي زَمَانِ التَّكْلِيفِ.
 وَقَالَ آخَرُونَ: كَلَّمَهُ بِالْإِنْكَارِ عَلَيْهِ، وَالْإِهَانَةِ لَهُ، كَمَا قَالَ: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِيهَا

(١) الشورى: ٥١.

(٢) ما بين المعقوفتين زيادة من (ح).

(٣) الشورى: ٥١.

(٤) في (ح): عَلَيْهِ السَّلَام.

(٥) الحجر: ٣٢.

(٦) مجمع البيان: ٣: ٣٣٦.

(٧) في (هـ): فَقَالَ.

(٨) المؤمنون: ١٠٨.

وهذا ينبغي أن يكون حكاية عما يقول له في الآخرة. فقال إبليس^(١) عجيباً لهذا الكلام: ﴿قَالَ لَمْ أَكُنْ لَأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾^(٢).

قوله - سبحانه -: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾^(٣).

قالوا: إن كلب أصحاب الكهف، خاطبهم بالتوحيد، والاعتراف، بما^(٤) اعترفوا به، ولذلك تبعهم. وهذا خرق عادة يجوز أن يكون الله - تعالى - فعله لطفاً لهم، أو معجزة لبعضهم على ما حكى: إن بعضهم كان نبياً، وهو رئيسهم، فيكون ذلك معجزة^(٥) له، غير أنه غير مقطوع به.

قوله - سبحانه -: ﴿حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا﴾^(٦).

معنى ذلك - بالتخفيف - أن الرسل ظننت أن القوم كذبوهم. ويكون

(١) في (أ): يا إبليس.

(٢) الحجر: ٣٣.

(٣) الكهف: ٢٢.

(٤) في (ش) و(ك) و(أ): ما. من دون حرف الجر (الباء).

(٥) معجزة له ساقطة من (أ).

(٦) يوسف: ١١٠.

الظَّنُّ غَيْرَ الْعِلْمِ. وبالتَّشْدِيدِ: أي: ظَنَنْتِ الرُّسُلَ أَنَّ الْقَوْمَ قَدْ كَذَّبُوا. أي: كَفَرُوا.
والظَّنُّ - هَاهُنَا - الْعِلْمُ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ﴾^(١).

تَقْرِيرٌ لِلرُّسُلِ فِي صُورَةِ الاسْتِفْهَامِ، عَلَى وَجْهِ التَّوْبِيخِ لِلْمُنَافِقِينَ، عِنْدَ إِظْهَارِ فَصِيحَتِهِمْ، وَهَتِكَ أَسْتَارِهِمْ عَلَى رُؤُوسِ الْأَشْهَادِ.

وَقَالَ الْحَسَنُ^(٢) وَالسُّدِّيُّ^(٣) فِي قَوْلِهِمْ: ﴿لَا عِلْمَ لَنَا﴾^(٤)، قَالُوا ذَلِكَ لِذَهُولِهِمْ مِنْ هَوْلِ ذَلِكَ الْمَقَامِ.

فَإِنْ قِيلَ: إِنَّهُمْ آمَنُونَ، لِقَوْلِهِ: ﴿لَا يَخْزِيهِمُ الْفَرْغُ الْأَكْبَرُ﴾^(٥)، وَلِقَوْلِهِ: ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^(٦).

(١) المائدة: ١٠٩.

(٢) جامع البيان: ٧: ١٢٥. أيضاً: مجمع البيان: ٢: ٢٦٠. الدر المنثور: ٣: ٢٢٧. الجامع لأحكام القرآن: ٦: ٣٦١.

(٣) جامع البيان: ٧: ١٢٥. أيضاً: مجمع البيان: ٢: ٢٦٠. الدر المنثور: ٣: ٢٢٧. الجامع لأحكام القرآن: ٦: ٣٦١.

(٤) المائدة: ١٠٩.

(٥) الأنبياء: ١٠٣.

(٦) يونس: ٦٢.

فقالوا: ﴿الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ﴾: دُخُولُ جَهَنَّمَ. وقوله: ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾: كَقَوْلِكَ لِلْمَرِيضِ: لَا خَوْفَ عَلَيْكَ، وَلَا بَأْسَ عَلَيْكَ. مَا يَدُلُّ عَلَى النَّجَاةِ مِنْ تِلْكَ الْحَالِ.

وقال ابن عباس^(١): إِنَّ مَعْنَاهُ: لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا. فَحُذِفَ ﴿إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا﴾ لِإِدْلَالِهِ الْكَلَامَ عَلَيْهِ.

وقال الجبائي^(٢): مَعْنَاهُ^(٣): لَا عِلْمَ لَنَا مَعَ عِلْمِكَ. أَي: لَيْسَ عِنْدَنَا شَيْءٌ إِلَّا مَا نَعْلَمُهُ، إِلَّا وَأَنْتَ عَالِمٌ بِكُلِّ مَا غَابَ، وَحَضَرَ، بِدَلَالَةِ قَوْلِهِ: ﴿إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾^(٤).

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ﴾^(٥)، وقوله: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾^(٦).

(١) جامع البيان: ٧: ١٢٦. أيضاً: مجمع البيان: ٢: ٢٦٠. الدر المنثور: ٣: ٢٢٧. الجامع لأحكام القرآن: ٦: ٣٦١ في أحد القولين المرويين عنه.

(٢) مجمع البيان: ٢: ٢١١.

(٣) (معناه) ساقطة من (ح).

(٤) المائدة: ١٠٩.

(٥) الأنعام: ٥٠.

(٦) البقرة: ٣.

النَّبِيُّ، وَالْإِمَامُ يَجِبُ أَنْ يَعْلَمَا عُلُومَ الدِّينِ، وَالشَّرِيعَةِ، وَلَا يَجِبُ أَنْ يَعْلَمَا
الْغَيْبَ، وَمَا كَانَ، [وَأَنَّ] مَا يَكُونُ، لِأَنَّ^(١) ذَلِكَ يُؤَدِّي إِلَى أَنَّهَا مُشَارِكَانِ لِلْقَدِيمِ -
تعالى - فِي جَمِيعِ مَعْلُومَاتِهِ. وَ مَعْلُومَاتُهُ لَا تَنْتَاهِي.

وَأِنَّمَا يَجِبُ أَنْ يَكُونَا عَالِمَيْنِ لِنَفْسِهِمَا. وَقَدْ ثَبَتَ أَنَّهَا عَالِمَانِ بِعِلْمٍ مُحَدَّثٍ. وَ
الْعِلْمُ لَا يَتَعَلَّقُ - عَلَى التَّفْصِيلِ - إِلَّا بِمَعْلُومٍ وَاحِدٍ. وَلَوْ عَلِمَا مَا لَا يَنْتَاهِي،
لَوَجَبَ أَنْ يَعْلَمَا وَجُودَ مَا لَا يَنْتَاهِي مِنَ الْمَعْلُومَاتِ، وَذَلِكَ مُحَالٌ.

وَيَجُوزُ أَنْ يَعْلَمَا الْغَائِبَاتِ، وَالْكَائِنَاتِ الْمَاضِيَّاتِ، أَوِ الْمُسْتَقْبَلَاتِ، بِإِعْلَامِ
الله - تعالى - لَهَا شَيْئاً مِنْهَا^(٢).

وَمَا رُوِيَ: أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ^(٣) - عَلَيْهِ السَّلَام - كَانَ يَعْلَمُ أَنَّهُ مَقْتُولٌ، وَأَنَّ
قَاتِلَهُ، ابْنُ مُلْجَمٍ، فَلَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ عَالِمًا بِالْوَقْتِ الَّذِي يَقْتُلُهُ فِيهِ عَلَى التَّعْيِينِ،
لَأَنَّهُ لَوْ عَلِمَ ذَلِكَ، لَوَجَبَ^(٤) عَلَيْهِ أَنْ يَدْفَعَهُ عَنْ نَفْسِهِ، وَلَا يُلْقِي يَدَهُ إِلَى
التَّهْلُكَةِ. وَإِنْ هَذَا - فِي عِلْمِ الْجُمْلَةِ - غَيْرُ وَاجِبٍ.



(١) مَا بَيْنَ الْمَعْرِفَتَيْنِ سَاقِطٌ مِنْ (ش).

(٢) فِي (ك): لَا أَنْ. وَفِي (ش): إِلَّا أَنْ.

(٣) فِي (أ): أَشْيَاءُ مِنْهَا.

(٤) فِي (أ): أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلِي.

(٥) فِي (أ): فَرَجَبَ. مَعَ الْفَاءِ.

فصل [- ٥ -]

[في قصّة آدم - ع -]

قوله - تعالى - في قصّة آدم - : ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾^(١)، ﴿أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ﴾^(٢).

الأمر، والنهي، لا صيغة لهما، وقد يؤمر بلفظ النهي، وينهى بلفظ الأمر. يُقال: أمرته^(٣) بالأمر، معناه: أنه نهى عن لقائه. ويُقال: نهيتك عن هجر أخيك. معناه: أمرتك بمواصلته. قال الله - تعالى - : ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾^(٤). أي: لا تفعلوا. فيكون قوله: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾، إرادة لذلك التناول، فيكون أمراً، لأن الأمر، والنهي، لا يصيران أمراً، ونهياً، إلا بالإرادة، والكرهية. ثم إن الأمر، والنهي، يشتركان في الوجوب، والندب^(٥). وقد ثبت أن

(١) البقرة: ٣٥.

(٢) الأعراف: ٢٢.

(٣) في (أ): أنه. وهو تحريف.

(٤) فصلت: ٤٠.

(٥) في (ك) و(هـ) و(أ): التدوب.

الأنبياء، لا يُخْلَوْنَ بِالْوَاكِبَاتِ، فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا النَّدْبُ، وَهُوَ: مَا الْأَوَّلَى تَرْكُهُ.
وَلَا تَقُولُ: إِنَّهُ نَهَى عَنْ جَنَسِهَا، لِأَنَّهُ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ فَعَلَ الْقَبِيحَ، وَأَنَّهُ أَخْطَأَ
[فِي] ^(١)الاسْتِدْلَالِ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿فَأَكْثَلَا مِنْهَا﴾ ^(١).
ثِقَةٌ بِبَيِّنِهِ بِاللَّهِ - تَعَالَى - قَوْلُهُ: ﴿وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾ ^(٢)،
وَلَمْ يَظُنَّا أَنَّهُ يَجْسُرُ أَحَدٌ أَنْ يَخْلِفَ ^(٣) بِاللَّهِ كَاذِبًا.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ﴾ ^(٤).
قَالَ الرَّمَّانِيُّ: لَمْ / ١١١ / يَقْصُدْ آدَمُ، وَخَوَاءُ بِالتَّنَاوُلِ مِنَ الشَّجَرَةِ، الْقَبُولُ
مِنْ إِبْلِيسَ، وَالطَّاعَةَ لَهُ، بَلْ إِنَّمَا قَصَدَا ^(٥) عِنْدَ دُعَائِهِ شَهْوَةَ نَفْسَيْهِمَا. وَلَوْ قَصَدَا ^(٦)

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (ش).

(٢) طه: ١٢١.

(٣) الأعراف: ٢١.

(٤) في (أ): يخلف. بالخاء المعجمة من فوق. وهو تصحيف.

(٥) الأعراف: ٢٢.

(٦) في (هـ): قصد. من دون ألف الشنية.

(٧) في (هـ): قصد. من دون ألف الشنية.

الْقَبُولُ، لَكَانَ ذَلِكَ قَبِيحًا لَا مُحَالَةَ.

قَالَ الْحَسَنُ^(١): لَوْ قَصَدَا ذَلِكَ. لَكَانَا كَافَرَيْنِ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ﴾^(٢).

وَكَانَ آدَمُ، وَحَوَّاءُ فِي الْجَنَّةِ، وَابْلِيسُ فِي الْأَرْضِ.

[و] ^(٣) الرَّجُلُ فِي ذَلِكَ: إِنَّهُ وَصَلَتْ وَسْوَسَتْهُ بِالْقُوَّةِ الَّتِي خَلَقَهَا اللَّهُ لَهُ.

وَقَالَ أَبُو عَلِيٍّ^(٤): إِنَّهُمَا كَانَا يَخْرُجَانِ إِلَى السَّمَاءِ، فَيَلْقَاهُمَا هُنَاكَ.

وَقَالَ ابْنُ الْأَخْشِيدِ^(٥): إِنَّهُ خَاطَبَهُمَا مِنْ بَابِ الْجَنَّةِ، وَهُمَا فِيهَا.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ﴾^(٦).

(١) تنزيه الأنبياء: ١٧. التفسير الكبير: ٤٨: ١٤.

(٢) الأعراف: ٢٠.

(٣) ما بين المعقوفين زيادة من (ح).

(٤) قول أبي عليٍّ هذا في التبيان في تفسير القرآن: ١: ١٦٢ من دون عزو إلى أحد.

(٥) في (ك) و(هـ): الاخشيذ. بالذال المعجمة. وقول ابن الاخشيذ هذا في التبيان في تفسير القرآن:

١: ١٦٢ من دون عزو إلى أحد.

(٦) طه: ١٢١.

المَعْصِيَةُ: مُخَالَفَةُ الْأَمْرِ. وَالْأَمْرُ مِنَ اللَّهِ - تَعَالَى - يَقَعُ بَيْنَ الْوَاجِبِ،
وَالْمَنْدُوبِ. يُقَالُ: أَمَرْتُ فَلَانًا بِكَذَا، وَكَذَا مِنَ الْخَيْرِ، فَعَصَانِي ^(١) [سَوَاءً ^(٢)] كَانَ مَا
أَمَرِيهِ وَاجِبًا، أَوْ مَنْدُوبًا. وَتَرَكُ النَّفْلَ، غَيْرُ قَبِيحٍ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿فَقَوَى﴾ ^(٣).
أَي: خَابَ مِنْ حُصُولِ عَظِيمِ الثَّوَابِ، لِأَكْلِ الشَّجَرَةِ.
شَاعِرٌ ^(٤):

[فَمَنْ يَلْقَ خَيْرًا يَحْتَمِدِ النَّاسُ أَمْرَهُ] وَمَنْ يَفْعَلْ لَا يَعْلَمُ عَلَى الْغَيْبِ لَأَنَّمَا

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿أَهْبِطُوا مِنْهَا﴾ ^(٥).
عَلَى سَبِيلِ الْمَصْلَحَةِ، لَا الْإِهَانَةِ. وَالْهَبْطُ هُوَ التَّزَوُّلُ مِنْ فَوْقَ إِلَى أَسْفَلَ،
وَالْحُلُولُ مِنَ الْمَكَانِ، وَالتَّزَوُّلُ بِهِ، قَوْلُهُ: ﴿أَهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ﴾ ^(٦).

(١) فِي (أ): فَعَصِيَانِ.

(٢) مَا بَيْنَ الْمَعْقُوفَتَيْنِ سَاقِطٌ مِنْ (ش).

(٣) طه: ١٢١.

(٤) مَضَى ذِكْرَ هَذَا الْبَيْتِ وَتَحْرِيجِهِ فِي:

(٥) الْبَقَرَةُ: ٣٨.

(٦) الْبَقَرَةُ: ٦١.

وَيُقَالُ: هَبَطْنَا بَلَدًا كَذَا. قَالَ زُهَيْرٌ^(١):

مَارِلْتُ أَرْمَقُهُمْ حَتَّى إِذَا هَبَطْتُ أَيْدِي الْمَطِيِّ يِيهِمْ مِنْ رَاكِسٍ فَلَقَا

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾^(٢).

عَدَاوَةُ إِبْلِيسَ لِآدَمَ، وَذُرِّيَّتِهِ، مَشْهُورَةٌ. وَأَمَّا عَدَاوَةُ آدَمَ، وَالمُؤْمِنِينَ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ لِإِبْلِيسَ، فَهِيَ وَاجِبَةٌ، لِمَا يَجِبُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ مِنْ مُعَادَاةِ الْكُفَّارِ الْمَارِقِينَ عَنْ^(٣) طَاعَةِ اللَّهِ.

وَأَمَّا إِذَا حُمِلَ الْخِطَابُ عَلَى آدَمَ، وَحَوَّاءَ، دُونَ غَيْرِهِمَا، يُحْمَلُ قَوْلُهُ: ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِهِ الذُّرِّيَّةَ. كَأَنَّهُ قَالَ: اهْبِطُوا، وَقَدْ عَلِمْتُ مِنْ أَحْوَالِ ذُرِّيَّتِكُمْ أَنَّ بَعْضَهُمْ يُعَادِي بَعْضًا.

وَعَلَّقَ الْخِطَابَ بِهِمَا عَلَى الْاِخْتِصَاصِ بَيْنَ الذُّرِّيَّةِ، وَبَيْنَ أَصْلِهِمْ.

(١) شرح ديوان زهير بن أبي سلمى صنعة أبي العباس ثعلب: ٣٧. وفيه: أيدي الركاب. ارمقهم:

أنظرهم. راكس: موضع. الفلق: المكان المظلم بين ربوتين.

(٢) البقرة: ٣٦.

(٣) في (ك): مِنْ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا تَخْرُجَنَّكُمَا مِنْ الْجَنَّةِ﴾^(١).

قِيلَ: أي: بِأَنْ يَغْوِيَكُمَا، لِتُخَالِفَا مَا أَمَرَ اللهُ - تعالى - بِهِ، وَبِعَصْيَانِهِ، فَتَقْتَضِي الْمَصْلَحَةَ - حَيْثُ - إِخْرَاجُكُمَا.

نَسَبَ الْإِخْرَاجَ إِلَى إِبْلِيسَ، إِذْ كَانَ بِدُعَائِهِ، وَإِغْوَايِهِ.

وَمَعْنَى ﴿فَتَشْقَى﴾^(٢): تَتَعَبُ؛ بِأَنْ تَأْكُلَ مِنْ كَذِّ يَدِكَ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿فَأَخْرَجَهُمَا يَمًّا كَانَا فِيهِ﴾^(٣)، ﴿فَبَدَّتْ لُهُمَا سَوَاتِنُهُمَا﴾^(٤)، ﴿مَا وَوَرِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوَاتِنِهِمَا﴾^(٥).

نَفْسُ الْإِخْرَاجِ، وَتَقْلِيْبُ اللَّبَاسِ، لَا يَكُونُ عِقَابًا، لِأَنَّ الْعُقُوبَةَ، هِيَ الضَّرْرُ، وَالْأَلَمُ، الْوَاقِعَانِ عَلَى سَبِيلِ الْاسْتِخْفَافِ، وَالْإِهَانَةِ وَمَنْ تَعَبَّدَ اللهُ - تعالى - فِيهِ بِنِهَايَةِ التَّعْظِيمِ، لَا يَكُونُ مِنْهُ، وَمِنْهُ - تعالى - الْاسْتِخْفَافُ، وَالْإِهَانَةُ. وَأيُّ

(١) طه: ١١٧.

(٢) طه: ١١٧.

(٣) البقرة: ٣٦.

(٤) طه: ١٢١.

(٥) الأعراف: ٢٠.

نَفْسٍ تَسْكُنُ إِلَى أَنْ وَالِدَيْهَا، مُسْتَخَفَّ^(١)، مُهَانٌ^(٢)؟

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿كَمَا أَخْرَجَ أَبُونُكُم مِّنَ الْجَنَّةِ﴾^(٣).

يعني: اغوى أبويكم آدم، وحواء.

نَسَبَ الإِخْرَاجَ إِلَيْهِ، لَمَّا كَانَ بِإِغْوَائِهِ. وَجَرَى ذَلِكَ مَجْرَى دَمِّ اللَّهِ فِرْعَوْنَ،
بِأَنَّهُ يُذْبَحُ أَبْنَاءُهُمْ، وَالذَّمُّ فِيهَا رَاجِعٌ إِلَى فِعْلِ الْمَذْمُومِ.
وَأُكِّدَ بِذِكْرِ هَذِهِ الصِّفَةِ، لِيَبَانَ مَنَزِلَةُ فِعْلِهِ فِي عِظَمِ الْفَاحِشَةِ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَاهُ﴾^(٤).

أَي: بِخَسَنَاتٍ حَقَّقْنَا مَا كُنَّا نَسْتَحِقُّهُ مِنَ الثَّوَابِ، بِفِعْلِ مَا أُرِيدَ مِنَّا، وَهُوَ مَعْنَى
قَوْلِهِ: ﴿فَتَكُونُوا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾^(٥).

(١) الصواب أن يقال: مستخفَّ بها. لأنه اسم مفعول من فعل لازم.

(٢) في (ش): يهان. بصيغة المضارعة المبني للمجهول. والصواب أن يقول: مهائلن.

(٣) الأعراف: ٢٧.

(٤) الأعراف: ٢٣.

(٥) البقرة: ٣٥.

فالمعنى: الرجوع إلى الله، والاعتراف بالتقصير عن حقوقه، أو بمعنى: أنه حرم الثواب المستحق بفعل الذنب.

قوله - سبحانه -: ﴿فَتَابَ عَلَيْهِ﴾^(١).

أي: قبل توبته، وضمن الثواب، لأن التوبة، غير موجبة لإسقاط العقاب، وإنما يسقط الله - تعالى -^(٢) العقاب - عندها - تفضلاً^(٣).

والتوبة، هي الرجوع، فيجوز أن تقع ممن لا يعهد من نفسه قبيحاً.

وجه حسنها - في هذا الموضع - استحقاق الثواب بها، أو كونها لطفاً.

قوله - سبحانه -: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ

فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^(٤)، وقوله: ﴿أَنْبِئُهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ﴾^(٥).

(١) البقرة: ٣٧.

(٢) (تعالى) ساقطة من (ح).

(٣) في (أ): تفضيلاً.

(٤) البقرة: ٣١.

(٥) البقرة: ٣٣.

الإشارة بهذه^(١) الأسماء إلى جميع الأجناس من العقلاء، وغيرهم. وعليه إجماع المفسرين. ويشهد به قوله: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾.

وقوله: ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ﴾، لا يليق إلا بالمسميات، لأجل الكناية^(٢).

وقال قوم: أَرَادَ أَسْمَاءَ الْمَلَائِكَةِ خَاصَّةً.

وقال آخرون: أَرَادَ أَسْمَاءَ ذُرِّيَّتِهِ.

وقال ابن الاخشيد^(٣): يَحِبُّ أَنْ يَكُونَ عَالِمًا بِسَائِرِ الْأَسْمَاءِ حَتَّى الْقُصْعَةِ وَالْقُصِيعَةِ.

وقال ابن عباس^(٤): لَقَدْ تَكَلَّمَ آدَمُ بِسَبْعَةِ مِائَةٍ / ١١٢ / لُغَةً.

يعني بذلك: حَتَّى مَنَطِقِ الطَّيْرِ، وَالْحَيْتَانِ، وَالذَّوَابِّ.

وقال: في هذه الآيات سُؤَالَاتٌ كَثِيرَةٌ، إِلَّا أَنَّ النُّكْتَةَ فِيهَا، أَنَّ أَصْلَ اللُّغَاتِ، الْمَوَاضِعَةُ، ثُمَّ التَّرْقِيفُ.



(١) في (أ): بهذا.

(٢) في (هـ): الكتابة. بالناء المشاة من فوق والباء الموحدة من تحت بينهما ألف.

(٣) التبيان في تفسير القرآن: ١: ١٣٨.

(٤) الدر المنثور: ١: ١٢٠ - ١٢١ بلفظ مختلف.

فصل [٦-]

[في قصة آدم - ع-]

قَوْلُهُ - تَعَالَى -: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾^(١).

إِنَّ آدَمَ - عَلَيْهِ السَّلَامَ - رَأَى مَكْتُوبًا عَلَى الْعَرْشِ، فَسَأَلَ عَنْهُ، فَقِيلَ لَهُ: هَذِهِ أَسْمَاءُ مُحَمَّدٍ^(٢)، وَعَلِيٍّ، وَفَاطِمَةَ، وَالْحَسَنِ، وَالْحُسَيْنِ - صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ - فَسَأَلَ بِهِمْ رَبَّهُ، وَجَعَلَهُمُ الْوَسِيلَةَ فِي قَبُولِ تَوْبَتِهِ، وَزَفَعَ دَرَجَتِهِ.

وَالكِتَابَةُ تُسَمَّى كَلِمَاتٍ عَلَى ضَرْبٍ مِنَ التَّوَشُّعِ. وَإِذَا كُنَّا قَدْ ذَكَرْنَا أَنَّ آدَمَ رَأَى كِتَابَةً يَتَضَمَّنُ أَنَّهَا قَوْمٌ، فَجَانِزٌ أَنْ يُقَالَ: إِنَّهَا كَلِمَاتٌ تَلَقَّاهَا، وَرَغِبَ إِلَى اللَّهِ^(٣) بِهَا^(٤).

وَيَجُوزُ - أَيْضًا - أَنْ يَكُونَ آدَمُ لَمَّا رَأَى تِلْكَ الْكِتَابَةَ، سَأَلَ عَنْهَا، فَقَالَ اللَّهُ لَهُ:

(١) البقرة: ٣٧. وفي (أ): تَكْمِلَةُ الْآيَةِ: ﴿إِنَّهُ هُوَ النَّوَابُ الرَّجِيمُ﴾.

(٢) (محمد) ساقطة من (هـ).

(٣) في (ح): اللَّهُ تَعَالَى.

(٤) في (ك): بِهَا.

هذه أسماء من أكرمته، وعظّمته، ورَفَعَتْ مَنَزِلَتَهُ، ومن لا أسأل بها إلا أعطيتُ.
وكانت هي الكلمات التي تلقّاها، وانتفع بها.

قوله - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾^(١).

الأمر إنما كان لِقَوْمٍ، ليسوا من نسلِ آدَمَ، بل للجنِّ، وغيرهم^(٢).
وقوله: ﴿خَلَقْنَاكُمْ﴾: لم يُرِدْ بِهِ الإيجادَ، والإحداثَ، وإن كان الخطّابُ
لِبنِي آدَمَ، وإنما أَرَادَ - تعالى - التَّقْدِيرَ.

وعلى هذا حملوا قوله: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾^(٣) يعني أَنَّهُ قَدَرَهَا
وَعَلِمَ كَيْفِيَّتَهَا، وأحوالَهَا. وَقَدْ يَسْبِقُ الْخَلْقُ الْإِيجَادَ وَالْإِحْدَاثَ.

قوله - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ
خَلِيفَةً﴾^(٤).

والخليفة مَنْ قَامَ مَقَامَ الْأَوَّلِ فِي أَمْرِهِ، مِنْ بَعْدِهِ.

(١) الأعراف: ١١.

(٢) في (هـ): وغيره. بإضافته إلى الضمير المفرد الغائب.

(٣) الصافات: ٩٦.

(٤) البقرة: ٣٠.

ولا يُريدُ بمعنى الإبقاء، بعدَ مَنْ مَضَى، قوله: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾^(١) لَأَنَّ هَذَا مَنفِيٌّ عَنْهُ.

سَمَّى آدَمَ خَلِيفَةً، لِأَنَّهُ جَعَلَ آدَمَ، وَذُرِّيَّتَهُ، خُلَفَاءَ الْمَلَائِكَةِ، لِأَنَّ الْمَلَائِكَةَ، كَانُوا مِنْ سُكَّانِ الْأَرْضِ.

وقال ابنُ عَبَّاسٍ^(٢): إِنَّهُ كَانَ فِي الْأَرْضِ الْجِنُّ، فَأَفْسَدُوا فِيهَا، وَسَفَكُوا الدِّمَاءَ، فَأَهْلَكُوا، فَجَعَلَ آدَمَ، وَذُرِّيَّتَهُ بَدَلَهُمْ.

وقال الحسنُ^(٣): أَرَادَ بِذَلِكَ قَوْمًا يَخْلُقُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا مِنْ وَلَدِهِ الَّذِينَ يَخْلُقُونَهُ فِي إِقَامَةِ الْحَقِّ، وَعِمَارَةِ الْأَرْضِ.

وقال ابنُ مَسْعُودٍ^(٤): أَي: مَنْ يَخْلُقُنِي فِي الْحُكْمِ بَيْنَ الْخَلْقِ، وَهُوَ آدَمُ، وَمَنْ قَامَ مَقَامَهُ.

وقيل: إِنَّهُ يَخْلُقُنِي فِي إِبْتَاتِ الزَّرْعِ، وَسَقِّ الْأَنْهَارِ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلِ نَفْسِي وَلَمْ نُحِذِلْهُ

(١) يونس: ١٤.

(٢) جامع البيان: ١: ١٩٩. أيضاً: مجمع البيان: ١: ٧٤. الدر المنثور: ١: ١١١.

(٣) جامع البيان: ١: ٢٠٠ وفيه: «وهذا قول حكيم عن الحسن البصري». أيضاً: مجمع البيان: ١:

٧٤.

(٤) جامع البيان: ١: ٢٠٠.

عَزَمًا^(١).

قال ابن عباس^(٢)، ومجاهد^(٣): مَعَنَاهُ عَهْدَ اللَّهِ [إِلَيْهِ]^(٤) بِأَن أَمَرَهُ بِهِ،
وَوَصَّاهُ.

ونسي: أي: ترك.

وقيل: إِنَّمَا أُخِذَ «الْإِنْسَانُ» مِنْ أَنَّهُ عٰهَدَ إِلَيْهِ، فَنَسِيَ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزَمًا﴾^(٥).

أي: عَقْدًا ثَابِتًا عَلَى الْمَعْصِيَةِ.

وقال قتادة^(٦): صَبْرًا.

وقال عطية^(٧): أي: لَمْ نَجِدْ لَهُ^(٨) حِفْظًا.

(١) طه: ١١٥.

(٢) جامع البيان: ١٦: ٢٢. أيضاً: مجمع البيان: ٤: ٣٣.

(٣) جامع البيان: ١٦: ٢٢. الجامع لأحكام القرآن: ١١: ٢٥١.

(٤) ما بين المعقوفتين ساقطة من (ش).

(٥) طه: ١١٥.

(٦) جامع البيان: ١٦: ٢٢. أيضاً: مجمع البيان: ٤: ٣٢. الجامع لأحكام القرآن: ١١: ٢٥١.

(٧) جامع البيان: ١٦: ٢٢. أيضاً: مجمع البيان: ٤: ٣٢. الجامع لأحكام القرآن: ١١: ٢٥١.

(٨) العبارة: (أي لم نجد له) ساقطة من (ح).

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿ فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيهَا آتَاهُمَا ﴾^(١).

غَيْرُ رَاجِعَةٍ إِلَى آدَمَ، وَحَوَّاءَ، بَلْ إِلَى الذُّكُورِ، وَالْإِنَاثِ مِنْ أَوْلَادِهِمَا، أَوْ إِلَى جَنَسَيْنِ، يَمُنُّ إِشْتِرَاكَ مِنْ نَسْلِهِمَا، وَإِنْ كَانَتِ الْكِتَابَةُ الْأُولَى، تَتَعَلَّقُ بِهِمَا، وَيَكُونُ تَقْدِيرُ الْكَلَامِ: فَلَمَّا آتَاهُمَا الْوَلَدَ الصَّالِحَ الَّذِي تَمَيَّاهُ^(٢). جَعَلَ شِرْكَ أَوْلَادِهِمَا إِلَى غَيْرِ اللَّهِ^(٣).

يُؤَيِّدُ ذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿ فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾^(٤)، وَيَدُلُّ - أَيْضًا - عَلَى ذَلِكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ ﴾^(٥).

ثُمَّ أَنَّ الْكِتَابَةَ^(٦) - فِي جَمِيعِهَا - مُتَعَلِّقَةٌ بِآدَمَ، وَحَوَّاءَ، وَيُجْعَلُ «هَآ» فِي: ﴿ تَغَشَّاهَا ﴾^(٧)، وَالْكِتَابَةُ فِي: ﴿ اللَّهُ رَبُّهُمَا ﴾^(٨)، وَ﴿ آتَاهُمَا صَالِحًا ﴾^(٩)، رَاجِعَتَيْنِ إِلَى مَنْ أَشْرَكَ.

(١) الأعراف: ١٩٠.

(٢) فِي (أ): تَمَيَّأَ. مِنْ دُونَ الضَّمِيرِ (هَاءِ).

(٣) فِي (ح): اللَّهُ تَعَالَى.

(٤) الأعراف: ١٩٠.

(٥) الأعراف: ١٨٩.

(٦) فِي (هـ): الْكِتَابَةُ. بِنَاءُ مِثْلَةِ مَنْ فَوْقَ وَبَاءَ مُوَحَّدَةٌ مِنْ تَحْتِ بَيْنِهَا أَلِفٌ.

(٧) الأعراف: ١٨٩.

(٨) الأعراف: ١٨٩.

(٩) الأعراف: ١٩٠.

وَلَمْ يَتَعَلَّقْ بِآدَمَ مِنَ الْخِطَابِ إِلَّا قَوْلُهُ: ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾^(١). ثُمَّ خَصَّ مِنْهَا بَعْضَهُمْ^(٢)، لِقَوْلِهِ^(٣): ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالسَّبْحِ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرَّتِ عَنْهُم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾^(٤).

و«الهاء» في قوله: ﴿جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ﴾^(٥) راجعة إلى الولد لا إلى الله - تعالى -^(٦). وَيَكُونُ الْمَعْنَى: إِنَّهُمَا طَلَبَا^(٧) مِنْ اللَّهِ أَمْثَالًا لِلْوَلَدِ الصَّالِحِ، فَأَشْرَكَائِيْنَ الطَّلَبِ اثْنَيْنِ، كَقَوْلِكَ: طَلَبْتُ^(٨) مِنْي دِرْهَمًا، فَلَمَّا أُعْطِيَتْهُ، شَرِكْتُهُ بِآخَرٍ. أَيْ: طَلَبْتُ آخَرَ مُضَافًا إِلَيْهِ، وَتَكُونُ الْكِتَابَاتُ^(٩)، رَاجِعَةً إِلَى آدَمَ.

وَقِيلَ: ﴿فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا﴾^(١٠) مُضَافًا إِلَى الْوَجْهِ الْمُقَدَّمِ، الَّذِي هُوَ: أَرَادَ بِالصَّالِحِ: الْاسْتِوَاءَ فِي الْخِلْقَةِ، وَالْاعْتِدَالَ فِي الْأَعْضَاءِ.

(١) الأعراف: ١٨٩.

(٢) في (أ): بعضكم.

(٣) في النسخ جميعها: كقوله. وما أثبتناه هو الموافق للصواب.

(٤) يونس: ٢٢.

(٥) الأعراف: ١٩٠.

(٦) (تعالى) ساقطة من (هـ).

(٧) في (ج): طلبا له.

(٨) في (هـ): طلب. من دون تاء المخاطب.

(٩) في (هـ): الكناية. بصيغة المفرد.

(١٠) الأعراف: ١٩٠.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿لَئِنْ بَسَطْتُ إِلَيْكَ يَدَكَ لَيَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدَيَّ إِلَيْكَ
لَأَقْتُلَنَّكَ﴾^(١).

إِنَّ «عَابِلًا»، لَمْ يُرِدْ مِنْ أُخِيهِ قَيْحًا، وَلَا أَرَادَ أَنْ يَقْتُلَهُ، وَإِنَّمَا أَرَادَ: ﴿إِنِّي
أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ﴾^(٢) بِجَزَاءٍ مَا أَقْدَمْتَ عَلَيْهِ مِنَ الْقَبِيحِ، وَعِقَابِهِ^(٣).

وقوله: ﴿بِإِثْمِي﴾^(٤) أي: عُقُوبَةٍ إِثْمِي، الَّذِي هُوَ قَتْلِي، كَقَوْلِ الْقَائِلِ
لِلْمُجْرِمِ: هَذَا مَا كَسَبْتَ يَدَاكَ. والمعنى: هَذَا جَزَاءُ مَا كَسَبْتَ يَدَاكَ. وَقَوْلُهُمْ:
لَقَالَهُ اللَّهُ عَمَلُكَ، وَسَتَلْقَى عَمَلُكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. المعنى: جَزَاءُ عَمَلِكَ.

﴿بِإِثْمِي﴾: عِقَابُ قَتْلِكَ لِي. ﴿وَإِثْمُكَ﴾^(٥): أي: عِقَابِ الْمَعْصِيَةِ، الَّتِي
أَقْدَمْتَ عَلَيْهَا مِنْ قَبْلُ، فَلَمْ يُتَقَبَّلْ قُرْبَانُكَ لِسَبِّهَا.

أي: أُرِيدُ: زَوَالَ^(٦) أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي، وَإِثْمُكَ. لِأَنَّهُ لَمْ يُرِدْ لَهُ إِلَّا الرُّشْدَ،
وَالْحَقِيرَ.

فَحَذَفَ «الرَّوَالَ»، وَأَقَامَ «أَنْ» وَمَا اتَّصَلَ بِهِ مُقَامَهُ، كَقَوْلِهِ: ﴿وَأُشْرِبُوا فِي

(١) المائدة: ٢٨.

(٢) المائدة: ٢٩.

(٣) في (أ): عقابيد. وهو تحريف.

(٤) المائدة: ٢٩.

(٥) المائدة: ٢٩.

(٦) في (ك) و(أ): زوالي.

قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ»^(١). أَرَادَ: حُبَّ الْعِجْلِ، فَحَذَفَ «الْحُبَّ»، وَأَقَامَ «الْعِجْلَ» مَقَامَهُ، كَقَوْلِهِ: ﴿وَسَنَلِ الْقَرْيَةَ»^(٢).

﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ»^(٣). أَي: أُرِيدُ أَلَّا تَقْتُلَنِي، وَلَا تَبُوءَ بِإِثْمِي. فَحَذَفَ «لَا»، وَاکْتَفَى بِمَا فِي الْكَلَامِ، كَمَا قَالَ: ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ أَنْ تَضِلُّوا»^(٤). مَعْنَاهُ: لِئَلَّا تَضِلُّوا. كَقَوْلِهِ: ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَايَ أَنْ تَحِيدَ بِكُمْ»^(٥). مَعْنَاهُ: لِئَلَّا تَحِيدَ بِكُمْ. خَنْسَاءٌ»^(٦).

فَأَنسَنُتُ آسَى عَلَى هَالِكٍ وَأَسْأَلُ نَاعَةَ مَا لَهَا
أَرَادَتْ: لَا آسَى»^(٧).



(١) البقرة: ٩٣.

(٢) يوسف: ٨٢.

(٣) المائدة: ٢٩.

(٤) النساء: ١٧٦.

(٥) النحل: ١٥.

(٦) ديوان الخنساء بشرح ثعلب: ٨٠. وفيه: «يَذُ الدَّغْرِ آسَى...» وفيه إشارة إلى الرواية المطابقة لرواية كتابنا هذا.

(٧) ديوان الخنساء بشرح ثعلب: ٨١.

فصل [-٧-]

[في قصة ادريس وعيسى ونوح - ع -]

قَوْلُهُ - تَعَالَى -: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾^(١).

إِسْتَدَلَّ بَعْضُهُمْ فِي رَفْعِ إِدْرِيسَ - عَلَيْهِ السَّلَام - بِهَذِهِ الْآيَةِ، وَفِي [رَفْعِ]^(٢) عِيسَى - عَلَيْهِ السَّلَام - بِقَوْلِهِ: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾^(٣) وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِذَلِكَ.

إِلَّا أَنَّهُ لَا يُقَالُ^(٤): رَفَعْتُ فُلَانًا السَّطْحَ. أَوْ: رَفَعْتُهُ مَكَانًا عَالِيًّا. وَإِنَّمَا يُقَالُ: رَفَعْتُهُ إِلَى السَّطْحِ، وَإِلَى مَكَانٍ عَالٍ.

وَلِأَنَّ رَفْعَ الشَّيْءِ إِلَى الْعُلُوِّ، لَيْسَ بِمَدْحٍ، وَلَا شَرَفٍ. وَلَوْ كَانَ كَذَلِكَ لَكَانَ مَنْ عَلَا جَبَلًا، أَرْفَعَ حَالًا مِمَّنْ هُوَ فِي الْحَضِيضِ.

وَإِنَّمَا الْمُرَادُ^(٥) بِهِ الْمَوْتُ، لِقَوْلِهِمْ فِي وَفَاةِ الرَّجُلِ: دَعَاهُ اللَّهُ فَأَجَابَهُ.

(١) مريم: ٥٧.

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (ش).

(٣) النساء: ١٥٧، ١٥٨.

(٤) في (هـ): يقول. بصيغة المبني للمعلوم.

(٥) في (هـ): أَرَادَ.

فَقَضَى^(١) نَحْبَهُ. رَفَعَهُ^(٢) اللَّهُ إِلَيْهِ.

يَذُلُّ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾^(٣)، وَقَدْ جَمَعَ بَيْنَ اللَّفْظَيْنِ، كَقَوْلِهِ: ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رُؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾^(٤).

قَالَ الْمُرتَضَى: مَعْنَاهُ أَنَّهُ تَوَفَّاهُ فِي الْأَرْضِ^(٥)، ثُمَّ رَفَعَهُ إِلَى السَّمَاءِ، وَقَالُوا: إِنَّهُ مِنَ الْمَقْدَمِ، وَالْمُؤَخَّرِ. وَالْمَعْنَى: رَافِعُكَ إِلَى السَّمَاءِ، ثُمَّ أَتَوَفَّاكَ بَعْدَ ذَلِكَ. يَعْنِي عِيسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ -.

وَكَانَ الْجَبَّائِي^(٦) يَسْتَدِلُّ بِقَوْلِهِ - حِكَايَةً عَنْ عِيسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ -^(٧):
﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾^(٨).
أَنَّ^(٩) فِيهَا دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّهُ - تَعَالَى - أَمَاتَ عِيسَى، وَتَوَفَّاهُ إِلَيْهِ عِنْدَ مَا رَفَعَهُ إِلَيْهِ، لِأَنَّهُ يَبَيِّنُ أَنَّهُ كَانَ شَهِيداً عَلَيْهِمْ مَا دَامَ فِيهِمْ، فَلَمَّا تَوَفَّاهُ اللَّهُ، كَانَ اللَّهُ، هُوَ الرَّقِيبَ

(١) فِي (ح): وَقَضَى. مَعَ الْوَاوِ.

(٢) فِي (ح): وَرَفَعَهُ. مَعَ الْوَاوِ.

(٣) آل عمران: ٥٥.

(٤) التوبة: ١٢٨.

(٥) فِي (ش): أَرْضِ.

(٦) جَمَعَ الْبَيَانُ: ٢: ٢٦٩. أَيْضاً الْبَيَانُ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ: ٤: ٦٩.

(٧) (عَلَيْهِ السَّلَامُ) سَاقِطَةٌ مِنْ (ح).

(٨) الْمَالَئَةُ: ١١٧.

(٩) فِي (ح): فَإِنَّ. مَعَ الْفَاءِ.

الشَّهِيدَ عَلَيْهِمْ.

وأجابه الطُّوسِيُّ^(١): إِنَّ الَّذِي ذَكَرَهُ، لَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ أَمَاتُهُ، لِأَنَّ «التَّوْفِيَّ»^(٢) هُوَ الْقَبْضُ إِلَيْهِ، وَلَا يُسْتَفَادُ مِنْهُ الْمَوْتُ إِلَّا بِشَاهِدِ الْحَالِ، وَلِذَلِكَ قَالَ: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾^(٣). فَنَفْسُ «التَّوْفِيَّ» لَا يُفِيدُ الْمَوْتَ بِحَالٍ، وَالصَّحِيحُ - فِي مَوْتِهِ - مَا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ.

قَوْلُهُ - مُبْنَحَانُهُ - فِي قِصَّةِ نُوحٍ - عَلَيْهِ السَّلَامُ -: ﴿إِنْ أُنْبِئِي مِنْ أَهْلِي وَإِنْ وَعْدَكَ الْحَقُّ﴾^(٤).

الْجَمْعُ بَيْنَهُ، وَبَيَّنَ قَوْلُهُ: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾^(٥) لَمْ يَتَنَاوَلَ نَفْسِي النَّسَبِ، وَإِنَّمَا نَعَى أَنْ يَكُونَ مِنْ أَهْلِهِ الَّذِينَ كَانَ وَعْدُهُ بِنَجَاتِهِمْ، كَقَوْلِهِ: ﴿أَحْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ...﴾^(٦) الْآيَةُ^(٧).
يُوضِحُهُ قَوْلُهُ: ﴿وَإِنْ وَعْدَكَ الْحَقُّ﴾^(٨).

(١) التبيين في تفسير القرآن: ٤: ٦٩ - ٧٠.

(٢) في (ك) و(أ): التَّوْفِيَّ التَّوْفِي. وهو تحريف.

(٣) الزمر: ٤٢.

(٤) هود: ٤٥.

(٥) هود: ٤٦. والعبارة في (ح): الْجَمْعُ بَيْنَ (إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ وَبَيْنَهُ أَنَّهُ لَمْ يَتَنَاوَلَ...

(٦) هود: ٤٠.

(٧) هود: ٤٥.

وَقَوْلُ آخَرُ: ﴿لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾^(١) أَي: عَلَى دِينِكَ. كَمَا قَالَ النَّبِيُّ - عَلَيْهِ السَّلَام -^(٢): سَلَامٌ مِنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ^(٣).

يَذُلُّ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ عَلَى سَبِيلِ التَّعْلِيلِ: ﴿إِنَّهُ عَمَلٌ خَيْرٌ صَالِحٍ﴾^(٤). وَيُقَالُ: إِنَّهُ قَالَ^(٥) - عَلَى الظَّاهِرِ -: «إِنَّهُ ابْنِي». وَإِنَّمَا كَانَ وَلَدَ عَلَى فِرَاشِهِ^(٦)، وَاللَّهُ - تَعَالَى - أَطْلَعَ نَبِيَّهُ عَلَى خِيَانَةِ إِمْرَأَتِهِ. ذَكَرَهُ الْحَسَنُ^(٧)، وَمُجَاهِدُ^(٨)، وَابْنُ جُرَيْجٍ^(٩). وَهَذَا سَقِيمٌ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿فَلَا تَسْتَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾^(١٠). ثُمَّ قَالَ نُوحٌ: ﴿رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ

(١) هود: ٤٦.

(٢) في (أ): صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

(٣) عيون أخبار الرضا: ٢: ٦٤ بلفظه. أمالي الصدوق: ٢٢٤. باختلاف في اللفظ يسير.

(٤) هود: ٤٦.

(٥) (قال) ساقطة من (أ).

(٦) في (أ): من أشه. وهو تحريف.

(٧) جامع البيان: ١٢: ٤٩ - ٥٠. أيضاً: مجمع البيان: ٣: ١٦٧. الجامع لأحكام القرآن: ٩: ٤٦.

(٨) جامع البيان: ١٢: ٥٠. أيضاً: مجمع البيان: ٣: ١٦٧. الجامع لأحكام القرآن: ٩: ٤٦.

(٩) جامع البيان: ١٢: ٥٠. الجامع لأحكام القرآن: ٩: ٤٦.

(١٠) هود: ٤٦.

وَلَا تَغْفِرْ لِي وَتَرْخِمْني أَكْثَرُ مِنَ الْخَاسِرِينَ^(١). وَلَيْسَ بِمُتَمَتِّعٍ أَنْ يَكُونَ نَهَى عَنْ سُؤَالٍ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ، وَيَتَعَوَّدُ^(٢) مِنْهُ، وَإِنْ لَمْ يَقَعْ مِنْهُ، كَمَا قَالَ: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾^(٣). وَلَا سَكَّ فِي أَنْ وَعْظُهُ، هُوَ الصَّارِفُ عَنِ الْجَهْلِ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ﴾^(٤).

مَعَ وَقُوعِ هَذَا النُّصْحِ اسْتِظْهَارًا فِي الْحُجَّةِ، لِأَنَّهُمْ ذَهَبُوا إِلَى أَنَّهُ لَيْسَ بِنُصْحٍ، فَقَالُوا: لَوْ كَانَ نُصْحًا مَا نَفَعَ مَنْ لَا يَقْبَلُهُ. وَكَانَ نُصْحُ نُوحٍ لِقَوْمِهِ، إِعْلَامُهُمْ مَوْضِعَ الْغَيِّ، لِيَتَّقُوهُ، وَمَوْضِعَ الرُّشْدِ، لِيَتَّبِعُوهُ.

وَقَالَ الْبَلْخِيُّ^(٥): إِنْ قَوْمُ نُوحٍ، كَانُوا جَرِيَّةً، وَلَوْ لَا ذَلِكَ لَغَيَّرَهُ، فَقَالَ نُوحٌ - عَلَى وَجْهِ الْإِنْكَارِ عَلَيْهِمْ، وَالتَّعَجُّبِ مِنْ قَوْلِهِمْ -: إِنْ نُصْحِي لَا يَنْفَعُكُمْ، إِنْ كَانَ الْقَوْلُ كَمَا تَعْتَقِدُونَهُ: إِنْ الْمَعَاصِي يُرِيدُهَا اللَّهُ - تَعَالَى -.

(١) هود: ٤٧.

(٢) في (أ): يتَعَوَّد. بالبدال المهملة.

(٣) الزُّمَر: ٦٥.

(٤) هود: ٣٤.

(٥) قول البلخي هذا منسوب في مجمع البيان: ٣: ١٥٨ إلى جعفر بن حرب أحد شيوخ المعتزلة.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾^(١).

أي: نَذُمُكُمْ عَلَى سَخَرِيَّتِكُمْ. أَطْلَقَ عَلَيْهِمْ لَفْظَ^(٢) «السُّخْرِيَّة» عَلَى وَجْهِ
الازْدِوَاجِ، كَمَا قَالَ: ﴿سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ﴾^(٣).

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿قَالَ رَبِّ / ١١٤ / إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا فَلَمْ
يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا﴾^(٤).

أي: لَمْ يَزِدْ دُأُوا بِدُعَائِي إِلَّا فِرَارًا مِنْ قَبُولِهِ، وَبَعْدَ اسْتِمَاعِهِ.

وإِنَّمَا سَمِيَ كَفَرَهُمْ - عِنْدَ دُعَائِهِ - زِيَادَةً فِي الْكُفْرِ، لِأَنَّهُمْ عَلَى كُفْرٍ^(٥) بِاللَّهِ،
وَضَلَالٍ عَنِ حَقِّهِ، فَلَمَّا دَعَاهُمْ نُوحٌ إِلَى الْحَقِّ، وَلَمْ^(٦) يَقْبَلُوهُ، كَانَ زِيَادَةً فِي الْكُفْرِ.

وَقِيلَ: إِنَّمَا جَازَ أَنْ يَكُونَ الدُّعَاءُ إِلَى الْحَقِّ، يَزِيدُ النَّاسَ فِرَارًا مِنْهُ، الْجَهْلَ
الْغَالِبَ عَلَى النَّفْسِ، فَتَارَةً تَدْعُوهُ^(٧) إِلَى الْفِرَارِ مِمَّا يُنَافِرُهُ، وَتَارَةً يَدْعُو إِلَى الْفَسَادِ

(١) هود: ٣٨.

(٢) في (ح): اسم السخرية.

(٣) التوبة: ٧٩.

(٤) نوح: ٥، ٦.

(٥) في (ش) و(هـ) و(أ): كفرهم. مَعَ الضمير (هم).

(٦) في (ش): فلم. مَعَ الفاء.

(٧) في (أ): تدعوا. من دون الضمير (الهاء).

الَّذِي يُشَاقِكُهُ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا...﴾^(١) إلى قوله: ﴿...كَفَّارًا﴾^(٢).
وَلَمْ يَكُنْ نُوحٌ يَعْلَمُ الْغَيْبَ.

قال قتادة^(٣): مَا دَعَا عَلَيْهِمْ إِلَّا بَعْدَ أَنْ أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ^(٤): ﴿أَنْتَ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ﴾^(٥) فَلِذَلِكَ قَالَ: ﴿إِنَّكَ إِنْ تَذَرُهُمْ﴾^(٦)، يعني: إِنْ تَرَكْتَهُمْ، وَلَا تُهْلِكُهُمْ ﴿يُفْسِدُوا عِبَادَكَ﴾^(٧) عَنِ الدِّينِ، بِالْإِغْوَاءِ [عَنْهُ، وَالِدُّعَاءِ إِلَى]^(٨) خِلَافِهِ ﴿وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾^(٩).

(١) نوح: ٢٦.

(٢) نوح: ٢٧.

(٣) جامع البيان: ٢٩: ١٠١. أيضاً: مجمع البيان: ٥: ٢٦٥. الدر المنثور: ٨: ٢٩٥. الجامع لأحكام القرآن: ١٨: ٣١٢.

(٤) في (ش) و(ك): عليهم. وهي مشطوبة في (أ).

(٥) هود: ٣٦.

(٦) نوح: ٢٧.

(٧) نوح: ٢٧.

(٨) ما بين المعقوفتين ساقط من (ش).

(٩) نوح: ٢٧.

[إنها] ^(١) قَالَ ذَلِكَ بَعْدَ أَنْ جَازَ تَسْمِيَتُهُمْ بِالْكَفْرِ، وَالْفُجُورِ، لَوَجْهِ الْحِكَايَةِ،
وَالِإِخْبَارِ بِمَا ^(٢) يَكُونُ مِنْهُمْ عَلَى مَا أَوْحَى إِلَيْهِ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَلَا تُخَاطِبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ﴾ ^(٣).
نَبَأُهُ ^(٤) أَنْ يُخَاطِبُهُ، وَيَسْأَلُهُ فِي أَمْرِهِمْ، لِأَنَّهُ حَكَمَ بِإِهْلَاكِهِمْ، وَأَخْبَرَ أَنَّهُ
سَيُغْرِقُهُمْ، وَلَا يَكُونُ الْأَمْرُ عَلَى مَا أَخْبَرَ بِهِ. وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَدْعُوَ بِمَا يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا
يَكُونُ، وَلَا أَنْ يَرْضَى بِاخْتِيَارِهِ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا﴾ ^(٥).
قَالَ الطُّوسِي ^(٦): إِنَّمَا دَعَاهُ إِلَى الرُّكُوبِ مَعَ أَنَّ اللَّهَ - تَعَالَى - نَبَأُهُ ^(٧) أَنْ يَرْكَبَ

(١) ما بين المعرفتين ساقط من (ش).

(٢) في (ش) و(أ): قِئًا.

(٣) هود: ٣٧.

(٤) في (ش): تَهَيَّ. من دون الضمير (الهاء).

(٥) هود: ٤٢.

(٦) التبيان في تفسير القرآن: ٥: ٤٩١.

(٧) في (أ): بها. وهو تحريف.

فِيهَا كَافِرٌ، بِشَرَطِ أَنْ يُؤْمِنَ.

وَقَالَ الْجُبَّائِيُّ^(١)، وَالْحَسَنُ^(٢): إِنَّهُ كَانَ يُتَنَفَّقُ بِإِظْهَارِ الْإِيمَانِ.



(١) التبيان في تفسير القرآن: ٥ : ٤٩١ .

(٢) مجمع البيان: ٣ : ١٦٤ . أيضاً: التبيان في تفسير القرآن: ٥ : ٤٩١ . الجامع لأحكام القرآن: ٧ :

فصل [- ٨ -]

[في قصة إبراهيم - ع -]

قَوْلُهُ - تَعَالَى - فِي قِصَّةِ إِبْرَاهِيمَ - عَلَيْهِ السَّلَامَ -: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا﴾^(١).

أي: الزُّهْرَةَ.

﴿قَالَ هَذَا رَبِّي﴾^(٢) عَلَى وَجْهِ الاسْتِخْبَارِ، وَكَذَلِكَ فِي الشَّمْسِ: وَالْقَمَرِ، لِأَنَّهُ وَجَدَ قَوْمَهُ يَعْبُدُونَهَا. فَلَمَّا رَأَى أَفْوَهًا قَطَعَ عَلَى خُدُوثِهَا، فَقَالَ: ﴿إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾^(٣) مِنْ بَطْلَانِ دِينِهِمْ.

وإِنَّمَا قَالَ: ﴿هَذَا رَبِّي﴾ فَارِضًا، وَمُقَدَّرًا عَلَى سَبِيلِ الْكُفْرِ، لَا خُبْرًا، وَأَنَّهُ أَخْبَرَ عَنْ ظَنِّهِ، كَمَا يَظُنُّ الْمُتَأَمِّلُ فِي حَالِ نَظَرِهِ ذَكَرَ مَا لَا أَصْلَ لَهُ، ثُمَّ يَرْجِعُ عَنْهُ بِالْأَدِلَّةِ، وَلَا يَكُونُ ذَلِكَ مِنْهُ قَبِيحًا.

(١) الأنعام: ٧٦.

(٢) الأنعام: ٧٦.

(٣) الإنعام: ٧٨.

وَلَمَّا قَالَ عَلَىٰ سَبِيلِ الْإِنكَارِ عَلَىٰ قَوْمِهِ، وَالتَّنْبِيهِ لَهُمْ، فَقَوْلُهُ: ﴿هَذَا رَبِّي﴾.
 أي: هُوَ كَذَلِكَ عِنْدَكُمْ. كَمَا تَقُولُ لِلْمُشَبَّهَةِ: هَذَا رَبُّهُ جِسْمٌ يَتَحَرَّكُ، وَيَسْكُنُ.
 ﴿هَذَا رَبِّي﴾: قَالَ ذَلِكَ مُسْتَفْهِمًا، وَأَسْقَطَ حَرْفَ الِاسْتِفْهَامِ. قَالَ
 الْأَخْطَلُ^(١):

كَذَّبْتَكَ عَيْنُكَ أَمْ رَأَيْتَ بِوَأَيْسَرٍ غَلَسَ الظَّلَامُ مِنَ الرَّيَابِ خِيَالًا
 قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ^(٢): ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ﴾^(٣) هُوَ: أَفَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ؟

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِسْرَاهِيمُ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ
 كَبِيرُهُمْ﴾^(٤).

هَذَا الْحَبْرُ مَشْرُوطٌ، غَيْرُ مُطْلَقٍ، لِقَوْلِهِ: ﴿إِنْ كَانُوا يَنْظِقُونَ﴾^(٥)، وَالنُّطْقُ،
 مُسْتَحِيلٌ عَلَى الْأَصْنَامِ، فَمَا عُلِّقَ بِهَذَا الْمُسْتَحِيلِ مِنَ الْفِعْلِ - أَيْضًا - [فَهُوَ]^(٦)

(١) شرح ديوان الأخطل التَّغْلَبِي: ٣٨٥.

(٢) قول ابن عباس هذا مروي في جامع البيان: ٣٠: ٢٠٢ عن ابن زيد، وكذا في الدر المنثور: ٨:

٥٢٣. وهو في مجمع البيان: ٥: ٤٩٤ مروي عن ابن زيد والجبائي وأبي مسلم. وفي الجامع

لأحكام القرآن: ٢٠: ٦٦ عن ابن زيد وجماعة من المفسرين.

(٣) البلد: ١١.

(٤) الأنبياء: ٦٢، ٦٣.

(٥) الأنبياء: ٦٣.

(٦) ما بين المعقوفتين زيادة من (هـ).

مُسْتَحِيلٌ.

﴿فَسْتَلَوْهُمْ﴾^(١): إِنَّمَا هُوَ أَمْرٌ يُسْأَلُهُمْ عَلَى شَرَطٍ، وَالتَّنَطُّقُ مِنْهُمْ شَرَطٌ فِي الْأَمْرَيْنِ. فَكَأَنَّهُ قَالَ: إِنْ كَانُوا يَنْطَقُونَ، فَاسْأَلُوهُمْ. فَإِنَّهُ لَا يَمْتَنِعُ أَنْ يَكُونَ فَعَلُهُ كَبِيرُهُمْ. كَقَوْلِ الْقَائِلِ لِغَيْرِهِ: مَنْ فَعَلَ هَذَا الْفِعْلَ؟ فَيَقُولُ: زَيْدٌ إِنْ كَانَ فَعَلَ كَذَا، وَكَذَا. يُضِيفُهُ إِلَى زَيْدٍ مِنْ غَيْرِ حَقِيقَةٍ، وَيَكُونُ عَرَضُ^(٢) الْمَسْئُولِ نَفْسِي الْأَمْرَيْنِ عَنْ زَيْدٍ، وَتَنْبِيَةِ السَّائِلِ عَلَى خَطِئَتِهِ فِي إِضَافَةِ مَا أَضَافَهُ^(٣) إِلَى زَيْدٍ. وَقَرَأَ بَعْضُهُمْ^(٤): فَعَلَهُ^(٥). أَي: فَلَعَلَّهُ.

شَاعِرٌ^(٦):

يَا أَبَا عَلَّكَ أَوْ عَاكََا

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿فَتَنَظَّرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾^(٧).

(١) الأنبياء: ٦٣.

(٢) في (أ): عرض. بالعين المهملة.

(٣) في (أ): أضاف. من دون الضمير (هاء).

(٤) (بعضهم) تكررت في (هـ).

(٥) تنزيه الأنبياء: ٢٦ وقد نسب هذه القراءة إلى محمد بن علي السهفي البجلي. وفي الجامع لأحكام

القرآن: ١١: ٣٠٠ منسوبة إلى ابن السميع.

(٦) هو رؤية بن العجاج. انظر ديوان رؤية بن العجاج: ١٨١.

(٧) الصافات: ٨٨، ٨٩.

يَحْتَمِلُ أَنَّهُ شَخْصٌ يَبْصُرُهُ إِلَى السَّمَاءِ، أَوْ إِلَى الْأَرْضِ - لِأَنَّ النُّجُومَ، تَكُونُ
الْكواكِبَ، وَالنَّبَاتَ - كَالْمُفَكَّرِ، الْمُتأملِ.

وَقِيلَ: أَي: نَظَرَ، وَفَكَّرَ^(١).

ثُمَّ أَنَّهُ قَالَ: ﴿فِي النُّجُومِ﴾ وَلَمْ يَقُلْ: فِي عِلْمِ النُّجُومِ

وَقِيلَ: أَرَادَ مَا نَجَمَ مِنْ رَأْيِهِ.

وَقِيلَ: أَرَادَ الشَّمْسَ، وَالْقَمَرَ، لَمَّا ظَنَّ أَنَّهَا إِلَهَةٌ فِي حَالِ مُهَلَّةِ النَّظَرِ، ثُمَّ لَمَّا
عَلِمَ حَدُوثَهُ بِالذَّلَالَةِ. قَالَ: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ أَي: لَسْتُ عَلَى يَقِينٍ مِنَ^(٢) الْأَمْرِ. وَهَذَا
كَلَامٌ ضَعِيفٌ.

وَقَوْلُهُ: ﴿سَقِيمٌ﴾ يَحْتَمِلُ أَنَّهُ كَانَتْ بِهِ عِلَّةٌ تَأْتِيهِ فِي أَوْقَاتٍ مَحْصُوصَةٍ، فَلَمَّا
دَعَا إِلَى الْخُرُوجِ مَعَهُمْ. نَظَرَ إِلَى النُّجُومِ، فَقَالَ: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ أَي: مُشَارِفٌ. كَمَا
يُقَالُ: هُوَ مَيِّتٌ. أَي: مُشَارِفٌ. قَالَ اللَّهُ - تَعَالَى -: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾^(٣).

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ - تَعَالَى -^(٤) أَوْحَى إِلَيْهِ أَنَّهُ سَيَمْتَحِنُهُ بِالْمَرَضِ فِي وَقْتٍ
مُسْتَقْبَلٍ، وَجَعَلَ لَهُ بِالنُّجُومِ، فَلَمَّا وَجَدَهَا فِي النُّجُومِ، قَالَ: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ تَصْدِيقًا
لِللَّوْحِيِّ.

(١) فِي (أ): فَكَّرَهُمْ. مَعَ الضَّمِيرِ (هَمْ).

(٢) (يَمْ): سَاقِطَةٌ مِنْ (ح).

(٣) الزَّمَر: ٣٠.

(٤) (تَعَالَى) سَاقِطَةٌ مِنْ (ح).

وَيُقَالُ: إِنَّ مَنْ كَانَ آخِرَهُ الْمَوْتُ، فَهُوَ / ١١٥ / سَقِيمٌ.

وَيُقَالُ: إِنِّي ^(١) سَقِيمُ الْقَلْبِ، وَالرَّأْيِ ^(٢) مِنْ كُفْرِ الْقَوْمِ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ ^(٣).

«مَنْ» ^(٤) بِمَعْنَى: «مَا»، كَأَنَّهُ قَالَ: مَا فِي النَّارِ. أَي: بُورِكَ النَّارُ. مِثْلُ قَوْلِهِ:

﴿فَمَنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ﴾ ^(٥)، وَقَوْلُهُ: ﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَنْ لَسْتُمْ

لَهُ بِرَازِقِينَ﴾ ^(٦). أَي: الْبَهَائِمَ.

وَمَعْنَى آخَرُ: إِنَّهُ عَنِ ^(٧) الدُّنُوِّ. يُقَالُ: وَرَدْنَا بَلَدًا كَذَا. وَلَمْ نَدْخُلْهَا. [وَقَدْ

صَارَ فُلَانٌ فِي الْمَاءِ] ^(٨)، وَقَدْ صَارَ فِي النَّارِ. أَي: قَرُبَ.

(١) فِي (أ): أَيْنَ. وَهُوَ تَحْرِيفٌ.

(٢) فِي (أ): أَوِ الرَّأْيِ.

(٣) التَّمْلُ: ٨.

(٤) الْجَامِعُ لِأَحْكَامِ الْقُرْآنِ: ١٣: ١٥٩.

(٥) النُّورُ: ٤٥.

(٦) الْحَجَرُ: ٢٠.

(٧) فِي (هـ): أَغْنَى. بِالْهَمْزَةِ بَعْدَهَا غَيْنٌ مَعْجَمَةٌ.

(٨) مَا بَيْنَ الْمُعْقُوفَيْنِ سَاقِطٌ مِنْ (ش).

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ خَنِيذٍ فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ
إِلَيْهِ نَكِرَ هُمْ﴾^(١).

العَقْلُ لَمْ يَكُنْ مَانِعًا مِنْ أَكْلِ الْمَلَانِكَةِ الطَّعَامَ، وَإِنَّمَا عَلِمَ ذَلِكَ بِالْإِجْمَاعِ، وَ
إِلَّا كَانَ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ قَدَّمَ إِلَيْهِمُ الطَّعَامَ، وَمَعَ عِلْمِهِ بِأَنَّهُمْ مَلَانِكَةٌ. وَيَجُوزُ أَنْ
يَأْكُلُوهُ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾^(٢).
وَصَفَ دِينَ النَّبِيِّ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - بِأَنَّهُ مِلَّةُ إِبْرَاهِيمَ تَرْغِييًّا فِيهِ لِلْعَرَبِ
لِجَلَالَةِ إِبْرَاهِيمَ فِي نَفْسِهِمْ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾^(٣).
عَبَّرَ قَوْمَهُ بِعِبَادَةِ الْأَصْنَامِ، وَإِنَّمَا أَرَادَ الْمَنْحُوتَ دُونَ عَمَلِهِمْ، لِأَنَّهُمْ إِنَّمَا
كَانُوا يَعْبُدُونَ الْأَصْنَامَ، وَلَمْ يَكُونُوا يَعْبُدُونَ النَّحْتِ الَّذِي هُوَ فِعْلُهُمْ. وَقَدْ

(١) هود: ٦٩، ٧٠.

(٢) الأنعام: ١٦١.

(٣) الصافات: ٩٥، ٩٦.

شَرَحْنَاهُ فِي بَابِ الْعَدْلِ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ - : ﴿الَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ...﴾ الْآيَةُ^(١).

لَيْسَ إِنْتِقَالُ إِبْرَاهِيمَ مِنْ حُجَّةٍ إِلَى حُجَّةٍ، لِعَجْزِهِ، وَإِنَّمَا عَدَلَ عَنْ ذَلِكَ لِكَيْلَا يَلْتَبَسَ عَلَى الْحَاضِرِينَ، وَلَمْ تَقَوَّ الشُّبْهَةُ.

وَيُقَالُ: إِنَّهُ دَعَا بِرَجُلَيْنِ^(٢)، فَقَتَلَ أَحَدَهُمَا، وَاسْتَحْيَا الْآخَرَ، فَقَالَ - عِنْدَ ذَلِكَ -: أَنَا أَحْيِي، وَأَمِيتُ. وَمَوَّةٌ بِذَلِكَ عَلَى مَنْ يَحْضَرْتِهِ، فَعَدَلَ إِبْرَاهِيمُ عَنْ ذَلِكَ إِلَى مَا هُوَ أَبْعَدُ مِنَ الشُّبْهَةِ.



(١) البقرة: ٢٥٨.

(٢) في (ح): بِرَجُلَيْنِ.

فصل [- ٩ -]

[في قصّة إبراهيم - ع -]

قَوْلُهُ - تَعَالَى -: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى﴾^(١).

إِنَّمَا سَأَلَ ذَلِكَ، لِيَعْلَمَ عَلَى وَجْهِ يَبْعُدُ مِنَ الشُّبْهَةِ، وَإِنْ كَانَ قَدْ عَلِمَ ذَلِكَ بِالْذَّلِيلِ. يُوضِّحُهُ قَوْلُهُ: ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾^(٢).

وَإِنَّمَا سَأَلَ ذَلِكَ لِقَوْمِهِ، لِيَتَزَوَّلَ شُبْهَتُهُمْ^(٣)، كَمَا سَأَلَ مُوسَى الرَّؤْيَةَ لِقَوْمِهِ. وَقَالَ الرَّضَا^(٤) - عَلَيْهِ السَّلَام - : إِنَّ اللَّهَ - تَعَالَى - أَوْحَى إِلَى إِبْرَاهِيمَ: أَنِّي مُتَّخِذٌ مِنْ عِبَادِي خَلِيلًا إِنْ سَأَلَنِي إِحْيَاءَ الْمَوْتَى، أَجِبْتُهُ. فَوَقَعَ فِي نَفْسِ إِبْرَاهِيمَ أَنَّهُ ذَلِكَ الْخَلِيلُ، فَقَالَ: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى﴾.

وَقَالَ لَهُ تَمْرُودُ: أَنْتَ تَزْعُمُ أَنَّ رَبَّكَ يُحْيِي الْمَوْتَى، وَأَنْتَ أَرْسَلْتَكَ لَتَدْعُونِي إِلَى

(١) البقرة: ٢٦٠.

(٢) البقرة: ٢٦٠.

(٣) فِي (ك) وَ(أ) وَ(ح): شُبْهَتُهُمْ. بِصِيغَةِ جَمْعِ التَّكْسِيرِ.

(٤) عِيُونَ أَخْبَارِ الرَّضَا: ١: ١٩٨.

عِبَادَتِهِ، فَاسْأَلَهُ أَنْ يُجِيبَ لَنَا [مِيتًا إِنْ كَانَ عَلَى ذَلِكَ قَادِرًا، فَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ، فَتَلْتَكُتْ.

فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي﴾ ^(١) الْمَوْتَى.

مَا قَالَ: أَوَلَمْ تَكُنْ قَدْ آمَنْتَ؟ بَلْ قَالَ: ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِنْ﴾ ^(٢)؟ إِنْ كَانَ اللَّفْظُ،

لَفْظَ الْاسْتِيقْبَالِ، فَإِنَّهُ يُرِيدُ بِهِ الْمَاضِي، كَمَا يَقُولُ ^(٣) الْوَاحِدُ مِنَّا لِصَاحِبِهِ: أَوَلَمْ تُعَاهِدْنِي عَلَى كَذَا، وَتُعَاقِدْنِي عَلَى أَنْ تَفْعَلَ كَذَا.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾ ^(٤)، وقوله:

﴿لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾ ^(٥).

وَجْهٌ اسْتِثْنَاءٌ لِأَبِيهِ مِنْ جُمْلَةِ مَا أَمَرَ اللَّهُ - تَعَالَى - بِالتَّائِسِي فِيهِ، أَنَّهُ لَوْ أَطْلَقَ

الْكَلَامَ، لَأَوْهَمَ الْأَمْرَ بِالتَّائِسِي بِهِ فِي ظَاهِرِ الْاسْتِغْفَارِ، لِلْكَفَّارِ. وَاسْتِثْنَاءُ

الْاسْتِغْفَارِ مِنْ جُمْلَةِ الْكَلَامِ لِهَذَا الْوَجْهِ.

وَلِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ مَا أَظْهَرَهُ لِإِبْرَاهِيمَ مِنَ الْإِيمَانِ وَوَعْدُهُ بِهِ، مَعْلُومًا لِكُلِّ أَحَدٍ،

(١) ما بين المعرفتين ساقط من (ش).

(٢) البقرة: ٢٦٠.

(٣) في (ش): تقول. بناء المضارعة المثناة من فوق.

(٤) مريم: ٤٧.

(٥) الممتحنة: ٤.

يَزُولُ الْإِشْكَالُ فِي أَنَّهُ اسْتَغْفَرَ لِكَاثِرٍ، وَأَنَّهُ اسْتِثْنَاءٌ مِنَ النَّاسِ مِنَ الْجُمْلَةِ الثَّانِيَةِ،
الَّتِي يَعْقِبُهَا هَذَا الْقَوْلُ بِلاَ فَصْلِ، وَهِيَ قَوْلُهُ: ﴿إِنَّا بُرَأُوا مِنْكُمْ﴾^(١).

وإنَّه إِنَّمَا وَعَدَهُ^(٢) بِالِاسْتِغْفَارِ عَلَى مُقْتَضَى الْعَقْلِ، وَلَمْ يَكُنْ قَدْ اسْتَقَرَّ - بَعْدُ -
فُجْحُ^(٣) الْاسْتِغْفَارِ لِلْمُشْرِكِينَ.

وإنَّ مَعْنَى: ﴿سَأَسْتَغْفِرُ لَكُمْ﴾ إِذَا تَرَكْتَ عِبَادَةَ الْأَوْثَانِ، وَأَخْلَصْتَ الْعِبَادَةَ
لِلَّهِ - تَعَالَى -^(٤).

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا
إِبْرَاهِيمُ﴾^(٥).

مَعْنَى الْآيَةِ: إِنَّ أَبَاهُ، كَانَ وَعَدَهُ أَنْ يُؤْمِنَ، وَأَظْهَرَ لَهُ الْإِيمَانَ عَلَى سَبِيلِ
النِّفَاقِ، حَتَّى ظَنَّ بِهِ الْحَقِيرَ، فَاسْتَغْفَرَ اللَّهَ - تَعَالَى - عَلَى هَذَا، فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ مُقِيمٌ
عَلَى الْكُفْرِ، رَجَعَ عَنِ الْاسْتِغْفَارِ لَهُ، وَتَبَرَّأَ مِنْهُ، وَقَدْ عَذَرَهُ اللَّهُ - تَعَالَى - فِي هَذِهِ
الْآيَةِ.

(١) الممتحنة: ٤.

(٢) فِي (هـ): أَوْعَدَهُ.

(٣) فِي (ش): فَتَحَ. بِالْفَاءِ الْمَوْحِدَةِ بَعْدَهَا ثَاءٌ مَشْتَاةٌ مِنْ فَوْقٍ. وَهُوَ تَصْحِيفٌ.

(٤) (تَعَالَى) سَاقِطَةٌ مِنْ (ح).

(٥) التَّوْبَةُ: ١١٤.

وقوله: ﴿عَنْ مُوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ﴾. قِيلَ: كَانَتْ مِنَ الْإِسْنِ بِالْإِسْتِغْفَارِ،
وَمِنَ الْإِسْنِ بِالْإِيمَانِ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ...﴾^(١) إِلَى قَوْلِهِ:
﴿...لَا تَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾^(٢).

وَجْهٌ إِسْتِثْنَائِي لِأَبِيهِ مِنْ جُمْلَةِ مَا أَمَرَ اللَّهُ - تَعَالَى - بِالتَّائِسِي فِيهِ أَنَّهُ لَوْ أَطْلَقَ
الْكَلَامَ ، لَأَوْهَمَ الْأَمْرَ بِالتَّائِسِي بِهِ فِي ظَاهِرِ الْإِسْتِغْفَارِ لِلْكَفَّارِ . فَاسْتِثْنَاءُ
الْإِسْتِغْفَارِ مِنْ جُمْلَةِ الْكَلَامِ لِهَذَا الْوَجْهِ^(٣).

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ...﴾^(٤) إِلَى خَمْسِ
آيَاتٍ.

هَذِهِ الْمُخَاطَبَةُ، كَانَتْ لِجَدِّهِ مِنْ أُمِّهِ، وَهُوَ الصَّحِيحُ عِنْدَ أَصْحَابِنَا^(٥).

(١) الممتحنة: ٤.

(٢) الممتحنة: ٤.

(٣) تَكَرَّرَتْ هَذِهِ الْفَقْرَةُ: ((سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي... هَذَا الْوَجْهِ)) فِيهَا قَبْلَهَا.

(٤) مريم: ٤٢.

(٥) التبيان في تفسير القرآن: ٧: ١٢٩.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَلِإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ أَرَزَّرَ﴾^(١).

قَالَ الزَّجَّاجُ^(٢): أَجَمَعَ النَّسَابَةُ أَنَّ إِسْمَ أَبِي إِبْرَاهِيمَ، «تَارَخُ»، وَالَّذِي هُوَ فِي الْقُرْآنِ، يَذُلُّ عَلَى أَنَّ إِسْمَهُ، «أَرَزَّرُ».

وَقَالَ مُجَاهِدٌ^(٣): إِنَّ «أَرَزَّرَ»، إِسْمُ صَنِمٍ. كَأَنَّهُ قَالَ لِأَبِيهِ: / ١١٦ / أَتَتَّخِذُ أَرَزَرَ إِلَهًا؟ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً؟

وَقِيلَ: إِنَّ «أَرَزَرَ»، هُوَ سَبٌّ^(٤)، وَعَيْبٌ بِكَلَامِهِمْ، وَمَعْنَاهُ: مُعَوَّجٌ. وَقِيلَ: مَعْنَاهُ: مُخْطِئٌ.

وَقَالُوا: إِنَّ الْعَرَبَ، تُسَمِّي الْعَمَّ، أَبًا، لِلاحْتِرَامِ. قَالَ اللَّهُ - تَعَالَى - حِكَايَةً عَنْ يَعْقُوبَ -: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ﴾^(٥). وَإِسْمَاعِيلُ، كَانَ عَمَّهُ.

وَقَالَ النَّبِيُّ^(٦) - عَلَيْهِ السَّلَامُ -: الْعَمُّ وَالِدٌ.

(١) الأنعام: ٧٤.

(٢) معاني القرآن وإعرابه: ٢: ٢٩٠. وفيه: (أزر) بالذال المعجمة، و(تارخ) بالحاء المهملة.

(٣) جامع البيان: ٧: ٢٤٣. أيضاً: مجمع البيان: ٢: ٣٢١. الدر المنثور: ٣: ٣٠١. الجامع لأحكام القرآن: ٧: ٢٢.

(٤) في (ك): سبب. وفي (هـ): فحسب. وهو تحريف.

(٥) البقرة: ١٣٣.

(٦) الخصال: ١: ٥٨.

وقال^(١): رُدُّوا عَلَيَّ أَبِي. يَعْنِي: عَبَّاسًا.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾^(٢).

فِيهَا دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّهُ سَأَلَ الْمَغْفِرَةَ لَهُمَا^(٣) يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَلَوْ كَانَا^(٤) كَافِرَيْنِ، لَمَا^(٥) سَأَلَ ذَلِكَ، لِأَنَّهُ قَالَ: ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَأَ مِنْهُ﴾^(٦).
فَدَلَّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّ أَبَاهُ - الَّذِي كَانَ كَافِرًا - جَدُّهُ لِأُمِّهِ، أَوْ عَمُّهُ - عَلَى الْخِلَافِ -.

قال البلخي^(٧): إِنَّ أُمَّهُ كَانَتْ مُؤْمِنَةً، لِأَنَّهُ سَأَلَ أَنْ يَغْفَرَ لِأَبَوَيْهِ.



(١) الكامل في اللغة والأدب: ٢: ١٠٦.

(٢) إبراهيم: ٤١.

(٣) في (أ): لها.

(٤) في (هـ): كانوا. بإسناده إلى واو الجماعة.

(٥) في (هـ): لم.

(٦) النبوة: ١١٤.

(٧) التبيان في تفسير القرآن: ٦: ٣٠٢.

فصل [- ١٠ -]

[في قصة إبراهيم - ع -]

قَوْلُهُ - تَعَالَى -: ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾^(١).

هَذَا الدُّعَاءُ - عَلَى الْخُصُوصِ - مُتَنَاوِلٌ لِلْمَعْصُومِينَ، حَتَّى يَكُونَ مُسْتَجَابًا.
وَالْعُدُولُ عَنِ ظَاهِرِ الْمُقْتَضِي لِلْعُمُومِ إِلَى الْخُصُوصِ - بِالْدَّلَالَةِ - وَاجِبٌ.

وَيَجُوزُ أَنَّهُ يُرِيدُ: افْعَلْ بِي، وَبِهِمْ مِنَ الْأَلْطَافِ، مَا يُبَاعِدُنَا مِنْ عِبَادَةِ
الْأَصْنَامِ، وَيَصْرِفُ دَوَائِعِنَا عَنْهَا. وَالْوَالِدُ يَقُولُ لَوَلَدِهِ - إِذَا حَذَّرَهُ مِنْ شَيْءٍ، وَبَيَّنَّ
لَهُ ضَرَرَهُ -: إِنِّي جَنَّبْتُكَ كَذَا، وَكَذَا.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾^(٢).

ظَاهِرُ الْكَلَامِ يَقْتَضِي الْخُصُوصَ، وَفِي ذُرِّيَّتِهِ الْكَثِيرُ يَمُنُّ أَقَامَ الصَّلَاةَ.

(١) إبراهيم: ٣٥.

(٢) إبراهيم: ٤٠.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ
إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمِ﴾^(١).

لا يجوز أن يُوحى الله - تعالى - إليه قَبْلَ إِسْلَامِهِ بِأَنَّهُ نَبِيٌّ^(٢)، لَأَنَّ النُّبُوَّةَ حَالُ
إِعْظَامٍ، وَإِجْلَالٍ، وَلَا يَكُونُ ذَلِكَ قَبْلَ الْإِسْلَامِ، وَتَقْدِيرُهُ: وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ [حِينَ
قَالَ لَهُ رَبُّهُ: أَسْلِمِ].

وَقَالَ الْحَسَنُ^(٣): إِنَّمَا قَالَ ذَلِكَ^(٤) حِينَ أَفَلَّتِ الشَّمْسُ، فَقَالَ: يَا قَوْمُ! إِنِّي
بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِي - حَيْثُذُ -.

وهذا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ كَانَ قَبْلَ النُّبُوَّةِ، وَأَنَّهُ قَالَ ذَلِكَ إِهْلَامًا، إِسْتِدْعَاءً بِهِ إِلَى
الْإِسْلَامِ، فَاسْلَمَ - حَيْثُذُ - لَمَّا أَوْضَحَ لَهُ طَرِيقَ الْإِسْتِدْلَالِ بِمَا رَأَى مِنَ الْآيَاتِ
الدَّالَّةِ عَلَى تَوْحِيدِهِ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ
سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾^(٥).

(١) البقرة: ١٣٠، ١٣١.

(٢) في (ش): بأنه يأنبي نبي الله. وهو كلام مضطرب. وفي (ح): بأنه نبي الله.

(٣) مجمع البيان: ١: ٢١٢. وهو في جامع البيان: ١: ٥٦ غير معزول إلى أحد. وكذا في الجامع لأحكام

القرآن: ٢: ١٣٤.

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (ش).

(٥) هود: ٦٩.

إِنَّمَا جَاءَ بِالطَّعَامِ، لِأَنَّهُ كَانَ مِضْيَافًا، وَقَدْ حَسِبَهُمُ الضَّيْفَ^(١)، لَا تُهْمُ كَانُوا عَلَى صُورَةِ الْبَشَرِ. ﴿فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ﴾^(٢)، أَنْكَرَ ذَلِكَ مِنْهُمْ. وَخَافَ، وَظَنَّ أَنَّ الْاِمْتِنَاعَ، لِسُوءِ يَرِيدُونَهُ حَتَّى خَبَرُوهُ بِأَنَّهُمْ رُسُلُ اللَّهِ، أَنْفَذَهُمُ اللَّهُ لِإِهْلَاكِ قَوْمٍ لُوطٍ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ قَالُوا لَا تَوَجَّلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغَلَامٍ عَلِيمٍ﴾^(٣).

إِنَّمَا وَصَفَهُ بِأَنَّهُ عَلِيمٌ - قَبْلَ - كَوْنِهِ - لِدَلَالَةِ الْبَشَارَةِ عَلَى أَنَّهُ سَيَكُونُ بِهِذِهِ الصِّفَةِ، فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ: ﴿أَبَشِّرْ مُنْمُونِي عَلَى أَنْ مَسْنِيَ الْكِبَرِ فِيمَ تَبَشِّرُونَ﴾^(٤).
إِنَّمَا عَجِبَ مِنْ ذَلِكَ لِكِبَرِهِ، فَاسْتَفْهَمَ^(٥)، فَقَالَ: يَا أَمْرُ اللَّهِ تَبَشِّرُونَنِي؟

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿يُجَادِلُنَا فِي قَوْمٍ لُوطٍ﴾^(٦).

(١) في (ش): الضعيف. بعين مهملة بين الضاد والياء. وهو تحريف.

(٢) هود: ٧٠.

(٣) الحجر: ٥٢، ٥٣.

(٤) الحجر: ٥٤.

(٥) في (ك) و(هـ) و(أ) و(ح): أو استفهم.

(٦) هود: ٧٤.

قَالَ الْحَسَنُ^(١): أَي: يُجَادِلُ رُسُلَنَا. وَعَلَّقَ الْمُجَادَلَةَ بِهِ - تعالى - مِنْ حَيْثُ كَانَتْ لِرُسُلِهِ. وَإِنَّمَا جَادَهُمْ مُسْتَفْهِمًا مِنْهُمْ: هَلِ الْعَذَابُ نَازِلٌ عَلَى سَبِيلِ الْإِسْتِصَالِ، أَوْ عَلَى سَبِيلِ التَّخْوِيفِ؟ وَهَلْ هُوَ عَامٌّ لِلْقَوْمِ، أَوْ خَاصٌّ، وَعَنْ طَرِيقِ نَجَاةِ لُوطٍ، وَاهْلِهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ يَمَّا لَحِقَ الْقَوْمُ؟ وَسَمَى ذَلِكَ جِدَالًا لِمَا كَانَ فِيهِ مِنَ الْمَرَاجَعَةِ.

وَقِيلَ: جَادَلْنَا. أَي: سَأَلْنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ، وَأَنَّهُ يُؤَخِّرُ عَذَابَهُمْ، رَجَاءً أَنْ يُؤْمِنُوا. فَخَبَّرَهُ اللَّهُ - تعالى -^(٢) بِأَنَّ الْمَصْلَحَةَ، فِي إِهْلَاكِهِمْ.

وَقِيلَ: ﴿يُجَادِلُنَا﴾ أَي: يُكَلِّمُنَا، وَيُخَاطِبُنَا، كَقَوْلِهِ: ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾^(٣) وَقَدْ ذَكَرَ قَبْلَ الْآيَةِ كَلَامًا وَمُخَاطَبَةً.

وَقَالَ أَبُو عَلِيٍّ^(٤): جَادَهُمْ بِأَيِّ شَيْءٍ اسْتَحَقُّوا عَذَابَ الْإِسْتِصَالِ؟

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ - حِكَايَةً عَنْ سَارَةَ -: ﴿قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾^(٥).

(١) قول الحسن هذا في جامع البيان: ٣: ١٨٠ - ١٨١ منسوب إلى قتادة. وكذا في الجامع لأحكام

القرآن: ٩: ٧٢.

(٢) (تعالى) ساقطة من (ح).

(٣) الحجر: ٥٧.

(٤) المقصود به الجبائي: مجمع البيان: ٣: ١٨١.

(٥) هود: ٧٢، ٧٣.

وَلَا يَجُوزُ الْعَجَبُ مِنَ اللَّهِ، لِأَنَّهُ^(١) - تعالى - قَادِرٌ عَلَى سَائِرِ أَجْنَاسِ
الْمَقْدُورَاتِ، يَمَّا يَصُحُّ أَنْ يَكُونَ مَقْدُورًا لَهُ، لَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ. وَمَا عُرِفَ سَبَبُهُ^(٢) لَا
يُتَعَجَّبُ مِنْهُ، إِنَّمَا كَانَ مِنْهَا التَّعَجُّبُ بِطَبْعِ الْبَشَرِيَّةِ، إِذْ وَرَدَ عَلَيْهَا مَا لَمْ تَجْرِ^(٣) بِهِ
الْعَادَةُ، قَبْلَ؛ أَنْ تَفَكَّرَتْ فِي ذَلِكَ، لِأَنَّمَا كَانَتْ عَارِفَةً بِأَنَّ اللَّهَ - تعالى - يَقْدِرُ عَلَى
ذَلِكَ، كَمَا وَلَّى مُوسَى مُدِيرًا، حِينَ انْقَلَبَتِ الْعَصَا، حَتَّى قِيلَ لَهُ: ﴿أَقْبِلْ وَلَا
تَخَفْ﴾^(٤).

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾^(٥).
قِيلَ: إِنَّ اللَّهَ - تعالى - أَحَدَتْ فِيهَا بَرْدًا مِنْ شِدَّةِ الْحَرَارَةِ الَّتِي فِيهَا فَلَم تُوْذِهِ.
وَقِيلَ: / ١١٧ / إِنَّهُ - تعالى -^(٦) حَالَ بَيْنَهَا، وَبَيْنَ جَسَمِهِ، فَلَمْ تَصِلْ إِلَيْهِ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا﴾^(٧).

(١) (لأنه) ساقطة من (أ).

(٢) في (أ): شبهه. بالشين المعجمة. وهو تصحيف.

(٣) في (ش): يجر. بياء المضارعة المثناة من تحت.

(٤) القصص: ٣١.

(٥) الأنبياء: ٦٩.

(٦) (تعالى) ساقطة من (ح).

(٧) الحج: ٢٧.

قَالُوا: إِنَّ أَذَانَهُ بِالْحَجِّ هُوَ: إِذْ وَقَفَ فِي الْمَقَامِ، فَتَنَادَى^(١): أَيُّهَا النَّاسُ! أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ. فَأَجَابَهُ مِنَ الْأَصْلَابِ مَنْ كُتِبَ لَهُ الْحَجُّ، فَكُلُّ مَنْ حَجَّ^(٢)، فَهُوَ يَمُنُّ^(٣) أَجَابَ إِبْرَاهِيمَ.

وَهَذَا غَيْرُ صَحِيحٍ، لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ مَبْعُوثًا إِلَى أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ -^(٤).

وَالصَّحِيحُ: إِنَّ الْمُخَاطَبَ، وَالْمَأْمُورَ بِهَذِهِ الْآيَةِ، مُحَمَّدٌ - عَلَيْهِ السَّلَامُ -^(٥) وَهَذَا غَيْرُ مُمْتَنِعٍ أَنْ يَنْفَصَلَ هَذَا التَّكْلِيفُ مِنَ الْأَوَّلِ، وَإِنْ كَانَ مُقَارِنًا^(٦) [لَهُ]^(٧)، وَيَتَوَجَّهُ إِلَى غَيْرٍ مِنْ تَوَجُّهِ التَّكْلِيفِ الْأَوَّلِ إِلَيْهِ.



(١) فِي (ح): وَنَادَى. مَعَ وَاءِ الْعَطْفِ.

(٢) فِي (هـ): أَحَجَّ.

(٣) فِي (هـ): مَنْ.

(٤) فِي (ح): عَلَيْهِ السَّلَامُ.

(٥) فِي (ح): صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ.

(٦) فِي (ش): مُقَارَفًا. بِالْفَاءِ الْمَوْحِدَةِ بَعْدَ الرَّاءِ الْمَهْمَلَةِ.

(٧) مَا بَيْنَ الْمُعْقُوفَيْنِ سَاقِطٌ مِنْ (ش) وَ(هـ). وَالْعِبَارَةُ فِي (ح): وَإِنْ كَانَ لَهُ مُقَارِنًا.

فصل [- ١١ -]

[في قصة إبراهيم وإسماعيل - ع -]

قوله - تعالى - حِكَايَةُ عَنْ إِبْرَاهِيمَ، وَإِسْمَاعِيلَ -: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ﴾^(١).

إِنَّمَا سَأَلَ اللَّهُ - تعالى - أَنْ يَجْعَلَهُمَا مُسْلِمَيْنِ، بمعنى: أَنْ يَفْعَلَ هُمَا^(٢) مِنْ الْأَلطَافِ، مَا يَتَمَسَّكُانِ مَعَهُ بِالْإِسْلَامِ فِي مُسْتَقْبَلِ عُمُرِهِمَا، لِأَنَّ الْإِسْلَامَ، كَانَ حَاصِلًا فِي وَقْتِ دُعَائِهِمَا. وَيَجْرِي ذَلِكَ مَجْرَى أَحَدِنَا إِذَا أَدَبَ^(٣) وَلَدَهُ حَتَّى صَارَ أَدِيبًا، جَازَ أَنْ يُقَالَ: جَعَلَ وَلَدَهُ أَدِيبًا. وَعَلَى عَكْسِ ذَلِكَ إِذَا عَرَّضَهُ لِلْفَسَادِ، جَازَ أَنْ يُقَالَ: جَعَلَهُ ظَالِمًا، فَاسِدًا.

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ تَعَبُّدًا، كَمَا قَالَ: ﴿رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ﴾^(٤). وَإِنَّمَا

(١) البقرة: ١٢٨.

(٢) في (ح): بهما.

(٣) في (ل): أردت. وهو تحريف.

(٤) الأنبياء: ١١٢.

خَصًّا بالدعوة - بَعْضَ - الذَّرِيَّةِ^(١) في قوله: ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا﴾، لَأَنَّ «مِنْ» لِلتَّبْعِيضِ،
مِنْ حَيْثُ أَنَّ اللَّهَ - تعالى - كَانَ أَعْلَمَهُ أَنَّ فِي ذُرِّيَّتَيْهِمَا مَنْ لَا يَنَالُ الْعَهْدُ، لِكُونِهِ
ظَالِمًا. وهو قول أكثر المفسرين.

وقال السُّدِّيُّ^(٢): إِنَّمَا عَنِيَ - بِذَلِكَ - الْعَرَبُ.

وَالأَوَّلُ، هُوَ الصَّحِيحُ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَتُبَّ عَلَيْنَا﴾^(٣).

أَي: إِرْجِعْ عَلَيْنَا بِالرَّحْمَةِ، وَالْمَغْفِرَةِ.

وَلَيْسَ فِيهِ دَلَالَةٌ عَلَى جَوَازِ الصَّغِيرَةِ، أَوْ فِعْلِ الْقَبِيحِ عَلَيْهِمْ. وَمَنْ ادَّعَى
ذَلِكَ، فَقَدْ أَبْطَلَ.

وَقِيلَ: مَعْنَاهُ: تُبَّ عَلَى ظَلَمَةِ ذُرِّيَّتِنَا.

وَالصَّحِيحُ: أَنَّهُمَا قَالَا ذَلِكَ إِنْقِطَاعًا إِلَى اللَّهِ - تعالى - وَتَعَبُّدًا، لِيُقْتَدَى بِهِمَا

فِيهِ.

(١) في (ش) و(ك) و(هـ) و(أ) و(ط): خَصًّا بعد الذرية. وهو تحريف.

(٢) جامع البيان: ١: ٥٥٣. أيضاً: مجمع البيان: ١: ٢١٠. الدر المنثور: ١: ٣٣١.

(٣) البقرة: ١٢٨.

وَعَلَىٰ مَذْهَبِنَا^(١): إِذَا قُلْنَا قِيلَ اللَّهُ تَوْبَتُهُ، أَوْ تَابَ عَلَيْهِ، مَعْنَاهُ: أَنَّهُ إِسْتَحَقَّ الثَّوَابَ. وَإِذَا قُلْنَا: تَابَ الْعَبْدُ مِنْ كَبِيرَةٍ، مَعَ الْإِقَامَةِ عَلَىٰ كَبِيرَةٍ أُخْرَىٰ، مَعْنَاهُ - عِنْدَ مَنْ أَجَازَ ذَلِكَ - أَنَّهُ رَفَعَ الْعِقَابَ بِهَا عَنْهُ. وَعِنْدَنَا: أَنَّهُ يَسْتَحِقُّ بِهَا الثَّوَابَ أَيْضًا.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَعَهْدُنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ﴾^(٢). وَلَمْ يَكُنْ هُنَاكَ بَيْتٌ^(٣) بَعْدُ.

قَالَ السُّدِّيُّ^(٤): مَعْنَاهُ: إِبْنِنَا لِي بَيْتًا مُطَهَّرًا.

وَقَالَ عَطَاءٌ^(٥): طَهَّرَا مَكَانَ الْبَيْتِ الَّذِي يُبْنَىٰ فِيهَا بَعْدُ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿إِنِّي أَرَىٰ فِي السَّمَاءِ آتِيًا أَذْبَحُكَ﴾^(٦).

(١) أوائل المقالات: ٧٥، ١٠٥ - ١٠٧.

(٢) البقرة: ١٢٥.

(٣) (بيت) ساقطة من (أ).

(٤) جامع البيان: ١: ٥٣٨ الجامع لأحكام القرآن: ٢: ١١٤.

(٥) جامع البيان: ١: ٥٣٩.

(٦) الصافات: ١٠٢.

اِخْتَلَفَ النَّاسُ فِي الذَّبِيحِ؛ فَقَالَ جَمَاعَةٌ: إِنَّهُ إِسْحَاقُ. وَالصَّحِيحُ: أَنَّهُ إِسْمَاعِيلُ. رُوِيَ ذَلِكَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ^(١)، وَابْنِ عُمَرَ^(٢)، وَابْنِ الْمُسَيَّبِ^(٣)، وَالْحَسَنِ^(٤)، وَالْقُرْظِيِّ^(٥)، وَالشَّعْبِيِّ^(٦). وَهُوَ الْمُرَوِّىُّ عَنِ الْبَاقِرِ^(٧)، وَالصَّادِقِ^(٨)، وَالرُّضَا^(٩) - عَلَيْهِمُ السَّلَامُ -.

يُؤَيِّدُ ذَلِكَ قَوْلُهُ - بَعْدَ هَذِهِ الْقِصَّةِ -: ﴿وَبَشِّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا﴾^(١٠). فَكَيْفَ يُبَشِّرُهُ بِذُرِّيَّةِ إِسْحَاقَ، ثُمَّ يَأْمُرُ بِذَبْحِهِ؟

وَمَنْ قَالَ: إِنَّهُ بَشَّرَ بِنَبُوَّةِ إِسْحَاقَ دُونَ مَوْلَدِهِ، فَقَدْ تَرَكَ الظَّاهِرَ، لِأَنَّ

(١) جامع البيان: ٢٣: ٨٣. أيضاً: مجمع البيان: ٤: ٤٥٣. الدر المنثور: ٧: ١٠٥. الجامع لأحكام القرآن: ١٥: ١٠٠.

(٢) جامع البيان: ٢٣: ٨٣. أيضاً: مجمع البيان: ٤: ٤٥٣. الجامع لأحكام القرآن: ٥: ١٠٠.

(٣) مجمع البيان: ٤: ٤٥٣. الجامع لأحكام القرآن: ١٥: ١٠٠.

(٤) جامع البيان: ٢٣: ٨٤. أيضاً: مجمع البيان: ٤: ٤٥٣. الدر المنثور: ٧: ١٠٥، ١٠٦.

(٥) جامع البيان: ٢٣: ٨٤. أيضاً: مجمع البيان: ٤: ٤٥٣. الدر المنثور: ٧: ١٠٥، ١٠٦. الجامع لأحكام القرآن: ١٥: ١٠٠ والقرظي هو محمد بن كعب.

(٦) جامع البيان: ٢٣: ٨٤. أيضاً: مجمع البيان: ٤: ٤٥٣. الدر المنثور: ٧: ١٠٥. الجامع لأحكام القرآن: ١٥: ١٠٠.

(٧) أمالي الطوسي: ٣٣٨.

(٨) أمالي الطوسي: ٣٣٨.

(٩) أمالي الطوسي: ٣٣٨، عيون أخبار الرضا (ع): ١: ٢١٠.

(١٠) الصّافّات: ١١٢.

الظَّاهِرَ، يَقْتَضِي الْبَشَارَةَ بِإِسْحَاقَ دُونَ نُبُوتِهِ. وَيَدُلُّ عَلَيْهِ - أَيْضًا - قوله: ﴿فَبَشِّرْ نَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾^(١)، وَلَمْ يَذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ، فَدَلَّ عَلَى أَنَّهُ كَانَ مَوْلُودًا قَبْلَهُ.

وَقَوْلُ النَّبِيِّ^(٢) - عَلَيْهِ السَّلَامُ -^(٣): أَنَا ابْنُ الدَّيْحَانِ. عَنَى - بِذَلِكَ - عَبْدَ اللَّهِ أَبَاهُ، وَإِسْمَاعِيلَ.

وَسَأَلَ الْأَصْمَعِيُّ^(٤) أَبَا عَمْرٍو وَبْنَ الْعَلَاءِ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: يَا أَصْبَغُ! وَمَتَى كَانَ إِسْحَاقُ بِمَكَّةَ؟ وَإِنَّمَا كَانَ بِهَا إِسْمَاعِيلُ. وَهُوَ بَنَاءُ الْبَيْتِ. وَالْمَنْحَرُ بِمَكَّةَ. يَعْنِي مَسْجِدَ الْكَبْشِ، وَهُوَ بِالْمَزْدَلِفَةِ.

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ^(٥): كَانَ قِرْنَا الْكَبْشِ مُعْلَقَيْنِ فِيهَا. وَلَمْ يَزَلَا فِيهَا إِلَى أَنْ حَرَّقَ الْحَجَّاجُ الْبَيْتَ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ

(١) هود: ٧١.

(٢) في عيون أخبار الرضا: ١: ٢١٠ وفسره الرضا (ع) بقوله: يعني إسماعيل بن إبراهيم الخليل (ع) وعبد الله بن المطلب. الخصال: ١: ٥٦ بتفسير الرضا أيضاً. كنز الفوائد: ١٠٦.

(٣) في (أ): صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ.

(٤) مجمع البيان: ٤: ٤٥٣. الجامع لأحكام القرآن: ١٥: ١٠٠.

(٥) جامع البيان: ٢٣: ٨٧.

وإِسْحَاقَ إِهْمًا وَاحِدًا^(١).

قَالَ ابْنُ دُرَيْدٍ^(٢): إِنَّمَا قَدَّمَ إِسْمَاعِيلَ عَلَى إِسْحَاقَ، لِأَنَّهُ كَانَ أَكْبَرَ مِنْهُ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا﴾^(٣).

يُقَالُ: إِنَّ اللَّهَ - تعالى - أَمَرَ إِبْرَاهِيمَ بِمُقَدَّمَاتِ الذَّبْحِ: يَقْعُدُ مَقْعَدَ الذَّبَاحِ، وَيَشُدُّ يَدَيْهِ، وَرِجْلَيْهِ، وَيَتْرُكُ الْمُدْيَةَ عَلَى حَلْقِهِ^(٤)، وَيَنْتَظِرُ^(٥) الْأَمْرَ بِإِمضَاءِ الذَّبْحِ، عَلَى مَا رَأَى فِي مَنَامِهِ. وَأَسْبَابُ الْمَوْتِ، هُوَ الْمَوْتُ بِعَيْنِهِ.

وَيُقَالُ: إِنَّهُ أَمَرَهُ بِالذَّبْحِ، وَذَبَحَ^(٦)، وَكُلَّمَا فَرَى جُزْءًا مِنْ حَلْقِهِ^(٧)، وَصَلَّهُ اللَّهُ، بِلَا وَاصِلٍ^(٨)، حَتَّى انْتَهَى إِلَى آخِرِهِ، فَاتَّصَلَ بِهِ وَصَلَ^(٩) اللَّهُ - تعالى - فَقَدْ

(١) البقرة: ١٣٣.

(٢) قول ابن دريد بلفظه في مجمع البيان: ١: ٢١٤ من دون عزو إلى أحد.

(٣) الصافات: ١٠٣ - ١٠٥.

(٤) في (أ): خلقه. بالخاء المعجمة من فوق.

(٥) في (ك): ينظر.

(٦) في (ح): ذبحه. مَعَ ضمير الغائب (الهاء).

(٧) في (أ): خلقه. بالخاء المعجمة من فوق.

(٨) في (ش) و(ك) و(أ): وصل. من دون الف بين الواو والصاد. وفي (ح): فصل.

(٩) في (أ): وصلّى. وهو تحريف.

فَعَلَّ مَا أَمَرِيهِ، وَلَمْ يَبَيِّنْ^(١) الرَّأْسَ، وَلَا انْتَفَتِ الرُّوحُ.

وَأَمَّا مَنْ قَالَ: إِنَّهُ أَمَرَهُ بِالذَّبْحِ، بِشَرْطِ التَّخْلِيَةِ^(٢)، وَالتَّمَكُّنِ، وَانْقَلَبَتِ الشَّفَرَةُ، وَجَعَلَ عَلَى خَلْقِهِ صَفِيحَةً / ١١٨ / نُحَاسٍ، فَمُحَالٌّ^(٣)، لِأَنَّ اللَّهَ، لَا يَأْمُرُ بِشَرْطٍ، لِأَنَّهُ عَالِمٌ بِالْعَوَاقِبِ، وَأَنَّهُ أَمَرَ بِمَا مَنَعَ مِنْهُ. وَهَذَا عَبَثٌ.

وَأَمَّا جَزَعُ إِبْرَاهِيمَ، فَلَأَنَّهُ أَشْفَقَ أَنْ يُؤْمَرَ بِالذَّبْحِ نَفْسِهِ، لَمَّا أُمِرَ بِالْمُقَدَّمَاتِ.

وَمَنْ قَالَ: إِنَّ الْفِدْيَةَ، دَالَّةٌ عَلَى أَنَّهُ كَانَ مَأْمُورًا بِالذَّبْحِ، لِأَنَّ الْفِدَاءَ، يَكُونُ مِنْ جِنْسِ الْمُفْدِي، أَخْطَأَ، لِأَنَّ مَنْ خَلَقَ رَأْسَهُ، وَهُوَ مُحَرَّمٌ، يَلْزَمُهُ دَمٌ، وَكَذَلِكَ إِذَا لَيْسَ ثَوْبًا مَخِيطًا، أَوْ شَمَّ طَيِّبًا، أَوْ جَامِعًا. وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مِنْ جِنْسِ الْمُفْدِي.



(١) في (هـ): لم يبين. وفي (ش): ولا بين.

(٢) في (هـ): التحلية. بالخاء المهملة.

(٣) في (ش) و(ك) و(هـ) و(أ): محال. من دون الفاء الرابطة.

فصل [- ١٢ -]

[في قصّة زكريّا - ع -]

قوله - تعالى - في قصّة زكريّا - عَلَيْهِ السَّلَام - : ﴿ قَالَ رَبُّ اُنْى يَكُونُ لِىْ غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِى الْكِبَرُ وَامْرَاِىْ عَاقِرٌ قَالَ كَذٰلِكَ اَللهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۝ ^(١) .

مُرَاجَعَتُهُ مَعَ مَا بَشَّرَهُ اللهُ ^(٢) - تعالى - بِاَنَّهُ يَهْبُ لَهُ ذُرِّيَّةٌ طَيِّبَةٌ، وَبَعْدَ سُؤَالِهِ : ﴿ رَبِّ هَبْ لِيْ مِنْ لَّدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً اِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَآءِ ۝ ^(٣) . قَالَ ^(٤) الْحَسَنُ ^(٥) : اِنَّمَا كَانَ ذٰلِكَ لِيَعْرِفَ عَلَى اَيِّ حَالٍ يَكُونُ ذٰلِكَ ؛ اَيُّرُدُّهُ اِلَى حَالِ الشَّبَابِ ، وَامْرَاَتُهُ مَعَ الْكِبَرِ ؟ فَقَالَ اللهُ - تعالى - : ﴿ كَذٰلِكَ اَللهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۝ . اَي : عَلَى هٰذِهِ الْحَالِ .

وَقِيلَ : اِنَّهُ كَاَنَّهُ ^(٦) اَرَادَ : كَيْفَ يَكُونُ لِىْ غُلَامٌ مِنْهَا ، وَهِيَ عَاقِرٌ ؟ اَيَكُونُ

(١) آل عمران : ٤٠ .

(٢) لفظ الجلالة (الله) ساقط من (هـ) .

(٣) آل عمران : ٣٨ .

(٤) في (ح) : وقال . مَعَ الواو .

(٥) مجمع البيان : ١ : ٤٣٩ .

(٦) في (ش) : كان . وهو تحريف .

بِإِصْلَاحِكَ لَهَا، فَإِنَّهُ قَالَ: ﴿وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ﴾^(١)

وقيل: إِنَّهُ كَانَ عَلَى وَجْهِ الاستِعْظَامِ لِمَقْدُورِ اللَّهِ، والتَّعَجُّبِ الَّذِي يَحْدُثُ
لِلإِنْسَانِ، عِنْدَ ظُهُورِ آيَةٍ عَظِيمَةٍ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ، كَمَا يَقُولُ الْقَائِلُ: كَيْفَ سَمَحَتْ
نَفْسُكَ بِإِخْرَاجِ ذَلِكَ الْمَلِكِ النَّفِيسِ مِنْ يَدِكَ؟ تَعَجُّباً مِنْ جُودِهِ، وإِعْتِرَافاً
بِعَظَمِيَّتِهِ^(٢).

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا
رِزْقاً...﴾^(٣) إِلَى قَوْلِهِ: ﴿...أَتَى بِكُونٍ لِي غُلَامٍ﴾^(٤).

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ^(٥)، وَجَاهِدُ^(٦)، وَقَتَادَةُ^(٧)، وَالسُّدِّيُّ^(٨): كَانَ فَاكِهَةً الصَّيْفِ
فِي الشَّتَاءِ، وَفَاكِهَةً الشَّتَاءِ فِي الصَّيْفِ. فَزَكَرِيَّا - عَلَيْهِ السَّلَامُ - كَانَ عَالِماً بِأَنَّهُ -

(١) الأنبياء: ٩٠.

(٢) فِي (ك) و(أ) و(ح): بِعَظَمِيَّتِهِ.

(٣) آل عمران: ٣٧.

(٤) آل عمران: ٤٠.

(٥) جامع البيان: ٣: ٢٤٨. أيضاً: مجمع البيان: ١: ٤٣٦. الدر المنثور: ٢: ١٨٧.

(٦) مجمع البيان: ١: ٤٣٦.

(٧) مجمع البيان: ١: ٤٣٦.

(٨) جامع البيان: ٣: ٢٤٧-٢٤٨. أيضاً: مجمع البيان: ١: ٤٣٦.

تعالى - يَقْدِرُ عَلَى خَلْقِ الْوَلَدِ مِنَ الْعَاقِرِ، وَإِنْ لَمْ تَجْرِ بِهِ الْعَادَةُ، فَإِنَّهُ كَانَ لَا يَجُوزُ أَنْ يَفْعَلَ ذَلِكَ لِبَعْضِ التَّدْبِيرِ، فَلَمَّا رَأَى خَرَقَ الْعَادَةِ بِخَلْقِ الْفَوَاحِشِ - فِي غَيْرِ وَقْتِهَا - قَوِيَ ظَنُّهُ أَنَّهُ يَفْعَلُ ذَلِكَ إِذَا اقْتَضَتْ الْمَصْلَحَةُ، وَقَوِيَ فِي نَفْسِهِ مَا كَانَ عَلِمَهُ. كَمَا أَنَّ إِبْرَاهِيمَ^(١) - وَإِنْ كَانَ عَالِمًا بِأَنَّهُ - تعالى - قَادِرٌ عَلَى إِحْيَاءِ الْأَمْوَاتِ - سَأَلَ ذَلِكَ مُشَاهِدَةً، لِتَبَاطُكِهِ مَعْرِفَتَهُ، وَتَزُولُ عَنْهُ خَوَاطِرُهُ.

وَقَالَ الْجُبَّانِيُّ^(٢): إِنَّ اللَّهَ - تعالى - كَانَ أَذِنَ لَهُ فِي الْمَسْأَلَةِ، وَجَعَلَ وَقْتَهُ الَّذِي أَذِنَ لَهُ الْوَقْتُ الَّذِي رَأَى فِيهِ الْمُعْجِزَةَ^(٣) الظَّاهِرَةَ، فَلِذَلِكَ دَعَا.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي﴾^(٤).
الْخَوْفُ لَا يَكُونُ مِنَ الْأَعْيَانِ، وَإِنَّمَا يَكُونُ مِنْ مَعَانٍ فِيهَا، فَقَوْلُهُمْ: خِفْتُ اللَّهَ. أَي: خِفْتُ عِقَابَهُ. وَ﴿خِفْتُ الْمَوَالِيَ﴾: خِفْتُ تَضْيِيعَهُمْ^(٥) مَالِي، وَإِنْفَاقَهُ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ - تعالى -

(١) فِي (ح): إِبْرَاهِيمَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ -.

(٢) مَجْمَعُ الْبَيَانِ: ١: ٤٣٧.

(٣) فِي (أ): الْمَعْجَزَاتُ. بِصِيغَةِ الْجَمْعِ.

(٤) مَرْيَمَ: ٥.

(٥) فِي (أ): تَضْيِيبُ فَهْمٍ. وَهُوَ تَحْرِيفُ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا يَرِثُنِي وَيَرِثْ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ
وَأَجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾^(١).

قَالَ مَخْلُوفُنَا: أَي: يَرِثُ الْعِلْمَ وَالنُّبُوَّةَ. وَنَحْنُ نَقُولُ: إِنَّ زَكَرِيَّا^(٢) صَرَحَ
بِدُعَائِهِ، وَطَلَّبَ مَنْ يَرِثُهُ، وَيَحْجُبُ بَنِي عَمِّهِ، وَعُصْبَتُهُ مِنَ الْوَلَدِ.

وحقيقة الميراث: إِنْتَقَالَ^(٣) مِلْكُ الْمَوْرُوثِ إِلَى وَرَثَتِهِ - بَعْدَ مَوْتِهِ - بِحُكْمِ
الله. وَخَلَّ ذَلِكَ عَلَى الْعِلْمِ، وَالنُّبُوَّةِ، خِلَافُ الظَّاهِرِ.

[عَلَى]^(٤) أَنَّ الْعِلْمَ وَالنُّبُوَّةَ، لَا يُورَثَانِ، لِأَنَّ النُّبُوَّةَ، تَابِعَةٌ لِلْمَصْلَحَةِ، لَا
مَدْخَلُ لِلنَّسَبِ فِيهَا، وَالْعِلْمُ مَوْقُوفٌ عَلَى مَنْ يَتَعَرَّضُ لَهُ وَيَتَعَلَّمُهُ.

عَلَى أَنَّ زَكَرِيَّا، سَأَلَ وَلِيًّا مِنْ وَلَدِهِ، يَحْجُبُ^(٥) مَوَالِيَهُ مِنْ بَنِي عَمِّهِ، وَعُصْبَتَهُ
مِنَ الْمِيرَاثِ، وَذَلِكَ لَا يَلِيْقُ إِلَّا بِالْمَالِ، لِأَنَّ النُّبُوَّةَ، وَالْعِلْمَ، لَا يُحْجَبُ الْوَلَدُ^(٦)
عَنْهُمَا بِحَالٍ، حَتَّى إِنْ اشْتَرَا طَهُ أَنْ يَجْعَلَهُ رَضِيًّا، لَا يَلِيْقُ إِلَّا بِالنُّبُوَّةِ، لِأَنَّ النَّبِيَّ^(٧),

(١) مريم: ٥-٦.

(٢) في (ح): زكريا - عَلَيْهِ السَّلَام -.

(٣) في (أ): انفعال. وهو تحريف.

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (ش).

(٥) في (ك): يجب. وهو تحريف.

(٦) في (ش): الوالد. بآلف بين الواو واللام.

(٧) في (ش): النبي.

لَا يَكُونُ^(١) إِلَّا رَضِيًّا، مَعْصُومًا، فَلَا^(٢) [مَعْنَى] لِسَالَتِهِ ذَلِكَ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ
الْمَالُ، لِأَنَّهُ يَرْتَبُ الرِّضَى، وَغَيْرُ الرِّضَى.



(١) في (ش): لأن يكون. وهو تحريف.

(٢) في (ل): ولا. مَعَ الواو.

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (ش) و(ل).

فصل [-١٣-]

[في قصة لوط -ع-]

قوله - تعالى - في قصّة لوط - عَلَيْهِ السَّلَام - ﴿هَؤُلَاءِ بَنَاتِي مِنْ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾^(١).

قَالَ الْحَسَنُ^(٢)، وَقَتَادَةُ^(٣): الْمَعْنَى: أُحِلَّ لَكُمْ عَلَى التَّرْوِيجِ. وَكَانَ الْمُشْرِكُونَ، يَتَزَوَّجُونَ فِي صَدْرِ الْإِسْلَامِ، الْمُسْلِمَاتِ، زَوْجَ النَّبِيِّ - عَلَيْهِ السَّلَام - بِتَنَهٍ مِنْ أَبِي الْعَاصِ بْنِ الرَّبِيعِ، وَالْأُخْرَى مِنْ عُبْتَةَ بْنِ أَبِي هَلَبٍ، قَبْلَ أَنْ يُسْلِمَ، ثُمَّ نُسِخَ بِقَوْلِهِ: ﴿وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا﴾^(٤).

وَقَالَ الزَّجَّاجُ^(٥): إِنَّ ذَلِكَ عَرَضٌ، بِشَرَطِ أَنْ يُسْلِمُوا، كَمَا هُوَ شَرَطُ النِّكَاحِ الصَّحِيحِ.

(١) هود: ٧٨.

(٢) التبيان في تفسير القرآن: ٦: ٤٠ - ٤١.

(٣) جامع البيان: ١٢: ٨٤. أيضاً: مجمع البيان: ٣: ١٨٤. الدر المنثور: ٤: ٥٩٩.

(٤) البقرة: ٢٢١.

(٥) معاني القرآن وإعرابه: ١: ٢٨٨.

وَقَالَ مُجَاهِدٌ^(١): كُلُّ نَبِيٍّ يُرْسَلُ إِلَى قَوْمٍ، فَهَوَّ أَبُو الدِّينِ / ١١٩ / يُرْسَلُ إِلَيْهِمْ، فَيَكُونُ الْمَعْنَى فِي ﴿هُؤُلَاءِ بَنَاتِي﴾: بَنَاتُ أُمَّتِهِ. يَقُولُ: تَزَوَّجُوا نِسَاءَكُمْ. وَهَذَا كَقَوْلِ النَّبِيِّ^(٢) - عَلَيْهِ السَّلَامُ -: أَنَا، وَعَلِيٌّ، أَبَوَا هَذِهِ الْأُمَّةِ. وَقَالَ الْجُبَّائِيُّ^(٣): هَذَا الْقَوْلُ، كَانَ مِنْ لُوطٍ لِقَوْمِهِ، قَبْلَ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّهُمْ مَلَائِكَةٌ، يُعْتَبَرُونَ أَهْلًا لِقَوْمِهِ.

قَوْلُهُ - شُبْحَانَهُ -: ﴿إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾^(٤).

قَوْلُ هُودٍ - عَلَيْهِ السَّلَامُ -: ﴿أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا إِيَّاهُمْ عَمَّا أَجَاهُمْ بِهِ هُوَذَا بَانَ قَالَ: أَشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ أَذَانِي إِلَيْكُمْ. وَنَصِيحَتِي إِيَّاكُمْ، وَتَكْذِيبُكُمْ إِيَّايَ﴾^(٥).

﴿وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾: وَإِنَّمَا أَشْهَدُهُمْ عَلَىٰ ذَلِكَ، وَإِنْ لَمْ يَكُونُوا أَهْلَ الشَّهَادَةِ مِنْ حَيْثُ كَانُوا كُفَّارًا فُسَاقًا - إِقَامَةً لِلْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ، لَا لِتَقْوَمَ

(١) جامع البيان: ١٢: ٨٤. أيضاً: مجمع البيان: ٣: ١٨٤. الدر المنثور: ٤: ٤٥٧. الجامع لأحكام

القرآن: ٧: ٧٦.

(٢) علل الشرائع: ١٢٧ في جملة حديث.

(٣) مجمع البيان: ٣: ١٨٤.

(٤) هود: ٥٤.

(٥) في (أ): ولئنأي. مع الواو.

الْحُجَّةُ بِهِمْ.

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ أَرَادَ بِذَلِكَ: وَاَعْلَمُوا. كَمَا قَالَ: ﴿شَهِدَ اللَّهُ﴾^(١). بِمَعْنَى:

عَلِمَ اللَّهُ.



فصل [- ١٤ -]

[في قصة يعقوب - ع -]

قوله - تعالى - في قِصَّةِ يَعْقُوبَ - عَلَيْهِ السَّلَامَ -: ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلالًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ﴾^(١).

وذلك أَنَّ الْيَهُودَ، أَنْكَرُوا تَحْلِيلَ النَّبِيِّ - عَلَيْهِ السَّلَامَ - لِحُومِ الْإِبِلِ، وَالْبَاطِنَا، فَيَبِّئُ^(٢) اللَّهُ أَنَّهُمَا كَانَتْ حَلَالًا، إِلَى أَنْ حَرَّمَهَا يَعْقُوبُ عَلَى نَفْسِهِ، بَعْدَ أَنْ بَرِئَ مِنَ النِّسَاءِ^(٣) أَنْ يُحَرَّمَ أَحَبُّ الطَّعَامِ، وَالشَّرَابِ إِلَيْهِ، وَهُوَ لِحُومِ الْإِبِلِ، وَالْبَاطِنَا، فَلَمَّا بَرِئَ وَفَى بِتَنْدِيرِهِ^(٤).

فَإِنْ قِيلَ: كَيْفَ يَجُوزُ لِلإِنْسَانِ أَنْ يُحَرَّمَ عَلَى نَفْسِهِ شَيْئًا، وَهُوَ لَا يَعْلَمُ مَا لَهُ فِيهِ مِنَ الْمَصْلَحَةِ، وَمَا لَهُ فِيهِ مِنَ الْمَفْسَدَةِ؟

(١) آل عمران: ٩٣.

(٢) في (ك) و(أ): فَيَبِّئُ. بصيغة المضارع.

(٣) في (ك) و(هـ) و(أ): النِّسَاءُ بِالْمَدِّ وَالْهَمْزَةِ.

(٤) العبارة: «بعد أن برئ... مضطربة في النسخ جميعها والوجه أن تكون: ذلك إنه نَذَّرَ إِنْ بَرِئَ مِنَ النِّسَاءِ...»

قُلْنَا: يَجُوزُ ذَلِكَ إِذَا أَدِنَ اللَّهُ لَهُ فِي ذَلِكَ، وَأَعْلَمَهُ. وَإِذِنْ لِيَعْقُوبَ فِي هَذَا
النَّذْرِ، فَلِذَلِكَ^(١) نَذَرَ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ
لِي سَاجِدِينَ قَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ
الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾^(٢).

حَقِيقَةُ الْحَسَدِ: إِرَادَةُ الْحَاسِدِ لِرُزْوَالِ^(٣) نِعْمَةِ الْمُحْسُودِ إِلَيْهِ، أَوْ كِرَاهَةَ
النَّعْمَةِ، الَّتِي هُوَ فِيهَا، وَإِرَادَةُ أَنْ تَصِيرَ تِلْكَ النَّعْمَةُ بِعَيْنِهَا لَهُ بِخِلَافِ الْغَيْبَةِ.
فَإِذَنْ لَا يَكُونُ قَوْلُهُ: ﴿يَا بَنِيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ﴾ دَلَالَةً عَلَى
أَنَّهُ أَرَادَ بِهِ الْحَسَدَ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ - حِكَايَةً عَنْ إِخْوَةِ يُوسُفَ -: ﴿إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ
أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾^(٤).

(١) فِي (شُر) وَ(هـ): فَكَذَلِكَ، مَعَ حَرْفِ الْجُرِّ (الْكَاف).

(٢) يُوسُف: ٤، ٥.

(٣) فِي (ح): زَوَال. مِنْ دُونَ حَرْفِ الْجُرِّ (الْلام).

(٤) يُوسُف: ٨.

المحبة من ميل الطباع^(١) لا من الكسب، وذلك من فعل الله - تعالى - فإذن لا يكون حسداً لتفضيل يوسف على إخوته بالبر، والمحبة، ويكون للرجل عشرة أولاد، فيحب واحداً منهم. وعلى هذا قوله: ﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ﴾^(٢). يعني: في المحبة، لا في التفقة، ويجوز أن يكون يعقوب مفضلاً ليوسف بالبر، والتقريب. وليس ذلك بقبیح، لأنه لا يمتنع أن [يكون]^(٣) يعقوب، لم يعلم أن ذلك يؤدي إلى ما^(٤) أدى إليه.

ويجوز أن يكون رأى من سيرة إخوته، وجميل ظاهريهم. ما غلبه^(٥) في ظنه أنهم^(٦) لا يحسدونه، فإن الحسد - وإن كان في الطباع - فإن كثيراً^(٧) من^(٨) الناس يجتنبونه^(٩).

(١) في (ك): الطباع.

(٢) النساء: ١٢٩.

(٣) ما بين المعقوفين ساقطة من (ش) و(ك) و(أ).

(٤) (ما) ساقطة من (هـ).

(٥) في (ح): غلب. من دون ضمير الغائب (الماء).

(٦) في (هـ): أن، من دون الضمير (هم).

(٧) في (هـ): كثير، من دون تنوين النصب.

(٨) في (أ): لمن. وهو تحريف.

(٩) ف (هـ): يجتنبونه. وهو تحريف.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾^(١).

أي: الذَّهَابِ عَنِ التَّسْوِيَةِ بَيْنَهُمْ فِي الْعَطِيَّةِ.

وَأَصْلُ «الضَّلَالِ»^(٢): الْعُدُولُ، أَوْ الْعُمُورُ^(٣) فِي الشَّيْءِ. وَلَوْ أَرَادُوا الضَّلَالِ^(٤) فِي الدِّينِ، لَكَانُوا كُفَّارًا.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ﴾^(٥).

قَالَ أَكْثَرُ الْمُفَسِّرِينَ: إِنَّ إِخْوَةَ يُوسُفَ، كَانُوا أَنْبِيَاءَ.

وَقَالَ قَوْمٌ: لَمْ يَكُونُوا كَذَلِكَ. وَهُوَ مَذْهَبُنَا، لِأَنَّهُ وَقَعَ مِنْهُمْ^(٦) الْقَبَائِحُ: مِنْ

طَرَحِهِمْ يُوسُفَ فِي الْجُبِّ، وَبَيْعِهِمْ إِيَّاهُ بِالثَّمَنِ الْبَخْسِ^(٧)، وَقَوْلِهِمْ: ﴿أَكَلَهُ الذَّنْبُ﴾^(٨)، وَإِدْخَالِهِمُ الْغَمَّ عَلَى آبِيهِمْ.

(١) يوسف: ٨.

(٢) في (هـ): الضلال. بالطاء المعجمة.

(٣) في (أ): العمور. بالميم بعدها عين مهملة.

(٤) في (هـ): الضلال. بالطاء المعجمة.

(٥) يوسف: ٩٧.

(٦) في (أ): فيهم.

(٧) في (أ): بالبخس. مع حرف الجر (الباء).

(٨) يوسف: ١٤.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذَّنْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ﴾^(١).

لَيْسَ بِتَغْرِيرٍ^(٢) بِهِ، لِأَنَّهُ لَمَّا رَأَى مِنْ^(٣) بَنِيهِ مِنَ الْإِيمَانِ، وَالْاجْتِهَادِ فِي الْحِفْظِ، ظَنَّ - مَعَ ذَلِكَ - السَّلَامَةَ، وَقَوِيَ فِي نَفْسِهِ أَنْ يُرْسِلَهُ مَعَهُمْ، إِشْفَاقًا مِنْ إيقَاعِ الْوَحْشَةِ بَيْنَهُمْ، وَيَكُونُ مُزِيلًا لِلتَّهْمَةِ لِكَثْرَةِ حُبِّهِ إِيَّاهُ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾^(٤).

لَمَّا عَلِمُوا شِدَّةَ تَهْمَةِ أَبِيهِمْ، وَخَوْفَهُ عَلَى أَخِيهِمْ، مِنْهُمْ، لَمَّا كَانَ يَظْهَرُ مِنْ أَمَارَاتِ الْحَسَدِ، أَيْقَنُوا بِأَنَّهُ يُكَذِّبُهُمْ فِيمَا أَخْبَرُوا بِهِ مِنْ أَكْلِ الذَّنْبِ أَخَاهُمْ^(٥)، فَقَالُوا: إِنَّكَ لَا تُصَدِّقُنَا فِي هَذَا الْحَقِيرِ، لَمَّا سَبَقَ إِلَى قَلْبِكَ مِنْ تَهْمَتِنَا، وَإِنْ كُنَّا صَادِقِينَ. كَمَا يَقُولُ الْمُخَادِعُ: أَنَا أَعْلَمُ أَنَّكَ لَا تُصَدِّقُنِي فِي كَذَا، وَإِنْ كُنْتُ صَادِقًا.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَجَاؤُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ

(١) يوسف: ١٣.

(٢) في (ك): بتغريهم به.

(٣) في (ل): منه من بنيه.

(٤) يوسف: ١٧.

(٥) في (ل): أخافهم.

أَنْفُسَكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ»^(١).

وَصَفَ الدَّمَّ بِأَنَّهُ «كَذِبٌ». وَالْكَذِبُ مِنْ صِفَاتِ الْأَقْوَالِ، لَا مِنْ صِفَاتِ الْأَجْسَامِ. أَمَّا «كَذِبٌ» فَإِنَّ مَعْنَاهُ^(٢): / ١٢٠ / مَكْذُوبٌ عَلَيْهِ^(٣). مِثْلُ قَوْلِهِمْ: هَذَا مَاءٌ سَكَبٌ^(٤)، وَرَجُلٌ صَنُومٌ، وَامْرَأَةٌ نُوحٌ.

وَيُقَالُ: مَا لِفُلَانٍ مَعْقُولٌ، وَمَا لَهُ فِي هَذَا الْأَمْرِ مَجْلُودٌ.

وَأَمَّا وَصْفُ «الصَّيْرِ» بِ«الْجَمِيلِ»، لِأَنَّ الصَّبْرَ، صَبْرَانٍ: جَمِيلٌ - إِذَا قُصِدَ بِهِ وَجْهُ اللَّهِ - وَقَبِيحٌ عَلَى غَيْرِ ذَلِكَ الْوَجْهِ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَابْتَغِْ صَفْوَ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزَنِ﴾^(٥).

لِكُونَ يُوسُفَ فِي غَايَةِ الْجَمَالِ، وَالْعِلْمِ، وَالْعَقَافِ. ثُمَّ أَصِيبَ بِهِ، أَعْجَبَ مُصِيبَةٍ. وَقَدْ يَرُدُّ عَلَى الْإِنْسَانِ مِنَ الْحُزَنِ مَا لَا يُمَكِّنُ رَدُّهُ، وَلِهَذَا لَا يُنْهَى عَنْ مُجَرِّدِ الْحُزَنِ، وَإِنَّمَا يُهَيَّ عَنْ النَّوْجِ، وَاللَّطَمِ، وَالْجَرْعِ.

(١) يوسف: ١٨.

(٢) في (ك) و(هـ) و(أ): فمعناه.

(٣) (عليه) ساقطة من (ك) و(هـ) و(أ).

(٤) ماء سَكَبٌ: سريع الجريان. «المعجم الوسيط: سكب».

(٥) يوسف: ٨٤.

ثُمَّ أَنَّ التَّجَلُّدَ عَلَى الْمَصَائِبِ، وَكَظَمٌ^(١) الْحَزْنَ مِنَ الْمُنْدُوبِ، وَلَيْسَ بِوَاجِبٍ.
قَالَ النَّبِيُّ^(٢) - عَلَيْهِ السَّلَامُ -: الْعَيْنُ تَدْمَعُ، وَالْقَلْبُ يَحْزَنُ.

وَلَمْ يَسْأَلِ^(٣) يَعْقُوبُ عَنْ^(٤) رُؤْيَا ابْنِهِ يُوسُفَ، لِأَنَّهُ يُوسُفَ، رَأَاهَا، وَهُوَ
صَبِيٌّ، غَيْرُ نَبِيٍّ، وَلَا مُوَحَّى إِلَيْهِ. فَلَا قَطْعَ عَلَى صِحَّتِهَا.

عَلَى أَنَّ يَعْقُوبَ - وَإِنْ كَانَ قَاطِعًا عَلَى بَقَاءِ ابْنِهِ، وَأَنَّ الْأَمْرَ، سَيُؤُولُ فِيهِ عَلَى
مَا تَضَمَّنَتْهُ^(٥) الرُّؤْيَا - لَا يُوجِبُ نَفْيَ الْحَزَنِ، لِأَنَّ طَوْلَ الْمَفَارَقَةِ يَقْتَضِيهِ^(٦) لِسَانُ
النَّاسِ.



(١) في (هـ): كظم. بالضاد المعجمة.

(٢) صحيح البخاري: ١٠٥: ٢. صحيح مسلم: ٧٦: ٧. باختلاف يسير. سنن أبي داود: ١٧٢: ٢.

باختلاف يسير.

(٣) في (أ): لَمْ يَسْأَلِ.

(٤) في (ش) و(ك) و(هـ) و(أ): مِنْ.

(٥) في (ش): تَضَمَّنَتْهُ. من دون تاء التانيث الساكنة.

(٦) في (هـ): يَقْتَضِيهِ. بقاء المضارعة المثناة من فوق.

فصل [-١٥-]

[في قصة يوسف -ع-]

قوله - تعالى - في قصة يوسف - عَلَيْهِ السَّلَام -: ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ﴾^(١).

إِنَّمَا كَانَ صَبْرُهُ عَلَى الْعُبُودِيَّةِ، لِأَنَّ اللَّهَ - تعالى - لَا يَمْتَنِعُ أَنْ يَكُونَ أَمْرُهُ بِكُتْمَانِ أَمْرِهِ، وَالصَّبْرُ عَلَى مَسْقَةِ^(٢) الْعُبُودِيَّةِ، إِمْتِحَانًا، وَتَشْدِيدًا فِي التَّكْلِيفِ، كِمِثْحَانِ إِبْرَاهِيمَ بِنَعْرُودَ، وَإِسْمَاعِيلَ بِالذَّبِيحِ.

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ قَدْ خَبَّرَهُمْ^(٣) بِأَنَّهُ حُرٌّ^(٤)، إِلَّا أَنَّهُمْ لَمْ يَسْمَعُوا مِنْهُ. وَقَالُوا: إِنَّهُ^(٥) لَمْ يَكُنْ - فِي تِلْكَ الْحَالِ - نَبِيًّا، وَلَمَّا خَافَ عَلَى نَفْسِهِ الْقَتْلَ، جَازَ أَنْ يَصْبِرَ^(٦)

(١) يوسف: ٢٠.

(٢) في (ح): المِسْقَةُ. مَعَ (أَل).

(٣) في (ش) و(ك): خَبَّرَهُمْ. بِيَاءِ مَثْنَاءَ مِنْ تَحْتِ. وَفِي (أ): خَبَّرَهُمْ: بِحَاءِ مَهْمَلَةٍ وَبِيَاءِ مَثْنَاءَ مِنْ تَحْتِ.

(٤) في (ك) و(هـ) و(أ): حُرًّا. بِتَنْوِينِ النَّصَبِ.

(٥) (إِنَّهُ): سَاقِطَةٌ مِنْ (هـ).

(٦) في (ك): يَصْبِرُ. بِيَاءِ مَثْنَاءَ مِنْ تَحْتِ. بَعْدَ الصَّادِ الْمَهْمَلَةِ.

على الاسترقاق.

وقالوا: إِنَّهُ خَافَ الْقَتْلَ، فَكَتَمَ أَمْرَ نُبُوَّتِهِ، وَصَبَرَ عَلَى الْعُبُودِيَّةِ. وَهَذَا بَاطِلٌ، [لأنه] ^(١) يَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ - تَعَالَى - عَاصِمٌ لِلنَّبِيِّ، حَتَّى يُودِّيَ، وَإِلَّا كَانَ نَقْضًا لِلْعَرَضِ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا﴾ ^(٢).

الْهَمُّ، لَفْظٌ مُشْتَرِكٌ:

أَمَّا قَوْلُهُ: ﴿إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَنْسُطُوا...﴾ ^(٣) [أَي] ^(٤): عَزَمُوا.

وَقَالَ شَاعِرٌ ^(٥):

هَمَمْتُ وَلَمْ أَفْعَلْ وَكِدْتُ وَلَيْتَنِي تَرَكْتُ عَلَى عُثْمَانَ قِيَكِي حَلَاتِلُهُ ^(٦)

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (ش).

(٢) يوسف: ٢٤.

(٣) المائدة: ١١.

(٤) ما بين المعقوفتين ساقطة من (ش).

(٥) في (ح): الشاعر. مَعَ (أَل). وهو ضابط البرجمي. أنظر: الكامل في اللغة والأدب: ١: ٣٨٢،

الشعر والشعراء: ١: ٣٥١. الاشتقاق: ١: ٢١٨. الأضداد: ٩٧. جامع البيان: ١٦: ١٥٢.

أمالى المرتضى: ١: ٣٣٣. نكت الانتصار لنقل القرآن: ١٥٥. التبيان في تفسير القرآن: ٦: ١٢٠.

جمع البيان: ٣: ٢٢٣. خزنة الأدب: ٤: ٨٠. الكشف: ٢: ٦١٥ من دون عزو.

(٦) عُثْمَانُ: هو عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ. الحَلَاتِلُ: جمع حَلِيلَةٍ. وَهِيَ الزَّوْجُ.

وَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ﴾^(١). أي: خَطَرَ بِبَالِهِمُ الْفَسْلُ مِنْ غَيْرِ عَزْمٍ.
يَدُلُّ عَلَيْهِ: ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّهَا﴾^(٢) لِأَنَّهُ قَالَ: ﴿وَمَنْ يُؤْلِهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرُهُ إِلَّا مَتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ
أَوْ مَتَحَبِّرًا إِلَىٰ فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ﴾^(٣).

وإرادة المعصية، والعزم عليها، معصية. قَالَ كَعْبُ بْنُ زُهَيْرٍ^(٤):

فَكَمْ فِيهِمْ مِنْ سَيِّدٍ مُتَوَسِّعٍ وَمِنْ فَاعِلٍ لِلْخَيْرِ إِنْ هَمَّ أَوْ عَزَمَ
فَرَّقَ بَيْنَ «الْهَمِّ»، و«الْعَزْمِ»، لِأَنَّ الْهَمَّ بِالْأَمْرِ، حَدِيثُ النَّفْسِ يَفْعَلُهُ،
وَالْعَزْمُ، نِهَايَةُ الْقُوَّةِ فِي النَّفْسِ، وَهُوَ مُقَدِّمَةُ النِّيَّةِ.

وَيَمَعْنَى: الْمُقَارَبَةِ. يُقَالُ: هَمَّ بِكَذَا. أَي: كَادَ يَفْعَلُهُ. وَلَيْسَ هَذَا مِنْ هَمِّي.
وَهَذَا أَهَمُّ الْأَشْيَاءِ إِلَىٰ مَنْ مِيلَ الطَّبَاعِ. وَقَالَ - تَعَالَى -: ﴿جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ
يَنْقُضَ﴾^(٥).

فَالْعَزْمُ عَلَى الْقَيْحِ لَا يَجُوزُ. وَيَجُوزُ عَلَى الْوُجُوهِ الْآخِرَةِ. وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ
بِالْفَحْشَاءِ، وَهَمَّ بِهَا بِالذَّفْعِ عَنْ نَفْسِهِ.

(١) آل عمران: ١٢٢.

(٢) آل عمران: ١٢٢.

(٣) الأنفال: ١٦.

(٤) شرح ديوان كعب بن زهير: ٦٩.

(٥) الكهف: ٧٧.

وقالوا: يُحْمَلُ الْكَلَامُ عَلَى التَّقْدِيمِ، وَالتَّأْخِيرِ. وَيَكُونُ تَلْخِيصُهُ: وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ، وَلَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ، هَمَّ بِهَا. كَقَوْلِهِ: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ﴾^(١).

وَالْهَمُّ لَمْ يَبْقَ لِمَكَانٍ فَضْلُ اللَّهِ، وَرَحْمَتِهِ. يُقَالُ: قَدْ كُنْتَ هَلَكْتَ، لَوْلَا أَنِّي تَذَارَكْتُكَ^(٢)، وَقُلْتُ لَوْلَا أَنِّي خَلَصْتُكَ. الْمَعْنَى: لَوْلَا تَذَارَكُنِي^(٣)، هَلَكْتُ، وَلَوْلَا تَخَلُّصُنِي^(٤)، لَقُتِلْتُ.

قَالَ الْجَبَّانِيُّ^(٥): «هَمَّ بِهَا»: اِسْتَهَاها، وَمَالَ طَبْعُهُ إِلَى مَا دَعَتْهُ إِلَيْهِ. وَتُسْتَعْمَلُ «الشَّهْوَةُ» هَمًّا - فِي بَحَازِ اللَّغَةِ - يُقَالُ: لَيْسَ هَذَا مِنْ هَمِّي، وَهَذَا أَهَمُّ الْأَشْيَاءِ إِلَيَّ. وَلَا قُبْحُ فِي الشَّهْوَةِ، فَإِنَّهَا مِنْ فِعْلِ اللَّهِ - تَعَالَى - فِيهِ وَإِنَّمَا يُتَعَلَّقُ الْقُبْحُ بِتَنَاوُلِ الْمُشْتَهَى.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَلَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾^(٦).

(١) النساء: ١١٣.

(٢) في (أ): تداركت.

(٣) في (ك): تداركتي، بناء مشاة من فوق بين الكاف والياء، وهو تصحيف.

(٤) في (ك): تخلصي. من دون نون الوقاية.

(٥) قول الجبائي هذا منسوب إلى الحسن في مجمع البيان: ٣: ٢٢٥.

(٦) يوسف: ٢٤.

يَجُوزُ أَنَّهُ - لَمَّا هَمَّ بِدَفْعِهَا - أَرَاهُ اللَّهُ - تَعَالَى - بُرْهَانًا عَلَى أَنَّهُ إِنْ أَقْدَمَ عَلَى مَا هَمَّ بِهِ، قَتَلُوهُ. أَوْ أَتَاهَا تَقَرُّفُهُ^(١) بِأَنَّهُ دَعَاها إِلَى نَفْسِهِ، وَضَرَبَهَا، لَامِتِنَاعِهَا مِنْهُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾^(٢)، وَقَالَ: ﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ﴾^(٣)، وَقَالَ: ﴿الآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوِدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾^(٤)، وَقَالَ: ﴿فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ﴾^(٥)، وَقَالَ: ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾^(٦)، وَقَالَ: ﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ﴾^(٧)، وَقَالَ: ﴿قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ﴾^(٨)، وَقَالَ: ﴿إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ يُوسُفُ أَهْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ

(١) في (ش): تفرقة. بقاء موحدة وقاف مثناة ثم تاء مربوطة متحركة. وفي (ك) و(هـ) و(أ): تفرقه.

بقاء موحدة وقاف مثناة. وما أثبتناه من (ط). ومعنى تفرقه: تنسب إليه وتعيبه وتُهمه.

(٢) يوسف: ٣٠.

(٣) يوسف: ٢٣.

(٤) يوسف: ٥١.

(٥) يوسف: ٣٢.

(٦) يوسف: ٢٤.

(٧) يوسف: ٥٢.

(٨) يوسف: ٥١.

الْخَاطِئِينَ ﴿١﴾.

أَمَّا الْبُرْهَانُ، فَإِنَّهُ لُطْفٌ - لَطُفَ اللَّهِ بِهِ، فِي تِلْكَ الْحَالِ، أَوْ قَبْلَهَا - اخْتَارَ
عِنْدَهُ الْإِمْتِنَاعَ مِنَ الْمَعَاصِي. وَتَكُونُ ^(٢)الرُّؤْيَا - هَاهُنَا - بِمَعْنَى: الْعِلْمِ.

وَقَالُوا: الْبُرْهَانُ: دَلَالَةُ اللَّهِ - تَعَالَى - ^(٣)لِيُوسُفَ عَلَى تَحْرِيمِ الْفَاحِشَةِ، وَعَلَى
أَنَّ مَنْ فَعَلَهَا، اسْتَحَقَّ الْعِقَابَ.



(١) يوسف: ٢٨، ٢٩.

(٢) في (ش) و(ك) و(أ) و(ح): يكون. بياء المضارعة المثناة من تحت.

(٣) (تعالى) ساقطة من (ح).

فصل [- ١٦ -]

[في قصة يوسف - ع -]

قَوْلُهُ - تَعَالَى -: ﴿رَبِّ السَّجْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَبَدَهُنَّ﴾^(١).

مُتَعَلِّقَةٌ - فِي ظَاهِرِ الْكَلَامِ - بِمَا لَا يَصُحُّ فِي الْحَقِيقَةِ أَنْ يَكُونَ^(٢) مَحْبُوبًا، مُرَادًا، لِأَنَّ السَّجْنَ، إِنَّهَا هُوَ الْجِسْمُ. وَالْأَجْسَامُ. لَا يَجُوزُ أَنْ يُرِيدَهَا^(٣)، وَإِنَّمَا يُرِيدُ الْفِعْلَ فِيهَا، وَالْمُتَعَلِّقُ بِهَا.

وَالسَّجْنَ نَفْسُهُ، لَيْسَ بِطَاعَةٍ، وَلَا مَعْصِيَةٍ، وَإِنَّمَا الْأَفْعَالُ فِيهِ، قَدْ تَكُونُ طَاعَاتٍ، مَعَاصِيٍّ، بِحَسَبِ الْوُجُوهِ، الَّتِي تَقَعُ عَلَيْهَا.

وَالظَّالِمُ إِذَا أَكْرَهَ مُؤْمِنًا عَلَى مُلَازِمَةِ مَوْضِعٍ، وَتَرَكِ التَّصَرُّفَ فِي غَيْرِهِ، كَانَ فِعْلُ الْمَكْرِهِ، حَسَنًا، وَإِنْ كَانَ فِعْلُ الْمَكْرِهِ، قَبِيحًا. فَلَيْسَ فِي الْآيَةِ مَا يَدُلُّ عَلَى مَا

(١) يوسف: ٣٣.

(٢) في (ش): تكون. بناء المضارعة المثناة من فوق.

(٣) في (ش): نريدها. بنون المضارعة الموحدة من فوق.

يَقْرُؤُهُ بِهِ - عَلَيْهِ السَّلَام -.

ثُمَّ أَنَّهُ أَرَادَ: تَوَطَّيْنِي نَفْسِي، وَتَصْبِرِي^(١) لَهَا عَلَى السَّجَنِ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ مُوَافَقَةِ الْمَعْصِيَةِ، وَالسَّجْنُ أَخَفُّ عَلَيَّ، وَأَسْهَلُ. كَمَا يَجْتَازُ بَعْضُنَا أَحَدَ الشَّرَّيْنِ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَمَا أُبْرِئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾^(٢).

إِنَّمَا أَرَادَ الدُّعَاءَ، وَالْمَنَازَعَةَ، وَالشَّهْوَةَ، وَلَمْ يُرِدِ الْعَزَمَ عَلَى الْمَعْصِيَةِ. وَهُوَ^(٣) لَا يُبْرِئُ نَفْسَهُ، مِمَّا يَعْتَرِي مِثْلَهُ طِبَاعَ الْبَشَرِ.

ثُمَّ أَنَّ هَذَا الْكَلَامَ مِنْ كَلَامِ الْمَرَاةِ، لَا مِنْ^(٤) كَلَامِ يُوسُفَ، وَأَنَّهُ مَنْسُوقٌ عَلَى الْكَلَامِ الْحَكِيمِيِّ عَنْهَا، قَوْلُهُ - تَعَالَى -: ﴿قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ...﴾^(٥) إِلَى قَوْلِهِ: ﴿...بِالسُّوءِ﴾^(٦).

(١) فِي (ش) وَ(ك) وَ(هـ) وَ(أ): تَصْبِرِي.

(٢) يُوسُف: ٥٣.

(٣) فِي (هـ) وَ(أ): وَهَؤُلَاءِ.

(٤) (مِنْ) سَاقِطَةٌ مِنْ (ك).

(٥) (تَعَالَى) سَاقِطَةٌ مِنْ (ح).

(٦) يُوسُف: ٥١.

(٧) يُوسُف: ٥٣.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أُخْلَى فَوْقَ رَأْسِي خُبْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبْتْنَا بَتَاوِيلِهِ ﴾^(١).

فَكَانَ جَوَابُهُ: ﴿ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِيهِ إِلَّا نَبَاتُكُمَا بَتَاوِيلِهِ ﴾^(٢).

قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ^(٣): إِنَّمَا عَدَلَ عَنْ تَعْيِيرِ^(٤) الرُّؤْيَا، لِأَنَّهُ كَرِهَ أَنْ يُجْبَرَ هُمَا بِالتَّأْوِيلِ، لِمَا يَجْرِي عَلَى أَحَدٍ هُمَا فِيهِ. فَلَمْ يَتْرُكْهُ^(٥)، حَتَّى أَخْبَرَ هُمَا.

وَقَالَ أَبُو عَلِيٍّ^(٦): إِنَّمَا قَدَّمَ هَذَا، لِیَعْلَمَا مَا خَصَّهُ اللَّهُ^(٧) بِهِ^(٨) مِنَ النُّبُوَّةِ، وَلِیُقْبِلَا^(٩) إِلَى الطَّاعَةِ، وَالْإِقْرَارِ بِتَوْحِيدِ اللَّهِ - تَعَالَى -.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿ اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ ﴾^(١٠).

(١) يوسف: ٣٦.

(٢) يوسف: ٣٧.

(٣) جامع البيان: ١٢: ٢١٧-٢١٨.

(٤) في (ط): تأويل.

(٥) في النسخ جميعها: يتركه. وما أثبتناه هو الصواب.

(٦) هو أبو علي الطبرسي: مجمع البيان: ٣: ٢٢٣.

(٧) في (ح): الله تعالى.

(٨) في (أ): به يؤمن من النبوة.

(٩) في (أ): لتقبلا. بناء المضارعة المثناة من فرق.

(١٠) يوسف: ٤٢.

سِجْنُهُ - إِذَا كَانَ قَيْحًا، وَمُنْكَرًا - فَعَلَيْهِ، أَنْ يَتَوَصَّلَ إِلَى إِزَالَتِهِ بِكُلِّ وَجْهِ،
وَسَبَبٍ، فَلَا يَمْتَنِعُ - عَلَى هَذَا - أَنْ يَضُمَّ إِلَى دُعَائِهِ [الله] ^(١) - تعالى - رَغْبَةً ^(٢) إِلَيْهِ فِي
خَلَاصِهِ مِنَ السَّجْنِ.

وَيُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ اللهُ - تعالى - ^(٣) أَوْحَى إِلَيْهِ بِذَلِكَ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَقُولَ لِلرَّجُلِ
مَا قَالَ لَهُ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ﴾ ^(٤).

الْمُرَاوِدَةُ، هِيَ التَّلَطُّفُ، وَتَكُونُ مِنْ جِهَةِ الصَّدْقِ، وَالْكَذِبِ، مَعًا.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿جَعَلَ السَّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ﴾ ^(٥).

الْعَرَضُ - فِي ذَلِكَ - التَّسَبُّبُ إِلَى إِحْتِيَاسِ أَخِيهِ عِنْدَهُ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ
بِأَمْرِ اللهِ - تعالى -.

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (ش).

(٢) في (هـ): رعيته. بعين مهمله بعدها ياء مثناة من تحت. وفي (أ): رغبته - مع. الضمير (الهاء).

(٣) (تعالى) ساقطة من (ح).

(٤) يوسف: ٦١.

(٥) يوسف: ٧٠.

وَرُوي: أَنَّهُ أَعْلَمَ أَخَاهُ بِذَلِكَ، لِيَجْعَلَهُ طَرِيقًا إِلَى التَّمَسُّكِ بِهِ. وَوُجُودُهَا فِي رَحْلِهِ يَحْتَمِلُ وَجُوهًا كَثِيرَةً غَيْرَ السَّرِقَةِ، فَلَا يُصَرَّفُ إِلَيْهَا إِلَّا بِدَلِيلٍ.

وَأَمَّا [نِدَاءُ] ^(١) الْمُنَادِي بِأَتْنَهُمْ ﴿سَارِقُونَ﴾ ^(٢) فَلَمْ يَكُنْ بِأَمْرِهِ - عَلَيْهِ السَّلَام - وَكَيْفَ يَأْمُرُ بِالْكَذِبِ؟

وَقَالُوا: الْمُرَادُ بِأَتْنَهُمْ ﴿سَارِقُونَ﴾: أَتْنَهُمْ سَرَقُوا يُوسُفَ مِنْ أَبِيهِ - عَلَيْهَا السَّلَام -.

وَقَالُوا: أَسْقَطَ مِنْهُ «أَلِفٌ» الِاسْتِفْهَامِ. أَرَادَ: أَيْنَكُمْ لَسَارِقُونَ؟ وَهَذَا ضَعِيفٌ.



قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿اِئْتُونِي بِآخِ لَكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ﴾ ^(٣).

كَتَبَانُ يُوسُفَ خَبَرَهُ عَنْ أَبِيهِ، لِأَنَّهُ أَوْحَى اللَّهُ - تَعَالَى - إِلَيْهِ: بِأَنْ يَعْدِلَ عَنْ إِطْلَاعِهِ عَلَى خَبَرِهِ، تَشْدِيدًا لِلْمِحْنَةِ ^(٤) عَلَيْهِ، وَتَعْرِيزًا لِلْمَنْزِلَةِ الرَّفِيعَةِ فِي الْبَلَوَى. وَلَهُ - تَعَالَى - أَنْ يُصْعَبَ التَّكْلِيفَ، وَأَنْ يُسَهِّلَ.

(١) ما بين المعقوفتين ساقط من (ش).

(٢) يوسف: ٧٠.

(٣) يوسف: ٥٩.

(٤) في (ش) و(ك) و(هـ) و(أ): للمحنة. بياض موحدة من تحت.

ويجوز: أنه لم يتمكّن من ذلك، ولا قدر عليه.

قوله - سبحانه -: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا﴾^(١).

أي: سجدوا لله - تعالى -^(٢) من أجله. تقول^(٣): إنما صليت لوصولي إلى أهلي، وإنما صمت لشفائي من مَرَضِي.

ويجوز: أن يكون السجود لله - تعالى - غير أنه كان إلى جهة يوسف. كما يقال: صلى فلان إلى القبلة. وعلى هذا لا يخرج يوسف من التعظيم. ألا ترى أن القبلة، معظمة، وإن كان السجود لله - تعالى - نحوها.

والسجود، ليس بمجرّد عبادة، حتى يضامه من الأفعال ما يكون عبادة. فلا يمتنع أن يكونوا [سجدوا]^(٤) له على سبيل التحية، ولا يكون ذلك منكراً، لأنه لم يقع على وجه العبادة.

قوله - سبحانه -: ﴿مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَعَ الشَّيْطَانُ﴾^(٥).

(١) يوسف: ١٠٠.

(٢) (تعالى) ساقطة من (ح).

(٣) في (ش) و(ك) و(أ): يقول. بياء المضارعة المثناة من تحت.

(٤) ما بين المعقوفين زيادة يقتضيها السياق.

(٥) يوسف: ١٠٠.

النَّزْعُ، وَالْقَيْحُ، كَانَ مِنْهُمْ إِلَيْهِ، لَا مِنْهُ إِلَيْهِمْ، وَذَلِكَ كَمَا يَقُولُ / ٢٢ /
الْقَائِلُ: جَرَى بَيْنِي، وَبَيْنَ فُلَانٍ، شَرٌّ. وَإِنْ كَانَ مِنْ أَحَدِهِمَا.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ﴾^(١).
الْتَمَسَ تَمْكِينَهُ مِنْ خَزَائِنِهَا، لِيَحْكُمَ فِيهَا بِالْعَدْلِ، وَيَتِمَكَّنَ مِنَ الْحَقِّ،
وَالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ، وَذَلِكَ بَعْدَ مَا قَالَ الْمَلِكُ: ﴿أَتُؤْنِنِي بِهِ أَسْتَخْلِصُهُ لِنَفْسِي﴾^(٢) فَلَمَّا
كَلَّمَهُ، قَالَ: ﴿إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾^(٣).

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿إِنِّي حَفِيزٌ عَلَيْهِمْ﴾^(٤). وَقَالَ - تَعَالَى -: ﴿فَلَا تَزْكُوا
أَنْفُسَكُمْ﴾^(٥).



(١) يوسف: ٥٥.

(٢) يوسف: ٥٤.

(٣) يوسف: ٥٤.

(٤) يوسف: ٥٥.

(٥) النجم: ٣٢.

فصل [- ١٧ -]

[في قصة أيوب - عليه السلام -]

قَوْلُهُ - تَعَالَى - فِي قِصَّةِ أَيُّوبَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ -: ﴿أَنِّي مَسْنِي الشَّيْطَانُ بِغُضَبٍ
وَعَذَابٍ﴾^(١).

«النُّصْبُ»، هُوَ التَّعَبُ. وَالتَّعَبُ، الْمَضَرَّةُ الَّتِي لَا تَخْتَصُّ^(٢) بِالْعِقَابِ. وَقَدْ
تَكُونُ^(٣) - عَلَى سَبِيلِ الْإِخْتِيَارِ، وَالْعَذَابِ - الْمَضَارُّ الَّتِي لَا يَخْتَصُّ^(٤) إِطْلَاقُ
ذِكْرِهَا، بِجَهَةِ دُونَ جِهَةٍ، وَلِذَلِكَ يُقَالُ لِلظَّالِمِ الْمُعْتَدِي بِالظُّلْمِ: إِنَّهُ مُعَذَّبٌ [و] ^(٥)
مُضَرٌّ. وَإِنَّمَا قِيلَ: مُعَاقَبٌ. عَلَى سَبِيلِ الْمَجَازِ. وَإِنَّ^(٦) لَفِظَةَ «الْعِقَابِ» يَفْتَضِي^(٧)

(١) ص: ٤١.

(٢) فِي (ك) وَ(أ): يَخْتَصُّ. بَيَاءُ الْمَضَارَعَةِ الْمُتَنَاءِ مِنْ تَحْتِ.

(٣) فِي (ش) وَ(أ): يَكُونُ. بَيَاءُ الْمَضَارَعَةِ الْمُتَنَاءِ مِنْ تَحْتِ.

(٤) فِي (ش) وَ(ك) وَ(هـ): تَخْتَصُّ. بَيَاءُ الْمَضَارَعَةِ الْمُتَنَاءِ مِنْ فَوْقِ.

(٥) مَا بَيْنَ الْمُعْقُوفَيْنِ سَاقِطٌ مِنْ (ش).

(٦) فِي (ح): فَإِنَّ. مَعَ الْفَاءِ.

(٧) فِي (ش) وَ(ك) وَ(أ) وَ(ح): تَقْتَضِي. بَيَاءُ الْمَضَارَعَةِ الْمُتَنَاءِ مِنْ فَوْقِ.

ظَاهِرُهَا الْجَزَاءُ، لِأَنَّهَا مِنْ: التَّعْقِيبِ، وَالْمُعَاقِبَةِ. وَلَفْظَةُ «الْعَذَابِ» لَيْسَتْ كَذَلِكَ.
وَأَمَّا إِضَافَتُهُ ذَلِكَ إِلَى «الشَّيْطَانِ» بِمَا ابْتَلَاهُ اللَّهُ بِهِ، فَإِنَّهُ لَمْ يُضَفِّ الْمَرَضَ
إِلَيْهِ، وَإِنَّمَا أَضَافَ وَسْوَستَهُ، وَتَذَكِيرَهُ لَهُ الْعَافِيَةَ^(١). وَدُعَاؤُهُ لَهُ إِلَى التَّصَجُّرِ، وَلِأَنَّهُ
كَانَ يُوسِسُ إِلَى قَوْمِهِ: بَأَن يَسْتَنْقِذُوهُ^(٢)، وَيَتَجَنَّبُوهُ مِنْ أَمْرَاضِهِ، الْبَشَعَةِ الْمُنْظَرِ.
وَكُلُّ هَذَا صَرَرٌ مِنْ جَهَّةِ إِبْلِيسَ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْنًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنُثْ﴾^(٣).
قَالَ قَتَادَةُ^(٤)، وَالضَّحَّاكُ^(٥): إِنَّهُ كَانَ حَلَفَ عَلَى أَمْرَاتِهِ - لِأَمْرِ أَنْكَرَهُ مِنْ
قَوْلِهَا -: لَئِنْ عُرِفِي لِأَضْرِبَنَّهَا مَائَةً. فَقِيلَ لَهُ: خُذْ ضِغْنًا بِعَدَدِ مَا حَلَفْتَ، وَاضْرِبْ
بِهِ دُفْعَةً وَاحِدَةً، فَإِنَّ اللَّهَ - تَعَالَى - جَعَلَ لِأَثْوَبَ مَخْرَجًا مِنْ حَلْفِهِ.
وَالْحَيْلُ - فِي الْأَحْكَامِ - تَجَوُّزُ عِنْدَنَا. وَعِنْدَ الشَّافِعِيِّ^(٦): مَا كَانَ مُبَاحًا،
يُتَوَصَّلُ بِهِ إِلَى مُبَاحٍ.

(١) فِي (ح): الْعَافِيَةِ وَالنَّعْمِ.

(٢) فِي (ش): يَسْتَنْقِذُونَهُ.

(٣) ص: ٤٤.

(٤) جَامِعُ الْبَيَانِ: ٢٣: ١٦٩.

(٥) جَامِعُ الْبَيَانِ: ٢٣: ١٦٩.

(٦) الرِّسَالَةُ: ٣٥٤.

قَوْلُهُ: ﴿أَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِأَهْلِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَسَأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾^(١)، وقَوْلُهُ: ﴿جَعَلَ السَّقَابَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ﴾ الآية^(٢)، وقَوْلُهُ: ﴿فَالْمُورِيَّاتِ قَدْ حَاكَهُ﴾^(٣).

وَأَخَذَ وَإِلَّ حَجْرًا عِدَاءً، فَحَلَفَ سُؤَيْدُ^(٤) بَنُ حَنْظَلَةَ: إِنَّهُ أَخِي، فَخَلُّوا عَنْهُ. فَذَكَرَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ - عَلَيْهِ السَّلَامُ^(٥) - فَقَالَ^(٦): صَدَقْتَ. وَالْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ. [و] ^(٧) وَرَدَّ أَنَّ النَّبِيَّ، كَانَ إِذَا أَرَادَ غَزْوًا، تَبَيَّأَ بِمَوْضِعٍ آخَرَ، حَتَّى لَا يَقِفَ عَلَيْهِ النَّاسُ.

وَمِنْهُ حَدِيثُ^(٨) عَلِيٍّ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - لَعَمْرُو بْنِ عَبْدِ وَدٍّ - بَعْدَ^(٩) مَا رَجَعَ وَعَصَبَ رَأْسُهُ مِنْ ضَرْبَةِ عَمْرٍو - خُدَعَةً^(١٠): أَتْبَارِزُنِي وَحَدَكَ أَمْ مَعَكَ غَيْرُكَ؟

(١) الأنبياء: الآيتان ٦٢ - ٦٣.

(٢) يوسف: ٧٠.

(٣) العاديات: ٢.

(٤) في (أ): سويت. وهو تحريف.

(٥) في (أ) و(ج): صلى الله عليه وآله.

(٦) سنن ابن ماجه: ١: ٦٨٥ بإسقاط الواو من «والمسلم...» سنن أبي داود: ٢: ٢٠٠.

(٧) ما بين المعقوفين زيادة من (ح).

(٨) السير الكبير لمحمد بن الحسن الشيباني: ١: ١٢٠.

(٩) في (أ): وَيَعْدُ.

(١٠) في (ك) و(هـ): خَدَعَهُ. بصيغة الماضي مع ضمير المفرد الغائب.

فالتفت عمرو، فصرَّبه عليٌّ، فقال النبيُّ^(١) - عليه السلام -: الحَرْبُ خُدْعَةٌ.

وقال أبو حنيفة: الحيلة المحظورة، يتوصل بها إلى المباح، جائز، واستدل بقوله: ﴿وَسْتَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ^(٢)﴾، فكانوا يكسبون^(٣) يوم السبت، ويصيدون يوم الأحد.

وقال النبيُّ^(٤) - عليه السلام -: لعن الله اليهود؛ حرَّمت عليهم الشحوم، فباعوها، وأكلوا أموالها.



قوله - سبحانه -: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَحَى الضَّرُّ^(٥)﴾.

هو^(٦) الضَّرُّ، الذي قد يكون حِنَّةً، وليس يُمنَكِرُ أن يكون^(٧) أمراضاً أيوب

(١) صحيح مسلم: ٥: ١٤٣.

(٢) الأعراف: ١٦٣.

(٣) في (ك) و(ح): يكسبون. بالياء الموحدة من تحت ثم السين المهملة.

(٤) مسند أحمد: ١١: ٢٠٢. باختلاف يسير. ط. شاكر. صحيح البخاري: ٣: ١٠٧. وفيه: «فأقبل

الله يهود حرَّمت... سنن النسائي: ٢: ١٩٢. بلفظ مغاير. تاريخ بغداد: ٤: ٢٢٠ / ١٠: ٢٢.

باختلاف يسير. مسند أبي يعلى الموصلي: ١: ١٧٨ / ٤: ١٤٧ / ٥: ٣٨٣ / ٦: ١٦٠.

(٥) الأنبياء: ٨٣.

(٦) في (ح): الضَّرُّ هو الذي يكون...

(٧) في (ح): تكون.

- عَلَيْهِ السَّلَام - وَحِجَّتُهُ فِي جِسْمِهِ، وَأَهْلِيهِ، وَمَالِهِ، بَلَغَتْ مَبْلَغاً عَظِيماً، لِكُونِ
اللُّطْفِ، وَالْمُضْلَحَةِ فِيهَا.

وإنَّها^(١) يُنْكَرُ الْأَمْرَاضُ الْمُسْتَقْدَرَّةُ، مِثْلُ الْبَرَصِ، وَالْجُدَامِ، وَفِيهِ كَلَامٌ كَثِيرٌ.
وَأَمَّا الْأَمْرَاضُ النَّازِلَةُ بِهِ، فَكَانَتْ اخْتِيَاراً، أَوْ تَعْرِيضاً^(٢) لِلشَّوَابِ بِالصَّبْرِ
عَلَيْهَا، وَالْعَرَضِ الْعَظِيمِ فِي مُقَابَلَتِهَا.



(١) العبارة: «وإنَّها يُنْكَرُ الْأَمْرَاضُ... وفيه» ساقطة من (أ).

(٢) في (ش) و(هـ) و(أ): وتعرضاً. مع الواو.

فصل [- ١٨ -]

[في قصة شعيب - عَلَيْهِ السَّلَام]

قَوْلُهُ - تَعَالَى - فِي قِصَّةِ شُعَيْبٍ - عَلَيْهِ السَّلَام - ^(١): ﴿قَدْ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا﴾ ^(٢).

الْمِلَّةُ الَّتِي عَنَّا ^(٣) اللَّهُ - تَعَالَى - إِنَّمَا هِيَ الشَّرْعِيَّاتُ لِقَوْمِ شُعَيْبٍ، وَهِيَ مَنَسُوخَةٌ عَنْهُمْ دُونَ الِاعْتِقَادَاتِ فِي الْأُصُولِ.

وَالشَّرْعِيَّاتُ يَجُوزُ فِيهَا اخْتِلَافُ الْعِبَادَةِ مِنْ حَيْثُ تَتَّبَعُ الْمَصَالِحُ، وَالْأَلْطَافُ، وَالْمَعْلُومُ مِنْ أَحْوَالِ الْمُكَلَّفِينَ.

فَكَانَتْ قَالُ: إِنْ مَلَّتْكُمْ لَا نَعُودُ فِيهَا، مَعَ عَلِمِنَا بِأَنَّ اللَّهَ - تَعَالَى ^(٤) - قَدْ نَسَخَهَا، إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ أَنْ يَتَّعَبِدَنَا بِمِثْلِهَا، فَنَعُودُ إِلَيْهَا.

(١) (عَلَيْهِ السَّلَام) ساقطة من (ح).

(٢) الأعراف: ٨٩.

(٣) في (أ): عنها. وهو تحريف.

(٤) (تعالى) ساقطة من (ح).

وَتِلْكَ الْأَفْعَالُ الَّتِي كَانُوا مُتَمَسِّكِينَ بِهَا، مَعَ نَسْخِهَا / ١٢٣ / عَنْهُمْ، وَتَنْهِيهِمْ عَنْهَا - وَإِنْ كَانَتْ ضَلَالًا، وَكُفْرًا - فَقَدْ يَجُوزُ فِيهَا هُوَ مِثْلُهَا أَنْ يَكُونَ إِيَّانَا. بَلْ فِيهَا، أَنْفُسُهَا قَدْ كَانَ يَجُوزُ ذَلِكَ.

وَلَيْسَ تَجْرِي هَذِهِ الْأَفْعَالُ، تَجْرِي الْجَهْلُ بِاللَّهِ، الَّذِي لَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ إِلَّا قَبِيحًا.

وَأَرَادَ أَنْ ذَلِكَ، لَا يَكُونُ - أَبَدًا - مِنْ شُعَيْبٍ، إِلَّا بِمَشِيئَةِ اللَّهِ، لِمَا كَانَ مَعْلُومًا أَنَّهُ لَا يَشَاوُهُ.

وَكُلُّ أَمْرٍ، عُلِّقَ بِمَا لَا يَكُونُ، فَقَدْ نُفِيَ كَوْنُهُ عَلَى أَبْعَدِ الْوُجُوهِ، كَقَوْلِهِ: ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾^(١).

يُقَالُ: لَا أَفْعُلُ ذَلِكَ حَتَّى يَبْيَضَّ الْقَارُ، وَيَشِيبَ الْعُرَابُ.

وَقَالَ قُطْرُبٌ^(٢): فِي الْكَلَامِ، تَقْدِيمٌ، وَتَأْخِيرٌ. وَالِاسْتِثْنَاءُ، مِنَ الْكُفَّارِ وَقَعَ، لَا مِنْ شُعَيْبٍ.

فَكَانَهُ - تَعَالَى - قَالَ - حَاكِيًا عَنِ الْكُفَّارِ -: لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا، إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ أَنْ نَعُودَ فِي مِلَّتِنَا. ثُمَّ قَالَ - تَعَالَى - حَاكِيًا عَنْ شُعَيْبٍ -: وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا. عَلَى حَالِ «الْهَاءِ» مِنْ «فِيهَا»، نَعُودُ إِلَى

(١) الأعراف: ٤٠.

(٢) هذا القول في التبيان في تفسير القرآن: ٤ : ٤٦٨ من دون عزو إلى أحد.

«الْقَرْيَةِ»^(١) لا إلى «الْمَلَّة»^(٢) لَأَنَّهُ قَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهَا.

المعنى: إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ أَنْ يَرُدَّكُمْ إِلَى الْحَقِّ، فَتَكُونُ - جَمِيعاً - عَلَى مِلَّةٍ وَاحِدَةٍ.

لَأَنَّهُ لَمَّا حَكَى عَنْهُمْ: ﴿أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾^(٣) كان معناه: أَوْ لِنَكُونَنَّ عَلَى مِلَّةٍ وَاحِدَةٍ. فَحَسُنَ أَنْ يَقُولَ - مِنْ بَعْدُ -: إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ أَنْ يَجْمَعَكُمْ مَعَنَا عَلَى مِلَّةٍ وَاحِدَةٍ. المعنى: إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ أَنْ^(٤) يُمَكِّنَكُمْ مِنْ إِكْرَاهِنَا، بَأَنْ يُجَلِّي^(٥) بَيْنَكُمْ، وَبَيْنَهُ، فَتَعُودَ إِلَى إِظْهَارِهَا مُكْرَهِينَ.

يُؤَيِّدُ ذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ﴾^(٦). المعنى: إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ أَنْ يَتَعَبَّدَنَا بِإِظْهَارِ مِلَّتِكُمْ، مَعَ الْإِكْرَاهِ، لِأَنَّ إِظْهَارَ كَلِمَةِ الْكُفْرِ، قَدْ يَحْسُنُ فِي بَعْضِ الْأَحْوَالِ، إِلَى أَنْ يَتَعَبَّدَ اللَّهُ بِإِظْهَارِهَا. يَقْوِي ذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ﴾.

(١) في الآية: ٨٨ من سورة الأعراف.

(٢) في الآية: ٨٨ من سورة الأعراف.

(٣) الأعراف: ٨٨.

(٤) في (هـ): أي.

(٥) في (ك) و(ح): نخلي. بنون المضارعة الموحدة من فوق.

(٦) الأعراف: ٨٨.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ - حَاكِياً عَنْ شُعَيْبٍ -: ﴿وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾^(١).

والشيء لا يُعْطَفُ على نَفْسِهِ، لا سيما بِالْحَرْفِ الَّذِي يَقْتَضِي التَّرَاخِي. ثُمَّ إِنَّ الْإِسْتِغْفَارَ، هُوَ التَّوْبَةُ.

الْجَوَابُ: اجْعَلُوا الْمَغْفِرَةَ - أَوَّلًا - فِي^(٢) الطَّلَبِ، وَالتَّوْبَةَ - آخِرًا - فِي السَّبَبِ، وَسَلُّوهُ^(٣) التَّوْفِيقَ لِلْمَغْفِرَةِ، وَالْمَعُونَةَ عَلَيْهَا، ثُمَّ تُوبُوا، لِأَنَّ التَّوْفِيقَ، يَكُونُ قَبْلَهَا، وَاسْتَغْفِرُوهُ قَوْلًا، ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ بِالنِّيَّةِ، الَّتِي بِهَا يُسْقَطُ الْعِقَابُ.

نَخَاطَبُ الْمُشْرِكِينَ بِاللَّهِ - تَعَالَى - فَقَالَ: اسْتَغْفِرُوهُ مِنَ الشَّرِكِ بِمُقَارَفَتِهِ، ثُمَّ تُوبُوا. أَي: ازْجِعُوا إِلَيْهِ بِأَفْعَالِ الْحَقِيرِ. اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ أَقِيمُوا عَلَى التَّوْبَةِ إِلَيْهِ تَكَرُّرًا، وَتَاكِيدًا^(٤). كَمَا يُقَالُ: اضْرِبْ زَيْدًا ثُمَّ اضْرِبْهُ. وَافْعَلْ هَذَا ثُمَّ افْعَلْهُ. أَرَادَ بِ«ثُمَّ»: الْوَاوَ، بِمَعْنَى: اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ، وَتُوبُوا^(٥) إِلَيْهِ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ...﴾^(٦) إِلَى قَوْلِهِ: ﴿...إِخْدَى ابْتِئْسَى

(١) هود: ٩٠.

(٢) (في) ساقطة من (أ).

(٣) (في) (ك) و (ح): واسألوه.

(٤) (في) (هـ): تأكيداً وتكراراً.

(٥) (في) (ك): توبوا. بالناء المثلثة.

(٦) القصص: ٢٦.

هَاتَيْنِ^(١).

سَأَلَتْهُ أَنْ يَسْتَأْجِرَهُ، وَمَدَحَتْهُ بِالْقُوَّةِ، وَالْأَمَانَةِ. كَانَ كَلَامُهَا، دَالًّا عَلَى
الترغيب فيه، والتَّقَرُّبِ مِنْهُ، فَبَذَلَ لَهُ النِّكَاحَ، الَّذِي فِيهِ غَايَةُ الْاِخْتِصَاصِ فِيهَا
فَعَلَهُ شُعَيْبٌ فِي غَايَةِ الْمُطَابَقَةِ لِمَا يَفْتَضِيهِ سُؤَالُهَا.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِي حِجَجٍ فَلَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ
عِنْدِكَ﴾^(٢).

إِنَّمَا جَازَ^(٣) التَّخْيِيرُ، وَالتَّفْوِضُ فِي الصَّدَاقِ^(٤)، وَاسْتِفَادَةُ شُعَيْبٍ لِنَفْسِهِ،
لَأَنَّهُ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْغَنَمُ كَانَتْ لِشُعَيْبٍ، وَكَانَتْ الْفَائِدَةُ - بِاسْتِجَارِ مَنْ يَزَعَاهَا -
عَائِدَةً عَلَيْهِ. إِلَّا أَنَّهُ أَرَادَ أَنْ يُعَوِّضَ بِنَتِّهِ^(٥) مِنْ قِيمَةِ رَغِيهَا، فَيَكُونُ ذَلِكَ مَهْرًا لَهَا.
وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مِنْ شَرِيعَتِهِ الْعَقْدُ بِالتَّرَاضِي مِنْ غَيْرِ صَدَاقٍ مُعَيَّنٍ، وَيَكُونُ
قَوْلُهُ: ﴿عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي...﴾ عَلَى غَيْرِ وَجْهِ الصَّدَاقِ. وَهَذَا ضَعِيفٌ.

(١) القصص: ٢٧.

(٢) القصص: ٢٧.

(٣) في (ل): جزاء.

(٤) في (ش): الصدر. وهو تحريف.

(٥) في (ح): ابنته. مع همزة الوُضَل.

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْغَنَمُ، كَانَتْ لِلْبَنَاتِ، وَكَانَ الْأَبُ الْمُتَوَلَّى لِأَمْرِهَا. وَقَبْضُ
الْأَبِ مَهْرَ بَنْتِهِ^(١)، جَائِزٌ.

وَأَجْمَعُوا عَلَى أَنَّهَا كَانَتْ بِكَرَاءٍ. حَذَفَ ذِكْرَ الصَّدَاقِ، وَذَكَرَ مَا شَرَطَ لِنَفْسِهِ
مُضَافاً إِلَى الصَّدَاقِ، لِأَنَّهُ جَائِزٌ أَنْ يَشْرِطَ^(٢) الْوَلِيُّ لِنَفْسِهِ مَا يَخْرُجُ عَنِ الصَّدَاقِ.
وظَاهِرُ الْآيَةِ: أَنَّ أَحَدَهُمَا، جَزَاءٌ^(٣) عَلَى الْآخَرِ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ - عَنْ صَالِحٍ - عَلَيْهِ السَّلَامُ -: ﴿فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ
تَحْسِيرٍ﴾^(٤).

معناه: فما تزيدونني غيرَ تَحْسِيرِكُمْ، وَتَضْلِيلِكُمْ. أَي: تَصِيرُونَنِي عِنْدِي
خُسَارًا، ضَلَالًا. كَقَوْلِهِ: ﴿يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ﴾^(٥)، فَتَصِيرُ^(٦) الْحَسْرَةُ عَلَيْهِمْ.
أَي: مِنْهُمْ.



(١) فِي (ح): بَنْتُهُ الْبَالِغُ.

(٢) فِي (ح): يَشْرِطُ.

(٣) فِي (ش) وَ(ح): جِزَاءٌ.

(٤) هُود: ٦٣.

(٥) يَس: ٣٠.

(٦) فِي (ك): فَيَصِيرُ. بَيَاءُ الْمُضَارَعَةِ الْمُثْنَاءُ مِنْ تَحْتِ.

فصل [- ١٩ -]

[في قصة موسى - عَلَيْهِ السَّلَام -]

قَوْلُهُ - تَعَالَى - فِي قِصَّةِ مُوسَى - عَلَيْهِ السَّلَام - : ﴿فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ﴾^(١).

أَرَادَ أَنْ يُجَلِّصَ مَنْ اسْتَعَاثَ إِلَيْهِ مِنْ شَيْعَتِهِ، فَأَدَّى ذَلِكَ إِلَى الْقَتْلِ مِنْ غَيْرِ قَضْدٍ.

وَكُلُّ أَلَمٍ يَقَعُ عَلَى سَبِيلِ الْمُدَافَعَةِ لِلظَّالِمِ، مِنْ غَيْرِ قَضْدٍ، فَهُوَ حَسَنٌ، وَلَا يَسْتَحِقُّ الْعَوَضَ بِهِ.

وَلَا فَرْقَ بَيْنَ أَنْ يُدَافِعَ عَنْ نَفْسِهِ، أَوْ عَنْ غَيْرِهِ. وَالشَّرْطُ فِيهِمَا أَنْ يَكُونَ الضَّرَرُ غَيْرَ مَقْصُودٍ، وَأَنْ يَكُونَ الْقَضْدُ إِلَى دَفْعِ الْمَكْرُوهِ، وَالْمَنْعِ مِنْ وَقُوعِ الضَّرَرِ. ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ - تَعَالَى - كَانَ قَدْ عَرَفَ مُوسَى اسْتِحْقَاقَ الْقَبْطِيِّ الْقَتْلَ، بِكُفْرِهِ، وَنَدَبَهُ إِلَى تَأْخِيرِ قَتْلِهِ إِلَى حَالِ التَّمَكُّنِ^(٢)، فَلَمَّا رَأَى مِنْهُ الْإِقْدَامَ عَلَى رَجُلٍ مِنْ

(١) القصص: ١٥.

(٢) في (ك): التمكن.

شيعته، تَعَمَّدَ قَتْلَهُ تَارِكاً لِمَا نُذِبَ إِلَيْهِ، مِنْ تَأْخِيرِ قَتْلِهِ.

وَقَتْلَهُ لَا يَخْلُو: إِمَّا أَنْ يَكُونَ قَتْلُهُ عَمْدًا، وَهُوَ مُسْتَحَقٌّ، فَلَا يَكُونُ عَاصِيًا^(١)، أَوْ قَتْلُهُ عَمْدًا، وَهُوَ غَيْرُ مُسْتَحَقٍّ، فَهَذِهِ كَبِيرَةٌ. وَإِنْ قَتْلُهُ خَطَأً، وَهُوَ مُسْتَحَقٌّ، أَوْ غَيْرُ مُسْتَحَقٍّ، فَفِعْلُهُ، خَارِجٌ مِنْ بَابِ الْقَبِيحِ، جُمْلَةً. وَهَذَا رَدٌّ عَلَى مَنْ قَالَ: إِنْ قَتْلَهُ، كَانَ صَغِيرَةً.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ ﴾^(٢).

أَي: تَزْيِينُ قَتْلِي [لَهُ]^(٣)، وَتَرْكِي لِمَا نُذِبْتُ إِلَيْهِ مِنْ تَأْخِيرِهِ، وَتَفْصِيَتِي لِمَا اسْتَحَقَّهُ مِنَ الثَّوَابِ، مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ. مُفْصِحًا^(٤) - بِذَلِكَ - عَنْ خِلَافِهِ لِلَّهِ - تَعَالَى - وَاسْتِحْقَاقِهِ لِلْقَتْلِ.

وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِالشَّيْطَانِ، الْقِبْطِيُّ فِي اعْتِدَائِهِ^(٥).

(١) العبارة في (هـ): «وهو لا يكون عاصياً وقتله عمداً وهو مستحق ولا يكون عاصياً» وهي عبارة مضطربة.

(٢) القصص: ١٥.

(٣) ما بين المعوتين ساقط من (ش).

(٤) في (ك) و(هـ) و(أ) و(ح): منصفاً. بنون موحدة من فوق.

(٥) في (أ): اعترافه.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿إِنَّكَ لَعَوِيٌّ مُبِينٌ﴾^(١).

أي: خَائِبٌ فِي طَلَبِ مَا تَذْكُرُهُ، ثُمَّ قَصَدَ إِلَى نُصْرَتِهِ، كَمَا نَصَرَهُ بِالْأَمْسِ عَلَى الْآخِرِ، فَظَنَّ أَنَّهُ يُرِيدُ الْبَطْشَ بِهِ، فَقَالَ: ﴿أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ﴾^(٢).

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَلَهُمْ عَلَى ذَنْبٍ﴾^(٣).

قَالَ مُجَاهِدٌ^(٤)، وَقَتَادَةُ^(٥): يَعْنِي: قَتَلَ الْقِبْطِيُّ الَّذِي قَتَلَهُ مُوسَى حِينَ اسْتَضَرَّحَ بِهِ وَاحِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِي بِذَلِكَ الْمَقْتُولِ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَفَعَلْتَ فَعَلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾^(٦).
لِنِعْمَتِي، وَحَقُّ تَرْبِيَّتِي. يُقَوِّيه قَوْلُهُ: ﴿أَلَمْ تُرَبِّكْ فِينَا وَلِيدًا﴾^(٧).

(١) القصص: ١٨.

(٢) القصص: ١٤.

(٣) الشعراء: ١٤.

(٤) جامع البيان: ١٩: ٦٤، ٦٥. الدر المنثور: ٦: ٢٩١.

(٥) جامع البيان: ١٩: ٦٥. الدر المنثور: ٦: ٢٩١. الجامع لأحكام القرآن: ١٣: ٢٦٠.

(٦) الشعراء: ١٩.

(٧) الشعراء: ١٨.

وقال الحسن^(١): ﴿وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ بي، أَنِّي لَمْ أَكُ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿قَالَ فَعَلْتُهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ﴾^(٢).

أي: الداهيين عَنْ أَنَّ الْوَكْزَةَ تَأْتِي عَلَى النَّفْسِ، أَوْ أَنَّ الْمُدَافَعَةَ، تُفْضِي إِلَى الْقَتْلِ. وَقَدْ يُسَمَّى الدَّاهِبُ عَنِ الشَّيْءِ أَنَّهُ ضَالٌّ عَنْهُ.

ويجوزُ أَنْ يُرِيدَ^(٣): أَنَّنِي^(٤) ضَلَلْتُ^(٥) عَنْ فِعْلِ الْمُنْدُوبِ إِلَيْهِ مِنَ الْكَفِّ عَنْ^(٦) الْقَتْلِ فِي تِلْكَ الْحَالِ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾^(٧) كَقَوْلِ آدَمَ: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا﴾^(٨).

(١) مجمع البيان: ٥: ١٨٦. وكذا: في الجامع لأحكام القرآن: ١٣: ٩٥. وهو في جامع البيان: ١٩:

٦٦ منسوب إلى السُّدِّي. وفي تفسير البغوي: ٣: ٣٨٣ معزواً إلى الحسن والسدي.

(٢) الشعراء: ٢٠.

(٣) في (ل): تريدني.

(٤) في (ل): أُنِّي.

(٥) في (ك) و(هـ): ظَلَلْتُ. بالطاء المعجمة.

(٦) في (هـ): عَلَى.

(٧) التَّمَلُّ: ٤٤.

(٨) الأعراف: ٢٣.

وَتَوْبُهُمَا إِنَّمَا كَانَتْ عَلَى وَجْهِ الْحُشُوعِ، وَالْانْقِطَاعِ إِلَى اللَّهِ - تَعَالَى - وَذَلِكَ دَأْبُ الصَّالِحِينَ عِنْدَ تَجَدُّدِ آيَاتِ اللَّهِ - تَعَالَى -.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿فَاغْفِرْ لِي﴾^(١).

فَاقْبَلْ مِنِّي هَذِهِ الْقُرْبَةَ، وَالرُّجُوعَ^(٢) إِلَيْكَ. وَيُسَمَّى الْاسْتِغْفَارُ، وَالتَّوْبَةُ: غُفْرَانًا.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿أَنْ أَتِبَ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾^(٣).

فَأَجَابَ مُوسَى: ﴿إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾^(٤)، ﴿فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ﴾^(٥).
لَيْسَ ذَلِكَ اسْتِغْفَاءً^(٦) عَنِ الرِّسَالَةِ، بَلْ كَانَ قَدْ أُذِنَ لَهُ فِي أَنْ يَسْأَلَ ضَمَّ
أَخِيهِ فِي الرِّسَالَةِ إِلَيْهِ، قَبْلَ هَذَا الْوَقْتِ. وَضُمِّنَتْ لَهُ الْإِجَابَةُ، قَوْلُهُ^(٧): ﴿وَاجْعَلْ لِي

(١) القصص: ١٦.

(٢) في (أ): الرجوع. وهو تحريف.

(٣) الشعراء: ١٠.

(٤) الشعراء: ١٢.

(٥) الشعراء: ١٣.

(٦) في (ش) و(أ): استغفار.

(٧) في (ح): لقوله تعالى.

وَزِيرًا مِنْ أَهْلِ هَارُونَ أَحْيَى^(١).

فَاجَابَهُ اللَّهُ - تَعَالَى -: ﴿قَدْ أَوْنَيْتَ سُوْلَكَ يَا مُوسَى﴾^(٢).

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿الْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ﴾^(٣).

[فَكَأَنَّهُ قَالَ: فَالْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ]^(٤) إِنْ كُنْتُمْ مُحَقِّقِينَ، وَكَانَ فِيهَا تَفَعُّلُوْنُهُ حُجَّةً.

وَحَذَفُ الشَّرْطِ - فِي الْأَمْرِ - جَائِزٌ، لِدَلَالَةِ الْكَلَامِ عَلَيْهِ، وَاقْتِضَاءِ الْحَالِ لَهُ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ دَعَاؤُهُمْ - عَلَى وَجْهِ التَّحْذِي^(٥) - إِلَى الْإِلْقَاءِ^(٦)، عَلَى وَجْهِ، يُسَاوُونُهُ فِيهِ بِالتَّحْيِيلِ^(٧)، وَيَغْلِبُهُمُ بِالْحُجَّةِ مِنْ انْقِلَابِ الْجَمَادِ حَيَّةً عَلَى الْحَقِيقَةِ^(٨). وَقَدْ بَيَّنَّ اللَّهُ - تَعَالَى - ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ...﴾^(٩) إِلَى قَوْلِهِ:

(١) طه: الآيتان ٢٩ - ٣٠.

(٢) طه: ٣٦.

(٣) يونس: ٨٠.

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (ش). وفي (ح): كَأَنَّهُ. من دون (الفاء).

(٥) في (ح): التحري. بالراء المهملة.

(٦) في (أ): الفاعل.

(٧) في (ش) و(هـ) و(أ): بالتحيّل. بالحاء المهملة.

(٨) العبارة في (أ): «حَيَّةٌ عَلَى الْكُفَّارِ الْحَقِيقَةِ» وهي عبارة مضطربة.

(٩) الأعراف: ١١٣.

﴿... صَاغِرِينَ﴾^(١).

قَالَ الْجَبَّائِيُّ^(٢): قَوْلُهُ: ﴿الْقُوا...﴾، كُفِّرَ لَهُمْ، وَتَهْدِيدٌ^(٣).

ومعناه: مَنْ كَانَ إِلْقَاؤُهُ، مِنْكُمْ حُجَّةً عِنْدَهُ، ابْتَدَأَ بِالْإِلْقَاءِ.

وَقَالَ قَوْمٌ: يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ أَمْرًا عَلَى الْحَقِيقَةِ، أَمَرَهُمْ بِالْإِلْقَاءِ عَلَى وَجْهِ
الاعتبار، لا على وَجْهِ، يُقْوِي الْكُفْرَ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿فَإِذَا جَاءَهُمْ وَعَصِيَهُمْ يُجِيلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا
تَسْعَى﴾^(٤).

إِنَّمَا قَالَ: «يُجِيلُ» لِأَنَّهَا لَمْ تَكُنْ تَسْعَى حَقِيقَةً، وَإِنَّمَا تَحَرَّكَتْ^(٥)، لِأَنَّهُ قِيلَ:
جُعِلَ - دَاخِلُهَا - زَيْبُقٌ، فَلَمَّا حَيَّتْ بِالشَّمْسِ، طَلَبَ الزَّيْبُقُ الصُّعُودَ، فَتَحَرَّكَتْ
الْعِصْيُ، فَظَنَّ أَنَّهَا تَسْعَى.

(١) الأعراف: ١١٩.

(٢) التبيان في تفسير القرآن: ٤: ٥٠٢.

(٣) في (أ): تهديه. وهو تحريف.

(٤) طه: ٦٦.

(٥) (إنما تحركت) ساقطة من (ح).

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى﴾^(١).

إِنَّهُ لَمْ يَخَفْ إِلَّا مِنْ قُوَّةِ التَّلْبِيسِ، وبالتَّخْيِيلِ^(٢)، ما أن أشفقَ عندهُ مِنْ وَقُوعِ الشُّبْهَةِ عَلَى مَنْ لَمْ يُنْعَمِ النَّظَرُ. ولا / ١٢٥ / يَفْتَضِي شَكَّهُ فِي صِحَّةِ مَا أَتَى بِهِ، فَأَمَّنَهُ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ، وَبَيَّنَّ^(٣) أَنَّ حُجَّتَهُ، سَتَصَحُّ لِلْقَوْمِ بِقَوْلِهِ: ﴿لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى﴾^(٤).

يُؤَفِّقُهُ قَوْلُ^(٥) أمير المؤمنين - عَلَيْهِ السَّلَام - : لَمْ يُوجِسْ مُوسَى خِيفَةً عَلَى نَفْسِهِ، بَلْ أَشْفَقَ مِنْ غَلَبَةِ الْجَهَّالِ، وَدَوَلِ الضَّلَالِ.



قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿فَلَمَّا آتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا رَبُّكَ﴾^(٦).

إِنَّمَا عَلِمَ مُوسَى أَنَّ هَذَا النَّدَاءَ مِنْ قِبَلِ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - بِمُعْجَزٍ، أَظْهَرَهُ لَهُ اللَّهُ. كَمَا قَالَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ: ﴿نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَن يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ وَأَنَّ النَّبِيَّ عَصَاكَ فَلَمَّا

(١) طه: ٦٧.

(٢) في (ش): بالتحليل. وهو تحريف.

(٣) في (أ): لين.

(٤) طه: ٦٨.

(٥) نهج البلاغة بشرح محمد عبده: ١: ٣٩. المسترشد في إمامة علي بن أبي طالب (ع): ٤٦ - ٤٧.

(٦) طه: الآيتان ١١ - ١٢.

رَأَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ^(١) حَتَّى قِيلَ لَهُ: ﴿أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ﴾^(٢).

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ﴾^(٣).

قَالَ الْحَسَنُ^(٤)، وَابْنُ جُرَيْجٍ^(٥): لِيُبَاشِرَ بِقَدَمِهِ بَرَكَةَ الْوَادِي الْمُقَدَّسِ. وَهُوَ قَوْلُ^(٦) أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ -.

وَقَالَ الْبَلْخِيُّ^(٧): إِنَّهُ أَمَرَ بِذَلِكَ عَلَى وَجْهِ الْخُضُوعِ، وَالتَّوَاضُّعِ، لِأَنَّ التَّخَفِّيَ فِي مِثْلِ ذَلِكَ، أَعْظَمُ تَوَاضُّعًا، وَخُضُوعًا.

وَقَالَ كَعْبٌ^(٨)، وَعِكْرِمَةُ^(٩): لِأَنَّهَا كَانَتْ مِنْ جِلْدِ حَمَارٍ مَيِّتٍ.

(١) القصص: الآيتان ٣٠ - ٣١.

(٢) القصص: ٣١.

(٣) طه: ١٢.

(٤) جامع البيان: ١٦: ١٤٤. أيضاً مجمع البيان: ٤: ٥. الجامع لأحكام القرآن: ١١: ١٧٣.

(٥) جامع البيان: ١٦: ١٤٤. أيضاً مجمع البيان: ٤: ٥. الجامع لأحكام القرآن: ١١: ١٧٣.

(٦) جامع البيان: ١٦: ١٤٤. أيضاً مجمع البيان: ٤: ٥. الجامع لأحكام القرآن: ١١: ١٧٣.

(٧) تفسير التبيان: ٧: ١٤٥، وفي مجمع البيان: ٤: ٥ غير معزو إلى أحد.

(٨) جامع البيان: ١٦: ١٤٤. أيضاً مجمع البيان: ٤: ٥. الدر المنثور: ٥: ٥٥٩. الجامع لأحكام

القرآن: ١١: ١٧٣.

(٩) جامع البيان: ١٦: ١٤٤. أيضاً مجمع البيان: ٤: ٥. الجامع لأحكام القرآن: ١١: ١٧٣.

وهذا فاسدٌ، لأنَّ النَّبِيَّ، لَا يَسْتَحِلُّ^(١) الْمَيْتَ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿عِبْلاً جَسَداً لَهُ خَوَارٍ﴾^(٢).

قَالَ الْحَسَنُ^(٣)، وَأَبُو بَكْرٍ بْنُ الْأَخْشِيدِ: إِنَّهُ كَانَ مَعْلُوماً، مُعْتَاداً فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ: أَنَّهُ مَنْ قَبِضَ مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ قَبْضَةً، فَأَلْقَاهَا عَلَى جَمَادٍ، صَارَ حَيَوَاناً. فَعَلَى هَذَا لَا يَكُونُ خَرَقُ الْعَادَةِ، بَلْ كَانَ مُعْتَاداً.

وَقَالَ الْجُبَّانِيُّ^(٤): الْمَعْنَى: إِنَّهُ سَوَّلَتْ لَهُ نَفْسُهُ مَا لَا حَقِيقَةَ لَهُ وَإِنَّمَا جَازَ بِحِيلَةٍ، جُعِلَتْ فِيهِ مِنْ خُرُوقٍ، إِذَا دَخَلَتْهُ الرِّيحُ، سُمِعَ لَهُ خَوَارٌ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي﴾^(٥).

مَجَازٌ. لِأَنَّ الْإِنْسَانَ، لَا يَصُحُّ أَنْ يَكُونَ مَقْدُوراً عَلَيْهِ، أَوْ فِي حُكْمِ الْمَقْدُورِ عَلَيْهِ، فِي أَنَّهُ يُصَرَّفُهُ تَضَرُّيفَ الْمَقْدُورِ، كَمِلْكِ الْإِنْسَانِ لِلْمَالِ، وَالْعَبْدِ.

(١) فِي (أ): يَسْتَحِيلُ. بَيَاءُ مَثَلَةٍ مِنْ تَحْتَ بَيْنِ الْحَاءِ وَاللَّامِ.

(٢) طه: ٨٨.

(٣) مَجْمَعُ الْبَيَانِ: ٤: ٤٨٠. الْجَامِعُ لِأَحْكَامِ الْقُرْآنِ: ١١: ٢٣٥.

(٤) مَجْمَعُ الْبَيَانِ: ٤: ٢٦.

(٥) الْمَائِدَةُ: ٢٥.

وَمَعْنَاهُ: إِنَّهُ لَمَّا مَلَكَ تَضَرُّيفَ نَفْسِهِ فِي طَاعَةِ اللَّهِ، جَازَ أَنْ يَصِفَ نَفْسَهُ بِأَنَّهُ
بِمَا يَجُوزُ^(١) أَنْ يَمْلِكَهُ.

وقوله: «أَخِي»، لأنه^(٢) كان - أيضاً - طائِعاً لَهُ فِيمَا يَأْمُرُهُ بِهِ، فَكَانَ كَالْقَادِرِ
عَلَيْهِ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ مُجْرِمُونَ﴾^(٣)، وَذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا
آيَسَ^(٤) مِنْ قَوْمِهِ أَنْ يُؤْمِنُوا بِهِ، دَعَا اللَّهَ رَبَّهُ، فَقَالَ: إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ مُجْرِمُونَ.

وَقِيلَ: إِنَّهُ دَعَا، لَمَا يَقْتَضِي سُوءَ أَفْعَالِهِمْ، فَكَانَهُ قَالَ: اللَّهُمَّ عَجِّلْ بِمَا
يَسْتَحِقُّونَهُ بِأَجْرَامِهِمْ، بِمَا بِهِ يَكُونُونَ أَتْكَالاً^(٥) لِمَنْ بَعْدَهُمْ.

وَمَا دَعَا هَذَا الدُّعَاءَ، إِلَّا بَعْدَ أَنْ أَدِنَ اللَّهُ لَهُ فِي الدُّعَاءِ عَلَيْهِمْ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَتْ زِينَةً وَأَمْوَالاً فِي الْحَيَاةِ

(١) في (أ): كالجوز. وهو تحريف.

(٢) في (ك) و(ج): أنه. من دون حرف الجر (اللام).

(٣) الدخان: ٢٢.

(٤) في (أ): آيس. بالشين المعجمة.

(٥) في (ك) و(أ): نكالا.

الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ ﴿١﴾.

أَي: لِنَلَّا^(١) يُضِلُّوا. فَحَذَفَ «لَا»، كَقَوْلِهِ: ﴿أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى﴾^(٢)، وَقَوْلِهِ: ﴿أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾^(٣)، وَقَوْلِهِ: ﴿وَالْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ﴾^(٤). قَالَ الشَّاعِرُ^(٥):

نَزَلْتُمْ مَنَزِلَ الْأَضْيَافِ مِنَّا فَعَجَّلْنَا الْقَرَى أَنْ تَنْشِئُمُونَا^(٦)



(١) يونس: ٨٨.

(٢) فِي (ش) وَ (ك): لَا أَنْ يَضِلُّوا. وَفِي (أ): أَنْ يَضِلُّوا. وَفِي (هـ): أَنْ لَا يَضِلُّوا.

(٣) البقرة: ٢٨٢.

(٤) الأعراف: ١٧٢.

(٥) النحل: ١٥. لقمان: ١٠.

(٦) فِي (ح): شَاعِر. مِنْ دُونَ (أَل) وَيَسْقُوطُ (قَالَ).

(٧) مَغْنِي اللَّيْب: ١: ٣٦. شَرْحُ الْمَفْصَلِ لِابْنِ يَمِيش: ٨: ١١٥. مِنْ دُونَ عَزْوٍ فِيهَا.

فصل [- ٢٠ -]

[في قصة موسى - عَلَيْهِ السَّلَام -]

قَوْلُهُ - تَعَالَى -: ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾^(١).

إِنَّمَا سَأَلَ رَبَّهُ - تَعَالَى - صُرُورَةً، بِإِظْهَارِ [بَعْضِ] ^(٢) أَعْلَامِ الْآخِرَةِ الَّتِي يُضْطَرُّ - عِنْدَهَا - إِلَى الْمَعْرِفَةِ، فَتَزُولُ الْخَوَاطِيطُ عَنْهُ، وَمُنَازَعَةُ الشُّكُوكِ، وَالشُّبُهَاتِ، وَيَسْتَفْنِي عَنِ الْاسْتِدْلَالِ، فَتَخِفُّ الْمِحْنَةُ عَنْهُ بِذَلِكَ، كَمَا سَأَلَ ^(٣) إِبْرَاهِيمُ، فَقَالَ: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى﴾^(٤).

وَيَجُوزُ أَنَّهُ إِنَّمَا سَأَلَ ذَلِكَ حَالَةً ^(٥) نَظَرَهُ فِي جَوَازِهِ، وَامْتِنَاعِهِ، فَأَرَادَ أَنْ يَعْرِفَ ذَلِكَ مِنْ جِهَةِ السَّمْعِ، وَالرُّؤْيَا. يُعْرَفُ ^(٦) بِالْعَقْلِ، وَالسَّمْعِ، وَحَالَةِ النَّظَرِ،

(١) الأعراف: ١٤٣.

(٢) ما بين المعقوفتين ساقط من (ش).

(٣) في (أ): يسأل. بصيغة المضارع.

(٤) البقرة: ٢٦٠.

(٥) في (أ): خالطه.

(٦) في (أ) و(ج): تعرف. بناء المضارعة المثناة من فوق.

فَارِقُ^(١) سَائِرِ الْأَحْوَالِ.

وَيَجُوزُ^(٢) فِيهِ^(٣) مَا لَا يَجُوزُ فِي غَيْرِهِ^(٤)، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ سُؤَالُهُ لِيَعْنِي مَا قُلْنَا، لَا سَتَحَقُّ الذَّمُّ، كَمَا اسْتَحَقَّ قَوْمُهُ ﴿فَقَالُوا أَرَنَا اللَّهُ جَهْرَةً﴾ الْآيَةُ^(٥).

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿أَتَهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا﴾^(٦).

الْهَلَاكُ - هَاهُنَا - بِمَعْنَى الْمَوْتِ. كَقَوْلِهِ: ﴿إِنْ أَمْرُكَ هَلَكٌ...﴾^(٧)، وَلَا يَكُونُ ذَلِكَ عُقُوبَةً مِنْهُ بِفِعْلِ غَيْرِهِمْ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ﴾^(٨).

التَّوْبَةُ إِنَّمَا كَانَتْ عَلَى سَبِيلِ الرَّجُوعِ إِلَى اللَّهِ - تَعَالَى - وَإِظْهَارِ الْانْقِطَاعِ،

(١) فِي (ح): فَارَقَتْ.

(٢) فِي (ح): تَجُوزُ.

(٣) فِي (ح): فِيهَا.

(٤) فِي (ح): غَيْرَهَا.

(٥) النِّسَاءُ: ١٥٣.

(٦) الْأَعْرَافُ: ١٥٥.

(٧) النِّسَاءُ: ١٧٧.

(٨) الْأَعْرَافُ: ١٤٣.

والتَّقَرُّبِ^(١)، لَا لِدَنْبٍ. فَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْعَرَضُ فِي ذَلِكَ لِتَعْلِيمِنَا^(٢)، وَتَوْقِيفِنَا^(٣) عَلَى مَا نَسْتَعْمِلُهُ^(٤) عِنْدَ الشَّدَائِدِ.

وَلَهُ أَجُوبَةٌ غَيْرُ ذَلِكَ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَالْقَى الْأَنْوَاحَ﴾^(٥).

أَيُّ: إِنَّ مُوسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ^(٦) - أَقْبَلَ غَضَبَانِ عَلَى قَوْمِهِ، مُسْتَعْظِماً لِفِعْلِهِمْ، فَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ، وَجَرَّهُ^(٧) إِلَيْهِ، كَمَا يَفْعَلُ الْإِنْسَانُ / ١٢٦ / بِنَفْسِهِ مِثْلَ ذَلِكَ عِنْدَ الْغَضَبِ، وَشِدَّةِ الْفِكْرِ^(٨).

وَالْمُفَكِّرُ الْغَضْبَانُ، قَدْ يَعْضُ عَلَى يَدِهِ، وَيُقْتَلُ أَصَابِعُهُ، وَيَقْبُضُ عَلَى لِحْيَتِهِ، فَأَجْرَى مُوسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - أَخَاهُ هَارُونَ مَجْرَى نَفْسِهِ.

(١) فِي (أ): التَّقَرُّبِ.

(٢) فِي (هـ): لَتَعْلَمِنَا. بِلَامِ تَمْ مِيمٍ.

(٣) (ش) و(هـ): تَوْقِيفِنَا. بَقَاءِ مَوْحَدَةٍ وَقَافٍ مِثْلَةَ بَيْنَهَا يَاءُ مِثْلَةَ مِنْ تَحْتِ.

(٤) فِي (أ): مُسْتَعْمَلَةٌ.

(٥) الْأَعْرَافُ: ١٥٠.

(٦) (عَلَيْهِ السَّلَامُ) سَاقِطَةٌ مِنْ (ح).

(٧) فِي (هـ): يَجْرَهُ. بِصِيغَةِ الْمُضَارَعِ.

(٨) فِي (أ): الْكُفْرُ. بِكَافٍ ثُمَّ فَاءٍ. وَهُوَ تَعْرِيفٌ.

وهذه الأمور تَخْتَلِفُ أحكامها بالعادات، فيكون ما هو إِكْرَامٌ في بَعْضِهَا، اسْتِخْفَافاً^(١) في غَيْرِهَا، ويكون على ضِدِّ ذَلِكَ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿يَا بَنِي أُمِّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي﴾^(٢).

لا يَدُلُّ على أَنَّهُ وَقَعَ على سَبِيلِ الاستخفاف^(٣)، بل مَعْنَى كَلَامِهِ: لَا تَغْضَبْ، وَلَا يَسْتَدِّ جَزْعُكَ، وَأَسْفُكَ. وإِنَّهُ أَجْرَاهُ جَرَى نَفْسِهِ - إِذَا غَضِبَ - في الْقَبْضِ على لِحْيَتِهِ، كَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ مَتَّهَمًا عِنْدَهُ، كما لَا يُتَّهَمُ على نَفْسِهِ^(٤).

وَيَحْتَمِلُ أَنَّ عَادَةَ ذَلِكَ الْوَقْتِ، أَنَّ الْوَاحِدَ إِذَا خَاطَبَهُ غَيْرُهُ، قَبَضَ على لِحْيَتِهِ، كما يَقْبِضُ على يَدِهِ في عَادَاتِنَا. وَالْعَادَاتُ تَخْتَلِفُ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾^(٥).

لَا يَمْتَنِعُ أَنْ يَكُونَ هَارُونُ، خَافَ مِنْ أَنْ يَتَوَهَّمُ بَنُو إِسْرَءِيلَ - بِسُوءِ^(٦)

(١) في (ك) و(هـ): استحقاقاً. بقاء مشاة في الموضعين.

(٢) طه: ٩٤.

(٣) في (ك) و(هـ) و(أ): الاستحقاق. بقاء مشاة في الموضعين.

(٤) في (ح): كما لم يكن متهاً نفسه.

(٥) طه: ٩٤.

(٦) في (ك): يسوء. بقاء مشاة من تحت.

ظَنَّهُمْ - أَنَّهُ مُنْكَرٌ عَلَيْهِ، مُعَاتِبٌ لَهُ. ثُمَّ ابْتَدَأَ يَنْسِرُحُ قِصَّتَهُ، فَقَالَ - مَرَّةً -: ﴿ابْنُ أُمِّ
إِنِّ الْقَوْمَ اسْتَضَعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي﴾^(١).

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾^(٢).

قَالَ الرَّجَّاجُ^(٣): اللَّغْثَةُ كَانَتْ فِي لِسَانِهِ.

وَقَالَ قَتَادَةُ^(٤)، وَالسُّدِّيُّ: كَانَتْ فِي لِسَانِهِ آفَةٌ.

وَقَالَ أَكْثَرُ الْمُفَسِّرِينَ: كَانَ احْتَرَقَ لِسَانُهُ بِالْجَمْرِ، الَّذِي وَضَعَهُ فِي فَمِهِ، حِينَ
أَرَادَ أَنْ يَغْتَبِرَ^(٥) فِرْعَوْنُ عَقْلَهُ، لَمَّا لَطَمَ وَجْهَهُ، وَأَرَادَ أَنْ يَأْخُذَ^(٦) غَيْرَ النَّارِ، فَصَرَفَ
جَبْرَائِيلُ يَدَهُ إِلَى النَّارِ، دَفْعًا عَنْهُ الْقَتْلَ.

وَقَالَ الْحَسَنُ^(٧): كَانَ فِي لِسَانِهِ، ثِقْلٌ، فَتَنَسَبَهُ إِلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ أَوَّلًا.

(١) الأعراف: ١٥١.

(٢) الزخرف: ٥٢.

(٣) معاني القرآن وإعرابه: ٤: ٤١٥.

(٤) جامع البيان: ٢٥: ٨٢. الدر المنثور: ٧: ٣٨٣.

(٥) في (أ): يغير. بنين معجزة بعدها ياء مشناة من تحت. ولعلها: يخبتر.

(٦) في (ش) و(هـ): يأخذه. مع ضمير الغائب (الهـ). وفي (أ): أخذه بصيغة الماضي.

(٧) مجمع البيان: ٥: ٥١.

وأقول: إِنَّهُ نَسَبَهُ إِلَى قِلَّةِ الْبَيَانِ، كَمَا نَسَبَهُ^(١) إِلَى الْمَهَانَةِ، كَذِباً وَزُوراً.

قَالَ الْجَبَّائِيُّ^(٢): فَانْحَلَّ مَا كَانَ بِلِسَانِهِ مِنْهُ، بِدِلَالَةِ قَوْلِهِ: ﴿وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾.

وَقَالَ الْحَسَنُ^(٣): اسْتَجَابَ اللَّهُ دُعَاءَهُ، فَحَلَّ الْعُقْدَةَ^(٤) عَنْ لِسَانِهِ. وَهُوَ

الصَّحِيحُ لِقَوْلِهِ: ﴿قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى﴾^(٥) فِي عُقْبِ دُعَائِهِ: ﴿رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾^(٦).



(١) فِي (أ): شَبَّهَ. وَهُوَ تَحْرِيفٌ.

(٢) مَجْمَعُ الْبَيَانِ: ٥: ٥١.

(٣) مَجْمَعُ الْبَيَانِ: ٥: ٥١. وَهُوَ فِي جَامِعِ الْبَيَانِ: ١٦: ١٦١ غَيْرَ مَعْرُوفٍ إِلَى أَحَدٍ.

(٤) فِي (هـ): الْعُقْدَةُ. بِصِيغَةِ الْجَمْعِ.

(٥) طه: ٣٦.

(٦) طه: ٢٥.

فصل [- ٢١ -]

[في قصة موسى مع الخضر - عَلَيْهِمَا السَّلَام -]

قَوْلُهُ - تَعَالَى -: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾^(١).

يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ - تَعَالَى - قَدْ أَعْلَمَ هَذَا الْغُلَامَ مَا لَمْ يُعْلِمَهُ^(٢) مُوسَى، وَأَزْشَدَّ مُوسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ^(٣) - إِلَيْهِ، لِيَتَعَلَّمَ^(٤) مِنْهُ. وَإِنَّمَا الْمُنْكَرُ أَنْ يَخْتِاجَ النَّبِيُّ فِي الْعِلْمِ إِلَى بَعْضِ رَعِيَّتِهِ.

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ نَبِيٌّ أَعْلَمَ مِنْ نَبِيِّ وَفْتِهِ. وَمَا تَعَلَّمَهُ مِنْ هَذَا الْعَالَمِ، [إِلَّا]^(٥) كَتَعَلَّمَهُ مِنَ الْمَلِكِ الَّذِي يَنْهَبُ إِلَيْهِ.

وَلَا يَدُلُّ ذَلِكَ عَلَى [أَنْ]^(٦) ذَلِكَ الْعَالَمِ، كَانَ أَفْضَلَ مِنْ مُوسَى فِي الْعِلْمِ،

(١) الكهف: ٦٥.

(٢) في (هـ) و(أ): يعلم. من دون الضمير (الهاء).

(٣) (عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَيْهِ) ساقطة من (ح).

(٤) في (ك) و(هـ) و(أ): ليعلم.

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من (ش).

(٦) ما بين المعقوفين زيادة من (ح). وهي زيادة يقتضيها السياق.

لأنه لا يمتنع أن يزيد موسى - عليه السلام ^(١) - في سائر العلوم، التي هي أفضل مما علمه. فقد يعلم أحدنا شيئاً من المعلومات، ما لا يعلمه من هو أفضل منه.

قوله - سبحانه -: ﴿فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ أُخْبِرَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ ^(٢).
وقد قال: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ^(٣).

النهى إنما هو نهى عن نوع العلم الذي لم يبلغ منزلة بعده. وأحدث إنما هو على سؤال تفاصيل ما خفي عليه من النوع الذي هو بصدده، لئلا يتولد فيه شبهة.

قوله - سبحانه -: ﴿إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ ^(٤).
لو كان نفى الاستطاعة على ما ظنه الجهال، لكان العالم، وهو - في ذلك - سواءً. فلا معنى لاختصاصه ^(٥) بنفي الاستطاعة.

(١) (عليه السلام) ساقطة من (ح).

(٢) الكهف: ٧٠.

(٣) الأنبياء: ٧.

(٤) الكهف: ٦٧.

(٥) في (أ): لا اختصاص. من دون الضمير (الهاء).

والدَّلِيلُ عَلَى أَنَّهُ نَفَى عَنْهُ الصَّبْرَ، لَا اسْتِطَاعَتَهُ، قَوْلُ مُوسَى - عَلَيْهِ
السَّلَامُ ^(١) - فِي جَوَابِهِ: ﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا﴾ ^(٢) وَلَمْ يَقُلْ: مُسْتَطِيعًا. وَمِنْ
حَقِّ الْجَوَابِ، أَنْ يُطَابِقَ الْإِنِّدَاءَ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَلَا أَغْصِي لَكَ أَمْرًا﴾ ^(٣) مَشْرُوطٌ بِالمَشِيئَةِ، وَلَيْسَ
بِمُطْلَقٍ. فَكَأَنَّهُ قَالَ: سَتَجِدُنِي صَابِرًا، وَلَا أَغْصِي لَكَ أَمْرًا - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - وَإِنَّمَا
قَدَّمَ الشَّرْطَ عَلَى الْأَمْرِ بَيْنَ جَمِيعًا.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا﴾ ^(٤).
أَيُّ: عَجَبًا، وَمُنْكَرًا، أَوْ ذَاهِيَةً.

وَقَالُوا: «الْإِمْرُ»: مِنْ: أَمَرَ الْقَوْمُ، أَيُّ: كَثُرُوا. وَجُعِلَ عِبَارَةً عَنْ كَثْرَةِ
عَجَبِهِ.

(١) (عَلَيْهِ السَّلَام) ساقطة من (ح).

(٢) الكهف: ٦٩.

(٣) الكهف: ٦٩.

(٤) الكهف: ٧١.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا﴾^(١).

أي: إِنَّ ظَاهِرَ مَا آتَيْتَهُ، الْمُنْكَرُ. وَمَنْ يُشَاهِدُهُ - قَبْلَ أَنْ يَعْرِفَ عِلَّتَهُ - يُنْكِرُهُ.

ثُمَّ إِنَّهُ حَذَفَ الشَّرْطَ، فَكَأَنَّهُ أَرَادَ: إِنْ كُنْتَ ظَالِمًا، فَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا.

عَلَى أَنَّهُ أَرَادَ: / ١٢٧ / إِنَّكَ آتَيْتَ أَمْرًا بَدِيعًا، غَرِيبًا، فَلِأَنَّهُمْ يَقُولُونَ - فِيهَا يَسْتَغْرِبُونَهُ - إِنَّهُ نُكْرٌ، وَمُنْكَرٌ.

وَيُمْكِنُ أَنْ تَقُولَ^(٢): قَالَ^(٣) عَلَى وَجْهِ الْإِسْتِفْهَامِ دُونَ الْقَطْعِ. يَدُلُّ عَلَيْهِ:

﴿أَخْرَقْتُهَا لِتُفَرِّقَ أَهْلَهَا﴾^(٤)، وَقَوْلُهُ: ﴿أَقْتُلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾^(٥).

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَحَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾^(٦).

الْغُلَامُ كَانَ مُرَاهِقًا، فَقَتَلَهُ الْعَالِمُ.

«حَشِييَ» أَي: عَلِمَ مِنَ اللَّهِ - تَعَالَى - أَنَّهُ مَتَى بَلَغَ، كَفَرَ أَبَوَاهُ، وَمَتَى قُتِلَ، بَقِيََا

(١) الكهف: ٧٤.

(٢) في (ش) و(ك) و(هـ) و(أ): يقول. بياء المضارعة المثناة من تحت.

(٣) في (ش) و(ك) و(هـ) و(أ): قال. من دون ضمير الغائب (الهاء).

(٤) الكهف: ٧١.

(٥) الكهف: ٧٤.

(٦) الكهف: ٨٠.

عَلَى إِيْمَانِهَا. وَلَا فَرْقَ بَيْنَ أَنْ يُمَيِّتَهُ اللَّهُ، وَبَيْنَ أَنْ يَأْمُرَ بِقَتْلِهِ.

وَالدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ «خَشْيَ» بِمَعْنَى: عَلِمَ: ﴿وَإِنْ أَمْرًا خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا﴾^(١). وَقَوْلُهُ: ﴿إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقْسِمَا خُذُودَ اللَّهِ﴾^(٢). وَقَوْلُهُ: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَتَهُ﴾^(٣).

وَقَالُوا: الْغُلَامُ كَانَ كَافِرًا، مُسْتَحِقًّا لِلْقَتْلِ، فَخَشِيَ الْخَضِرُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ^(٤) - أَيْ: خَافَ إِدْخَالَ أَبَوَيْهِ فِي الْكُفْرِ، وَتَرْيِئَهُ هُمَا.

وَقَالُوا: الْخَشْيَةُ: الْكَرَاهِيَةُ. يُقَالُ: فَرَّقْتُ بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ خَشْيَةً أَنْ يَقْتَتِلَا.

فَالثَّالِثُ بِمَعْنَى: الْعِلْمُ، لَا يَمْتَنِعُ أَنْ يَصَافَ الْعِلْمُ إِلَى اللَّهِ - تَعَالَى^(٥) -.

ثُمَّ إِنَّ مُوسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - إِنَّمَا اسْتَفْبَحَ - عَلَى الْبَدِيَّةِ - قَتْلَ الْغُلَامِ، لِأَنَّهُ لَمْ يَعْرِفِ^(٦) الْوَجْهَ الَّذِي هُوَ عِلَّةٌ حَسَنَةٌ، وَلَوْ عَلِمَ ذَلِكَ، لَعَلِمَ حُسْنَ الْقَتْلِ، وَقُبْحَ السَّفِينَةِ.

(١) النساء: ١٢٨.

(٢) البقرة: ١٢٩.

(٣) التوبة: ٢٨.

(٤) (عَلَيْهِ السَّلَام) ساقطة من (ح).

(٥) (تعالى) ساقطة من (ح).

(٦) في (ش) و(ك) و(أ): لَمْ يَعْرِفُوا. بِإِسْنَادِهِ إِلَى وَائِلِ الْجَمَاعَةِ. وَفِي (هـ): لَا يَزِلُّ يَعْرِفُوا. وَمَا أُثْبِتَاهُ مِنْ

(ط) وَهُوَ الْمَوَافِقُ لِلْسِّيَاقِ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ﴾^(١).

إِنَّمَا عَنَى بِالْمُسْكِنَةِ، عَدَمَ النَّاصِرِ، كَمَا يُسَمَّى مَنْ كَانَ كَثِيرَ الْمَالِ، وَاسِعَ الْحَالِ: مَسْكِينٌ^(٢)، وَمُسْتَظْعَفٌ. وَقَالَ النَّبِيُّ^(٣) - عَلَيْهِ السَّلَامُ -: مَسْكِينٌ، مَسْكِينٌ رَجُلٌ لَا زَوْجَةَ لَهُ.

ثُمَّ إِنَّ السَّفِينَةَ لِلْبَحْرِيِّ - الَّذِي لَا يَتَعَيَّشُ إِلَّا بِهَا - كَالدَّارِ الَّتِي يَسْكُنُهَا الْفَقِيرُ، هُوَ وَعِيَالُهُ، وَلَا يَجِدُ سِوَاهَا^(٤)، فَهُوَ مُضْطَرٌّ إِلَيْهَا. فَإِنْ انْصَافَ^(٥) - إِلَى ذَلِكَ - أَنْ يُشَارِكَهُ جَمَاعَةٌ فِي السَّفِينَةِ، حَتَّى يَكُونَ مِنْهَا الْجُزْءُ^(٦) الْيَسِيرُ، كَانَ أَظْهَرَ فَقَرًا.

ثُمَّ إِنَّ لَفْظَةَ «الْمَسَاكِينِ» قَدْ قُرِئَتْ^(٧) - بِالتَّشْدِيدِ^(٨) - وَمَعْنَاهُ^(٩): الْبُخْلَاءُ.

(١) الكهف: ٧٩.

(٢) العبارة: «مسكين... السلام» ساقطة من (أ).

(٣) كتاب الشُّنن لسعيد بن منصور الخراساني: ١٦٣ في جملة حديث. الدرر المشور: ٣: ١٤٨. بلفظ مختلف قليلاً. فردوس الأخبار: ٤: ٤٥٢.

(٤) في (أ): سواها.

(٥) في (هـ): انصاف. بالصاد المهملة. وهو تصحيف.

(٦) في (هـ) و(ح): الجزاء. وهو تحريف.

(٧) في (هـ): قربت. بالباء الموحدة من تحت.

(٨) الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي): ١١: ٣٤.

(٩) في (ح): معناها.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ - ﴿لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ﴾^(١).

أي: بِمَا تَرَكْتُ. نحو قوله: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَتْنَيْهِ﴾^(٢).

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ^(٣): لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا فَعَلْتُهُ مِمَّا يُشْبِهُ النَّسيَانَ. فَسَمَّاهُ «نَسْيَانًا»
لِلْمُشَابَهَةِ، كَمَا قَالَ الْمُؤَذِّنُ لِإِخْوَةِ يُوسُفَ: ﴿إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ﴾^(٤).

ثُمَّ إِنَّهُ لَيْسَ النَّسيَانُ بِعَجِيبٍ، مَعَ قِصْرِ الْمُدَّةِ، فَإِنَّ الْإِنْسَانَ قَدْ يَنْسَى مَا
قَرَّبَ زَمَانُهُ، لَمَّا يَغْرِضُ لَهُ شُغْلُ الْقَلْبِ.



(١) الكهف: ٧٣.

(٢) طه: ١١٥.

(٣) جامع البيان: ١٥: ٢٨٥. أيضاً: مجمع البيان: ٣: ٤٨٤. تفسير البغوي: ٣: ١٧٤.

(٤) يوسف: ٧٢.

فصل [- ٢٢ -]

[في قصة موسى - عَلَيْهِ السَّلَام -]

قَوْلُهُ - تَعَالَى -: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى ﴾ ^(١).
 لَيْسَ فِيهَا مَا قَرَفُوهُ بِهِ. وَالصَّحِيحُ أَنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ، لَمَّا مَاتَ هَارُونُ،
 قَرَفُوهُ بِأَنَّهُ قَتَلَهُ، لِأَنَّهُمْ كَانُوا إِلَى هَارُونِ، أُمَيْلَ ^(٢)، فَبَرَّاهُ ^(٣) اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ، وَأَمَرَ
 الْمَلَائِكَةَ: بِأَنْ حَمَلَتْ هَارُونَ مَيْتًا، وَمَرَّتْ بِهِ عَلَى مَحَافِلِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، نَاطِقَةً بِمَوْتِهِ،
 وَمُبَرِّئَةً لِمُوسَى - عَلَيْهِ السَّلَام - مِنْ قَتْلِهِ.
 وَرُوِيَ أَنَّ مُوسَى، نَادَى أَخَاهُ هَارُونَ، فَخَرَجَ مِنْ قَبْرِهِ، فَسَأَلَهُ: هَلْ قَتَلَهُ؟
 فَقَالَ: لَا! ثُمَّ عَادَ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿ وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ
 تَهْتَدُونَ ﴾ ^(٤).

(١) الأحزاب: ٦٩.

(٢) في (ل): أهيل. بالهاء. وهو تحريف.

(٣) في (ل): فتراه، بالتاء المثناة من فوق والالف اللينة.

(٤) البقرة: ٥٣.

وَالْفُرْقَانُ، هُوَ الْقُرْآنُ، وَلَمْ يُؤْتَ بِهِ، وَإِنَّمَا اخْتُصَّ بِهِ مُحَمَّدٌ - عَلَيْهِ
السَّلَامُ^(١) -.

كُتِبَ اللَّهُ، كُلُّهَا فُرْقَانُ، يَفْرُقُ بَيْنَ الْحَقِّ، وَالْبَاطِلِ. واختلاف اللفظين،
جائز. قال^(٢):

[وَقَدَّمَتِ الْأَدِيمَ لِإِبْرَاهِيمَ] وَأَلْفَى قَوْلَهَا كَذِبًا وَمَيْنَا
وَالكِتَابُ، عِبَارَةٌ عَنِ التَّوْرَةِ.

وَالْفُرْقَانُ: انفِرَاقُ الْبَحْرِ لِمُوسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ^(٣) -.

وَالْفُرْقَانُ: الْفَرْقُ بَيْنَ الْحَلَالِ، وَالْحَرَامِ.

وَالْفُرْقَانُ: بَيْنَ مُوسَى، وَأَصْحَابِهِ الْمُؤْمِنِينَ، وَبَيْنَ فِرْعَوْنَ، وَأَصْحَابِهِ
الْكَافِرِينَ، كَالنَّجَاةِ وَالْهَلَاكِ.

وَالْفُرْقَانُ: الْمُتَرَّلُ عَلَى نَبِينَا - عَلَيْهِ السَّلَامُ -.

وَالْتَّصِدِيقُ، وَالْإِيمَانُ بِالْفُرْقَانِ الَّذِي هُوَ الْقُرْآنُ، لِأَنَّ مُوسَى، كَانَ مُؤْمِنًا
بِمُحَمَّدٍ [عَلَيْهِ السَّلَامُ]^(٤) وَبِهَا جَاءَ بِهِ.

(١) في (ح): صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ.

(٢) هو عدي بن زيد العبادي. أنظر ديوانه: ١٨٣ ومنه صدر البيت. والأديم: التطع. الراهشان:
عِرْقَانِ فِي بَاطِنِ الذَّرَاعَيْنِ.

(٣) (عَلَيْهِ السَّلَامُ) ساقطة من (ح).

(٤) ما بين المعقوفين زيادة من (ح).

وَسَاغَ حَذْفُ الْقَبُولِ، وَالْإِيَانِ، وَالتَّصْدِيقِ، وَإِقَامَةُ الْفُرْقَانِ مَقَامَهُ، كَمَا
سَاغَ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَأَسْأَلُ الْقَرْيَةَ﴾^(١).

وَالْفُرْقَانُ، هُوَ الْقُرْآنُ. وَتَقْدِيرُ الْكَلَامِ: وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ، الَّذِي هُوَ
التَّوْرَةُ، وَآتَيْنَا مُحَمَّدًا الْفُرْقَانَ. فَحَذَفَ مَا حَذَفَ، كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ^(٢):

لَمَّا حَطَطْتُ الرَّحْلَ عَنْهَا وَارِدًا [عَلَفْتُهَا تَيْنًا وَمَاءً بَارِدًا

وَقَالَ الْآخَرُ^(٣):

يَا لَيْتَ بَعْلِكَ قَدْ عَدَا مُتَقَلِّدًا سَيْفًا وَرُمَحًا

(١) يوسف: ٨٢.

(٢) مما ينسب إلى ذي الرُّمَّة. أنظر ديوان شعر ذي الرُّمَّة: ٦٦٤، ومنه صدر البيت. عطف «ماء» على
قوله: «تَيْنًا» ومن أجل هذا وجب أن يكون قوله: «ماء» مفعولاً لفعل محذوف والتقدير: سقيتها
ماءً. أو أن يضمن (علفتها) معنى فعل يصح أن تسلطه على المعطوف والمعطوف عليه مثل:
أنلتها أو قدّمت لها.

(٣) معاني القرآن للقرّاء: ١/١٢١، ٤٧٣/٣: ١٢٣. مجاز القرآن: ٢: ٦٨ معاني القرآن للأخفش:
٤٦٦، ٤٧٢. تأويل مشكل القرآن: ٢١٣. الكامل: ١: ٣٣٤. المقتضب: ٢: ٥١.
الخصائص: ٢: ٤٣١. فقه اللغة وسرّ العربية: ٣٢٦. التبيان في تفسير القرآن: ٣: ٤٥٦. أمالي
المرتضى: ١: ٥٤. الأمالي الشجرية: ٢: ٣٢١. الإنصاف في مسائل الخلاف: ٢: ٦١٢. وقد عزاه
بعض محققى هذه الكتب إلى عبدالله بن الزبير. وقد نسب ابن شهر آشوب في موضع آخر من
هذا الكتاب إلى امرئ القيس، وليس في ديوانه. قال علماء اللغة: إنه يقال: تقلّد فلان سيفه.
ولا يقال: تقلّد رمحه. وإنها يقال: حلّ رمحه. قوله: «رمحاً» معطوف على قوله: «سيفاً» فيكون
قوله: «متقلِّداً» مسلطاً، وعاملاً في المعطوف والمعطوف عليه جميعاً.

وَقَالَ الصَّادِقُ^(١) - عَلَيْهِ السَّلَام -: الْقُرْآنُ، جُمْلَةُ الْكِتَابِ، وَالْفُرْقَانُ، الْمُحْكَمُ، الْوَاجِبُ الْعَمَلُ بِهِ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَخِيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾^(٢)، ثُمَّ قَالَ: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾^(٣).

المعنى - والله أعلم - إِنَّ اللَّهَ - تَعَالَى - خَصَّ مُوسَى [- عَلَيْهِ السَّلَام -]^(٤) بِكَلَامٍ، خَلَقَهُ عَلَى هَذِهِ^(٥) الصِّفَةِ، مَا لَمْ يُخَصَّ^(٦) بِهِ أَحَدًا^(٧) مِنْ أَنْبِيَائِهِ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُؤًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾^(٨).

(١) معاني الأخبار: ١٩٠.

(٢) الشورى: ٥١.

(٣) النساء: ١٦٤.

(٤) ما بين المعقوفين زيادة من (ك) و(هـ) و(ج).

(٥) في (هـ): هذا.

(٦) في (ك) و(هـ) و(أ): يُخَصَّ. بصيغة المبني للمجهول.

(٧) في (ك) و(هـ) و(أ) و(ج): أحد. من دون تنوين النصب.

(٨) البقرة: ٦٧.

/ ١٢٨ / واهزؤ: اللعِبُ، والسُّخْرِيَّةُ. ولا يجوزُ أَنْ يَقَعَ - مِنْ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ -
تَعَالَى - فَيَبَا يُؤْذُونَهُ - هُزُوٌ^(١)، وَلَا لَعِبٌ. فَظَنُّوا بِهِ ظَنًّا سُوءًا، لِجَهْلِهِمْ بِالْحِكْمَةِ،
فَقَالَ مُوسَى - عِنْدَ ذَلِكَ -: ﴿أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾. يَعْنِي: مِنَ
السُّفَهَاءِ الَّذِينَ يَرَوْنَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ، وَالْبَاطِلَ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَأَنْ أَلْقِي عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ
يُعَقِّبْ يَأْمُوسَى...﴾ الآية^(٢).
إِنَّمَا وَلَّى مُدْبِرًا مِنْهَا^(٣) مُوسَى، لِلْبَشَرِيَّةِ، لَا أَنَّهُ^(٤) شَكَّ فِي كَوْنِهَا مُعْجِزَةً لَهُ،
لَا تَضُرُّهُ.
فَقِيلَ: ﴿لَا تَخَفْ﴾^(٥). يَدَاءُ مِنَ اللَّهِ - تَعَالَى - لِمُوسَى، وَنَهْيٌ لَهُ عَنِ التَّخَوُّفِ.
وَقَالَ لَهُ: إِنَّكَ مُرْسَلٌ ﴿لَا يَخَافُ لَدَيْ الْمُرْسَلِينَ﴾^(٦) لَا أَنْتُمْ لَا يَفْعَلُونَ قِيحًا،
وَلَا يُحِلُّونَ بِوَاجِبٍ، فَيَخَافُونَ^(٧) عِقَابَهُ.

(١) فِي (ك): هَزْءٌ. بِالْهَمْزِ.

(٢) الْقِصَصُ: ٣١.

(٣) فِي (ح): مُوسَى مِنْهَا.

(٤) فِي (ك) وَ(هـ): أَنْ. مِنْ دُونِ الضَّمِيرِ (الْهَاءِ).

(٥) الْقِصَصُ: ٣١.

(٦) النَّمْلُ: ١٠.

(٧) فِي النُّسخِ جَمِيعُهَا: يَخَافُوا. بِسُقُوطِ نُونِ الرَّفْعِ. وَالْوَجْهَ مَا أَثْبَتَاهُ.

﴿إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ﴾^(١) صُورَتُهُ^(٢)، صُورَةُ الاستِثْنَاءِ، وهو مُنْقَطِعٌ عَنِ الْأَوَّلِ. وتقديرُهُ: لَكِنْ مَنْ ظَلَمَ نَفْسَهُ، فَعَلَّ^(٣) الْقَبِيحَ.

﴿ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ﴾ بِأَنْ يَأْتِيَ - بَعْدَ الْقَبِيحِ - بِالْفِعْلِ الْحَسَنِ، فَإِنَّهُ يُغْفَرُ لَهُ.

وَقَالَ الْحَسَنُ^(٤): هُوَ اسْتِثْنَاءٌ، غَيْرُ مُنْقَطِعٍ. وَأَزَادَ: مَنْ فَعَلَ صَغِيرَةً^(٥) مِنْ الْأَنْبِيَاءِ.

وهذا بَعِيدٌ مِنَ الصَّوَابِ، لِأَنَّ صَاحِبَ الصَّغِيرَةِ، لَا خَوْفٌ عَلَيْهِ - أَيْضاً - لَوْ قُوعَهَا مُكْفَرَةً. والاستِثْنَاءُ وَقَعَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ الَّذِينَ لَا يَخَافُونَ.



(١) النمل: ١١.

(٢) في (هـ): صورة. من دون الضمير (الماء).

(٣) في (ح): بفعل. بصيغة المصدر مع حرف الجر (الباء).

(٤) التبيان في تفسير القرآن: ٨: ٧٠.

(٥) في (هـ): صغير. من دون التاء المدوّرة المنقوطة.

فصل [- ٢٣ -]

[في قصة داود - عَلَيْهِ السَّلَام -]

قَوْلُهُ - تَعَالَى - فِي قِصَّةِ دَاوُدَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ ^(١) : ﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَضْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ...﴾ ^(٢) إِلَى قَوْلِهِ : ﴿... وَأَنَابَ﴾ ^(٣).

لَا تَدُلُّ عَلَى وَقْعِ الْخَطَا مِنْهُ. وَأَمَّا الرِّوَايَةُ الْمُدَّعَاةُ، فَسَاقِطَةٌ - لِتَضَمُّنِهَا خِلَافَ مَا نَقَضِيهِ ^(٤) الْأُصُولُ - مَطْمَعُونَ فِي رُؤَايَاهَا.

وَالْخَضْمُ، مَصْدَرٌ، لَا يَجْمَعُ، وَلَا يُنْثَى، وَلَا يُؤَنَّثُ، فَلِذَلِكَ قَالَ : ﴿إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ...﴾ .

ثُمَّ إِنَّ الْخَضْمَيْنِ ^(٥)، كَالْقَبِيلَتَيْنِ، أَوْ الْجُنُسَيْنِ. ثُمَّ إِنَّ فِي الْاِثْنَيْنِ مَعْنَى الْاِنْضِمَامِ ^(٦)، وَلِهَذَا زَعَمَ بَعْضُهُمْ : إِنَّهُ أَقْلُ الْجَمْعِ.

(١) (عَلَيْهِ السَّلَام) ساقطة من (ح).

(٢) ص: ٢١.

(٣) ص: ٢٤.

(٤) في (ك) و(هـ): يقتضيه. بياء المضارعة المثناة من تحت.

(٥) في (ح): الخضم. بصيغة المفرد.

(٦) في (ك) و(أ): الانضمام. من دون ميم بين الضاد والألف.

وَقِيلَ: بَلْ كَانَ مَعَ هَذَيْنِ الْخَصْمَيْنِ، غَيْرُهُمَا، يَمُنُّ بِعَيْنَيْهِمَا^(١).

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿فَقَرَعَ مِنْهُمْ﴾^(٢)

لِأَنَّهُ كَانَ خَالِيًا^(٣) بِالْعِبَادَةِ فِي وَقْتٍ، لَمْ يَدْخُلْ عَلَيْهِ فِيهِ أَحَدٌ، وَلَا تَهْمَا دَخَلَا مِنْ غَيْرِ الْمَكَانِ الْمَعْهُودِ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿قَالُوا لَا تَخَفْ خَصِمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ...﴾^(٤)

إِلَى قَوْلِهِ: ﴿...الْخِطَابِ﴾^(٥).

قَالَ أَكْثَرُ^(٦) الْمُفَسِّرِينَ: إِنَّهُ كُنِيَ بِالنَّعَاجِ عَنْ تَسْعٍ، وَتَسْعِيْنَ امْرَأَةً، وَإِنَّ لِلْآخِرِ امْرَأَةً وَاحِدَةً.

وَقَالَ الْحَسَنُ^(٧): لَمْ يَكُنْ لَهُ تَسْعٌ وَتَسْعُونَ امْرَأَةً، وَإِنَّمَا هُوَ عَلَى وَجْهِ الْمَثَلِ.

(١) في النسخ جميعها: يعينها. وما أثبتناه من (ط).

(٢) ص: ٢٢.

(٣) في (أ): خالياً. بالخاء المهملة.

(٤) ص: ٢٢.

(٥) ص: ٢٣.

(٦) الجامع لأحكام القرآن: ١٥: ١٧٤.

(٧) التبيان في تفسير القرآن: ٨: ٥٠٤.

وَقَالَ أَبُو مُسْلِمٍ^(١): أَرَادَ النَّعْجَةَ بِأَعْيَانِهَا. وَهُوَ الظَّاهِرُ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ
عَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾^(٢).
قِيلَ فِي مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿إِذْ يَحْكُمَانِ﴾: إِنَّهُمَا إِذْ شَرَعَا فِي الْحُكْمِ فِيهِ مِنْ غَيْرِ قَطْعٍ
بِهِ فِي ابْتِدَاءِ الشَّرْعِ.

وَقِيلَ: أَنْ يَكُونَ حُكْمُهُ، حُكْمًا مُعَلَّقًا بِشَرْطٍ لَمْ يَفْعَلْهُ بَعْدُ.

وَقِيلَ: أَنْ يَكُونَ مَعْنَاهُ: طَلَبًا^(٣) الْحَرْثِ، وَلَمْ يَتَدَنَّهُ^(٤) بَعْدُ.

وَيُقَوَّى ذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ﴾.

وَالْجَوَابُ الصَّحِيحُ: إِنَّهُ كَانَ حُكْمُهُمَا حُكْمًا^(٥) وَاحِدًا، إِلَّا أَنْ دَاوُدَ أَمَرَ
سُلَيْمَانَ بِالْحُكْمِ، لِيُعْرِفَ بَنِي إِسْرَائِيلَ، عِلْمَ سُلَيْمَانَ، وَأَنَّهُ وَصِيُّهُ مِنْ بَعْدِهِ.

(١) التبيان في تفسير القرآن: ٨: ٥٠٤.

(٢) الأنبياء: ٧٨، ٧٩.

(٣) في (ش) و(ك) و(هـ) و(أ): طلب. من دون إسناد إلى ألف الاثنين.

(٤) في (ش) و(ك) و(هـ) و(أ): يتدناه. مع نون الرفع.

(٥) (حكماً) ساقطة من (أ).

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ - : ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ
وَالْإِشْرَاقِ﴾^(١)، وقوله: ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ﴾^(٢).

مَعْنَى ذَلِكَ: إِنَّهَا كَانَتْ تَسِيرُ بِأَمْرِ اللَّهِ - تَعَالَى^(٣) - مَعَهُ، حَيْثُ سَارَ بِالْغَدَاةِ،
وَالْعَشِيِّ، فَسَمَّى اللَّهُ - تَعَالَى^(٤) - ذَلِكَ تَسْبِيحًا، لِمَا فِي ذَلِكَ مِنْ دَلَالَتِهِ عَلَى قُدْرَتِهِ،
وَصِفَاتِهِ الَّتِي لَا يُشَارِكُهُ فِيهَا غَيْرُهُ.

وقوله: ﴿وَالطَّيْرُ مَحْشُورَةٌ﴾^(٥). أي: مجموعة من كُلِّ نَاحِيَةٍ إِلَيْهِ.

يَعْنِي: كُلُّ الطَّيْرِ، وَالْجِبَالِ لَهُ أَوَابٌ إِلَى مَا يُرِيدُهُ^(٦).

وَقَالَ قَتَادَةُ^(٧): أَي: مُسَخَّرَةٌ. وَعَبَّرَ عَنْ ذَلِكَ التَّسْخِيرِ بِأَنَّهُ تَسْبِيحٌ مِنَ
الطَّيْرِ، لِدَلَالَتِهِ عَلَى أَنَّ مُسَخَّرَهَا، قَادِرٌ، وَلَا يَجُوزُ عَلَيْهِ الْعَجْزُ، كَمَا يَجُوزُ عَلَى
الْعِبَادِ.

وَقَالَ الْجُبَّائِيُّ^(٨): أَكْمَلَ اللَّهُ - تَعَالَى - عُقُولَ الطَّيْرِ حَتَّى فَهِمَتْ مَا كَانَ مِنْ

(١) ص: ١٨.

(٢) الأنبياء: ٧٩.

(٣) (تعالى) ساقطة من (ح).

(٤) (تعالى) ساقطة من (ح).

(٥) ص: ١٩.

(٦) في (أ): مدين. وفي (ح): يريد. من دون ضمير الغائب (الهاء).

(٧) جامع البيان: ٢٣: ١٣٧. الدر المنثور: ٧: ١٥٣.

(٨) مجمع البيان: ٤: ٤٦٩.

سُلَيْمَانَ، يَأْمُرُهَا بِهِ، وَيَنْهَاهَا عَنْهُ، وَمَا يَتَوَعَّدُهَا بِهِ مَتَى خَالَفَتْ. وَسَخَّرَ لَهُ الطَّيْرَ بِأَنْ قَوَّى أَفْهَامَهَا، حَتَّى صَارَتْ كَصَبِيَانَا الَّذِينَ يَفْهَمُونَ^(١) التَّخْوِيفَ وَالتَّرْهِيبَ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ﴾^(٢).
 مِنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ لِلْخَضَمِ. إِنَّمَا أَرَادَ بِهِ إِنْ كَانَ الْأَمْرُ كَمَا ذَكَرْتَ.
 وَمَعْنَى «ظَلَمَكَ»: اِنْتَقَصَكَ. كَمَا قَالَ: ﴿أَتَتْهُ أُنْثَى مِنْهُ شَيْئًا﴾^(٣).
 وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَطَّنَ دَاوُدُ أَنَّهَا فَتَنَاهُ﴾^(٤).
 أَي: عَلِمَ، وَحَدَسَ. أَيْضًا.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿فَاسْتَغْفِرْ رَبُّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾^(٥).
 عَلَى سَبِيلِ الْإِنْقِطَاعِ إِلَى اللَّهِ - تَعَالَى^(٦) - وَالْخُضُوعِ لَهُ.

(١) فِي (ح): يَفْهَمُونَ مَتَى.

(٢) ص: ٢٤.

(٣) الْكَهْف: ٣٣.

(٤) ص: ٢٤.

(٥) ص: ٢٤.

(٦) (تَعَالَى) سَاقِطَةٌ مِنْ (ح).

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿فَعَقَرْنَا لَهُ ذَلِكَ﴾^(١).

أي: قَبِلْنَا مِنْهُ، وَكَتَبْنَا لَهُ / ١٢٩ / الثَّوَابَ عَلَيْهِ^(٢). وَأَخْرَجَ الْجَزَاءَ عَلَى لَفْظِ الْمُجَازَى عَلَيْهِ.

وَأَمَّا قَدْفُهُ بِأَمْرَاتِهِ «أوريا» [فـ]^(٣) بَاطِلٌ. قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ^(٤) - عَلَيْهِ السَّلَام -: لَا أُوتَى بِرَجُلٍ يَزْعُمُ أَنَّ دَاوُدَ تَزَوَّجَ بِأَمْرَأَةٍ «أوريا» إِلَّا جَلَدْنَاهُ، حَدًّا لِلنَّبْوَةِ، وَحَدًّا لِلْإِسْلَامِ.

وَقَالَ أَبُو مُسْلِمٍ^(٥) الْأَصْفَهَانِيُّ: لَا يَمْتَنِعُ أَنَّ الدَّاخِلِينَ عَلَى دَاوُدَ، كَانُوا خَضَمِينَ مِنَ الْبَشَرِ. وَأَنَّهُمَا اِزْتَاغَ مِنْهُمَا لِدُخُولِهِمَا مِنْ غَيْرِ إِذْنٍ، وَعَلَى غَيْرِ مَجْرَى الْعَادَةِ. وَلَيْسَ فِي ظَاهِرِ التَّلَاوَةِ مَا يَقْتَضِي أَنْ يَكُونَا^(٦) مَلَكَيْنِ.



(١) ص: ٢٥.

(٢) (عليه) ساقطة من (ح).

(٣) ما بين المعقوفتين زيادة من (ح).

(٤) مجمع البيان: ٤: ٤٧٢.

(٥) مجمع البيان: ٤: ٤٧٢.

(٦) في (ش): يكون. من دون ألف الاثنين.

فصل [- ٢٤ -]

[في قصة سليمان - عليه السلام -]

قَوْلُهُ - تَعَالَى - : ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ...﴾^(١) . إلى قوله : ﴿... وَالْأَغْنَى﴾^(٢) .

لَيْسَ ظَاهِرُهُمَا دَالًّا عَلَى أَنَّ مُشَاهَدَةَ الْحَيَّلِ، أَلْهَاهُ^(٣) عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ، حَتَّى فَاتَتْهُ الصَّلَاةُ، فَعَرَقَبَهَا^(٤)، وَقَطَعَ سَوْفَهَا، وَأَغْنَاهَا. بَلْ هَذَا مُحَالَفَةٌ^(٥) لِمَا تَقْتَضِيهِ الْأَدِلَّةُ.

يَدُلُّ عَلَيْهِ أَنَّ اللَّهَ - تَعَالَى - ابْتَدَأَ الْآيَةَ بِمَدْحِهِ^(٦)، فَقَالَ : ﴿نِعَمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾^(٧). وَلَا يَجُوزُ أَنْ يُنْبِئَ عَلَيْهِ بِهَذَا الشَّاءِ، ثُمَّ يُتْبِعُهُ مِنْ غَيْرِ فَضْلِ بِإِضَافَةٍ

(١) ص: ٣٠.

(٢) ص: ٣٣.

(٣) في (ح): أَلْهَتْهُ.

(٤) عَرَقَبَ الدَّابَّةُ: قَطَعَ عُرْقُوبَتَهَا. وَهُوَ مِنَ الدَّابَّةِ مَا يَكُونُ فِي رِجْلِهَا بِمَنْزِلَةِ الرُّكْبَةِ فِي يَدَيْهَا. (المعجم الراسيخ - عرقب).

(٥) في (ح): مَخَالَفَ. مِنْ دُونِ نَاءِ التَّانِيثِ الْمُتَحَرِّكَةِ.

(٦) في (ش): يَمْدَحُهُ. بَيَاءُ الْمُضَارَعَةِ الْمُتَنَاءِ مِنْ تَحْتِ.

(٧) ص: ٣٠.

الْقَبِيحِ إِلَيْهِ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿إِنِّي أَخْبِئْتُ حُبَّ الْحَيْرِ﴾^(١).

أي: أَخْبِئْتُ حُبًّا. ثُمَّ أَضَافَ «الْحُبَّ» إِلَى «الْحَيْرِ».

أَوْ أَرَادَ: أَخْبِئْتُ اتِّخَاذَ الْحَيْرِ. لِأَنَّ ذَاتَ الْحَيْلِ، لَا يُحِبُّ. فَجَعَلَ بَدَلَ قَوْلِهِ:

اتِّخَاذَ الْحَيْلِ، «حُبَّ الْحَيْرِ».

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿حَتَّى تَوَارَثَ بِالْحِجَابِ﴾^(٢) عَائِدٌ إِلَى «الْحَيْلِ» دُونَ

الشَّمْسِ، لِأَنَّهُ قَدْ جَرَى ذِكْرُهَا فِي الْآيَةِ، وَلَمْ يَجْرِ ذِكْرُ الشَّمْسِ. وَلَيْسَ فِي ظَاهِرِ
الْقُرْآنِ أَنَّ التَّوَارِثَ، كَانَ سَبَبًا لِفَوَاتِ صَلَاةِ النَّافِلَةِ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿رُدُّوْهَا عَلَيَّ﴾^(٣).

الْحَيْلُ لَا مَحَالَةَ.

﴿فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ﴾^(٤). مَسَحَهَا، أَوْ أَمَرَ يَدَهُ عَلَيْهَا، صِيَانَةً

(١) ص: ٣٢.

(٢) ص: ٣٢.

(٣) ص: ٣٣.

(٤) ص: ٣٣.

لها، وإِكْرَاماً. وهذا عَادَةُ النَّاسِ.

وَالْمَسْحُ - أيضاً -: الغَسْلُ. أي: غَسَلَ قَوَائِمَهَا، وَأَعْنَاقَهَا.

وَلَا تُسَمَّى الْعَرَبُ الضَّرْبَ بِالسَّيْفِ، وَالْقَطْعَ بِهِ: مَسْحًا. ثُمَّ إِنَّهُ لَمْ يَجْرِ
لِلسَّيْفِ ذِكْرٌ، فَيُضَافُ الْمَسْحُ إِلَيْهِ.

وَيُقَالُ: إِنَّهُ عَرَقَبَ الْحَيْلَ، لِأَنَّهَا كَانَتْ أَعَزَّ مَالِهِ، وَكَفَّرَ عَنْ تَفْرِيطِهِ فِي النَّافِلَةِ
بَذَنْبِهَا، وَالتَّصَدَّقَ بِلَحْمِهَا عَلَى الْمَسَاكِينِ، لِقَوْلِهِ: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا
مُحِبُّونَ﴾^(١).

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ﴾^(٢).

قَالَ أَصْحَابُنَا: وَرَثَهُ الْمَالُ^(٣)، وَالْعِلْمَ.

وَقَالَ الْمُخَالِفُونَ^(٤): إِنَّهُ وَرَثَهُ الْعِلْمَ، لِلْخَيْرِ^(٥) الْمَرْوِيِّ: نَحْنُ - مَعَاشِرَ
الْأَنْبِيَاءِ - لَا نُورِثُ. وَقَوْلُهُ^(٦) - عَلَيْهِ السَّلَامُ -: الْعُلَمَاءُ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ.

(١) آل عمران: ٩٢.

(٢) النمل: ١٦.

(٣) في (هـ): العلم والمال.

(٤) في (هـ): المخلفون.

(٥) صحيح البخاري: ٤: ٩٦، ٩٧ / ٥: ٢٥، ١٧٧ / ٨: ١٨٥، ١٨٧. صحيح مسلم: ٥: ١٥٣،

١٥٥ باختلاف اللفظ. صحيح الترمذي: ٧: ١٠٩، ١١١، ١١٢ باختلاف يسير في اللفظ.

(٦) صحيح البخاري: ١: ٢٦ باختلاف يسير. سنن أبي داود: ٢: ٢٨٥. تاريخ بغداد: ١: ٣٩٨.

حَقِيقَةُ الْمِرَاثِ، هُوَ انْتِقَالُ تَرِكَةِ الْمَاضِي بِمَوْتِهِ إِلَى الْبَاقِي مِنْ ذَوِي قَرَابَتِهِ.
وَحَقِيقَةُ ذَلِكَ فِي الْأَعْيَانِ. وَإِذَا قِيلَ ذَلِكَ فِي الْعِلْمِ، كَانَ مَجَازًا.
وَالخَبْرُ، خَبَرٌ وَاحِدٌ، لَا يَجُوزُ أَنْ يُخَصَّ بِهِ عُمُومُ الْقُرْآنِ.
وَمِثْلُ ذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا يَرِثْنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ
بِعْقُوبٍ﴾^(١). وَقَدْ شَرَحْتُ ذَلِكَ فِي الْمَثَالِبِ^(٢).

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَالْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا﴾^(٣).
التَّبَوُّة، لَا تَكُونُ فِي خَاتَمٍ، وَلَا يَسْلُبُهَا الْجَنِّي مِنَ النَّبِيِّ^(٤)، وَإِنَّ [اللَّهِ]^(٥)
- تَعَالَى - لَا يُمَكِّنُ الْجَنِّي مِنَ التَّمَثُّلِ^(٦) بِصُورَةِ النَّبِيِّ.
وَلَيْسَ فِي الظَّاهِرِ أَكْثَرُ مِنْ أَنَّ جَسَدًا، أُلْقِيَ عَلَى كُرْسِيِّهِ عَلَى الْاِخْتِيَارِ^(٧) لَهُ،

(١) مريم: ٦.

(٢) المثالب: كتاب لمؤلف هذا الكتاب (ابن شهر آشوب) ويبدو أنه قد فُقد في جملة ما فُقد من عيون
تراثنا العربي الإسلامي، وقد ذكره المؤلف في كتابه (معالم العلماء): ١٠٦ باسم: مثالب
النواصب.

(٣) ص: ٣٤.

(٤) في (أ): النبي صلعم.

(٥) ما بين المعقوفتين ساقط من (ش).

(٦) في (ش) و(أ): التمثيل.

(٧) في (هـ) و(أ) و(ح): الاختيار. بياض مثناة من تحت قبل الألف.

نَحْوُ قَوْلِهِ - تَعَالَى -: ﴿الْم أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾^(١).

قِيلَ: إِنَّهُ^(٢) - عَلَيْهِ السَّلَامُ^(٣) - ذَكَرَ^(٤) - يَوْمًا فِي مَنْزِلِهِ -: لَأَطُوفَنَّ - اللَّيْلَةَ - عَلَى مِائَةِ امْرَأَةٍ، تِلْدُ كُلُّ امْرَأَةٍ مِنْهُنَّ غُلَامًا يَضْرِبُ بِالسَّيْفِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ^(٥) ... الْقِصَّةُ.

فَإِنْ صَحَّ ذَلِكَ، فَلَا يَكُونُ ذَنْبًا، لِأَنَّ عِبَّةَ الدُّنْيَا - عَلَى وَجْهِ الْمُبَاحِ - لَيْسَ بِذَنْبٍ.

وَقِيلَ: كَانَ لِسُلَيْمَانَ وَلَدٌ شَابٌّ، يُعْجَبُ بِهِ، فَأَمَاتَهُ اللَّهُ فَجَاءَهُ اخْتِبَارًا^(٦) مِنْ اللَّهِ - تَعَالَى - لِسُلَيْمَانَ.

وَقِيلَ: إِنَّهُ أَمَاتَهُ فِي حِجْرِهِ، فَوَضَعَهُ عَلَى كُرْسِيِّهِ مِنْ حِجْرِهِ.
وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ الْجَسَدُ الْمَذْكُورُ، هُوَ نَفْسُ سُلَيْمَانَ، وَأَنْ يَكُونَ ذَلِكَ

(١) العنكبوت: ١ - ٣.

(٢) في (ح): إِنْ سُلَيْمَانَ.

(٣) (عَلَيْهِ السَّلَام) ساقطة من (ح).

(٤) مجمع البيان: ٤: ٤٧٥. الدرر المشور: ٥: ٣٧٨. فردوس الأخبار: ٣: ٢٣٨ - ٢٣٩. الجامع

لأحكام القرآن: ١٥: ١٧٤.

(٥) (الله) لفظ الجلالة ساقط من (أ).

(٦) في (هـ): اخْتِبَارًا. بالياء المثناة من تحت قبل الألف.

لِمَرَضٍ، امْتَحَنَهُ اللَّهُ بِهِ.

وَالْعَرَبُ تَقُولُ: إِنَّمَا هُوَ حَتَمٌ عَلَى وَصْمٍ^(١)، وَجَسَدٌ بِلَا رُوحٍ. تَغْلِيظًا لِلْعَلَّةِ،
وَمُبَالَغَةً فِي قَرُوطِ الضَّعْفِ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ﴾^(٢).

أَي: بِالتَّسْخِيرِ.

﴿تَجْرِي بِأَمْرِهِ﴾^(٣). يَعْنِي: بِأَمْرِ سُلَيْمَانَ إِلَى حَيْثُ شَاءَ.

وَيَكُونُ - فِيهَا أُعْطَاهُ مِنَ التَّسْخِيرِ - يَدْعُوهُ إِلَى الْخُضُوعِ، وَيَدْعُو الطَّالِبَ
الْحَقُّ إِلَى الْاسْتِئْصَارِ^(٤) فِي ذَلِكَ. وَكَانَ^(٥) لُطْفًا يَحِبُّ فِعْلُهُ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ

بَعْدِي﴾^(٦).

(١) الْوَصْمُ: ج: أَوْصَامٌ وَأَوْصَمَةُ: خَشَبَةُ الْجَزَارِ الَّتِي يَقَطَعُ عَلَيْهَا اللَّحْمَ. يُقَالُ: تَرَكَهُمْ لَحْمًا عَلَى وَصْمٍ. أَيْ: أَوْقَعَ بِهِمْ فَذَلَّلَهُمْ وَأَوْجَعَهُمْ. (المنجد - وَصْمٌ).

(٢) الْأَنْبِيَاءُ: ٨١.

(٣) الْأَنْبِيَاءُ: ٨١.

(٤) الْعِبَارَةُ فِي (هـ): وَيَدْعُو الطَّالِبَ إِلَى الْحَقِّ بِالْإِسْتِئْصَارِ.

(٥) فِي (ح): فَكَانَ. مَعَ الْفَاءِ.

(٦) ص: ٣٥.

فَدَبَّتْ أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ - عَلَيْهِمُ السَّلَامُ - لَا تَسْأَلُ^(١) إِلَّا مَا يُؤْذَنُ لَهَا فِي مَسَائِلِهِ،
وَلَا سِيَّيَا إِذَا كَانَتْ الْمَسْأَلَةُ ظَاهِرَةً يَغْرِفُهَا قَوْمُهُمْ.

وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ - تَعَالَى - أَعْلَمَ سُلَيْمَانَ: أَنَّهُ إِنْ سَأَلَ مُلْكًا لَا يَكُونُ
لِغَيْرِهِ، كَانَ أَصْلَحَ لَهُ فِي الدِّينِ، وَالْأَسْتِكْنَارِ مِنَ الطَّاعَاتِ / ١٣٠، وَأَعْلَمَهُ: أَنَّ
غَيْرَهُ لَوْ سَأَلَ ذَلِكَ، لَمْ يُجِبْ^(٢) إِلَيْهِ مِنْ حَيْثُ لَا صَلَاحَ لَهُ فِيهِ.

وَلَوْ أَنَّ أَحَدَنَا، صَرَّحَ فِي دُعَائِهِ بِهَذَا الشَّرْطِ، حَتَّى يَقُولَ: اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي
أَيَّسَرَ أَهْلِ زَمَانِي، وَارْزُقْنِي مَا لَا يُسَاوِي فِيهِ غَيْرِي، إِذَا عَلِمْتَ أَنَّ ذَلِكَ أَصْلَحُ لِي،
وَأَنَّهُ أَذْعَى إِلَى مَا تُرِيدُهُ مِنِّي. لَكَانَ هَذَا الدُّعَاءُ حَسَنًا جَمِيلًا، وَهُوَ غَيْرُ مَنْسُوبٍ إِلَى
بُخْلِ.

وَلَيْسَ يَمْتَنِعُ أَنْ يَسْأَلَ النَّبِيُّ هَذِهِ^(٣) الْمَسْأَلَةَ مِنْ غَيْرِ إِذْنٍ، إِذَا لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ
بِحَضْرَةِ قَوْمِهِ، بَعْدَ أَنْ يَكُونَ هَذَا الشَّرْطُ مُرَادًا^(٤) فِيهَا.

وَأِنْ لَمْ يَكُنْ مَنْطُوقًا بِهِ، لَكَانَ هَذَا الدُّعَاءُ، حَسَنًا جَمِيلًا، وَهُوَ غَيْرُ مَنْسُوبٍ
إِلَى الْبُخْلِ.

(١) فِي (ش): يَسَال. بَيَاءُ الْمُضَارَعَةِ الْمُتَّاءَةِ مِنْ تَحْتَ.

(٢) فِي (أ): تَجِب. بِنَاءُ الْمُضَارَعَةِ الْمُتَّاءَةِ مِنْ فَوْقَ.

(٣) فِي (أ): هَذَا.

(٤) فِي (ش) وَ(أ): مُرَاد. مِنْ دُونِ تَنْوِينِ النَّصْبِ.

ثُمَّ إِنَّهُ إِنَّمَا التَّمَسَّ أَنْ يَكُونَ مُلْكُهُ آيَةً لِنُبُوتِهِ، يَتَّبِعُنَّ بِهَا مِنْ غَيْرِهِ، مِمَّنْ لَيْسَ
بِنَبِيِّ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي﴾^(١).

أي: لا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ غَيْرِي مِمَّنْ أَنَا مَبْعُوثٌ إِلَيْهِ. وَلَمْ يُرْذَ مِنْ بَعْدِهِ إِلَى يَوْمِ
الْقِيَامَةِ مِنَ النَّبِيِّينَ، كَمَا يَقُولُ الْقَائِلُ: أَنَا أَطِيعُكَ، وَلَا أَطِيعُ أَحَدًا بَعْدَكَ. أي:
سِوَاكَ.

قَالَ الْمُتَرَفِّعُ^(٢): إِنَّمَا سَأَلَ مُلْكَ الْآخِرَةِ، الَّذِي لَا يَنَالُهُ الْمُسْتَحِقُّ إِلَّا بَعْدَ
انْقِطَاعِ التَّكْلِيفِ، وَزَوَالِ الْمَحَنَةِ.

وقَوْلُهُ: ﴿لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي﴾. أي: لَا يَسْتَحِقُّهُ بَعْدَ وَصُولِي إِلَيْهِ
أَحَدٌ مِنْ حَيْثُ لَا يَصْلُحُ أَنْ يَعْمَلَ مَا يَسْتَحِقُّ بِهِ، لَا انْقِطَاعَ التَّكْلِيفِ.
وَيَقْوَى ذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي﴾^(٣). وَهُوَ مِنْ أَحْكَامِ الْآخِرَةِ.



(١) ص: ٣٥.

(٢) جمع البيان: ٤: ٤٧٦.

(٣) ص: ٣٥.

فصل [- ٢٥ -]

[في قصة سليمان - عليه السلام -]

قَوْلُهُ - تَعَالَى -: ﴿عَلَّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ﴾^(١).

قال المبرد^(٢): تُسَمَّى الْعَرَبُ كُلُّ مُبِينٍ عَنْ نَفْسِهِ، نَاطِقًا، وَمُتَكَلِّمًا.

وقال الرَّمَّانِي^(٣): مَنطِقُ الطَّيْرِ، صَوْتُ، تَفْهَمُ بِهِ مَعَانِيهَا عَلَى صِغَةِ وَاحِدَةٍ، بِخِلَافِ مَنطِقِ النَّاسِ، إِذْ هُوَ صَوْتُ، يَفْهَمُونَ^(٤) بِهِ مَعَانِيهِمْ عَلَى صِغَةِ مُخْتَلِفَةٍ. وَلِذَلِكَ لَمْ يَفْهَمْ عَنْهَا مَعَ طُولِ مُصَاحَبَتِهَا، وَلَمْ تَفْهَمْ هِيَ عَنْهُ، لِأَنَّ أَفْهَامَهَا، مَقْصُورَةٌ عَلَى تِلْكَ الْأُمُورِ الْمَخْصُوصَةِ. وَلَمَّا جُعِلَ سُلَيْمَانُ يَفْهَمُ^(٥) عَنْهَا، كَانَ قَدْ عَلِمَ مَنطِقَهَا.

وَقِيلَ: الْمُرَادُ بِهِ: أَنَّهُ عَلِمَ مَا يَفْهَمُ بِهِ مَا يَنْطِقُ^(٦) الطَّيْورُ بِهِ فِي أَصْوَاتِهَا،

(١) النمل: ١٦.

(٢) مجمع البيان: ٤: ٢١٤.

(٣) مجمع البيان: ٤: ٢١٤.

(٤) في النسخ جميعها: تَفْهَمُونَ. بناء المضارعة المثناة من فوق. وما أثبتناه من (ط).

(٥) في النسخ جميعها: تفهم. بناء المضارعة المثناة من فوق. وما أثبتناه من (ط).

(٦) في (ح): تنطق.

وَمَقَاصِدِهَا، بِمَا يَقَعُ مِنْهَا مِنْ صِيَاحٍ عَلَى سَبِيلِ الْمُعْجَزِ لِسُلَيْمَانَ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿ مَا لِي لَا أَرَى الْهُدْمَ ﴾^(١).

عَرَفَهُ بِالْأَلْفِ وَاللَّامِ، لِلْخُصُوصِيَّةِ بِهِ، وَسَبِيلُهُ، سَبِيلُ غُرَابِ نُوحٍ، وَجَمَارِ عَزْزِيرَ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿ لَا عَذَابَ بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴾^(٢).

الْعَذَابُ، اسْمٌ لِلضَّرَرِ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مُسْتَحَقًّا. وَلَيْسَ يَجْرِي مَجْرَى الْعِقَابِ، الَّذِي لَا يَكُونُ إِلَّا جَزَاءً. فَيَكُونُ مَعْنَى: ﴿ لَا عَذَابَ لَهُ ﴾: لِأُولَئِكَ. وَيَكُونُ اللَّهُ أَبَا حُهُ ذَلِكَ الْإِنْشَاءَ، كَمَا أَبَا حُهُ الذَّبْحِ، لِضَرْبٍ مِنَ الْمَصْلَحَةِ، كَمَا سَخَّرَ لَهُ الطَّيْرَ، يُصَرِّفُهَا فِي مَنَافِعِهِ، وَأَغْرَاضِهِ لِلْمُعْجِزَةِ^(٣).

وَقَدْ يُسَمَّى التَّأْدِيبُ، تَغْذِييًّا، قَوْلُهُ: ﴿ وَلَيَسْهَدْ عَذَابُهَا طَائِفَةً ﴾^(٤).

وَقِيلَ: أَرَادَ حَبْسَهُ، أَوْ نَقْفَ رِيشِهِ.

(١) التَّمْل: ٢٠.

(٢) التَّمْل: ٢١.

(٣) فِي (هـ) وَ(أ): لِلْمُعْجَزِ.

(٤) التَّوْر: ٢.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ﴾^(١).
 سَأَلَ يَحْيَى^(٢) بْنُ أَكْثَمَ عَلِيَّ بْنَ مُحَمَّدٍ النَّقِيُّ - عَلَيْهِمَا السَّلَام^(٣) -: هَلْ كَانَ
 سُلَيْمَانُ مُتَحَاجًّا إِلَى عِلْمٍ آصِفٍ؟
 فَقَالَ - عَلَيْهِ السَّلَام - لَمْ يَعْجِزْ سُلَيْمَانُ عَنْ مَعْرِفَةِ مَا عَرَفَ آصِفٌ، لَكِنَّهُ
 أَحَبَّ أَنْ يُعَرَّفَ أَمَّتُهُ مِنَ الْجِنِّ، وَالْإِنْسِ، أَنَّهُ الْحُجَّةُ مِنْ بَعْدِهِ، وَذَلِكَ مِنْ عِلْمِ
 سُلَيْمَانَ، أَوْدَعَهُ آصِفٌ، بِأَمْرِ اللَّهِ، فَفَهَّمَهُ اللَّهُ ذَلِكَ، لِئَلَّا يُخْتَلَفَ فِي إِمَامَتِهِ،
 وَدَلَالَتِهِ^(٤)، كَمَا فَهَّمَهُ اللَّهُ سُلَيْمَانَ فِي حَيَاةِ دَاوُدَ، لِتُعَرَفَ إِمَامَتُهُ، وَنُبُوَّتُهُ مِنْ بَعْدِهِ،
 لِتَأْكِيدِ الْحُجَّةِ عَلَى الْخَلْقِ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ - ﴿نَكْرُوا لَهَا عَرْشَهَا﴾^(٥).
 قَالَ قَتَادَةُ^(٦): كَانَ سُلَيْمَانُ أَحَبَّ أَنْ يَمْلِكَ عَرْشَهَا قَبْلَ أَنْ تُسَلِّمَ، فَيَحْرُمَ
 عَلَيْهِ اخْتِذُ مَا لَهَا، لِأَنَّهُ أَعْجَبَتْهُ صِفَتُهُ ﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾^(٧).

(١) التَّمَلُّ: ٤٠.

(٢) مجمع البيان: ٤: ٢٢٥ نقلاً عن تفسير العياشي. البرهان في تفسير القرآن: ٣: ٢٠٦.

(٣) في (ش) و(ك) و(هـ) و(أ): عَلَيْهِ السَّلَام.

(٤) (في إمامته ودلالته) ساقطة من (ح).

(٥) التَّمَلُّ: ٤١.

(٦) جامع البيان: ١٩: ١٦. الدر المنثور: ٦: ٣٥٩.

(٧) التَّمَلُّ: ٢٣.

وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ^(١): أَرَادَ أَنْ يَحْتَبِرَ عَقْلَهَا، وَفُطِنَتْهَا بِذَلِكَ، قَوْلُهُ: ﴿تَنْظُرُ
أَتَهْتَدِي﴾^(٢).

وَقَالَ وَهْبٌ^(٣): أَرَادَ أَنْ يَجْعَلَ ذَلِكَ مُعْجَزَةً عَلَى نُبُوَّتِهِ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿فَلَمَّا رَأَاهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي﴾^(٤).

تَكَلَّمَ الْعُلَمَاءُ فِي كَيْفِيَّةِ إِبْتِيَاهِ بِالْعَرْشِ:

فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ^(٥)، وَالْكَلْبِيُّ^(٦): خَرَّ أَصْفُ سَاجِدًا، وَدَعَا بِاسْمِ اللَّهِ
الْأَعْظَمِ، فَغَارَ عَرْشُهَا تَحْتَ الْأَرْضِ، حَتَّى نَبَعَ عِنْدَ كُرْسِيِّ سُلَيْمَانَ.

وَقَالُوا^(٧): حَمَلَتْهُ الْمَلَائِكَةُ بِأَمْرِ اللَّهِ. أَوِ الرِّيحُ حَمَلَتْهُ. أَوْ خَلَقَ اللَّهُ فِيهِ حَرَكَاتٍ
مُتَوَالِيَةً، أَوْ انْخَرَقَ مَكَانُهُ، حَيْثُ هُوَ هُنَاكَ، ثُمَّ نَبَعَ بَيْنَ يَدَيْ سُلَيْمَانَ، أَوِ الْأَرْضُ

(١) جامع البيان: ١٩: ١٦٠ - ١٦٢ وهو المروي عن ابن عباس. أيضاً: مجمع البيان: ٤: ٢٢٤. وفي
الجامع لأحكام القرآن: ١٣: ٢٠٧ معزو إلى الفراء وغيره.

(٢) النمل: ٤١.

(٣) جامع البيان: ١٩: ١٦٤. وهو وهب بن المنبه. الجامع لأحكام القرآن: ١٣: ٢٠٦.

(٤) النمل: ٤٠.

(٥) في جامع البيان: ١٩: ١٦٥ قول ابن عباس هذا منسوب بهذا التفصيل إلى وهب بن منبه.

(٦) مجمع البيان: ٤: ٢١٣.

(٧) أنظر تفصيل أقوال المفسرين في ذلك: مجمع البيان: ٤: ٢١٣ - ٢١٤.

طَوَّيْتُ لَهُ. أَوْ أَعْدَمَهُ اللَّهُ فِي مَوْضِعِهِ، وَأَعَادَهُ فِي مَجْلِسِ سُلَيْمَانَ.

وهذا كما رَوَتْهُ الشَّيْعَةُ^(١) أَنَّ تَوَلَّى غَسَلَ الْإِمَامَ، وَالصَّلَاةَ عَلَيْهِ، مُوقَفَانِ^(٢) عَلَى الْإِمَامِ الَّذِي يَتَوَلَّى الْأَمْرَ بَعْدَهُ.

وَقَالَ الْمُزْتَضَى: يُرَادُ بِهِ الْأَغْلَبُ، الْأَكْثَرُ، وَمَعَ الْإِمْكَانِ، وَالْقُدْرَةِ.

وَأَسْتَدَلَّ بِوَفَاةِ مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ، وَعَلِيِّ بْنِ مُوسَى، بِطُوسَ، وَابْنَاهُمَا بِالْمَدِينَةِ.

فَمَنْ أَرَادَ خِلَافَهُ، اسْتَدَلَّ بِهَذِهِ الْآيَةِ، وَبِقَوْلِهِ: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَمْرُ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى﴾^(٣). وَيَصْعُودُ الْمَلَائِكَةُ، وَتُزَوِّجُهَا، وَيَطُوفُونَ إِبْلِيسَ، وَالْجِنُّ فِي الْعَالَمِ، بِسُرْعَتِهِمْ^(٤).

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ﴾^(٥).

(١) دلائل الإمامة: ١٧٨. إثبات الوصية: ١٦٦، ١٦٩.

(٢) في (أ): موقوفان. بقاء موحدة بعدها قاف مشأة. وهو تصحيف.

(٣) الإسراء: ١.

(٤) في (ش) و(ك) و(هـ) و(أ): بسرعتهم. بالشين المعجمة. وما أثبتناه من (ط). وفي (ح):

لسرعتهم.

(٥) البقرة: ١٠٢.

فَكَانَهُ أَخْبَرَ بِأَتْنَهُمْ أَتْبَعُوا مَا يُكَذِّبُ فِيهِ الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ، وَيُضِيفُهُ إِلَيْهِ مِنَ السَّحْرِ، فَبَرَّاهُ اللَّهُ - تَعَالَى - مِنْ قَرَفِهِمْ، فَقَالَ: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ﴾^(١).

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَمَا أَنْزَلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ﴾^(٢).

أَرَادَ: أَنَّهُمْ يُعَلِّمُونَهُمْ^(٣) السَّحْرَ، الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ، وَأَنَّهَا أَنْزَلَ عَلَيْهَا وَصْفَ السَّحْرِ، وَمَاهِيَّتُهُ^(٤)، وَكَيْفِيَّتُهُ، لِلَاخْتِيَالِ فِيهِ، لِيَعْرِفَا ذَلِكَ، وَيَعْرِفَاهُ النَّاسُ، فَيَجْتَنِبُونَهُ، وَيَحْذَرُونَ^(٥) مِنْهُ. كَمَا أَنَّهُ - تَعَالَى - قَدْ أَعْلَمَنَا ضُرُوبَ الْمَعَاصِي، وَوَصَفَ لَنَا أَحْوَالَ الْقَبَاحِ، لِنَجْتَنِبَهَا^(٦)، لَا لِنُوقِعَهَا^(٧). إِلَّا أَنَّ الشَّيَاطِينَ، كَانُوا إِذَا عَلِمُوا ذَلِكَ، وَعَرَفُوهُ، اسْتَعْمَلُوهُ.

(١) البقرة: ١٠٢.

(٢) البقرة: ١٠٢.

(٣) في (ج): يعلمون.

(٤) في (هـ): مهية. وهو تحريف.

(٥) في (ش) و(ك) و(هـ) و(أ): يحذروا. بسقوط نون الرفع.

(٦) (تعالى) ساقطة من (ج).

(٧) في (ك) و(هـ) و(أ): ليجتنبها. بياء المضارعة المثناة من تحت.

(٨) في النسخ جميعها: لتوقعها. بقاء المضارعة المثناة من فوق. وفي (ط): لتوقعها بشون موحدة من فوق بعدها تاء مثناة من فوق. وما أثبتناه هو الموافق للسياق.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ﴾^(١).

أي: فَيَعْرِفُونَ مِنْ جِهَتَيْهِمَا مَا يَسْتَعْمِلُونَهُ فِي هَذَا الْبَابِ، وَإِنْ كَانَ الْمَلَكَانِ مَا الْقِيَاءُ إِلَيْهِمْ لِذَلِكَ، وَلِهَذَا قَالَ: ﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ﴾^(٢)، لِأَنَّهُ تَعَلَّمُوهُ، لِيَفْعَلُوهُ، لَا أَنْ يَحْتَنِيوَهُ، فَصَارَ ذَلِكَ بِسُوءِ اخْتِيَارِهِمْ ضَرَرًا عَلَيْهِمْ.

ثُمَّ إِنَّ التَّفْرِيقَ إِمَّا أَنْ يَكُونَ مِنْ جِهَةِ الدِّيَانَةِ، أَوِ الْجَنَرِ، أَوِ الْحُكْمِ، أَوِ الْحِيلَةِ. وَمَعْلُومٌ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِلْإِيحَابِ، وَالْجَنَرِ، [وَالْحُكْمِ]^(٣)، فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا الْحِيلَةُ، أَوِ الدِّيَانَةُ. كَمَا كَانَتْ الْكُفَّارُ^(٤) يَقُولُونَ لِلنَّبِيِّ - عَلَيْهِ السَّلَامُ -: إِنَّهُ يُفَرِّقُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿مَا لِي لَا أَرَى الْهُدْهَدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ﴾^(٥). إِنَّمَا جَازَ هَذَا الْمَقَالُ، لِأَنَّهَُا أَغْلَقَتْ أَمْرَهُ، وَتَبَيَّنَتْ، فَقَامَتْ عَلَيْهَا الْحُجَّةُ مِنْ ذَلِكَ، لِأَنَّ اللَّهَ - تَعَالَى - سَخَّرَ الطَّيْرَ لَهُ، قَوْلُهُ: ﴿وَالطَّيْرُ

(١) البقرة: ١٠٢.

(٢) البقرة: ١٠٢.

(٣) ما بين المعقوفتين ساقط من (ش). وفي (أ): لحكم. من دون (أل) ومع حرف الجر (اللام).

(٤) مجمع البيان: ٥: ٣٨٧.

(٥) التمل: ٢٠ - ٢١.

صَافَاتٍ كُلُّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ^(١).

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾^(٢).
إِنَّمَا قَدَّمَ اسْمَهُ عَلَى اسْمِ اللَّهِ - تَعَالَى - لِأَنَّ اسْمَهُ، كَانَ عُنْوَانَ الْكِتَابِ.
وَالْعُنْوَانُ - أَبَدًا - مُقَدَّمٌ عَلَى الْخِطَابِ.

وَقِيلَ: قَدَّمَ اسْمَ نَفْسِهِ. أَيْ: إِنَّ الْكِتَابَ مِنْ سُلَيْمَانَ، وَإِنَّ الْمَكْتُوبَ [فِيهِ]^(٣):
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ.

وَقِيلَ: لِأَنَّهُ كَانَ سَمِعَ مِنَ الْمُهْذَبِ: ﴿وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ
مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾^(٤). فَقَدَّمَ اسْمَهُ حَذْرًا^(٥) أَنْ يَسْبُوا اللَّهَ.

وَقِيلَ: لِأَنَّهُ كَانَتْ كَافِرَةً، وَالْكَافِرُ، لَا يُخَوِّفُ بِاللَّهِ، لِحِمِيَّةِ الْجَاهِلِيَّةِ، قَالَ:
﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ﴾^(٦).



(١) التَّوْر: ٤١.

(٢) النَّعْل: ٣٠.

(٣) مَا بَيْنَ الْمَعْقُوفَيْنِ زِيَادَةٌ مِنْ (ح).

(٤) النَّعْل: ٢٤.

(٥) فِي (أ): حَزْرًا. بِالزَّايِ الْمَعْجَمَةِ.

(٦) الْبَقَرَة: ٢٠٦.

فصل [- ٢٦ -]

[في قصّة يونس - عَلَيْهِ السَّلَام -]

قَوْلُهُ - تَعَالَى - فِي قِصَّةِ يُونُسَ - عَلَيْهِ السَّلَام - : ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا
فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ﴾^(١).

لَا يَجُوزُ أَنْ يُغَاضِبَ رَبَّهُ إِلَّا مَنْ كَانَ مُعَادِيًا لَهُ، أَوْ جَاهِلًا بِأَنَّ الْحِكْمَةَ فِي
سَائِرِ أَفْعَالِهِ. وَهَذَا لَا يَلِيقُ بِاتِّبَاعِ الْأَنْبِيَاءِ، فَضْلًا عَمَّنْ عَصَمَهُ اللَّهُ، وَإِنَّمَا كَانَ
غَضَبُهُ عَلَى قَوْمِهِ، لِمَقَامِهِمْ عَلَى تَكْذِيبِهِ، وَإِضْرَارِهِمْ عَلَى الْكُفْرِ، فَخَرَجَ مِنْ بَيْنِهِمْ
خَوْفًا مِنْ نَزُولِ الْعَذَابِ، وَهُوَ مُقِيمٌ بَيْنَهُمْ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ - : ﴿فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ﴾^(٢).

أَي: لَا تُضَيِّقُ^(٣) عَلَيْهِ الْمَسْلَكَ، وَتُسَدِّدُ عَلَيْهِ الْمِحْنَةَ، وَالتَّكْلِيفَ. وَذَلِكَ

(١) الْأَنْبِيَاءُ: ٨٧.

(٢) الْأَنْبِيَاءُ: ٨٧.

(٣) فِي (ك) وَ(هـ): تَضَيَّقَ. بِنَاءِ الْمُضَارَعَةِ الثَّانَةِ مِنْ فَوْقَ، وَفِي (أ): يَضَيِّقُ. بِنَاءِ الْمُضَارَعَةِ الثَّانَةِ مِنْ

يَجُوزُ أَنْ يَطْنَهُ النَّبِيُّ.

وَلَا شُبْهَةٌ أَنْ (قَدَرْتُ)، وَ(قَدَرْتُ)، مَعْنَاهُ: التَّضْيِيقُ. قَالَ - تَعَالَى -: ﴿وَمَنْ قُدِّرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ﴾^(١)، وَقَالَ: ﴿يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾^(٢).
وَضِيقُ صَدْرِ يُونُسَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - إِذَا أَصَابَهُ فِي بَطْنِ الْحُوتِ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾^(٣). عَلَى سَبِيلِ الْإِنْقِطَاعِ إِلَى اللَّهِ - تَعَالَى -
وَيَجُوزُ أَنْ يُرِيدَ بِذَلِكَ، أَي: بَخَسْتُ^(٤). حَتَّى يَتَرَكَ النَّوَافِلَ.
وَيَجُوزُ - أَيْضاً - أَنْ يَكُونَ صِدْقاً. أَي: مِنَ الْجِنْسِ الَّذِي يَقَعُ مِنْهُمْ الظُّلْمُ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ﴾^(٥).

(١) الطلاق: ٧.

(٢) الرعد: ٢٦. وفي مواضع أخرى من القرآن الكريم.

(٣) الأنبياء: ٨٧.

(٤) في (ش): يمس. بياء وجيم موحدتين من تحت. وفي (أ): نجست: بنون موحدة من فوق بعدها جيم معجمة من تحت.

(٥) القلم: ٤٨.

أي: إِنَّهُ لَمْ يَقَوْ عَلَى الصَّبْرِ عَلَى تِلْكَ الْمُحَنَةِ، [الَّتِي] ^(١) ابْتَلَاهُ اللَّهُ بِهَا، وَعَرَّضَهُ
 بِتَزْوِيلِهَا لِغَايَةِ الثَّوَابِ، فَشَكَا إِلَى اللَّهِ - تَعَالَى - مِنْهَا، وَسَأَلَهُ الْفَرَجَ، وَالْحُلَاصَ. وَلَوْ
 صَبَرَ، لَكَانَ أَفْضَلَ، فَأَرَادَ اللَّهُ - تَعَالَى - لِنَبِيِّهِ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ ^(٢) وَالسَّلَامُ ^(٣) - أَفْضَلَ
 الْمَنَازِلَ وَأَعْلَاهَا.



(١) ما بين المعقوفتين مطموس في (ش).

(٢) (الصلاة) ساقطة من (ح).

(٣) (والسلام) ساقطة من (أ).

فصل [- ٢٧ -]

[في قصّة عيسى - عَلَيْهِ السَّلَام -]

قَوْلُهُ - تَعَالَى - / ١٣٢ / فِي قِصَّةِ عِيسَى - عَلَيْهِ السَّلَام - ﴿إِنَّ اللَّهَ يُشِيرُكَ
بِكَلِمَةٍ﴾^(١).

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ^(٢)، وَقَتَادَةُ^(٣): سَمَّاهُ اللَّهُ «كَلِمَةً» لِثَلَاثَةِ أَوْجُهٍ:

أَحَدُهَا: أَنَّهُ أَوْجَدُهُ^(٤) بِكَلِمَةٍ مِنْ غَيْرِ وَاجِدٍ^(٥). وَهُوَ قَوْلُ «كُنْ»، كَمَا قَالَ:

﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾^(٦).

وَالثَّانِي: لِأَنَّ اللَّهَ بَشَّرَ بِهِ فِي الْكُتُبِ السَّالِفَةِ، كَمَا يَقُولُ الَّذِي يُحْيِرُنَا بِأَمْرِ

يَكُونُ: قَدْ جَاءَ قَوْلِي، وَكَلَامِي.

(١) آل عمران: ٤٥.

(٢) جامع البيان: ٣: ٢٦٩. أيضاً: مجمع البيان: ١: ٤٤٢.

(٣) جامع البيان: ٣: ٢٦٩. أيضاً: مجمع البيان: ١: ٤٤٢.

(٤) فِي (ك) وَ(هـ): أَوْجَدَهُ. بِالْحَاءِ الْمَهْمَلَةِ.

(٥) فِي (ك) وَ(هـ) وَ(ج): وَاحِدٌ. بِالْحَاءِ الْمَهْمَلَةِ.

(٦) آل عمران: ٥٩.

وَالثَّالِثُ: لِأَنَّ اللَّهَ، يَهْدِي بِهِ، كَمَا يَهْدِي بِكَلِمَتِهِ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا﴾^(١).

فَقَالَتْ مَرْيَمُ مُتَعَجِّبَةً: ﴿أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنْهُ بَشَرٌ﴾^(٢) عَلَى وَجْهِ الزَّوْجِيَّةِ ﴿وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾^(٣).

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾^(٤).

يَعْنِي: مَرْيَمَ.

وَالْإِحْصَانُ: إِخْرَازُ الشَّيْءِ مِنَ الْفَسَادِ. فَمَرْيَمُ، أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا بِمَنْعِهِ - يَعْنِي: مِنَ الْفَسَادِ - فَأَتَتْهُ اللَّهُ - تَعَالَى - عَلَيْهَا.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿فَتَقَفَّخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا﴾^(٥).

(١) مريم: ١٩.

(٢) مريم: ٢٠.

(٣) مريم: ٢٠.

(٤) الأنبياء: ٩١.

(٥) الأنبياء: ٩١.

أَجْرَيْنَا فِيهَا رُوحَ الْمَسِيحِ، كَمَا يَجْرِي الْهَوَاءُ^(١) بِالنَّفْحِ.
وَأَصَافَ^(٢) «الرُّوحَ» إِلَى نَفْسِهِ - تَعَالَى - عَلَى وَجْهِ الْمَلِكِ تَشْرِيفًا لَهَا،
لِلإِخْتِصَاصِ، بِالدُّكْرِ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا﴾^(٣).
أَي: إِنْ كُنْتَ تَتَّقِي عِبَادَتِي بِهِ، لِيَقِيكَ هُوَ.
أَوْ قَالَتْ: كُفَّ عَنِّي، وَلَا تُؤْذِنِي إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا، فَإِنَّ التَّقِيَّ يُمَسِّكُ لِحُوفِهِ،
كَمَا يَقُولُ الْقَائِلُ: إِنْ كُنْتُ مُؤْمِنًا، فَلَا تَظْلِمْنِي.
وَيُقَالُ: «التَّقِيُّ» اسْمُ رَجُلٍ، مَلْعُونٍ، مَشْهُورٍ بِالْبَطَالَةِ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا﴾^(٤).
إِنَّمَا مَتَّتِ الْمَوْتَ قَبْلَ تِلْكَ الْحَالِ الَّتِي قَدْ عَلِمَتْ أَنَّهَا مِنْ قَضَاءِ اللَّهِ - تَعَالَى^(٥) -.

(١) في (هـ): الهوى. بالالف المقصورة.

(٢) في (ح): فأضاف.

(٣) مريم: ١٨.

(٤) مريم: ٢٣.

(٥) (تعالى) ساقطة من (ح).

لِكَرَاهَتِهَا أَنْ يُعْصَى اللَّهُ بِسَبِّهَا^(١). إِذْ كَانَ النَّاسُ يَتَسَرَّعُونَ^(٢) إِلَى الْقَوْلِ فِيهَا بِمَا يُسْخِطُ اللَّهَ.

وَقَالَ قَوْمٌ: إِنَّهَا قَالَتْ بِطَنِعِ الْبَشَرِيَّةِ^(٣)، خَوْفَ الْفَضِيحَةِ.

وَقَالَ قَوْمٌ: الْمَعْنَى - فِي ذَلِكَ -: إِنِّي لَوْ خُيِّرْتُ - قَبْلَ ذَلِكَ - بَيْنَ: الْفَضِيحَةِ بِالْحَمْلِ، وَالْمَوْتِ، لَأَخْتَرْتُ الْمَوْتَ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ﴾^(٤).

قَالَ مُقَاتِلٌ^(٥): رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - أَنَّهُ قَالَ: هَارُونُ، الَّذِي ذَكَرَهُ^(٦)، هُوَ: هَارُونُ، أَخُو مُوسَى.

وَتَأْوِيلُ: ﴿يَا أُخْتَ هَارُونَ﴾: يَا مَنْ هِيَ مِنْ نَسْلِ هَارُونَ. كَمَا يُقَالُ: يَا أَخَا بَنِي تَمِيمٍ، وَيَا أَخَا بَنِي زُهْرَةَ. قَالَ اللَّهُ - تَعَالَى -: ﴿وَلِإِىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ

(١) فِي (أ): لِسَبِّهَا، مَعَ حَرْفِ الْجَرِّ (اللام).

(٢) فِي (ك) وَ(هـ): يَتَسَرَّعُونَ. بِالشَّيْنِ الْمُعْجَمَةِ.

(٣) فِي (أ): الْبَشَرِ.

(٤) مَرِيْم: ٢٨.

(٥) فِي مَجْمَعِ الْبَيَانِ: ٣: ٥١٢ قول مقاتل هذا منسوب إلى السُّدِّي، وكذا في تفسير التبيان: ٧: ١٠٩.

وهو في الجامع لأحكام القرآن: ١١: ١٠٠ معزوف إلى الكلبي.

(٦) فِي (ك) وَ(هـ) وَ(أ): ذَكَرَهُ. بِإِسْنَادِهِ إِلَى وَائِلِ الْجَمَاعَةِ.

هُودًا^(١)، «وإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا»^(٢). يَغْنِي: مِنْ نَسْلِهِمْ.

قَالَ سَعِيدُ^(٣) بَنُ جُبَيْرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - إِنَّ هَارُونَ الْمَذْكُورَ فِيهَا، كَانَ رَجُلًا، فَاسِقًا. فَلَمَّا أَنْكَرُوا مَا جَاءَتْ بِهِ مِنَ الْوَلَدِ، وَلَمْ يَعْرِفُوا بَرَاءَةَ سَاحَتِهَا، نَسَبُوهَا^(٤) إِلَيْهِ، تَشْبِيهًا. وَتَقْدِيرُ الْكَلَامِ: يَا شَبِيهَةَ هَارُونَ فِي فِسْقِهِ.

وَيُقَالُ^(٥): إِنَّ هَارُونَ هَذَا كَانَ أَخَاهَا لِأَيِّهَا، دُونَ أُمِّهَا، وَكَانَ رَجُلًا مَعْرُوفًا بِالصَّلَاحِ.

وَقِيلَ^(٦): إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ أَخَاهَا - عَلَى الْحَقِيقَةِ - بَلْ كَانَ رَجُلًا صَالِحًا مِنْ أَهْلِهَا.



(١) الأعراف: ٦٥، هود: ٥٠.

(٢) الأعراف: ٧٣، هود: ٦١.

(٣) مجمع البيان: ٣: ٥١٢. وهو في جامع البيان: ١٦: ٧٨ غير معزو إلى أحد. وكذلك في تفسير

البغوي: ٣: ١٩٤ وفي الدر المنثور: ٥: ٥٠٨ منسوب إلى سعيد بن جبير.

(٤) في (ش) و(أ): بسيرها. وفي (ك) و(هـ): بشيرها. وما أثبتناه من (ط).

(٥) هو قول الكلبي. أنظر تفسير البغوي: ٣: ١٩٤. أيضاً: مجمع البيان: ٣: ٥١٢.

(٦) هو قول قتادة كما في تفسير البغوي: ٣: ١٩٤. وقول قتادة وكعب، وابن زيد والمغيرة بن شعبة

يرفعه إلى النبي - صلى الله عليه وآله - كما في تفسير الثبيان: ٧: ١٠٨، وهو قول مجاهد كما في الدر

المنثور: ٥: ٥٠٧ وهو غير معزو إلى أحد في الجامع لأحكام القرآن: ١: ١٠٠.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿ فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا ﴾^(١).

قَالَ الْجَبَّائِيُّ^(٢): كَانَ اللَّهُ - تَعَالَى - أَمَرَهَا بِأَنْ تَنْذَرَ اللَّهَ الصَّغْمَتَ، فَإِذَا كَلَّمَهَا أَحَدٌ، تُرْمِي^(٣): بِأَنَّهَا نَذَرَتْ صَوْمًا. أَي: صَغْمَتًا، لِأَنَّهُ لَا يَجُوزُ أَنْ يَأْمُرَهَا بِأَنَّهَا تَقُولُ: نَذَرْتُ. وَلَمْ تَكُنْ^(٤): تَنْذَرْتُ، لِأَنَّ ذَلِكَ كَذِبٌ.

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ^(٥)، وَالضَّحَّاكُ^(٦): يُرِيدُ بِالصَّوْمِ: الصَّغْمَتَ.

وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ^(٧) - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ^(٨) -: أَمَرَهَا بِالصَّغْمَتِ، لِيَكْفِيَهَا الْكَلَامَ عَنْهَا^(٩)، وَلَذَلِكَ، مَا يُبْرَأُ مِنْ سَاحَتِهَا.

وَلَا تَنَاقَضَ فِي قَوْلِهِ : ﴿ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا ﴾ لِأَنَّهُ أَذِنَ لَهَا فِي أَنْ تَقُولَ^(١٠): ﴿ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ ... ﴾ . أَوْ قُلْتُ: إِنَّهَا أَوْمَتْ بِذَلِكَ، كَمَا قَالَ:

(١) مريم: ٢٦.

(٢) مجمع البيان: ٣: ٥١٢.

(٣) في (ش): قومي. بالقاف المثناة. وهو تحريف.

(٤) في (أ): يكن. بياء المضارعة المثناة من تحت.

(٥) جامع البيان: ١٦: ٧٤. أيضاً: مجمع البيان: ٣: ٥١٢. الدر المنثور: ٥: ٥٠٦. الجامع لأحكام

القرآن: ١١: ٩٧.

(٦) جامع البيان: ١٦: ٧٤. أيضاً: تفسير التبيان: ٧: ١٠٨.

(٧) جامع البيان: ١٦: ٧٥. أيضاً: مجمع البيان: ٣: ٥١٢. الدر المنثور: ٥: ٥٠٦.

(٨) (رضي الله عنه) ساقطة من (أ) و(ح).

(٩) في (ك) و(ح): عن. وهي ساقطة من (هـ) و(أ).

(١٠) في (ش): يقول. بياء المضارعة المثناة من تحت.

﴿ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ... ﴾^(١).

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴾^(٢).
 قَالَ الْحَسَنُ^(٣)، وَأَبُو عَیْ^(٤): مَعْنَى قَوْلِهِ: « وَجَعَلَنِي... » لَأَنَّ اللَّهَ - تَعَالَى -
 اكْتَمَلَ عَقْلُهُ، وَأَرْسَلَهُ إِلَى عِبَادِهِ، وَلِذَلِكَ كَانَتْ لَهُ تِلْكَ الْمُعْجَزَةُ.
 وَقَالَ ابْنُ الْأَخْشِيدِ^(٥): كَانَ ذَلِكَ إِزْهَاصًا لِنُبُوتِهِ.
 وَقَالَتِ الْإِمَامِيَّةُ^(٦): مَعْنَاهُ: إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ، سَيُؤْتِنِي الْكِتَابَ، وَسَيَجْعَلُنِي نَبِيًّا
 فِيمَا بَعْدُ. وَكَانَ ذَلِكَ مُعْجَزَةً لِمَرْيَمَ عَلَى بَرَاءَةِ سَاحَتِهَا.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا ﴾^(٧).
 إِنَّهُ^(٨) يُكَلِّمُهُم بِالْوَحْيِ الَّذِي يَأْتِيهِ مِنْ قِبَلِ اللَّهِ، وَإِنَّهُ - تَعَالَى - أَخْبَرَ أَنَّ

(١) مريم: ٢٩.

(٢) مريم: ٣٠.

(٣) مجمع البيان: ٣: ٥١٢.

(٤) هو أبو علي الجبائي: مجمع البيان: ٣: ٥١٢.

(٥) التبيان في تفسير القرآن: ٧: ٥١٠.

(٦) مجمع البيان: ٣: ٥١٢. عن أكثر المفسرين.

(٧) المائدة: ١١٠.

(٨) في (ج): الفائدة في قوله: (وكهلاً) أنه يكلمه في الوحي...

عيسى، تَكَلَّمَ فِي الْمَهْدِ، أُعْجُوبَةٌ. وَخَبَّرَ أَنَّهُ يَعِيشُ حَتَّى يَكْتَهِلَ - وَيَتَكَلَّمَ فِي الْكُهُولَةِ.

وَلَمْ يَقُلْ: وَشَيْخًا. لِأَنَّهُ عَاشَ ثَلَاثِينَ سَنَةً، عَلَى مَا جَاءَتْ بِهِ الْأَخْبَارُ. وَأَنَّهُ يَبْلُغُ حَالَ الْكَهْلِ فِي السَّنِ، لِيَكُونَ الْمُخِيرِ عَلَى مَا أَخْبَرَ بِهِ. ثُمَّ إِنَّ الْمَرَادَ بِهِ الرَّدُّ عَلَى النَّصَارَى بِمَا كَانَ مِنْهُ مِنَ التَّقَلُّبِ عَلَى الْأَحْوَالِ، لِأَنَّهُ مُنَافٍ لِلصِّفَةِ الْأَوَّلَةِ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَرُوحٌ مِنْهُ﴾^(١).

جَازَ أَنْ يُقَالَ: الْمَسِيحُ، / ١٣٣ / رُوحُ اللَّهِ. لِأَنَّ الْأَرْوَاحَ كُلَّهَا مُلْكُ اللَّهِ. وَإِنَّمَا خَصَّ الْمَسِيحَ بِالذِّكْرِ، تَشْرِيفًا لَهُ بِهَذَا الذِّكْرِ، كَمَا خَصَّ الْكَعْبَةَ أَنَّهَا بَيْتُ اللَّهِ، وَإِنْ كَانَتْ الْأَرْضُ كُلُّهَا لَهُ - تَعَالَى -.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَأَخِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ﴾^(٢).

عَلَى وَجْهِ الْمَجَازِ، أَضَافَهُ إِلَى نَفْسِهِ. وَحَقِيقَتُهُ: أَدْعُو اللَّهَ بِإِحْيَاءِ الْمَوْتَى،

(١) النساء: ١٧١.

(٢) آل عمران: ٤٩.

فَيُخَيِّنُونَ بِإِذْنِهِ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿أَيُّ أَخْلَقَ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ﴾^(١).

لم يُقَيِّدْهُ بِإِذْنِ اللَّهِ - تعالى^(٢) - لَأَنَّ الْمُرَادَ بِهِ التَّقْدِيرُ.

ثُمَّ قَالَ: «بِإِذْنِ اللَّهِ» لَأَنَّهُ مِنْ فِعْلِ اللَّهِ دُونَ عَيْسَى.

أَمَّا التَّصْوِيرُ، وَالتَّنْفِخُ، فَفَعَلُهُ. لَأَنَّهُ يَمَّا^(٣) يَدْخُلُ تَحْتَ مَقْدُورِ الْقَدَرِ^(٤)،

وَلَيْسَ كَذَلِكَ انْقِلَابُ الْجَمَادِ حَيَوَانًا، فَإِنَّهُ لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ أَحَدٌ سِوَاهُ - تَعَالَى -.

وَقَالَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ: ﴿فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي﴾^(٥). لِلْفِعْلِ الْهَيَاةِ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ﴾^(٦).

مَعْنَى ذَلِكَ: إِنَّهُ صَوَّرَ^(٧) الطِّينَ، وَسَمَّاهُ خَلْقًا، لَأَنَّهُ كَانَ بِقُدْرَةٍ^(٨).

(١) آل عمران: ٤٩.

(٢) (تعالى) ساقطة من (ح).

(٣) في (ح): فها.

(٤) في (ح): البشر.

(٥) المائدة: ١١٠.

(٦) المائدة: ١١٠.

(٧) في (هـ): سور. بالسين المهملة. وفي (أ): صوره.

(٨) في (ك) و(هـ) و(أ): بقدره.

وقوله: «يَاذَنِي». أي: تَفْعَلْ ذَلِكَ يَاذَنِي، وَأَمْرِي.

وقوله: ﴿فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا يَأْذَنِي﴾ مَعْنَاهُ: إِنَّهُ تَفَخَّ فِيهَا الرُّوحُ، لِأَنَّ الرُّوحَ، جِسْمٌ، يَجُوزُ أَنْ يَنْفُخَهَا الْمَسِيحُ بِأَمْرِ اللَّهِ - تَعَالَى - كَمَا يَنْفُخُهَا إِسْرَافِيلُ فِي الصُّورِ، وَكَمَا يَنْفُخُ مَلِكُ الْأَزْحَامِ فِي الصُّورَةِ عِنْدَ تَمَامِ مِائَةِ وَعِشْرِينَ يَوْمًا - عَلَى مَا جَاءَ فِي الْحَقِيرَةِ -^(١).

فَإِذَا تَفَخَّ الْمَسِيحُ فِيهَا الرُّوحَ، قَلْبَهَا^(٢) اللَّهُ لَحْمًا، وَدَمًا، وَخَلَقَ فِيهَا الْحَيَاةَ، فَصَارَتْ طَائِرًا يَأْذَنُ اللَّهُ، وَإِزَادَتِهِ، لَا يَفْعَلُ الْمَسِيحُ. فَلِذَلِكَ قَالَ: ﴿فَتَكُونُ طَيْرًا يَأْذَنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ يَأْذَنِي﴾^(٣)، مَعْنَاهُ: إِنَّكَ تَدْعُونِي حَتَّى أُبْرِئَهُمَا.

قوله - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَإِذَا تُخْرِجُ الْمَوْتَى يَأْذَنِي﴾^(٤).

أي: إِذَا تَدْعُونِي^(٥)، فَأُخْرِجُ الْمَوْتَى - عِنْدَ دُعَائِكَ - وَأُخْرِجُهُمْ مِنَ الْقُبُورِ، حَتَّى يُشَاهِدَهُمُ النَّاسُ [أَحْيَاءً]^(٦). وَإِنَّمَا نَسَبَهُ إِلَى عَيْنَسَى، لِأَنَّهُ كَانَ يَدْعَايَهُ.

(١) التبيان في تفسير القرآن: ٥٦: ٤.

(٢) في (ش): قبلها. بالباء ثم اللام. وهو تحريف.

(٣) المائدة: ١١٠.

(٤) المائدة: ١١٠.

(٥) في (أ): تدعونني.

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من (ش).

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾^(١).
يَجُوزُ أَنْ يَكْفَهُم بِالطَّافِ، الَّتِي لَا يَقْدِرُ عَلَيْهَا غَيْرُهُ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ كَفَهُم
بِالْفَقْرِ، كَمَا مَنَعَ مَنْ أَرَادَ قَتْلَ نَبِيٍّ - عَلَيْهِ السَّلَامُ -
وَقِيلَ: لِأَنَّهُ أَلْقَى شِبْهَهُ^(٢) عَلَى غَيْرِهِ، حَتَّى قَتَلُوهُ، وَنَجَا. قَوْلُهُ ﴿وَلَكِنْ شُبَّهَ
هُمُ﴾^(٣).

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ
مَرْيَمَ﴾^(٤). وَعِنْدَهُمْ هُوَ ابْنُ اللَّهِ؟
الْجَوَابُ: لَا تُهْمُ زَعَمُوا أَنَّهُ [إِلَهٌ وَهَذَا]^(٥) الْأَسْمُ إِنَّمَا هُوَ لِلإِلَهِ بِمَنْزِلَةِ ذَلِكَ.
كَمَا قَالَ الدَّهْرِيُّ: إِنَّ الْجِسْمَ، قَدِيمٌ، لَمْ يَزَلْ. وَإِنْ لَمْ يَذْكُرْهُ بِهَذَا الذِّكْرِ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِهْنِينَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾^(٦).

(١) المائدة: ١١٠.

(٢) في (ش): شبيته.

(٣) النساء: ١٥٧.

(٤) المائدة: ١٧.

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من (ش).

(٦) المائدة: ١١٦.

تَفْرِيعٌ فِي صُورَةِ الاسْتِفْهَامِ لِمَنْ ادَّعَى ذَلِكَ عَلَيْهِ مِنَ النَّصَارَى، لِأَنَّهُ - تَعَالَى -
كَانَ عَالِمًا بِذَلِكَ: هَلْ كَانَ أَوْ لَمْ يَكُنْ؟ كَمَا يَقُولُ الْقَائِلُ، لِغَيْرِهِ: أَفَعَلْتَ كَذَا، وَكَذَا؟
وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَمْ يَفْعَلْهُ، وَإِنْ كَانَ خَارِجًا مَخْرَجَ الاسْتِفْهَامِ.

ثُمَّ إِنَّهُ أَرَادَ بِهَذَا الْقَوْلِ تَغْرِيفَ عَيْسَى - عَلَيْهِ السَّلَام -: أَنْ قَوْمًا قَدْ اعْتَقَدُوا
فِيهِ، وَفِي أَمْرِ أَتَمِّهَا إِهْلَانٍ^(١)، لِأَنَّهُ يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ عَيْسَى لَمْ يَعْرِفْ ذَلِكَ إِلَّا فِي تِلْكَ
الْحَالِ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا
مُسْلِمًا ﴾^(٢). حُجَّةٌ عَلَى مَنْ زَعَمَ أَنَّ الْمَسِيحَ. وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ، كَانُوا نَصَارَى.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿ إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ... ﴾^(٣).
مَعْنَاهُ: تَفْوِضُ الْأَمْرِ إِلَى صَاحِبِهِ، وَالتَّبَرُّؤُ مِنْ أَنْ يَكُونَ إِلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أُمُورِ
قَوْمِهِ. كَمَا يَقُولُ أَحَدُنَا: هَذَا الْأَمْرُ لَا مَدْخَلَ لِي^(٤) فِيهِ، فَإِنْ شِئْتَ أَنْ تَفْعَلْهُ، وَإِنْ

(١) فِي (ح): الْإِهْلَانُ. مَعَ (أَل).

(٢) آلِ عِمْرَانَ: ٦٧.

(٣) الْمَائِلَةُ: ١١٨.

(٤) فِي (ك): لَهُ.

سُتَتْ أَنْ تَرْكُهُ. مَعَ عِلْمِهِ أَنَّ أَحَدَ الْأَمْرَيْنِ، لَا يَكُونُ مِنْهُ. وَإِنَّمَا حَسُنَ ذَلِكَ مِنْهُ، لِأَنَّهُ أَخْرَجَ ^(١) كَلَامَهُ مَخْرَجَ التَّفْوِيزِ.

ثُمَّ إِنَّهُ لَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْمَسِيحَ أَرَادَ بِذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ - تَعَالَى - لَهُ أَنْ يُعَاقِبَ عِبِيدَهُ مِنْ غَيْرِ جُزْمٍ، كَانَ مِنْهُمْ. لِأَنَّهُ - عَلَيْهِ السَّلَام - يُرِيدُ بِكَلَامِهِ مَا يَدُلُّ - فِي الْعَقْلِ - عَلَى كَوْنِهِ غَيْرَ جَائِزٍ عَلَيْهِ - تَعَالَى ^(٢) -.

وَلَا يُحْسِنُ مِنْهُ - تَعَالَى - أَيْضاً أَنْ يَتْرَكَ انْكَارَ ذَلِكَ.

فَلَمَّا عَلِمْنَا أَنَّ اللَّهَ - تَعَالَى - لَا يُعَاقِبُ خَلْقَهُ مِنْ غَيْرِ مَعْصِيَةٍ، سَبَقَتْ مِنْهُمْ مِنْ حَيْثُ كَانَ ظُلْمًا مَحْضًا، عَلِمْنَا أَنَّ عِيسَى - عَلَيْهِ السَّلَام - أَرَادَ يَقُولُهُ: ﴿إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَلِإِنَّهُمْ عِبَادُكَ﴾ الْجَاهِدُونَ لَكَ، الْمُتَّخِذُونَ مَعَكَ إلهًا غَيْرَكَ، لِأَنَّ مَا تَقَدَّمَ مِنَ الْكَلَامِ، دَلَّ عَلَيْهِ، فَلَمْ يَخْتِجْ أَنْ يَذْكُرَهُ فِي اللَّفْظِ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ ^(٣).

و«عيسى» و«عزير» - عَلَيْهِمَا السَّلَام ^(٤) - عِبْدًا ^(٥) ؟

(١) في (أ): اخراج. وهو تحريف.

(٢) (تعالى) ساقطة من (ح).

(٣) الأنبياء: ٩٨.

(٤) (عليهما السلام) ساقطة من (ح).

(٥) في (هـ): عِبْدًا.

فَإِنَّمَا قَالَ: «وَمَا تَعْبُدُونَ». و«مَا» لِمَا^(١) [لَا]^(٢) يَفْعَلُ.

ثُمَّ إِنَّ آخِرَ الْآيَةِ: ﴿أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ / ١٣٤ / لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا﴾
الآية^(٣).

قَوْلُهُ - مُبْعَدَانَهُ -: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ﴾^(٤).

يُصْحُ فِي مَقْدُورِ اللَّهِ - تَعَالَى - أَنْ يُلْقَى شِبْهَ زَيْدٍ عَلَى عَمْرٍو، حَتَّى لَا يَفْصَلَ
النَّاطِرُ بَيْنَهُمَا، تَغْلِيظاً لِلْمِخْنَةِ، وَتَشْدِيداً لِلتَّكْلِيفِ، فَيَكُونُ ذَلِكَ خَارِقاً لِلْعَادَةِ،
مُعْجِزَةً لِبَعْضِ^(٥) أَوْلِيَائِهِ الصَّالِحِينَ، وَالْإِثْمَةِ الْمُعْصُومِينَ.

وَعِنْدَ الْمُعْتَرِ لَةِ^(٦): عَلَى أَيْدِي الْأَنْبِيَاءِ، أَوْ فِي رَمَانِهِمْ. لِأَنَّهُ لَا يَجُوزُ خَرْقُ
الْعَادَةِ - عِنْدَهُمْ - إِلَّا عَلَى أَيْدِيهِمْ.

(١) فِي (ش): لَيْزَن.

(٢) مَا بَيْنَ الْمُعْقُوفَتَيْنِ سَاقِطٌ مِنْ (ش).

(٣) الْأَنْبِيَاءُ: ١٠١ - ١٠٢.

(٤) النِّسَاءُ: ١٥٧.

(٥) فِي (هـ): بَعْضٌ. مِنْ دُونَ حَرْفِ الْجَرِّ (اللام).

(٦) التَّبْيَانُ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ: ٣: ٣٨٣.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾^(١).

[مَعْنَى الْآيَةِ، الْإِخْبَارُ مِنْهُ - تَعَالَى - بِأَنَّهُ لَا يَبْقَى أَحَدٌ مِنَ الْيَهُودِ، إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ

بِهِ^(٢)، يَعْنِي بِعِيسَى^(٣) قَبْلَ مَوْتِهِ.

وَاخْتَلَفُوا فِي «الْهَاءِ» إِلَى مَنْ تَرْجِعُ:

فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ^(٤)، وَأَبُو مَالِكٍ^(٥)، وَالْحَسَنُ^(٦)، وَقَتَادَةُ^(٧)، وَابْنُ زَيْدٍ^(٨)،

وَالطَّبْرِيُّ^(٩) هِيَ كِتَابَةٌ عَنْ عِيسَى. كَأَنَّهُ قَالَ: [لَا]^(١٠) يَبْقَى أَحَدٌ مِنَ الْيَهُودِ إِلَّا

(١) النساء: ١٥٩.

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (ش).

(٣) في (ش): عيسى. من دون حرف الجر (الباء).

(٤) جامع البيان: ٦: ١٨، ١٩. أيضاً: مجمع البيان: ٢: ١٣٧. الدر المنثور: ٢: ٧٣٣. الجامع لأحكام

القرآن: ٦: ١٠.

(٥) جامع البيان: ٦: ١٨، ١٩. أيضاً: مجمع البيان: ٢: ١٣٧. الدر المنثور: ٢: ٧٣٤-٧٣٥.

(٦) جامع البيان: ٦: ١٨، ١٩. أيضاً: مجمع البيان: ٢: ١٣٧. الدر المنثور: ٢: ٧٣٥. الجامع لأحكام

القرآن: ٦: ١٠.

(٧) جامع البيان: ٦: ١٨. أيضاً: مجمع البيان: ٢: ١٣٧. الدر المنثور: ٢: ٧٣٤. الجامع لأحكام

القرآن: ٦: ١١.

(٨) جامع البيان: ٦: ١٩. أيضاً: مجمع البيان: ٢: ١٣٧. الدر المنثور: ٢: ٧٣٤. الجامع لأحكام

القرآن: ٦: ١١.

(٩) جامع البيان: ٦: ١٩، ٢٢. وفي (هـ): الطبرسي. وهو تحريف.

(١٠) ما بين المعقوفين ساقط من (ش).

لَيُؤْمِنَنَّ^(١) بِعِيسَى قَبْلَ مَوْتِ عِيسَى، بِأَن يُنْزِلَهُ اللَّهُ إِلَى الْأَرْضِ، إِذَا خَرَجَ الْمَهْدِيُّ - عَلَيْهِ السَّلَام -.

ثُمَّ قَالَ الطَّبْرِيُّ^(٢): وَالْآيَةُ تَخْصُوصَةٌ بِمَنْ يَكُونُ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ. وَقَدْ رُوِيَ أَنَّ الْحَجَّاجَ، سَأَلَ شَهْرَ^(٣) بْنَ حَوْشَبٍ عَنْهَا، وَقَالَ: إِنِّي أَضْرِبُ عُنُقَ الْيَهُودِيِّ، وَلَا يَتَكَلَّمُ بِشَيْءٍ؟

فَقَالَ شَهْرٌ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ - يَعْنِي^(٤) ابْنَ الْحَنَفِيَّةِ - إِنَّ اللَّهَ - تَعَالَى - يَنْعَثُ إِلَيْهِ مَلَكًا، يَضْرِبُ رَأْسَهُ، وَدُبْرَهُ، وَيَقُولُ: كَذَبْتَ عِيسَى، فَيُؤْمِنُ [- حِينَئِذٍ -]^(٥) كُرْهًا.

وَقَالَ مُجَاهِدُ^(٦)، وَالصَّحَّاحُ^(٧)، وَعِكْرِمَةُ^(٨): «الْهَاءُ» كِنَايَةٌ عَنِ الْيَهُودِيِّ^(٩).

(١) في (ك) و(هـ) و(أ) و(ح): يؤمن. من دون نون التوكيد المشددة.

(٢) جامع البيان: ٢: ٢٢. وفي (ح): الطبرسي. وهو تحريف.

(٣) جامع البيان: ٢: ١٣٧. الدر المنثور: ٢: ٧٣٤. الجامع لأحكام القرآن: ٦: ١١.

(٤) (يعني) ساقطة من (أ).

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من (ش).

(٦) جامع البيان: ٦: ١٩ - ٢٠. أيضاً: مجمع البيان: ٢: ١٣٧. تفسير البغوي: ١: ٤٩٧. الجامع لأحكام القرآن: ٦: ١١.

(٧) جامع البيان: ٦: ٢١. أيضاً: مجمع البيان: ٢: ١٣٧. تفسير البغوي: ١: ٤٩٧.

(٨) جامع البيان: ٦: ٢٠ - ٢١. أيضاً: مجمع البيان: ٢: ١٣٨. تفسير البغوي: ١: ٤٩٧.

(٩) في (هـ) و(أ): اليهود. من دون ياء النسب.

وتَقْدِيرُهُ: لَا يَكُونُ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، مَخْرُجٌ^(١) مِنَ الدُّنْيَا، إِلَّا وَيُؤْمِنُ بِعِيسَى، عِنْدَ مَوْتِهِ، إِذَا زَالَ^(٢) تَكْلِيفُهُ، وَتَحَقَّقَ الْمَوْتُ، وَلَكِنْ لَا يَنْفَعُهُ الْإِيمَانُ - حَيْثُذ -.

تَمَّ الْجُزْءُ^(٣) الْأَوَّلُ مِنْ كِتَابِ مُتَشَابِهِ الْقُرْآنِ^(٤)
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ^(٥)، وَالصَّلَاةُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّاهِرِينَ وَسَلَامٌ^(٦)
ظَهَرَ تَمَّازِ السَّبْتِ النُّصْفِ مِنْ شَهْرِ رَبِيعِ الْآخِرِ سَنَةِ ١١٠٣ هـ



-
- (١) في (ش): يخرج، بياء المضارعة. وفي (هـ): فخرج. بالفاء مع الفعل الماضي.
(٢) في (ش): زال.
(٣) في النسخ جميعها: هنا تمام الجزء الأول. وربما يكون ذلك من ترجمة المؤلف رحمه الله، أو يكون ذلك من عمل النساخ.
(٤) في (ح): تَمَّ الجزء الأول (...). من كتاب متشابه القرآن.
(٥) هنا ينتهي الكلام في نسخة (أ).
(٦) في (ك) و(هـ): وصلّى الله على محمد وآله.

فهرس الجزء الثاني

[٢]

باب ما يدخل في أبواب القتل

- ٧ منافاة مذهب الجبر للأصول الخمسة
- ٧ فرق الله بين فعل نفسه وفعل غيره
- ٩ الله ألزم العباد على أفعالهم
- ١٠ الجزاء بالأعمال
- ١٣ الله أمر عباده بالأوامر
- ١٤ نهى الله العباد بالنواهي
- ١٥ وصف الله المحسنين بأفعالهم
- ١٦ عتف الله المجرمين وذكر عقوبتهم

- ١٧ صرّح الله بمعتقد الأنبياء
- ١٨ حكى الله مقالة الكفار
- ١٩ ذكر الله امتناع الكفار عن الحق
- ٢٠ افتتح الله القرآن بالعدل واختتم به

فصل [١]

في منع الجور على الله

- ٢١ في نسبة الجور إلى الله تعالى
- ٢٣ آيات للمصاحب بن عباد

فصل [٢]

في الاستطاعة ونسبة الأفعال

- ٢٤ في استطاعة العباد
- ٢٥ نسبة الأعمال إلى الله
- ٢٦ معنى التمكين
- ٢٨ آيات للمعوي

فصل [٣]

في نسبة الأفعال

- ٢٩ الكفر والمعاصي ليسا من خلق الله

- ٣١ أبو حنيفة والإمام موسى بن جعفر (عليه السلام)
- ٣٢ أبيات في الجبر والاختيار

فصل [٤]

في الاستطاعة وفي نسبة الأفعال

- ٣٤ في استطاعة العباد
- ٣٥ أقوال لأبي هذيل والنظام والشيخ المفيد ولثامه
- ٣٨ أبيات لأبي الأسود الدؤلي
- ٣٨ محاورة بين علي بن الحسين (عليه السلام) ويزيد بن معاوية
- ٣٨ أبيات للمصاحب بن عباد
- ٣٩ مناظرة لأبي علي الجبائي
- ٤٠ بشر بن المعتمر ومجبر
- ٤١ المأمون وثنوي

فصل [٥]

في بطلان القول بالجبر

- ٤٣ في بطلان قول من قال بالجبر
- ٤٤ أقوال للجبرية والكفرة والمشبّهة والنصارى
- ٤٥ أول من أظهر الجبر في هذه الأمة معاوية

شعر للصاحب وغيره ٤٦

فصل [٦]

في نسبة الهدى إلى الله

في بعض معاني الهدى ٤٨

الله هدى جميع خلقه المكلفين ٥٢

ليس كل من ترك الشكر كافراً ٥٢

معنى ﴿هُدًى﴾ ٥٢

وجوب هُدى الله المكلفين إلى الدين ٥٤

معنى التقدير والهداية ٥٤

﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ﴾ أي: يحكم بهدايته ٥٥

عقاب الذين كفروا وظلموا ٥٦

الهداية بمعنى الثواب ٥٧

الهداية بمعنى الإرشاد ٥٧

﴿هُدًى﴾ بمعنى النجاة ٥٨

معنى قوله ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ ٥٨

الله لا يهدي مَنْ ظَلَمَ نفسه ٥٩

الله لا يحكم الفاسق بالهداية ٥٩

فصل [٧]

في نسبة الهدى إلى الله

- لا يجب على النبي (صلى الله عليه وآله) هداية الناس ٦٠
- النبي (صلى الله عليه وآله) لا يخالف إرادة الله ٦٢
- القرآن هدى للمتقين وغيرهم ٦٣
- الله هدى الكافر كما هدى المؤمن ٦٣
- معنى قوله: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُصِلُّ﴾ ٦٣
- معنى ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ ٦٤
- نسبة إتباع الهدى إلى المخلوق ٦٥
- الله يزيد الذين اهتدوا هدى ٦٥
- الكاذب الكفار لا يهتدي إلى طريق الجنة ٦٥
- معنى ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّنَّ تَابَ وَآمَنَ﴾ ٦٦

فصل [٨]

في نسبة الهدى إلى الله

- نور الله دينه وإيمانه ٦٧
- النور في قلب الإنسان يهتدي به ٦٧
- النور يخص مَنْ اتَّبَعَ رضوان الله ٦٨

- معنى ﴿فَزَادْتُهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ﴾ ٦٨
- الهدى من فعل الله ٦٩
- لو شاء الله لهدى الناس على سبيل الجبر ٧٠

فصل [٩]

في نسبة الضَّلَالِ

- في معنى ﴿ضَلَّ﴾ و﴿أَضَلَّ﴾ ٧٢
- ﴿الضَّلَالُ﴾ لفظ مشترك ٧٣
- الإضلال في الدين لا يجوز من الله تعالى ٧٧
- الإضلال يوجب المذمة فليس هو من الله ٧٨
- قول القدرية في نسبة الإضلال ٧٩
- تفنيد قول القدرية ٨٠
- الإضلال، الهلاك والهدى، الإنجاء ٨١
- معنى قوله: ﴿يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ ٨٢
- معنى ﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا﴾ ٨٢
- الإضلال من الله يكون جزاء ٨٣
- الإضلال ليس عن الدين ٨٤
- معنى قوله: ﴿فَلَنْ نَجِدَ لَهُ سَبِيلًا﴾ ٨٥
- الإضلال بمعنى العقاب ٨٥

- الإضلال بمعنى الدعوة إلى الضلال ٨٥
- الإمداد في الخير وليس في الضلالة ٨٦
- الله لا يفضل إلا من أضل وكفر ٨٧

فصل [١٠]

في نسبة الإضلال

- الضلال من الإنسان ٨٨
- بطلان قول المجبرة: إن الله يفعل المعاصي ويريدها ٨٨
- نسبة المعصية إلى الشيطان ٨٩
- الشيطان يزئ الكفر ٨٩
- نسبة الإضلال إلى السامري ٩٠
- معنى قوله: ﴿يُضِلُّ اللهُ الْكَافِرِينَ﴾ ٩٠

فصل [١١]

في الإرادة والمشئة

- في إرادة الله ومشئة العباد ٩١
- أقوال لابن سيرين وفضيل بن عياض ٩٣

فصل [١٢]

في المشيئة

- ٩٤ الطاعة بأمر الله ومشيئته
- ٩٥ شرح الصدر للإيمان من الله
- ٩٧ الإضلال بمعنى الخذلان
- ٩٧ لا يكون الله مريداً لما لا يشاء بالضرورة
- ٩٧ مشيئة الله الهدى للعباد لطف منه
- ٩٨ الله لا يشاء لعباده الشرك والمعاصي
- ٩٩ الله قادر على منع العباد من ارتكاب المعاصي إذا شاء
- ١٠٠ ذكر المشيئة إخبار عن قدرة الله
- ١٠٠ ذكر المشيئة إثبات لقدرة الله
- ١٠١ الله قادر على هداية الجميع لو شاء
- ١٠٥ معنى «الطمس»
- ١٠٦ معنى «المسخ»
- ١٠٧ معنى «يأس»
- ١٠٧ بيان الهدى والضلال من الله
- ١٠٨ تعليق التوبة وإسقاط العقاب بالمشيئة تفضل
- ١٠٩ تعليق الغنى بالمشيئة

الكافرون لا يؤمنون إلا بمشيئة الله إلهاء ١٠٩

فصل [١٣]

في المشيئة

- أفعال العباد غير متعلقة بمشيئة الله ١١١
- مشيئة الله متعلقة بالطاعات ١١٢
- يقول العبد ﴿إِنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ في الطاعات والمباحات ١١٣
- المكلف يجوز أن يعود في الكفر إِنْ شَاءَ اللَّهُ ذلك ١١٤
- لا يملك الله لنفسه ضرراً ولا نفعاً إلا بمشيئة الله ١١٥
- الأفعال المستقلة لا يصح إطلاقها دون تعليقها بمشيئة الله ١١٥
- الله لا يريد كفر الكافر ١١٦
- الشیطان يتبرأ من كفر الكافر ١١٦

فصل [١٤]

في التكليف والاستطاعة

- الوسع والاستطاعة ١١٧
- معنى الطاقة ١١٩
- «لَنْ» تفيد الاستقبال ١٢٠
- يُعبَّرُ بالاستطاعة عن الفعل ١٢١

- الكفار كالصم ١٢١
- لم يرد نفي الاستطاعة عن الكفار بل نفي القبول عنهم ١٢١
- الله يعذر مَنْ لا يستطيع ١٢٢
- مَنْ يقدر على شيء ومن لا يقدر لا يستويان ١٢٣
- الكفار لكفرهم لا يستطيعون سبيلاً إلى الخير ١٢٤
- السمع هو إدراك الصوت ١٢٥
- الفعل بالاستطاعة ١٢٥
- الاستطاعة قبل الفعل ١٢٥
- إذا عُدِمَ الفعل عدمت الاستطاعة ١٢٦
- الاستطاعة قبل القدرة ١٢٧
- الاستطاعة قبل الفعل ١٢٨
- القدرة قبل الفعل ١٢٩
- لا يكلف الله خلقه فوق طاقتهم ١٣٠

فصل [١٥]

في معنى الفِطْرَةِ والصَّبْغَةِ

- معنى قوله ﴿فِطَرَتَ اللَّهِ﴾ ١٣٢
- معنى قوله ﴿صَبَغَةَ اللَّهِ﴾ ١٣٣
- من معاني «الفطرة» في اللغة ١٣٣

- معنى ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ ١٣٥
- معنى ﴿طَبَعَ اللَّهُ﴾ ١٣٧
- معنى ﴿رَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ ١٣٨
- معنى ﴿جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾ ١٣٨
- معنى ﴿لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ...﴾ ١٣٩
- معنى ﴿فَأَغْشَيْنَاهُمْ﴾ ١٤١
- معنى ﴿غِشَاوَةٌ﴾ ١٤١
- معنى ﴿رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ ١٤٣
- معنى ﴿فَالَفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ﴾ ١٤٣
- معنى ﴿يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾ ١٤٤
- معنى ﴿أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ﴾ ١٤٧
- معنى ﴿أَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ﴾ ١٤٨
- معنى «ما» في قوله ﴿وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ﴾ ١٤٩
- السوء بمعنى العذاب والنقمة ١٥٠
- الكفر ليس من فعل الله ١٥٠

فصل [١٦]

في معنى الصَّرْف

- معنى ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ﴾ ١٥١

- معنى «الصرف» ١٥٣
- معنى «صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ» ١٥٣
- معنى «حِجَاباً مَسْتُوراً» ١٥٤
- معنى «وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً» ١٥٥

فصل [١٧]

في معنى المرض والرَّجْز والقسوة

- معنى «فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ» ١٥٧
- معنى «فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا» ١٥٨
- معنى «الرَّجْزَ» ١٥٩
- معنى «جَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً» ١٦٠

فصل [١٨]

في الإملاء للكافرين والإنعام عليهم

- معنى «نُذَاوِلْهَا يَبْنَ النَّاسِ» ١٦٢
- الاستفهام لا يدلُّ عَلَى وقوع الحدث ١٦٣
- إملاء الله للكافرين لا يعني رضى بأعمالهم ١٦٥
- علة تأخير العقاب إلى يوم القيامة ١٦٦
- من معاني «اللام» ١٦٦

فصل [١٩]

الإذن بمعنى العلم أو التخلية

- الإذن بمعنى العلم ١٦٩
- الإذن بمعنى التخلية ١٧٠
- الزيف هو الميل ١٧٣
- الزيف يكون من العباد ١٧٤
- الدعاء سؤال لا يدل على أن الله يفعل خلافه ١٧٤

فصل [٢٠]

في نسبة النسيان والخطأ والكفر

- النسيان من فعل الله ١٧٦
- من معاني النسيان ١٧٧
- معنى «الخطأ» ١٧٨
- ليس الله خالقاً لكفر الكافرين ١٧٩
- معنى «الطمس» ١٨٠
- معنى «أَشَدُّ عَلَى قُلُوبِهِمْ» ١٨٠
- نسبة التثيت إلى الله والركون إلى النبي (صلى الله عليه وآله) ١٨٢
- معنى «أَفَرَّغَ عَلَيْنَا» ١٨٢
- معنى «تَبَّتْ أَفْدَامُنَا» ١٨٢

فصل [٢١]

في نسبة الأفعال إلى الله

- تشبيه المكذّبين بآيات الله بالصّم والبكم ١٨٤
- الغواية ليس من فعل الله ١٨٦
- من معاني «الغواية» ١٨٦
- التمني لا يكون صدقاً ولا كذباً ١٨٨

فصل [٢٢]

في نسبة الأفعال

- ذكر المشيئة إخبار عن قدرة الله ١٩٠
- معنى إرسال الشياطين على الكافرين ١٩٠
- أهل النار يُقرن كلّ منهم بشيطانه ١٩١
- معنى «نُوِّيَ بَعْضُ الظَّالِمِينَ بَعْضاً» ١٩٢
- معنى «التقيض» ١٩٢
- معنى تزيين الله العمل ١٩٣
- معنى تزيين الشيطان الأعمال ١٩٤
- معنى قوله «جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا» ١٩٤
- معنى «المدّ» ١٩٥

إنزال الآيات وإقامة الدلالات من لطف الله ١٩٦

فصل [٢٣]

من معاني «جعل» و«كتب»

«جعل» بمعنى «حكم» ١٩٧

من معاني «جعل» ١٩٨

«كتب» بمعنى «جعل» ٢٠١

معنى «كَتَبَ اللهُ لَنَا» ٢٠١

فصل [٢٤]

في خلق الأفعال

ليس الله خالقاً لأفعال العباد ٢٠٣

«كُلُّ شَيْءٍ» تدلّ على المبالغة ٢٠٤

«الْخَلْقُ» بمعنى «التقدير» ٢٠٤

خُلِقَ الإنسان ضعيفاً عن تحمل الشدائد ٢٠٥

اختلاف الألسنة والألوان من آيات الله ٢٠٦

الله يعلم خلقه ٢٠٧

كلّ مخلوق من خلق الله ٢٠٧

الخلق هو التقدير والإتقان في الصنعة ٢٠٨

فصل [٢٥]

من معاني الفتنة

- ٢١٠ الفتنة في تشديد التكليف
- ٢١٠ معنى قوله ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً﴾
- ٢١١ الافتتان: الابتلاء
- ٢١٢ من معاني «الفتنة»
- ٢١٣ «الفتنة» بمعنى «الابتلاء والاختبار»
- ٢١٤ الفتنة، الاختبار بشدة التعب
- ٢١٥ معنى ﴿نُصِيبُهُمْ فِتْنَةً﴾
- ٢١٥ الفتنة لا تعني الإضلال
- ٢١٦ معنى قوله ﴿مَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ﴾

فصل [٢٦]

في معنى المكر

- ٢١٧ معنى «المكر» من العبد
- ٢١٨ ليس المكر من الإضلال
- ٢٢٠ معنى «المكر» من الله
- ٢٢٢ المكر - من الله - جزاء

- ٢٢٢ الكيد تعليم بالخفية
- ٢٢٣ معنى ﴿يُجَادِعُونَ اللَّهَ﴾
- ٢٢٤ الكيد الاحتيال
- ٢٢٥ الكيد من الله جزاء
- ٢٢٥ الله لا يقبل قول إبليس
- ٢٢٧ السعيد والشقي مَنْ يظهر أمره في قبره
- ٢٢٨ السعادة والشقاوة في إصابة الخير وحرمانه
- ٢٢٩ لا يريد الله من خلقه الكفر
- ٢٣١ يرتفع الخلاف بين الناس بالإسلام
- ٢٣٢ معنى ﴿فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ﴾
- ٢٣٣ «لعلّ» من الله واجب
- ٢٣٤ «لعلّ» تفيد التعليل
- ٢٣٤ العباد قادرون على الطاعة
- ٢٣٥ العباد قادرون على الإيمان
- ٢٣٦ «لعلّ» بمعنى «لام» الغرض

فصل [٢٧]

في الاستقامة وفي معنى «كل» وفي الإرادة

- ٢٣٧ استقامة العقلاء على الهدى تقتضي جزاء من الله

- يراد بـ«كُلُّ» التّكثير دون العموم ٢٣٨
- إرادة الله تتعلّق بها يصحّ حدوثة ٢٣٩
- تأخير عقوبة الناس تفضّل من الله ٢٣٩
- معنى الطمس عن الهدى ٢٤٠

فصل [٢٨]

في نسبة الأفعال

- الإهلاك على سبيل الامتحان أو الاستحقاق حسن ٢٤٢
- ذكر «الإرادة» مجاز في قوله «وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ» ٢٤٤
- معنى قوله «سَنَسْتَدْرِجُهُمْ» ٢٤٥

فصل [٢٩]

في مسائل متفرقة

- من التقديم والتأخير في القرآن ٢٤٨
- معنى التعذيب بالأموال والأولاد في الدنيا ٢٤٩
- الله لا يريد موت الكافر على كفره ٢٤٩
- إيمان أهل الكتاب يكون عند نزول عيسى (ع) وخروج المهدي (ع) ٢٥١
- عدم إيمان أبي لهب دليل صدق معجزة النبي (صلّى الله عليه وآله) ٢٥٢
- الله لا يخلق الكفر ٢٥٣

معنى قوله ﴿كَرِهَ اللَّهُ أَنْبِعَاءَهُمْ فَيَبْطِئَهُمْ﴾ ٢٥٤

فصل [٣٠]

في نسبة الأفعال

- ﴿الْبَلَاءُ﴾ لفظ مشترك بين الخير والشر ٢٥٤
- الاستهزاء يقصد به العيب والإزراء ٢٥٦
- تسمية الجزاء على الذنب باسم الذنب ٢٥٧
- عقاب الأبناء بما فعل الآباء حق لرضاهم عَنْ فِعْلِهِمْ ٢٦٠
- لا يؤاخذ الله أَحَدًا بذنب غيره ٢٦٠
- يعاقب الإنسان على خطاياه في نفسه وفي غيره ٢٦١
- يعاقب الإنسان على ذنبه وذنوب الذين أضلَّهُم ٢٦٢

فصل [٣١]

في مسائل متفرقة

- معنى النور والظلمة ٢٦٣
- إخراج المؤمنين من الظلمات إلى النور ٢٦٣
- معنى ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ ٢٦٤
- بطلان التقليد في أصول الدين ٢٦٧
- الحث على تدبر القرآن ٢٦٧

- ٢٦٧ القرآن من عند الله فهو خالٍ من الاختلاف
- ٢٦٧ المتناقض من الكلام ليس من فعل الله
- ٢٦٨ عاقبة كثير من الناس إلى جهنم باختيارهم الكفر
- ٢٦٩ الله خلق الثقلين لعبادته
- ٢٦٩ معنى ﴿مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ﴾
- ٢٦٩ لَا عُذْرَ لِلكَافِرِ فِي تَرْكِ الْإِيمَانِ

فصل [٣٢]

تنزيه الله عَنِ فِعْلِ الظُّلْمِ

- ٢٧١ الله لا يظلم أحداً في الدنيا والآخرة
- ٢٧٤ الله لا يحبّ الظلم والظالمين
- ٢٧٤ الله لا يريد الظلم لأحد
- ٢٧٥ الله لا يهلك الناس بظلم صغير منهم
- ٢٧٦ الله لا يفعل القليل من الظلم ولا الكثير

فصل [٣٣]

في معنى الحسنة والسيئة ومصدرهما

- ٢٧٧ الحسنة نصيب الإنسان من الله والسيئة من الإنسان بذنبه
- ٢٨٠ كُلُّ أحوال الإنسان من الله

فصل [٣٤]

من معاني «قَضَى»

- معاني «قَضَى» ٢٨٢
- أقوال للنبي (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته (عليه السلام) في القضاء والقدر ٢٨٤
- أقوال للعلماء في القضاء والقدر ٢٨٥
- أبيات للملك الصالح ٢٨٧

فصل [٣٥]

في القضاء

- معنى «وَقَضَيْنَا إِلَىٰ نَبِيِّ إِسْرَائِيلَ» ٢٨٨
- محاورة بين أمير المؤمنين (ع) ورجل من أهل الشام في القضاء والقدر ٢٨٩

فصل [٣٦]

في القضاء

- معنى «وَقَضَىٰ رَبُّكَ» ٢٩٢
- الله قادر على ما يشاء غير محتاج إلى الاستعانة ٢٩٢
- «قَضَىٰ» بمعنى «عَلِمَ» ٢٩٣
- معنى «لَنْ يُصِيبَنَا» ٢٩٤

- معنى «كتب الله عليهم القتل» ٢٩٤
- معنى «بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا» ٢٩٥
- لو كان الله قضى بالمعاصي لم يكن لأحد الخيرة ٢٩٧

فصل [٣٧]

في القَدَر

- معنى «قَدَّرَ» ٢٨٩
- أقوال النبي (صلى الله عليه وآله) وأئمة أهل البيت (عليه السلام) في القدر ٢٩٩
- أقوال للعلماء والشعراء في القدر ٣٠١

فصل [٢٨]

في القدر

- جميع ما خلق الله بقدر معلوم بلا تفاوت ٣٠٤
- معنى قوله «كُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ» ٣٠٤
- معنى «قَدَرًا مَقْدُورًا» ٣٠٥
- أقوال للنبي (ص) وأهل البيت (عليه السلام) في القدر ٣٠٦
- أقوال للعلماء والشعراء في القدر ٣٠٦

[٣]

باب ما جاء في النبوات

فصل [١]

في تفضيل الأنبياء على الملائكة

- ٣١١ إجماع الإمامية على تفضيل الأنبياء على الملائكة
- ٣١٢ معنى ﴿ مَا تَهَاجَرُكُمْ رَبُّكُمْ ﴾
- ٣١٣ اعتقد قوم أنَّ الملائكة أفضل من الأنبياء
- ٣١٤ قوله ﴿ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ ﴾ لا يدلُّ على أنَّ حال الملائكة أفضل من حال النبي ...
- ٣١٥ استدلال الجبائي على تفضيل الملائكة على البشر
- ٣١٥ ﴿ يَمُنُّ خَلَقْنَا ﴾ لا تفيد التبعية
- ٣١٦ الله فضل آدم بالنعم الدنيوية

فصل [٢]

في عصمة الأنبياء والملائكة

- ٣١٧ الإمامية تقول بعصمة الأنبياء والأئمة من الكبار والصغائر
- ٣١٩ الله لا يصطفى رسلاً إلا مَنْ كان مرضياً معصوماً
- ٣١٩ معنى ﴿ الْحَيِّثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ ... ﴾

الأنبياء والأئمة لا يجوز عليهم كل منفر ٣٢٠

فصل [٣]

في مسائل متفرقة في النبوة

الأسباط ليسوا أنبياء ٣٢٢

الاصطفاء لا يليق إلا بمن هو معصوم ٣٢٣

معنى تفضيل بني إسرائيل ٣٢٣

معنى تفضيل بعض الرسل على بعض ٣٢٤

النبوة ليست مستحقة بالأفعال ٣٢٥

الله أرسل رسلاً من الجن ٣٢٥

علة كون الرسل رجالاً لا نساء ٣٢٦

حال الناس قبل الرسل ٣٢٧

كل أمة من البشر بعث فيها رسول ٣٢٨

فصل [٤]

مسائل متفرقة في النبوة

معنى ﴿لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾ ٣٣٠

معنى ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا﴾ ٣٣١

النصرة من الله للمبغني عليه ٣٣١

- ٣٣٢ كيف ينصر الله رسله
- ٣٣٣ الله خصَّ أُمَّةَ مُحَمَّد (صلى الله عليه وآله) بأمانٍ إلى يوم القيامة
- ٣٣٤ من معاني «الوحي»
- ٣٣٥ الوحي لداود (عليه السلام)
- ٣٣٦ الكلام لموسى (عليه السلام)
- ٣٣٦ الرسول لمحمد (صلى الله عليه وآله)
- ٣٣٦ كيفية خطاب الله إبليس
- ٣٣٧ شأن كلب أصحاب الكهف
- ٣٣٨ «الظن» بمعنى «العلم» وغير «العلم»
- ٣٣٨ توبيخ المنافقين على لسان الرسل
- ٣٤٠ النبي والإمام يعلمان علوم الدين لا الغيب

فصل [٥]

في قصّة آدم (عليه السلام)

- ٣٤١ الأمر والنهي لا صيغة لهما
- ٣٤١ خداع إبليس لآدم وحواء بَقَسَمِهِ لهما
- ٣٤٢ قبول آدم وحواء قول إبليس ليس طاعة له
- ٣٤٣ أين لقي إبليس آدم وحواء ووسوس لهما
- ٣٤٣ المعصية مخالفة الأمر

- معنى «فَقَوَى» ٣٤٤
- إنزال آدم إلى الأرض على سبيل المصلحة لا الإهانة ٣٤٤
- عداوة آدم والمؤمنين من ذريته لإبليس واجبة ٣٤٥
- نسبة إخراج آدم وحواء من الجنة إلى إبليس ٣٤٦
- إخراج آدم وحواء من الجنة ليس عقوبة لهما ٣٤٦
- إغواء إبليس آدم وحواء سبب خروجهما من الجنة ٣٤٦
- «ظلم» بمعنى «بخس» ٣٤٧
- التوبة غير موجبة لإسقاط العقاب ٣٤٨
- معنى «الأسماء» في قولهم «وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا» ٣٤٩

فصل [٦]

في قصّة آدم (عليه السلام)

- معنى «كلمات» ٣٥٠
- «الخلق» بمعنى «التقدير» ٣٥١
- معنى «إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً» ٣٥١
- «نسي» بمعنى «ترك» ٣٥٣
- معنى قوله «لَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً» ٣٥٣
- عود الضمير في «جعلنا» إلى الذكور والإناث من ذرية آدم وحواء ٣٥٤
- معنى «أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي» ٣٥٦

- حذف المضاف في قوله: ﴿وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾ ٣٥٧
- حذف «لا» النافية ٣٥٧

فصل [٧]

في قصة إدريس وعيسى ونوح (عليهما السلام)

- رفع عيسى (عليه السلام) ٣٥٨
- معنى ﴿إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي﴾ ٣٦٠
- معنى ﴿فَلَا تَسْتَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ ٣٦١
- معنى ﴿وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي﴾ ٣٦٢
- السخرية جزاء السخرية ٣٦٣
- معنى ﴿فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا﴾ ٣٦٣
- دعاء نوح على قومه بعد أن تأكد له كفرهم ٣٦٤
- معنى ﴿وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ ٣٦٥
- حال ابن نوح ٣٦٥

فصل [٨]

في قصة إبراهيم (عليه السلام)

- معنى قول إبراهيم ﴿هَذَا رَبِّي﴾ ٣٦٧
- ما علّق بالمستحيل فهو مستحيل ٣٦٨

- معنى ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ﴾ ٣٦٩
- معنى ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ ٣٧٠
- «مَنْ» بمعنى «مَا» ٣٧١
- الملائكة لا تأكل الطعام ٣٧٢
- علة وصف الإسلام بأنه ملة إبراهيم ٣٧٢
- علة انتقال إبراهيم من حجة إلى حجة ٣٧٣

فصل [٩]

في قصة إبراهيم (عليه السلام)

- علة سؤال إبراهيم ربه أن يريه إحياء الموتى ٣٧٤
- استغفار إبراهيم لأبيه لو عده أن يؤمن ٣٧٥
- استغفار إبراهيم لأبيه عما أمر الله بالتأسي فيه ٣٧٧
- مخاطبة إبراهيم كانت لجدّه من أمّه ٣٧٧
- اسم أبي إبراهيم ٣٧٨
- والدا إبراهيم كانا مؤمنين ٣٧٩

فصل [١٠]

في قصة إبراهيم (عليه السلام)

- ﴿وَاجْتَنِبِي وَبَنِيَّ﴾ دعاء يختص بالمعصومين ٣٨٠

- ٣٨١ اصطفاء الله إبراهيم حين إسلامه
- ٣٨١ الملائكة رسل الله جاءت إبراهيم بالبشر
- ٣٨٢ وصفه بـ«عليهم» لدلالة البشارة
- ٣٨٣ معنى «يجادلنا»
- ٣٨٤ لا يجوز العجب من الله
- ٣٨٤ كيف صارت النار برداً وسلاماً
- ٣٨٥ المخاطب بقوله «أذن» هو محمد (صل الله عليه وآله)

فصل [١١]

في قصة إبراهيم وإسماعيل (عليه السلام)

- ٣٨٦ معنى دعاء إبراهيم وإسماعيل أن يجعلهما الله مسلمين
- ٣٨٧ معنى قوله إبراهيم: «تُب عَلَيْنَا»
- ٣٨٩ مَنْ هو الذَّبِيح؟
- ٣٩١ أَمَرَ الله إبراهيم بمقدّمات الذَّبْح لا بالذَّبْح

فصل [١٢]

في قصة زكريّا (عليه السلام)

- ٣٩٣ مراجعة زكريّا الله مع ما بشره
- ٣٩٤ معنى «رِزْقاً» وعلاقته بخلق الولد مِنَ العاقر

- معنى ﴿إِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ﴾ ٣٩٥
- حقيقة ميراث زكريا (عليه السلام) ٣٩٦
- العلم والنبوة لا يُورثان ٣٩٦

فصل [١٣]

في قصّة لوط (عليه السلام)

- عرض لوط بناته على جهة التزويج ٣٩٨
- معنى «أَنِّي بَرِيءٌ» على لسان هود ٣٩٩
- قول هود «اشهدوا» إقامة للحجة عليهم ٣٩٩

فصل [١٤]

في قصّة يعقوب (عليه السلام)

- إنكار اليهود على النبيّ (صلى الله عليه وآله) تحليله لحوم الإبل ٤٠١
- حقيقة الحسد ٤٠٢
- المحبة من ميل الطباع لا من الكسب ٤٠٣
- أخوة يوسف لم يكونوا أنبياء ٤٠٤
- إرسال يعقوب يوسف مع إخوانه ليس بتغريبه ٤٠٥
- معنى ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا﴾ ٤٠٥
- «كذب» بمعنى: مكذوب عليه ٤٠٦

- ٤٠٦ الصبر صبران
- ٤٠٦ علّة حزن يعقوب على يوسف
- ٤٠٧ لا يُنهي عن مجرّد الحزن

فصل [١٥]

في قصّة يوسف (عليه السلام)

- ٤٠٨ علّة صبر يوسف على العبوديّة
- ٤٠٩ من معاني «همّ»
- ٤١١ معنى «الهمّ» من يوسف ومن زليخا
- ٤١٢ ما المقصود بـ«برهان ربّه»

فصل [١٦]

في قصّة يوسف (عليه السلام)

- ٤١٤ معنى «السّجنُ أحبُّ إليّ»
- ٤١٥ قوله «وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي» من قول امرأة العزيز
- ٤١٦ علّة عدول يوسف عن تأويل الرؤيا
- ٤١٧ رغبة يوسف في خلاصه من السجن
- ٤١٧ معنى المراودة
- ٤١٧ وجه جواز وضع يوسف السقاية في رَحْل أخيه

- وجه جواز النداء بأنهم سارقون ٤١٨
- علة كتمان يوسف خبره عَنْ أَبِيهِ ٤١٨
- معنى ﴿وَاخْرُؤْا لَهُ سُجَّدًا﴾ ٤١٩
- نزغ الشيطان كان من إخوة يوسف ٤٢٠
- علة سؤال يوسف الله تمكينه من خزائن الأرض ٤٢٠
- تزكية يوسف نفسه ٤٢٠

فصل [١٧]

في قصة أيوب (عليه السلام)

- معنى ﴿مَسْنِيَ الشَّيْطَانُ يَنْصُبِ وَعَذَابٍ﴾ ٤٢١
- معنى ﴿خُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا﴾ ٤٢٢
- هل تجوز الحيل في الأحكام ٤٢٢
- رأي أبي حنيفة في الحيلة المخطورة ٤٢٤
- أمراض أيوب كانت اختياراً ومصلحة له فيها ٤٢٥

فصل [١٨]

في قصة شعيب (عليه السلام)

- الملّة بمعنى الشرعيات ٤٢٦
- يجوز اختلاف العبادة في الشرعيات ٤٢٦

- ٤٢٧ المشيئة من الله لا من شعيب
- ٤٢٩ وجه تأخير التوبة عن المغفرة
- ٤٣٠ فعل شعيب يطابق السؤال
- ٤٣٠ جواز التخيير والتفويض في الصداق
- ٤٣٠ جواز قبض الأب مَهْرَ ابنته
- ٤٣٠ جواز شرط الولي لنفسه
- ٤٣١ معنى ﴿فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ﴾

فصل [١٩]

في قصة موسى (عليه السلام)

- ٤٣٢ كلُّ ألم يقع على سبيل المدافعة للظالم من غير قصد فهو حسن
- ٤٣٢ قتل موسى القبطي
- ٤٣٣ تزوين القتل من عمَل الشيطان
- ٤٣٤ معنى ﴿إِنَّكَ لَعَوِيٌّ مُبِينٌ﴾
- ٤٣٤ الذنب هو قتل القبطي
- ٤٣٥ كفر موسى بنعمة فرعون
- ٤٣٥ الضالّ بمعنى الذاهب
- ٤٣٥ معنى ﴿إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾
- ٤٣٦ الاستغفار بمعنى الغفران

- ٤٣٦ سؤال موسى الله ضمَّ هارون إليه
- ٤٣٧ جواز حذف الشرط في الأمر
- ٤٣٨ دعوة موسى السحرة إلى إلقاء عصيهم على وجه التحدي
- ٤٣٨ معنى ﴿يَجْعَلُ﴾
- ٤٣٩ معنى ﴿أَوْجَسَ﴾
- ٤٣٩ نداء الله موسى أظهره له بمعجز
- ٤٤٠ علة أمر الله موسى يخلع نعليه
- ٤٤١ معنى ﴿عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورًا﴾
- ٤٤١ ملك موسى نفسه وأخاه على وجه المجاز
- ٤٤٢ دعاء موسى على قومه لما آيس منهم
- ٤٤٣ حذف «لا» النافية للجنس جوازاً

فصل [٢٠]

في قصّة موسى (عليه السلام)

- ٤٤٤ معنى ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾
- ٤٤٥ الهلاك بمعنى الموت
- ٤٤٥ التوبة على سبيل الرجوع إلى الله لا إلى الذنب
- ٤٤٦ غضب موسى على قومه
- ٤٤٧ سؤال هارون أخاه موسى ألا يغضب

- ٤٤٧ إعتذار هارون من أخيه
- ٤٤٨ معنى ﴿وَلَا يَكَاذُ بَيِّنٌ﴾

فصل [٢١]

في قصة موسى مع الخضر (عليه السلام)

- ٤٥٠ الله أعلم الغلام ما لم يعلم موسى
- ٤٥٠ النبي لا يحتاج في العلم إلى بعض رعيته
- ٤٥١ النهي عن العلم الذي لم يبلغ منزلته
- ٤٥١ نفي الصبر لا الاستطاعة
- ٤٥٢ الصبر وعدم العصيان مشروط بالمشيئة
- ٤٥٢ معنى ﴿شَيْئًا أَمْرًا﴾
- ٤٥٣ معنى ﴿شَيْئًا نَكْرًا﴾
- ٤٥٣ ﴿خَشِيَ﴾ و«خاف» بمعنى: عَلِمَ
- ٤٥٥ المسكنة بمعنى عدم الناصر
- ٤٥٦ «نَسِيَ» بمعنى: ترك

فصل [٢٢]

في قصة موسى (عليه السلام)

- ٤٥٧ معنى ﴿لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى﴾

- كتب الله كلها فرقان ٤٥٨
- من معاني الفرقان ٤٥٨
- خصَّ الله موسى بالكلام من دون أنبيائه ٤٦٠
- الهزء لا يقع من أولياء الله ٤٦١
- هرب موسى من عصاه للبشريَّة ٤٦١
- المرسلون لا يخافون ٤٦١

فصل [٢٣]

في قصَّة داود (عليه السلام)

- لم يقع الخطأ من داود ٤٦٣
- معنى فزع داود ٤٦٤
- معنى ﴿تَسْعُ وَتَسْعُونَ نَعَجَةً﴾ ٤٦٤
- معنى ﴿إِذْ يَخْشَى﴾ ٤٦٥
- تسخير الجبال والطير لداود ٤٦٦
- «ظلم» بمعنى: انتقص ٤٦٧
- «ظن» بمعنى: عَلِمَ وَحَدَسَ ٤٦٧
- معنى ﴿فَقَفَرْنَا لَهُ﴾ ٤٦٨

فصل [٢٤]

في قصّة سليمان (عليه السلام)

- ٤٦٩ مشاهدة سليمان الخيل لم تُلهِه عن ذكر ربّه
- ٤٧٠ معنى ﴿حُبُّ الْحَقِيرِ﴾
- ٤٧٠ الضمير في ﴿تَوَارَتْ﴾ عائد إلى الخيل لا الشمس
- ٤٧٠ فعل سليمان بالخيل
- ٤٧١ أورث سليمان داود والعلم
- ٤٧٢ حقيقة الميراث
- ٤٧٢ معنى ﴿فَتَنَّا سُلَيْمَانَ﴾
- ٤٧٤ تسخير الريح لسليمان
- ٤٧٥ الأنبياء لا تسأل إلا ما يؤذن لها في مسألته
- ٤٧٦ سأل سليمان الله أن يجعل ملكه آيةً لنبوته
- ٤٧٦ معنى ﴿لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي﴾

فصل [٢٥]

في قصّة سليمان (عليه السلام)

- ٤٧٧ معنى ﴿مَنْطَقَ الطَّيْرِ﴾
- ٤٧٨ تخصيص الهدهد بسليمان

- معنى ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُ﴾ ٤٧٨
- لم يكن سليمان محتاجاً إلى علم آصف ٤٧٩
- معنى ﴿نَكُرُوا لَهَا عَرْشَهَا﴾ ٤٧٩
- كيفية الإنيان بالعرش ٤٨٠
- تولي غسل الإمام والصلاة عليه موقوفان على الإمام الذي بعده ٤٨١
- معنى ﴿مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ﴾ ٤٨٢
- لم ينزل السحر على الملكين وإنما أنزل وصف السحر ٤٨٣
- معنى ﴿يَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا﴾ ٤٨٣
- التفريق بين الزوجين ٤٨٣
- الطير أغفلت أمر سليمان ونبيه ٤٨٣
- علة تقديم سليمان اسمه على اسم الله ٤٨٤

فصل [٢٦]

في قصة يونس (عليه السلام)

- مغاضبة ذي النون قومه لا ربه ٤٨٥
- ﴿تَقْدِيرَ﴾ بمعنى: نضيق ٤٨٥
- معنى قول ذي النون ﴿إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ ٤٨٦
- معنى ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ ٤٨٧

فصل [٢٧]

في قصّة عيسى (عليه السلام)

- ٤٨٨ معنى «كلمة»
- ٤٨٩ ولادة مريم لعيسى معجزة لمريم
- ٤٨٩ إحصان مريم فرجها
- ٤٨٩ معنى «فَنَمَخْنَا»
- ٤٩٠ معنى «تَقِيًّا»
- ٤٩٠ علّة غنيّ مريم الموت
- ٤٩١ معنى «يَا أُخْتَ هَارُونَ»
- ٤٩٣ كيفيّة صوم مريم
- ٤٩٤ تكلم عيسى في المهد معجزة لمريم
- ٤٩٤ معنى «وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا»
- ٤٩٥ معنى «المسيح روح الله»
- ٤٩٥ إحياء عيسى الموتى بإذن الله
- ٤٩٦ «الخالق» بمعنى التقدير
- ٤٩٧ نفخ الروح
- ٤٩٧ إخراج عيسى الموتى بإذن الله
- ٤٩٨ كفّ بني إسرائيل عن عيسى

- كفر مَنْ قال: إِنَّ المسيح هو ابن الله ٤٩٩
- التقريع في صيغة الاستفهام ٤٩٩
- المسيح كان مسلماً ٤٩٩
- تفويض أمر العباد إلى الله ٤٩٩
- «ما» في قوله: ﴿وَمَا تَعْبُدُونَ﴾ لغير العاقل ٥٠١
- معنى ﴿شُبَّهَ لَهُمْ﴾ ٥٠١
- عود «الهاء» في ﴿لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ ٥٠٢
- الفهرس ٥٠٥

